الموازنة

بين أبي تمام والبحتري

أبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى بالموصل في عام ٢٣١ هـ.

وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري المتوفى في عام ٢٨٤ هـ.

تصنيف

الإمام النقادة أبي القاسم

الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري

حقق أصوله وعلق حواشيه

محمد محيي الدين عبد الحميد

دار الطلائع

٣٢ شارع أحمد فخـــري
ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون: ٢٣٥٤٦٣٩٢ (٢٠٢ +)
فاكس: ٢٣٥٤٦٣٩٣ (٢٠٢ +)

E-mail : info@altalae.com
Web Site: www.altalae.com

الآمدي، الحسن بن بشر بن يحيى، ٠٠٠-٩٨٠. الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، تصنيف الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري، حقق أصوله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة. دار الطلائع للنشر والتوزيع ٢٠١٨.

ص ٣٦٨ ؛ سم ٢٤

تدمك: ٥ ٨٥١ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الشعر العربى - تاريخ ونقد

٢ - أبو تمام - حبيب بن أوس بن الحارث ٨٠٤ - ٨٤٦

٣ - البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى - ٨٢١ - ٨٩٨

أ - محمد محيي الدين، محمد محيي الدين بن عبد الحميد ١٩٠٠ - ١٩٧٣ (محقق - ومعلق)

ب- العنوان ٨١١,٠٠٩

رقم الإيداع: ٢٠١٨/١٠٦٦١

الترقيم الدولي: 5 - 851 - 277 - 977 - 978

تصميم الغلاف الفنان: زكريا عبد العال

• جميع الحقوق محفوظة للناشر •

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

بين يدي هذه الطبعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا محمد، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم..

وبعد،،

يُعد كتاب الموازنة بين أبي تمام والبُحتري من مصادر البيان العربي المهمة، ومن أمهات كُتب النقد الأدبي في التراث العربي، كما أنه من أهم ما ألَّفه الآمدي.

وترجع أهمية المؤلَّف الذي بين يديك- عزيزي القارئ- إلى أمور متعددة، من أهمها أنه قام بتصوير الحياة الشعرية في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، كما تناول التيارات الأدبية وأذواق النقاد في الفترة ذاتها، ومن ثَمَّ ذكره لآراء النقاد في شعر أبي تمام والبُحتري واستقصاء رأي المتعصبين لأي منهما، بالإضافة إلى تعرُّضه إلى قضايا نقدية ذات أهمية بالغة، مثل صناعة الشعر والسرقات الشعرية، وغيرهما.

وقد هيأ الله تعالى في كل عصر مَنْ يصون تراث العربية وآدابها بالدراسة والتحليل والشرح والتحقيق.. ومن بين هؤلاء العلماء الأفذاذ يأتي الشيخ العلَّامة (محمد محيي الدين عبد الحميد) مُحققًا لهذا المؤلَّف العظيم.

ولأنها لا تألو جهدًا في خدمة العربية وقُرائها ، فقد قامت (دار الطلائع) بطبع هذا الكتاب في نسخة خالية من التصحيف والتحريف ، وفي إخراج فني جديد .

سائلين المولى عز وجل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله في ميزاننا يوم نلقاه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الناشر

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم على جزيل نعمائك، وأسألك المزيد من صلاتك وسلامك على خاتم أنبيائك، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وأما بعد؛ فإني ألفيتُ أشقّ ما يضطلع به أهلُ العلم من عملٍ أن يوكَلَ إليهم تحقيقُ كتابٍ صُنِّف وكُتب قبل زمانهم، وقد رأيت أنه على قدر بُعْد العهدِ بالتصنيف والكتابة يكون الجهدُ وتثقل التبعة، وأن العمل يكون أكثر تعقُّدًا وأثقَلَ تبعة إذا لم يتيسَّر من نسخ الأصل سوى نسخة فريدة أو ما هو بمنزلة ذلك من النسخ التي أُخذ بعضها عن بعض، وما من شك في أنه لا يقدِّر هذا الجهد الجاهد إلا مَنْ عرف ما يكابده العالمُ الحريصُ على بلوغ الغاية التي يصبو إليها من الدقة والإتقان؛ وهذا وحده عناءٌ ليس من ورائه عناء.

وهذا كتاب "الموازنة بين أبي تمام والبحتري" أحَدُ تصانيف الإمام النقادة أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصريّ المتوفَّى في عام 370 من الهجرة، أقدِّمُه لقراء العربية بعد الذي كابدتُ في تحقيقه، وأنا مطمئن – أو قريب من الطمأنينة – إلى أنهم سيجدون فيه طَلِبةً طالما تاقت إليها نفوسهُم، وأنهم سيقرءون نسخةً صحيحة من كتابٍ نَشَره

الورّاقون قبل اليوم ثلاث مرات وكأنه لم يُنْشَر؛ لكثرة ما شاع فيه من تحريفٍ ونقصٍ، وسوء ترتيب.

وقد كانت النية على أن أنشر مع هذه الكلمة - بحثًا ضافيًا أتعرض فيه لتأريخ فنّ النقد الأدبي، ثم أرسم لك طريقة أبي القاسم الآمدي في كتابه، وأذكر ما تجمع لديّ من الملاحظات عليه بعد أن صحبته أمدًا ليس بالقصير، وأحدثك - على الأخص- عن تحامله على أبي تمام وإغضائه الإغضاءَ البالغ عن البحتري. كما كانت النية على أن أنشر مع الكتاب أنواعًا من الفهارس الأبجدية أعددْتُها له؛ ولكن ظروفًا قاهرة عاقتني عن كل ذلك، وأهونها ظروف الحرب القائمة التي جعلت الحصول على الورق من أعقد الأمور، وإنه ليهوّن على نفسي فوات هذه الأغراض، ويهوّنها على نفسك معي، أنك لن تجد بُدًّا من استيعاب الكتاب قراءةً وتدبُّرًا، وأنك حين تنتهي من قراءته ستكون قد أدركت من ذلك الشيء الكثير.

واللّه المسئول أن ينفع بهذا العمل على قدر الإِخلاص فيه، وأن يهيئ له فرصة أخرى يخرج فيها للناس على وجه أقرب إلى الكمال.

عن منيل الروضة [شعبان 1363
يوليه 1944

كتبه المعتز بالله تعالى أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

أبو تمام

1 – هو حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عديّ بن عمرو بن الغوث بن جلهمة، وجلهمة هو طيئ، بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

2 – ولد بقرية جاسم، وهي إِحدى قرى الجيدور، من أعمال دمشق، وأثبت الأقوال المأثورة أن مولده كان في سنة تسعين ومائة من الهجرة.

3 – كان أبو تمام أسمر اللون، طويلا، حلو الكلام، غير أن في لسانه حبسة وفي كلامه تمتمة يسيرة، حتى قيل فيه:

يا نَبيَّ الله في الشِّعْـ ـر، ويا عيسى بْنَ مَرْيَمْ
أنت من أشعر خلق اللـ ـه ما لم تتكلَّمْ

وكان فطِنًا شديد الفطنة، قويّ العارضة، حاضر البديهة. وقد واتته هذه الخلال ومكَّنَتْ له من الغَوْص على المعاني؛ فكان لا يزال يجدّ في أثرها حتى يصل إلى ما يعسر على غيره متناوله.

4 – كان لأبي تمام مذهب في المطابق والمجانس اشتهر به، ونسب إليه. وهذا المذهب لم ينسب لأبي تمام لأنه اخترعه، فقد طرقه الشعراء من قبله وقالوا منه، ولكنه نسب إليه وعرف هو به، لأنه فَضَل الشعراء جميعا فيه، وأكثر منه، وسَلَك جميع شُعبه، بل إنه كان مَثَارَ ما دار حوله من الْجَدَل، ومن جهته انطلقت ألسنة الناقدين عليه بحق أحيانا وبغير حق أحيانا أخرى؛ ذلك بأنه بالغ في سلوك هذه السبيل وأولع بها، حتى ليندر أن يخلو بيتٌ له منه، فأوقعه هذا الوَلَع في التعسف وارتكاب متن الشطط. ولكن الذي لا شك فيه أن الجيد من شعره كثير، وأنه لا يُلْحق غُباره في جيده.

5 – اتصل أبو تمام برجال الدولة في عصره، ومدح وهجا ورثى، وقال في كل أغراض الشعر، وقد أحصيت عدة مَنْ مدحهم فألفيتهم ثمانيه وأربعين ما بين خليفة وابن

خليفة ووزير وكاتب وقاض وسرى: مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله محمد ابن هارون الرشيد ورثاه بعد موته، ومدح أمير المؤمنين الواثق بالله بن المعتصم، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات، وأبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، والحسن بن وهب وأخاه سليمان بن وهب، ومالك بن طَوْق، وأبا دلف القاسم ابن عيسى العجليّ، وأبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي، وأبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة، وإسحاق بن إبراهيم المصعبي، وإسحاق بن أبي ربعي كاتب أبي دُلَف، ومحمد بن حسان الضبي، وخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني. وكان أكثر إنسان مدحه أبو تمام هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري، فقد أحصينا له فيه سبعا وعشرين كلمة. ونريد أن نسجل ههنا أن أبا تمام الطائي كان كثيرا ما يمدح الطائيين؛ فأبو سعيد طائي، وأحمد بن عبد الكريم طائيّ، وعمر بن عبد العزيز طائي، وغير هؤلاء من ممدوحيه طائيون؛ فهل كان يمدح على العصبية أو الرغبة في الجائزة؛ ذلك بحث لم يستقم لنا وجه الرأي فيه، ولا هو مما تحتمله هذه العجالة في هذه الظروف. وعسى أن يتهيأ لنا من بعد أن نفيض فيه.

6 – وتُوفي أبو تمام بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وبنى عليه أحد بني حميد الطوسي قبة خارج الميدان، وقبره الآن في حديقة البلدية بالموصل.

البحتريّ

1 – هو أبو عبادةَ الوليدُ بن عبيد الله بن يحيى البحتريُّ الطائيُّ، أحد بني بحتر بن عتود، ثم من طيئ.

2 – وُلد بمنبج في عام 206 من الهجرة، ونشأ في البادية بين قومه بني طيئ وغيرهم، ورَوَى عن كثير من العلماء كأبي العباس المبرد، ثم اتصل بأبي تمام ولزمه، وما زال يترسَّم خطاه، ويحذو حَذْوَه، ويردّد صَداه، ويقتفي قَفْوَه، حتى طار في الآفاق ذكرُهُ، وعَلا كعْبُه.

3 – كان – على فضله، ونصاعة بيانه، ورقة كلامه، وبديع أسلوبه، وجزيل شعره– من أبخل خلق الله، فقد كان له أخ وغلام معه في داره، فكان يقتلهما جوعا، حتى إذا بلغ منهما الجهد أتياه يبكيان، فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مضيقا مقترا،

ويقول لهما مع ذلك: كُلا، أجاع الله أكبادكما وأطال إجهادكما! وكان – فوق ذلك من أوسخ خلق الله ثوبًا وآلة، وأبغضهم إنشادا، وأكثرهم افتخارا بشعره، حتى ليُرْوَى عنه أنه كان إذا أنشد شعرا قال لمستمعيه: لِمَ لا تقولون أحسنت؟ هذا والله ما لا يقدر أحد أن يقول مثله.

4 – قال أبو الفرج عنه: شاعر، فاضل، حسن المذهب، نقيّ الكلام، مطبوع، كان مشايخنا – رحمة الله عليهم – يختمون به الشعراء، وله تصرف حسن في ضروب الشعر سوى الهجاء، فإن بضاعته فيه نَزْرَة، وجيده منه قليل.

5 – اتصل بكثير من رجالات الدولة، ومدح الكثيرين، وأكثر مدائحه في أمير المؤمنين المتوكل على الله، ووزيره الفتح بن خاقان، ومازال متصلا منهما بسبب: يختلف إليهما، ويمدحهما، إلى أن قتلا على مشهد منه، فرجع إلى منبج، وبقي يختلف إلى الرؤساء والعلية في بغداد وسُرَّ من رأى، ويمدحهم.

6 – سئل أبو العلاء المعري: أيّ الثلاثة أشعر؟ أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فأجاب: المتنبي وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتريُّ. وسُئل البحتريُّ: أيكما أشعر؟ أنت أم أبو تمام؟ فأجاب: جيد أبي تمام خير من جَيِّدى، ورديئي خير من رديئه. وقيل للبحتري يومًا: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام، فقال: والله ما ينفعني هذا القولُ ولا يضرُّ أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلّا به، ولوَددْت أن الأمر كما قالوا، ولكني والله تابع له، آخذٌ منه، لائذ به، نَسيمى يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه.

7 – أنشد البحتريُّ أبا تمام يومًا شيئا من شعره، فلما انتهى تمثل أبو تمام بقول أوس ابن حَجَر:

إذا مُـقْـرِم مِنَّا ذَرَا حـدُّ نابِهِ ... تَخَمَّط فينا نـابُ آخـر مُقْرِمِ

ثم قال له: نَعَيْتَ إليَّ والله نفسي، فقال: أعيذك بالله من هذا القول، فقال: إن عمري لن يطول، وقد نشأ في طيئ مثلُكَ. أما علمت أن خالد بن صَفْوَان رأى شبيب بن شَبَّة– وهو من رهطه– يتكلم، فقال: يا بني، لقد نعى إلى نفسى إحسانُك في كلامك؛ لأنَّا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات مَنْ قبله، فقال: بل يبقيك الله ويجعلني فداك. ومات أبو تمام بعد سنة.

8 – وتُوفي البحتري في عام 284 من الهجرة.

الآمدي

1 – هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى، الآمدي الأصل، البصري المولد والمنشأ.

2 – كان حَسَن الفهم، جيد الدراية والرواية، أخذ العلم عن الأخفش، والزجاج، وابن السراج، والحامض، وابن دريد، ونفطو يه، ومَن في طبقة هؤلاء، وله شعر حسن، وتآليف جيدة تدل على بَصَرٍ صحيح واطلاع واسع، وكان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يصنعه من التآليف.

3 – كتب في بغداد لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي. وكتب في البصرة لأبي الحسن أحمد بن الحسن بن المثنى ولأخيه أبي أحمد طلْحَةَ بن الحسن بن المثنى، ثم كتب بعدهما للقاضي أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي يليها القضاة، وكان يكتب له بحضرته في مجلس حكمه، ثم من بعده كتب لأخيه القاضي أبي الحسن محمد بن عبد الواحد حين ولي قضاء البصرة، واشتهر بهما حتى لقبوه «كاتب بني عبد الواحد الهاشميين» ثم لزم بيته.

4 – له تصانيف كثيرة: نذكر منها ههنا (1) تفضيل امرئ القيس على شعر الجاهليين، وهو يشير إليه في الموازنة أحيانا (ص 349) (2) تبيين غلط قدامة في كتابه نقد الشعر، وقد أشار إليه في الموازنة أيضا (261) (3) المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء، وقد طبع في مصر (4) معاني شعر البحتري (5) الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام (6) فرق ما بين الخاص والمشترك من معاني الشعر (7) كتاب فعلت وأفعلت (8) الموازنة بين أبي تمام والبحتري، وهو هذا الكتاب.

5 – وتُوفي أبو القاسم الآمدي في عام سبعين وثلثمائة (370) من الهجرة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الحمد لله، والصلاة والسلام على رُسُل الله]

قال أبو القاسمَ الحسنُ بن بِشْرِ بن يَحْيى الآمِدِيُّ:

هذا ما حَثَثْتَ - أدام الله لك العز والتأييد، والتوفيقَ والتسديدَ - على تقديمه، من الموازنة بين أبي تَمَّامٍ حبيب بن أَوْسٍ الطائيّ وأبي عُبَادةَ الوليدِ بن عبيد الله الْبُحْتُرِيّ في شعريهما، وقد رَسَمْتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وَهَب فيه السلامةَ، وأحْسَنَ في اعتماد الحق وتَجَنُّب الهوى المعونَةَ منه برحمته.

ووجَدْتُ - أطال الله عمرك- أكثَرَ مَنْ شاهدتُه ورأيته من رُوَاة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمامٍ حبيبِ بن أوسٍ الطائي لا يتعلّق بجيده جيد أمثالِهِ، ورديُّه مطروحٌ ومرذول؛ فلهذا كان مختلِفًا لا يتشابه، وأن شعر الوليدِ بن عبيد الله البحتري صحيحُ السَّبْك، حَسَنُ الدِّيبَاج، ليس فيه سَفْسافٌ ولا رَدِيّ ولا مَطْروح، ولهذا صار مُسْتَوِيًا يُشْبه بعضُه بعضًا ووجدتهم فَاضَلُوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما، ولم يتفقوا عَلى أيهما أشعر، كما لم يتفقوا على أحدٍ ممن وقع التفضيلُ بينهم من شُعَراء الجاهلية والإِسلام والمتأخرين، وذلك كمن فَضَّل البحتريَّ، ونسبه إلى حلاوة النفس، وحسن التخلص، ووَضْع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقُرْب المآتي، وانكشاف المعاني، وهم الكُتَّابُ والأعرابُ والشعراء المطبوعون وأهلُ البلاغة، ومثل من فَضَّل أبا تمامٍ، ونسبه إلى غُمُوض المعاني ودِقّتها، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج، وهؤلاء أهلُ المعاني والشعراءُ أصحابُ الصَّنعة ومَنْ يميل إلى التدقيق وفلسفيّ الكلام. وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقةً، وذهب إلى المساواة بينهما، وإنهما لمختلفان؛ لأن البحتري أعرابيُّ الشعر مطبوع، وعَلَى مذهب الأوائل، وما فارق عَمُودَ الشعر المعروف، وكان يتجنَّب التعقيد ومُستَكره الألفاظ ووَحْشيَّ الكلام؛ فهو بأن يُقاس بأشجع السُّلَمِي ومنصور وأبي يعقوب المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أَولى، ولأن أبا تمامٍ شديدُ التكلف،

صاحبُ صنعةٍ، ومستكرهُ الألفاظ والمعاني، وشِعرُه لا يشبه أشعار الأوائل، ولا عَلَى طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة، والمعاني المولَّدة، فهو بأن يكون في حَيِّز مسلم بن الوليد ومَنْ حَذَا حَذْوَهُ أَحَقُّ وأشبه، وعَلَى أني لا أجد مَنْ أقرِنه به؛ لأنه يَنْحط عن درجة مسلم، لسلامة شعر مسلم وحُسْنِ سبكه وصحة معانيه، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب، لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته.

ولست أحبُّ أن أطلق القولَ بأيهما أشعر عندي؛ لتباين الناس في العلم، واختلاف مذاهبهم في الشعر. ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فَيَسْتَهْدِفَ لذم أحد الفريقين؛ لأن الناس لم يتفقوا عَلَى أي الأربعة أشعر في امرئ القيس والنابغة وزُهير والأعشى، ولا في جرير والفرزدق والأخطل، ولا في بشَّار ومَرْوَان، ولا في أبي نواس وأبي العتاهية ومُسْلم، لاختلاف آراء الناس في الشعر، وتباين مذاهبهم فيه.

فإن كنت -أدام الله سلامتك- ممن يُفَضِّل سَهْل الكلام وقريبه، ويُؤثر صحة السَّبْك وحسنَ العبارة وحُلْو اللفظ وكثرة الماء والرَّونق؛ فالبحتري أشعر عندك ضرورةً. وإن كنت تميل إلى الصَّنْعة، والمعاني الغامضة التي تسْتَخرج بالغَوْص والفكرة، ولا تَلْوِي عَلَى غير ذلك؛ فأبو تمام عندك أشعر لا محالة.

فأما أنا فلست أُفْصِح بتفضيل أحدهما عَلَى الآخر، ولكني أقارن بين قصيدتين من شعرهما إذا [اتفقتا] في الوزنِ والقافيةِ وإعرابِ القافية، وبين مَعْنًى ومَعْنًى، فأقول: أيهما أشْعَر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم احْكُمْ أنت حينئذ عَلَى جملة ما لكل واحد منهما إذا أَحَطْتَ علمًا بالجيد والرديء.

* * * * *

وأنا أبتدئ بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذَين الشاعرين على الفرقة الأخرى، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعاه بَعْضٌ على بعضٍ؛ لتتأمل ذلك، وتَزْداد بَصِيرةً وقوةً في حكمك إن شئتَ أن تحكم، واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به:

1 - قال صاحبُ أبي تمام: كيف يجوز لقائل أن يقول: إن البحتري أشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ، وعَلَى حَذْوه احْتَذى، ومن معانيه اسْتَقَى؟ وبَارَاهُ حتى قيل:

الطائي الأكبر، والطائي الأصغر، واعترف البحتريُّ أن جَيِّد أبي تمام خيرٌ من جيده، على كثرة جيد أبي تمام، فهو بهذه الخصال أن يكون أشعَرَ من البحتري أولى من أن يكون البحتري أشعر منه.

2 - قال صاحب البحتري: أما الصحبة، فما صَحِبه ولا تلمذ له، ولا روى ذلك أحدٌ عنه، ولا نقله، ولا أرى قَطُّ أنه محتاج إليه، ودليلُ هذا الخبرُ المستفيضُ من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيدٍ محمد بن يوسف الثغري وقد دخل إليه البحتريُّ بقصيدته التي أولها:

* أَأَفَـــاق صَــبٌّ مِــنْ هَــوًى فَــأُفِـيـقَـا*[1]

وأبو تمام حاضر، فلما أنشدها عَلَّق أبو تمام أبياتًا كثيرة منها، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال: أيها الأمير، ما ظننت أن أحدًا يُقْدِم على أن يسرق شعري وينشده بحضرتي حتى اليوم، ثم اندفع يُنْشِد ما حَفِظه، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة، فبُهِت البحتري، و رأى أبو تمام الإِنكار في وجه أبي سعيد محمد بن يوسف، فحينئذ قال له أبو تمام: أيها الأمير، والله ما الشعرُ إلَّا لَهُ، وإنه أحْسَنَ فيه الإِحسانَ كلَّه، وأقبل يُقرظه ويَصِف معانيه ويذكر محاسنه، ثم جعل يَفْخَر باليمن وأنهم يَنْبُوع الشعر، ولم يَقْنَع من محمد بن يوسف حتى أَضْعَفَ له الجائزة فهذا الخبر الشنيع يُبطل ما ادعيتم، إذ كان مَنْ يقول هذه القصيدةَ التي هي من عَيْن شعره وفاخر كلامه، وهو لا يعرفُ أبا تمام إلا أن يكون بالخبر، يستغنى عن أن يَصْحَبه أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر.

وقد أخبرني أنا رَجُلٌ من أهل الجزيرة - ويكنى أبا الوضاح، وكان عالما بشعر أبي تمام والبحتري وأخبارهما - أَنَّ القصيدة التي سمع أبو تمام من البحتري عند محمد ابن يوسف وكان اجتماعهما وتعارفهما القصيدةُ التي أولها:

* فِيمَ ابْـتِـدَارُكُـمَـا الْـمَـلَامَ وَلُـوعَـا؟*[2]

---

(1) تمامه * أم خان عهدا أم أطاع شفيقا * الديوان (2 - 145).

(2) تمامه * أبكيت إلا دمنة وربوعا*

انظر الديوان (2 - 84 طبع مصر)، وفيه «فيم ابتداركم»

وأنه لما بلغ إلى قوله فيها:

فِي مَنْزِلٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ الْقَنَا ... بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعَا[1]

نهض إليه أبو تمام فقبَّل بين عينيه: سرورًا به، وتحَفِّيًا بالطائية، ثم قال: أَبَى الله إِلا أن يكون الشعر يَمنِيًّا.

3 – قال صاحب البحتري: إلا أنه – مع هذا – لا يُنكر أن يكون قد استعار بعضَ معاني أبي تمام؛ لقرب البلدين، وكثرة ما كان يَطْرُق سمعَ البحتري من شعر أبي تمام فَيُعَلّق شيئًا من معانيه، معتمِدًا للأخذ أَو غَيْرَ معتمد، وليس ذلك بمانع من أن يكون البحتريُّ أشعَرَ منه. فهذا كُثيّر قد أَخذ من جَميل، وتلمذ له، واسْتَقَى من معانيه، فما رأينا أن أحدًا أطلق على كُثَيِّر أن جَميلًا أشعر منه، بل هو – عند أهل العلم بالشعر والرواية – أشعر من جميل، وهذا ابنُ سَلّام الْجُمَحِيُّ ذكره في كتاب الطبقات في الطبقة الثانية من شعراء الإِسلام، جعله مع الْبَعِيث والْقُطَامي، وذكر أنه عند أهل الحجاز خاصة أشعرُ من جرير والفرزدق والأخطل، وجعل جَميلًا في الطبقة السادسة مع عبد الله ابن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ والأَحْوَص ونُصَيْب، إلا أنه قال: إن جميلا يَتَقدَّمه في النسيب. وهذا غير مقبول منه؛ لأنه إنما يحكيه عن نفسه، وأهلُ الحجاز إِنما قدموا كُثَيرا من أجل نَسيبه، وحُسْن تَصَرفه فيه. وحُكي عن جرير أنه قال في بعض الروايات: كُثَير أَنْسَبُنا ويدلّ على تقدمه في النسيب قولُ أبي تمام في قصيدة يمدح بها أبا سَعيد الكاتبي أولها:

مِــنْ سَجَايَا الطُّلُول أَنْ لَا تُجِيبَا[2]

لَوْ يُفَاجِي رُكْنُ الْمَدِيحِ كَثِيرًا ... بِمَعَانِيهِ خَـالَـهُـنَّ نَسِيبَا[3]

طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالْتَذَّ حَتَّى ... فَـاقَ وَصْـفَ الدِّيَارِ وَالتَّشْبِيبَا

(1) في الديوان «في معرك».

(2) تكملة هذا المطلع قوله: * فَـصَـوَابٌ مِـنْ مُـقْـلَـتِـي أَنْ تَـصـوبَـا*
وانظر الديوان (ص 25 بيروت)

(3) في الديوان «لو يفاجي ذكر المديح» والبيت الثاني مقدم فيه على الأول.

أراد أن كُثَيرا لو فاجأه هذا المديحُ – على حُسْن نسيبه – وخصّ كُثَيرا لشهرته بالنسيب وبراعته، واحتمل ضرورةَ الشعر، وَرَدَّ كُثَيِّرًا إلى التكبير فقال كَثِيرًا ولم يقل جميلًا ولا جريرًا ولا غَيْرَهما، مما لا ضرورة في اسمه. وعلى أن كُثَيِّرًا ذكر اسمه مكبرًا: إما ضرورةً، وإما اعتمادًا لتفخيم اسمه وأن لا يأتي به مُحَقَّرًا، فقال:

وَقَالَ لِيَ الْوَاشُونَ وَيْحَكَ إِنَّهَا ... بِغَيْرِكَ حَقًّا يَاكَثِيرُ تَهِيمُ

وقد ذكر أبو تمام كُثَيِّرا في مواضع أخر فجاء به مكبرا في قصيدة يمدح بها الحسنَ ابن وَهْب[1] ويصفه بالبلاغة، وهو قوله:

فَكَأَنَّ قسًّا فِي عُكاظٍ يَخطُبُ ... وَكَثِير عَزَّةَ يَوْمَ بَيْنٍ يَنْسُبُ[2]

وذلك لعلم أبي تمام بتقدُّم كُثَيِّر في النسيب على غيره، وشهرته بالتجويد فيه، على أن جَميلًا لا شعر له مما يُعتدُّ به إلا في النسيب والْغَزَل.

فقد علمتم الآن أن هذه حالةٌ لا توجب لكم تفضيلَ أبي تمام على البحتري من أجل أنه أخذ شيئا من معانيه، وأما قول البحتري «جَيِّدُه خير من جَيِّدِي، ورديئي خير من رديئه» فهذا الخبر – إن كان صحيحا – فهو للبحتري، لا عليه؛ لأن قوله هذا يدلُّ على أن شعْرَ أبي تمام شديدُ الاختلاف، وشعرَه شديدُ الاستواء، والْمُسْتَوِي الشعر أولى بالتَّقدِمة من المختلف الشعر، وقد اجتمعنا – نحن وأنتم– على أن أبا تمام يَعْلُو عُلُوًّا حَسَنًا ويَنْحَطُّ انحطاطًا قبيحا، وأن البحتريَّ يعلو بتوسُّطٍ، ولا يسقط، ومن لا يسقط ولا يُسَفْسِفُ أفضلُ ممن يسقط ويسفسف.

والذي نرويه عن أبي علي محمد بن العلاء السجستاني – وكان صديق البحتري– أنه قال: سُئل البحتريُّ عن نفسه وعن أبي تمام، فقال: هو أَغْوَصُ على المعاني، وأنا أَقْوَمُ بعَمُود الشعر. وهذا الخبر هو الذي يعرفه الشاميون، دون غيره.

---

(1) انظر الديوان (38 – 40)

(2) هذا البيت ملفق من بيتين، ورواية الديوان (40) هكذا:

فكأن قسا في عكاظ يخطب ... وكأن ليلى الأخيلية تندب

وكثير عزة يوم بين ينسب ... وابن المقفع في اليتيمة يسهب

وسمعت أبا عليٍّ محمدَ بن العلاء أيضًا يقول: كان البحتريُّ عند نفسه أشعَرَ من أبي تمام وسائر الشعراء المحدَثين.

وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه الذي ذكر فيه أخبار الشعراء نحوًا من ذلك.

قال أبو علي محمد بن العلاء: كان البحتري إذا شَرِبَ وَأَنِسَ أنشدَ شعرَه وقال: ألا تسمعون؟ ألا تعجبون؟ قال: وكان - مع هذا- أحسنَ الناس أدبَ نفسٍ، لا يُذكر شاعر مُحْسن أو غيرُ محسنٍ إلا قرَّظه، ومدحه، وذكر أحسنَ ما فيه. قال أبو علي: ولِمَ لا يفعل ذلك؟ وقد أسقط في أيامه أكثرَ من خمسمائة شاعر، وذهب بخيرهم، وانفرد بأخْذِ جوائز الخلفاء والملوك دونهم. فلو لم يفعل ذلك إلا اسْتِكفَافًا وحَذَرا من بيت واحد يندر فيبقى على الزمان لكان من الحظ له أن يَفْعله.

وكذلك كان أبو علي دِعْبلُ بن علي الخزاعي يهجو الملوك والخلفاء ولايعرض لشاعرهم إلا ضرورة، وقد حَذَّر في أول كتابه الذي ألفه في الشعراء من التعرض للشاعر، ولو كان من أدْوَنِ الناسِ صنعةً في الشعر، وقال: رُبَّ بيت جرى على لسان مُفْحَم قيل فيه: رُبَّ رميةٍ من غير رامٍ فسارت به الركبان، ولذلك يقول في بعض شعره:

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لِامْرِئٍ طَبِنٍ ... مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ

فَـرُبَّ قَافِيَةٍ بالْمَزْحِ جَـارِيَـةٍ ... مَشْئُومَةٌ لَمْ يُرَدْ إِنْمَاؤُهَا نَمَتِ

ثم نرجع إلى قول الخصمين:

4 - قال صاحب أبي تمام: فأبو تمام انفرد بمذهبٍ اخترعه، وصار فيه أولا وإمامًا متبوعا، وشُهِر به حتى قيل: هذا مذهب أبي تمام، وطريقة أبي تمام، وسَلَكَ الناسُ نهجَه، واقتفَوْا أثره، وهذه فضيلة عَرِيَ عن مثلها البحتري.

5 – قال صاحب البحتري: ليس الأمر لاختراعه لهذا المذهب على ما وصفته، ولا هو بأول فيه، ولا سابق إليه، بل سلك في ذلك سبيلَ مُسْلم، واحتذى حَذْوه، وأفرط وأسرف وزال عن النهج المعروف، والسَّنن المألوف، وعلى أن مسلما أيضا غيرُ مبتدع لهذا المذهب، ولا هو أوَّلٌ فيه، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسمُ البديع – وهى: الاستعارة، والطِّباق، والتجنيس – منشورةً متفرقة في أشعار المتقدمين، فقَصَدها وأكثر في شعره منها، وهي في كتاب الله عز وجل موجودة، قال الله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: 4] ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: 37] وقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: 24] فهذه من الاستعارة التي هي في القرآن. وقال امرؤ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ ... وَأَرْدَفَ أعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[1]

فجعل الليل يتمطَّى، وجعل له إردافا وكلْكَلًا. وقال زهير:

صَحَا الْقَلْبُ عن سَلْمى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ ... وَعُرِّيَ أفْرَاسُ الصِّبا وَرَوَاحِلُهُ[2]

فجعل للهوى أفراس ورَوَاحل. وقال لَبيدٌ الْجُعْفِيُّ:

وَغَـدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقَـرَّةٍ ... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَد الشَّمَالِ زِمَامُها[3]

فجعل للغداة يدًا، وللشَّمال زمامًا؛ فهذه كلها استعارات.

وقال جل وعز في التجنيس: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: 44] ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ [الروم: 43] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ، وغفَارِ غَفَر الله لها، وأَسْلَم سالمها الله. وقال القُطَامِيُّ:

(1) ورد في الصناعتين (217) وفي دلائل الإعجاز (62 و 275 و 363) والموشح (31) وبروي فيهن وفي الديوان والمعلقات «لما تمطى بصلبه».

(2) الصناعتين (217) ومعاهد التنصيص (260).

(3) الصناعتين (220) وأسرار البلاغة (32) ودلائل الإعجاز (53 و 334 و 354).

وَلَمَّا رَدَّهَـا فِي الشَّولِ شَالَتْ ... بِـذَيَّـالٍ يَـكُـونُ لَها لفاعَا[1]

وقال أيضا:

كنِيَّةِ الحيِّ مِنْ ذِي الْقَيْظِ فاحْتَمَلُوا ... مُسْتَحْقِبِينَ فُـؤادًا مَا لَهُ فَـادِ[2]

وقال جرير:

وَمَا زَالَ مَعْقُولًا عقَالٌ عَنِ النَّدى ... وَمَازَالَ مَحْبُوسًا عَنِ المَجْدِ حَابِسُ[3]

وقال ذو الرمة:

كأَنَّ الْبُرَى وَالْعاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ ... عَلَى عُشَرٍ نَهْبى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَح[4]

وقال امرؤ القيس:

لَقَدْ طَمَحَ الطَّماحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِـهِ مَا تَلَبَّسا[5]

وقال الفرزدق:

خفاف أَخَفَّ الله عَنْهُ سَحَابَهُ ... وَأَوْسَعَهُ مِنْ كلِّ سَافٍ وَحَاصِب[6]

ذكر ذلك كلَّه أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في كتاب البديع. قال: ومن الطباق قول الله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ [البقرة: 179] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ لتكثُرونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وتَقِلُّون عِنْدَ الطَّمَعِ». وقال زهير:

لَيْثٌ بِعَثّر يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا ... مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقا[7]

فطابق بين الصدق والكذب. وقال طُفَيْل الغَنَوِيُّ:

(1) الصناعتين (256) وفيه «فلما ردها» والشول : الناقة خف لبنها، والذيال: الطويل الذيل، واللفاع: الملحفة أو الكساء.

(2) مستحقبين فؤادا: أراد أخذوه معهم كما يأخذون متاعهم في حقائبهم.

(3) الصناعتين (256) وفيه «محبوسا عن الخير».

(4) الصناعتين (255) والبرى: جمع برة، وهي حلقة تجعل في أنف البعير، وعيجت: عطفت.

(5) الصناعتين (253).

(6) الصناعتين (253).

(7) الصناعتين (241) وعثر –بوزن بقم– أرض مأسدة بناحية تبالة.

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ   يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ[1]

فطابق بين قوله «يصان» وبين قوله «مبذول»

فتتبَّع مسلمُ بن الوليد هذه الأنواعَ واعتدَّها، ووشَّح شعره بها، ووضعها في موضعها، ثم لم يَسْلم مع ذلك من الطعن، حتى قيل: إنه أول من أفسد الشعر، روي ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح، قال: وحدثني محمد بن القاسم ابن مهرويه، قال: سمعت أبي يقول: أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، ثم أتبعه أبو تمام واستحسن مذهبه وأحبَّ أن يجعل كل بيت من شعره غير خالٍ من بعض هذه الأصناف، فسلك طريقا وَعْرًا، واسْتَكْرَهَ الألفاظ والمعاني، ففسد شعره، وذهبت طلاوته، ونشف ماؤه، وقد حكى عبد الله بن المعتز في هذا الكتاب الذي لقبه البديع أن بَشَّارا وأبا نُوَاس ومُسلم بن الوليد ومَنْ تَقَيَّلهم لم يَسْبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعُرف في زمانهم. ثم إن الطائي تفرغ فيه، وأكثر منه، وأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعض، وتلك عُقْبى الإِفراط وثمرة الإِسراف. قال: وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيتَ والبيتين في القصيدة، وربما قرئ في شعر أحدهم قصائدُ من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع، وكان يُسْتَحسن ذلك منهم إذا أتى قَدَرًا، ويزداد حظوة من الكلام المرسل. وقد كان بعضه يشبه الطائي في البديع بصالح بن عبد القُدُّوس في الأمثال، ويقول: لو كان صالحٌ نثَرَ أمثاله في تضاعيف شعره وجعل منها فصولا في أبياته لسبق أهلَ زمانه وغلب عَلَى مَيْدَانه. قال ابن المعتز: وهذا أعدل كلام سمعته.

6 – قال صاحب البحتري: فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسَبْقِه إليه، وصار استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه، وأكبر عيوبه، وحصل للبحتري أنه ما فارق عَمود الشعر وطريقته المعهودة، مع ما نجدهُ كثيرا في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة، وانفرد بحسن العبارة، وحلاوة الألفاظ،

(1) الصناعتين (242) وساهم الوجه: متغيره، والأباجل: جمع وهو عرق في الفرس والبعير بمنزلة الأكحل في الإنسان.

وصحة المعاني. وحيث وقع الإِجماع على استحسان شعره واستجادته، ورَوَى شعرَهُ واستحسنه سائرُ الرواة عَلَى طبقاتهم واختلاف مذاهبهم؛ فمن نَفَقَ على الناس جميعا أوْلى بالفضيلة، وأحقّ بالتقدمة.

7 - قال صاحب أبي تمام: إنما أعْرَضَ عن شعر أبي تمام مَنْ لم يفهمه لدِقّة معانيه وقُصور فهمه عنه، وفَهِمَه العلماء والنقاد في علم الشعر، وإذا عَرَفتْ هذه الطبقةُ فضيلته لم يَضُرّه طعنُ مَنْ طعن بعدها عليه.

8 - قال صاحب البحتري: إِن ابن الأعْرابيّ وأحمَدَ بن يحيى الشيباني وقبلهما دِعْبِل ابن عليٍّ الخُزاعي قد كانوا عُلماء بالشعر وكلام العرب، وقد علمتم مذاهبهم في أبي تمام، وازدراءهم بشعره[1]، وطَعْن دعبل عليه، وقولهم: إِن ثُلُث شعره محال، وثلثه مسروق، وثلثه صالح. ورَوَى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل أنه قال: ما جَعَله الله من الشعراء، بل شعره بالخطب والكلام المنثور أشبه منه بالشعر، ولم يُدْخله في كتابه المؤلَّف في الشعراء. وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام: إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل، روي ذلك أبو عبد الله محمد بن داود عن البحتري عن ابن الأعرابي. وحكى محمد بن داود أيضا عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن محمد- وكان عالما بالشعر - أنه قال: أبو تمام يريد البديع فيَخْرُج إلى المحال. وروى عنه أنه قال: دخل إسحاق بن إبراهيم الْمَوْصِلي عَلَى الحسن بن وهب وأبو تمام يُنْشده، فقال له إسحاق: ياهذا لقد شدّدت عَلَى نفسك. وذكره أيضا أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في كتاب البديع. وغيرُ هؤلاء العلماء ممن أفسدوا شعره كثيرٌ: منهم أبو سعيد الضرير، وأبو العَمَيْثل الأعرابي صاحبُ عبد الله بن طاهر بخراسان، وكانا من أعلم الناس بالشعر، وكان عبد الله بن طاهر لايسمع من شاعر إلا إذا امتَحَنَاه وأنشدهما شعره ورضياه، فقصدهما أبو تمام بقصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر، وأولها:

(1) كذا، ولعله «إزراءهم بشعره» أو «ازدراءهم شعره».

هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ فَعَزْمًا فَقِدْمًا أدْرَكَ النُّجحَ طَالِبُهْ[1]

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه، وأسقطا القصيدة، حتى عاتبهما أبو تمام وسألهما النظر فيها، فلولا أنهما ظفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة عَلَى عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة لكان قد افتضح وخابت سَفْرَته، وخَسِرَت صفقته، والبيتان:

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُه

لأَمْـرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتمَّ صُـدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

أخذ معنى البيت الأول من قول الْبَعيث:

أَطافَتْ بِشُعْثٍ كالْأَسِنَّةِ هُجَّدٍ بِخَاشِيَةِ الْأَصْوَاءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا

وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر:

غُـلامُ وَغًـى تَقحَّمَهَا فَأَبْلى فَخَانَ بَـلَاءَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ

وَكانَ عَلَى الْفَتَى الْإِقْـدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ علَيْهِ مَاجَنَتِ الْمَنُونُ

ما يقال؟ فكان هذا مما استحسن من جوابه.[2].

وهذا أبو العباس محمدُ بن يَزيدَ المبردُ، ما علمناه دَوَّنَ له كبير شيء، وهذه كتبه وأماليه وإنشاداته تدلُّ على ذلك، وكان يفضل البحتري، ويستجيد شعره، ويكثر إنشاده، ولا يُمليه[3]؛ لأن البحتري كان باقيا في زمانه، أخبرنا أبو الحسن الأخفش قال: سمعت أبا العباس محمدَ بن يزيدَ المبرد يقول: ما رأيت أشعر من هذا الرجل، يعني البحتري، لولا أنه ينشدني لِمَا أنشدكم لملأتُ كتبي من أمالي شعره.

9 – قال صاحب أبي تمام: فقد بطل احتجاجكم بالعلماء، وتفضيلكم لشعره عليه؛ لأن دِعْبلًا كان يشمأ أبا تمام ويحسُده، وذلك مشهور معلوم منه، فلا يقبل قول شاعر في شاعر، وأما ابن الأعرابي فكان شديد التعصُّب عليه؛ لغرابة مذهبه،

---

(1) الديوان (43) وفيه «أهن عوادي» وفيه «أدرك السؤل».

(2) انظر القصة والأبيات في أخبار أبي تمام (52 و 117) والصناعتين (154) وهبة الأيام (134).

(3) في الأصول «ولا يستمليه» والسياق يقتضي ما أثبتنا.

ولأنه كان يَرِد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه، فكان إذا سُئل عن شيء منها يأنَف أن يقول لا أدري فيعدل إلى الطعن عليه، والدليل على ذلك أنه أُنْشِدَ يوما أبياتا من شعره، وهو لا يعلم قائلها، فاستحسنها وأمر بكَتْبها، فلما عرف أنه قائلها قال: خَرِّقوه[1]، والأبيات من أرجوزته التي أولها[2].

وَعَـــاذِلٍ عَذَلْتُهُ فِي عَذْلِهِ فَظَنَّ أَنِّي جَاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ

وكان ابن الأعرابي – على علمه وتقدُّمه – قد حَمَل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر، فما تُنكرون أيضًا أن تكون حالُ سائر من ذكرتموه مثلَ حاله؟

10 – قال صاحب البحتري: لا يلزم ابنَ الأعرابي من الظلم والتعصب ما ادَّعيتم، ولا يلحقه نقصٌ في قُصور فهمه عن معاني شاعر عَدَل في شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة الْمُخرِجة للكلام إلى الخطأ أو الإِحالة، والعيبُ والنقص في ذلك يلحقان أبا تمام؛ إذ عدل عن المحجّة إلى طريقة يجهلها ابنُ الأعرابي وأمثاله، وأما ما استحسنه ابن الأعرابي من شعر أبي تمام فأمر بكَتْبه، ثم أمر بتخريقه لما علم أنه قائله فذلك غير مُنْكَر، ولا يُدْخِل ابنَ الأعرابي في التعصب والظلم؛ لأن الذي يورده الأعرابي – وهو محتذٍ على غير مثال – أحلى في النفوس، وأشهى إلى الأسماع، وأحق بالزيادة والاستجادة مما يورده المحتذى على الأمثلة، وعُذْرُ ابن الأعرابي في هذا إذًا قد صح، وقد سبقه الأصمعي، وذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنشد الأصمعي:

هَــلْ إِلَــى نَــظْــرَةٍ إِلَــيْــكِ سَبِيلُ فيروي الصَّدَى وَيشفِي الْعَلِيلُ
إِنَّ مَا قَـلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

(1) التخريق: التمزيق، يريد مزق الورقة التي كتبت فيها هذه الأرجوزة.

(2) هي أرجوزة يقولها في هجاء صالح بن عبد الله الهاشمي (الديوان 504) وانظر قصة ابن الأعرابي حيال هذه الأرجوزة في أخبار أبي تمام (175).

فقال: لمن تنشدني؟ فقال: لبعض الأعراب، فقال: والله هذا هو الدِّيباجُ الخسْرواني، قال: إنهما لليلتهما، فقال: لا جَرَمَ والله إن أثر الصنعة والتكلُّف بيِّنٌ عليهما. حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن عليٌّ بن سليمانَ الأخفشُ النحويُّ، قال: حدثنا أبو الحسن البهراني، قال: حدثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي، قال: حدثني إسحاق بن إِبراهيم الموصلي، قال: أنشدت الأصمعي، إلا أنه ذكر عن إسحاق أنه قال له: إنهما لليلتهما، فقال الأصمعي: أفسدتهما؛ فالأصمعي في هذا غيرُ ظالم؛ لأن إسحاق – مع علمه بالشعر، وكثرة روايته– لا ينكر له أن يُوردَ مثلَ هذا؛ لأنه يقوم في النفس أنه قد احتذاه على مثال، وأخذه عن متقدِّم، وإنما يُستَطْرف مثله من الأعرابي الذي لا يعوِّل إلا على طبعه وسليقته، وابنُ الأعرابي في أبي تمام أعْذَرُ من الأصمعي في إسحاق؛ لأن أبا تمام كان مُغْرَمًا مشغوفًا بالشعر، وانفرد به؛ وجعله وُكْدَه، وألَّفَ كتبًا فيه، واقتصر من كل علم عليه، فإذا أورد المعنى المستغرَبَ لم يكن ذلك ببِدْع له؛ لأنه يأخذ المعانيَ ويحتذيها، فليس لها في النفوس حلاوة ما يورده الأعرابي.

11 – قال صاحب أبي تمام: فقد أقررتم لأبي تمام بالعلم والشعر والرواية، ولا مَحَالة أن العلم في شعره أظهر منه في شعر البحتري، والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم.

12 – قال صاحب البحتري: فقد كان الخليل بن أحمد عالما شاعرا، وكان الأصمعي شاعرا عالما، وكان الكسائي كذلك، وكان خَلَفُ بن حَيَّان الأحمر أشعر العلماء، وما بلغ بهم العلم طبقةَ مَنْ كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء، فقد كان التجويد في الشعر ليست علتُه العلم، ولو كانت علته العلم لكان مَنْ يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم؛ فقد سقط فضل أبي تمام من هذا الوجه على البحتري، وصار أفضلَ وأولى بالسبق، إذ كان معلوما شائعا أن شعر العلماء دون شعر الشعراء، ومع ذلك فإن أبا تمام يعمل [على] أن يَدُلَّ في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب فيعمد لإِدخال ألفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره، وذلك نحو قوله:

هــن البجارى يــا بُجَيْرُ أَهْدَى لَهَا الأبْؤُسَ الْغُوَيْرُ[1]

وقوله:

* قَــدْكَ اتَّـئِبْ أَرْبَـيْـتَ فِـي الْـغُـلَـوَاءِ*[2]

وقوله:

* أَقَــرْمَ بَكْر تُــبَـارِي أَيُّـهَـا الْـحَـفَـضُ*[3]

وهذه في شعره كثير موجود، والبحتري لم يقصد هذا، ولا اعتمده، ولا كان له عنده فضيلة، ولا رأى أنه علم، لأنه نشأ ببادية مَنْبج، وكان يتعمَّد حذف الغريب والوَحْشِيِّ من شعره ليقر به مِنْ فهم مَنْ يمتدحه، إلا أن يأتيه طبعُه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها، ويرى أن ذلك أنفق له، فَنَفَقَ، وبلغ المراد والغرض، ويدلك على ذلك أنه كان يُكنى أبا عُبَادة، ولما دخل العراق تكنَّى أبا الحسن؛ ليزيل العنجهية والأعرابية، ويساوي في مذاهبه أهل الحاضرة، ويقرب بهذه الكنية إلى أهل النباهة والكتاب من الشيعة، وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن، وأنه لما اتصل بالمتوكِّل وَعرف مذهبه عدل إلى أبي عُبَادة، والأول أثبت، وقد حكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح أن أبا عُبادة كنية البحتري القديمة، فشتان ما بينهما مِنْ حَضَرِيٍّ تشبَّه بأهل البدو فلم ينفق بالبادية ولا عند أكثر الحاضرة وبَدَوِيٍّ تحضَّر فنفَق في البدو والحضر.

---

(1) ليست في الديوان، وبعضه إشارة إلى المثل «عسى الغوير أبؤسا» قالته الزباء في قصة مشهورة.

(2) انظر الديوان (ص 2) وقدك: يكفيك، واتئب: استح، وأربيت: زدت، والغلواء: ههنا مجاوزة الحد، وتمامه:

* كــم تــعــذلــون وأنــتــم ســجــرائــي*

والسجراء: جمع سجير، وهو الأنيس. وانظر أيضا الموشح (305).

(3) هذا صدر ملطع قصيدة، وتمامه:

* ونـجـمـهـا أيـهـذا الـهـالـك الـحـرض*

انظر الديوان (180) والقرم: السيد، والحفض: الجمل الضعيف، وتباري: تفاخر، والحرض: الذي أضناه المرض، وفي التنزيل الكريم: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ وهو يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ويهجو رجلا فاخره في المجلس.

13 –قال صاحب أبي تمام: فقد عرفناكم أن أبا تمام أتى في شعره بمعانٍ فلسفية، وألفاظٍ غريبة، فإذا سَمع بعضَ شعره الأعرابيُّ لم يفهمه، فاذا فُسِّر له فهمه واستحسنه.

14 – قال صاحب البحتري: هذه دعاوٍ منكم على الأعراب في استحسان شعر صاحبكم إذا فهموه، ولا يصح ذلك إلا بالامتحان، ولكنكم معترفون ومُجْمعون مع منْ هو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحسانات وإساءات، وأن الإحسان للبحتري دون الإِساءة، ومَنْ أحسن ولم يسئ أفضل ممن أحسن وأساء.

15 – قال صاحب أبي تمام: ما أجمعنا معكم أن صاحبكم لم يسئ، بل هو قد أساء في قوله[1]:

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائمَةٌ بِغَيْرِ إِنَـاءِ

وهذا وصف للإناء، لا للشراب، لأنه لو مَلأ الإِناء دِبْسًا لكان هذا صفته. وقال[2]:

ضَحِكاتٌ فِي إِثْرِهِنَّ الْعَطَايَا وَبُـرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُـودِهْ

فأقام البرقَ مقام الضحك، والرعدَ مقام العطايا، وإنما كان يجب أن يُقيمَ الغيثَ مُقام العطايا، لا الرعد، وله لُحُون في شعره معروفة نحو قوله:[3]

***وَنَـصَـبْـتَـهُ عَـلَـمًـا بِـسَـامُـرَّاءِ ***

(1) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ج1 ص4) والبيت في وصف الخمر.

(2) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبي (الديوان ج1 ص 169) وانظر موشح المرزباني (342).

(3) هو عجز بيت من قصيدته التي يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان ج1 ص 5)، وصدر البيت قوله:

*** أخـلـيـت مـنـه الـبـذ وهـي قـراره***

والبيت في الحديث عن بابك الخرمي.

وقوله: [1]

*** نـبـرات مَـعْـبَـد فـي الـثَّـقِـيـلِ الأوَّلِ***

وقوله: [2]

*** عـــــرِّجْ عَـــلَــــى حَـــلَــــبٍ***

وأشباه لهذا كثيرة؛ فقد تساويا في الغلط

16 - قال صاحب البحتري: ما نَعَيْنا على أبي تمام اللحنَ - وهو في شعره كثير لو تتبع - فتنعوا مثله على البحتري؛ لأن اللحن لا يكاد يَعْرى منه أحد من الشعراء المحدَثين، ولا يسلم منه شاعر من الشعراء الإسلاميين، وقد جاء في أشعار المتقدمين ما علمتم من الألفاظ مما لا يقوم العذرُ فيه إلا بالتأويلات البعيدة، وعلى أنه ليس شيء مما عبتم به البحتري خارجا عن مقاييس العربية، ولا بعيدًا من الصواب، بل قد جاء مثله كثير في أشعار القدماء والأعراب والفصحاء، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه ونحن لو رُمْنَا أن نُخْرِج ما في شعر أبي تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه، ولا يجد المتأوِّلُ له مخرَجًا منه إلا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد، وذلك مثل قوله[3]:

ثَانيهِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ ... لِاثْنَيْنِ ثـانٍ إِذْ هُما فِي الْغارِ

معنى هذا البيت أنَّ بابَكَ صار جارًا في الصَّلْب لمازيَّار[4]، وهو ثانيه في كبد السماء، ولم يكن ثانيا لاثنين إذ هما في الغار: أي هو ثاني اثنين في الصَّلب لما زيَّار الذي هو رَذيلة، وليس هو ثانيا في الغار؛ لأن هذه فضيلة، فكان يجب أن يقول في البيت «ولم

(1) لم أجد هذا البيت في ديوانه المطبوع. وفي هذا الشطر منع صرف «معبد» وهو لا يستحق ذلك، لأنه لم تجتمع فيه مع العلمية علة أخرى تقتضيه، وله مع ذلك نظائر في شعر من يحتج بشعرهم.

(2) ولا عثرت على هذا في الديوان.

(3) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأفشين (الديوان ص 154)

(4) قبل البيت الذي أنشده المؤلف، وبذكره يظهر المعنى، قوله:

ولقد شفى الأحشاء من برحائها ... أن صـار بـابـك جـار مـازيـار

يكن لاثنين ثانيا[1]» لأنه خبر يكن، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها، فليس إلى غير النصب سبيل في البيت، وإلا بطل المعنى وفسد، وفسادُهُ أنك إذا أخليت يكن من ضمير بابك وجعلت قوله «ثاني» اسمَها كان ذلك خطأ ظاهرًا قبيحا، لأنك إذا قلت: كان زيد وعمرو اثنين ولم يكن لهما ثان، كنت مخطئًا، لأن اثنين أحدهما ثان للآخر، وكذلك إذا قلت: كانوا ثلاثةً ولم يكن لهم ثالث، كنت مخطئا؛ لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم، وإنما تكون مصيبا إذا قلت: كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث، وثلاثةً ولم يكن لهم رابع، وأيضا فإنه لوأراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة ألبتة؛ لأنه كان يكون المعنى حينئذ أن بابك ثاني مازيَّار، فأيُّ فائدة في هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش؟ وأيُّ تعلق لهذا المعنى بما قبله في البيت؟

وقال في آخر قصيدة:[2]

شَامَتْ بُرُوقَكَ آمَالِي بِمِصْرَ وَلَوْ أَضْحَتْ على الطُّوسِ لم تَسْتَبْعِدِ الطُّوسَا

فأدخل في طوس الألفَ واللامَ، وهو اسم بلدة معروفة. وقال[3]

* إِحْـــدَى بَـنِـي بَـكْـرِ بْـنِ عَـبْـدِ مَـنَـاهِ*

وإنما هي مَنَاة في الإدراج، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: 20] وإنما تكون بالهاء في الوقف، لا في الحركة والدَّرج.

---

(1) قد ورد لذلك نظائر في شعر من يحتج بشعرهم، وإن كان معدودا عند العلماء من ضرورات الشعر؛ من ذلك قول الشاعر:

كفى بالنأي من أسماء كاف وليس لهجرها إن طال شاف

فقد كان من حق الكلام أن يقول «كفى بالنأي من أسماء كافيا» ومن ذلك قول الآخر:

ولو أن واش باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

فقد كان من حق الكلام أن يقول «ولو أن واشيا»

(2) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة (الديوان ص 172) وفيه:

* أضحت بطوس لما قصرت عن طوسا*

ولا اعتراض على هذه الرواية.

(3) هو صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها يحيى بن عبد الله (الديوان 341) وعجزه.

* بين الكثيب الفرد فالأمواه *

وقال في هذه القصيدة:

*** لَـــوْلَا صِـفَـاتٌ فِـي كِـتَـابِ الْـبَـاهِ***

وإنما هي الباءة بالمد في تقدير الباعة، وإن كان قد حكى الباه في بعض اللغات الرديئة، والرديء لا يُعْتَدُّ به. وقال:[1]

فكَمْ لِيَ مِنْ هَـوَاءٍ فِيكِ صَافٍ غَـذِيٍّ جَـوُّهُ وَهَـوًى وَبِـيّ

فقال غذيّ وهو غَذٍ بالتخفيف. وقال في قصيدة:[2]

*** عَـلَـى الأعَـادِي مِـيكَـالٌ وَجِـبْـرِيـلُ***

فأوقع الإعراب على الأعادي، وذلك غير جائز لمتأخر[3]، وقال:

سِتِّينَ أَلْفًا وَسَبْعِينًا وَمِثْلُهُمَا كتَائِبُ الْخَيْلِ تَحْمِيهَا الأرَاجِيلُ[4]

فَنَوَّن النون من «سبعين» وهذا لايسوغه محدث، ونحو هذا مما ليست بنا حاجة إلى ذكره؛ لأنا لم نتتبعه ولا عبناه به؛ لِمَا وصفنا في باب اللحن وكثرته في أشعار المتأخرين، وإنما عبناه بخطائه في معانيه، وإحالته في استعاراته، وكثرة مايورده من الساقط والغث البارد، مع سوء سَبْكه، ورداءة طبعه، وسخافة لفظه، مما سنذكره في باب آخر من الاحتجاج عليكم.

فأما ماعبتم به البحتري من قوله:

---

(1) هو من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (343) ومطلعها قوله:

ألا ويـل الـشـجـي مـن الخلي وبـالـي الـربـع مـن إحـدى بلى

(2) ليس له وجود في نسخ الديوان.

(3) قد ورد منه قول جرير يهجو الفرزدق:

وَعِـرْقُ الْـفَـرَزْدَقِ شَـرُّ الـعُـرُوقِ خَـبِـيـثُ الـثَّـرَى كَـابِـيُ الأزْنَـد

وقول الآخر:

لَا بَـارَكَ الـلّـهُ فِـي الـغَـوَانِـي هَـلْ يَـبِـتْـنَ إِلَّا لَـهُـنَّ مُـطَّـلَـبُ

وهو كثير في الشعر العربي المحتج به، وإن كان معدودا في ضرورات الشعر، ومجازه عندهم معاملة حروف العلة مع ضعفها عن احتمال الحركة معاملة الحروف الصحيحة الجلدة.

(4) ليس له وجود في نسخ الديوان.

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَـاءِ

فما زالت الرواةُ وشيوخُ أهل الأدب والعلم يستحسنون هذاالبيت ويستجيدونه له، وذكَرَهُ عبدُ الله بن المعتز – وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر – في باب ما اختاره من التشبيه في كتابه الذي نسبه إلى البديع، ولكنكم أبيتم إلا إفساده، ثم أجلبتم وأكثرتم أنْ تَنْعَوْا على شاعر مُحْسِن بيتا واحدًا، فما زلتم تتمنون وتتمحلون حتى وجدتم أبياتًا تحتمل من التأويل ما يحتمله الأول، وهو قوله:

ضَحِكاتٌ فِي إِثْرِهِنَّ الْعَطَايَا وَبُـرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُـودِهْ

وكلا البيتين إلى الصواب أقرب، ومن الخطأ أبعد، فأما قوله:

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَـفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنـاءِ

فإنما قصد إلى وصف هيئة الشراب في الإِناء، ولم يقصد إلى وصف الشراب خاصة ولا إلى الإِناء، كما ادعيتم، ولو أراد وصف الإِناء لكان مصيبا؛ لأن الزجاجة أيضا يوصف ما فيها، وتقع المبالغة في نعتها، وقد جاء في وصف أوانى الشراب ماجاء، ومن أحسن ماقيل في ذلك قول علي بن العباس بن جُرَيج الرومي يصف قَدَحًا:

تنفُذُ العينُ فيه حتى تراها أخطأتْهُ من رقة الْمُسْتَشَفِّ[1]
كهواء بلا هباء مشوب بضياء، أرقِقْ بذاك وأصْفِ
وسط القدر لم يكبر لجرع مُتَوَالٍ ولم يُصَغَّر لرَشْفِ
لا عجول على العقول جهول بل حليم عنهنَّ من غير ضَعْفِ

(1) كان ابن الرومي يملك قدحا، وكان يزعم أنه كان من قبل في ملك هارون الرشيد أمير المؤمنين، ثم أهدى هذا القدح إلى علي بن يحيى المنجم، وقال في هذه الأبيات، وقبلها قوله:

وبـديـع مـن الـبـدائـع يَـسْـبـى كـلَّ عـقـلٍ وَيـطّـبـى كـلَّ طَـرْفِ
وُفِّـيَ الـحـسـنَ والـمـلاحَـةَ حتى مـا يـوَفِّـيـه واصـف حـقَّ وَصْـفِ
قَـدَحٌ كـان لـلـرشـيـد اصْـطَـفـاهُ خَـلَـف مـن ذكـوره غـيـرُ خَـلْـفِ
كفم الـحِـبِّ في الـحلاوة بـل أحْـ ـلَى، وإن كـان لا يناغِي بِـحَـرْفِ

فالزجاجة إذا رقت وصَفَت وسلمت من الكدر اشتدّ صفاؤها وبَريقها، فإذا وقع فيها الشراب الرقيقُ اتصل الشعاعان، وامتزج الضوءان، فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر، ولو جعلها دِبْسًا أو عَسَلا أو لبنا أو ماء كدِرا في إِناء هذه صفته في الرقة لما خفي الإناء على الناظر؛ لأن هذه الأشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الإِناء وضوئه، وقد سبقه إلى هذا المعنى عليُّ بن جبلة فقال:

كـأَنَّ يَـدَ النَّدِيم تُـدِيـرُ مِنْها شُعاعًا لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ

وقال آخر، أنشده أبو الحسن عليُّ بن سليمان الأخفشُ:

وَإذا مَـا مُـزِجَـتْ فِـي كأسِهَا فَهْيَ وَالْكأسُ مَعًا شَـيْءٌ أَحَدْ

فأنتم في هذه المعارضة بالخطأ أجدر، وبالعيب أحْرَى.

فأما قوله:

*** وَبُـــرُوقُ الـسَّـحَـابِ قَـبْـلَ رُعُـــودِهِ***

فإنه أقام الرعد مُقامَ الغيث؛ لأنه مقدّمة له، وعَلَم من أعْلامه، ودليل من أقوى دلائله، ألا ترى أن برْقَ الخُلَّب لا رَعْدَ له، وقد قال الأعشى:

وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كمَا اسْتَنْزَلَ رَعْـدُ السَّحَابَةِ السَّبلا

فجعل الرعدَ هو الذي يستنزل المطر، وقال الكميت:

وَأَنْـتَ في الشَّتْوَةِ الجماد إذا أخْـلَـفَ مِـنْ أنجم رَوَاعِـدُهـا

وإذا كان البرق ذا رَعْدٍ فقلَّما يُخلف. ومثل هذا في كلام العرب - مما يَنُوب [فيه] الشيء عن الشيء، إذا كان متصلا به، أو سببًا من أسبابه، أو مجاورا له - كثيرٌ؛ فمن ذلك قولهم للمطر: سماء، ومنه قولهم: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، قال الشاعر:

إذا نَـزَلَ السَّماءُ بِـأَرْض قَـوْمٍ رَعَيْناهُ وَإنْ كانُوا غِضَابَا[1]

(1) ينسب هذا البيت لجرير، وهو خطأ، والصواب أنه لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء، من قصيدة أولها قوله:

أجـد القلب مـن سلمى اجتنابا وأقـصـر بـعـد مـا شـابـت وشـابـا

وانظره في معاهد التنصيص (303) وفي الصناعتين (212)

يريد إذا سقط المطرُ رعيناه، يريد رعينا النَّبْتَ الذي يكون عنه، ولهذا سُمي النبت نَدًى؛ لأنه عن الندى يكون، وقالوا: ما به طِرْقٌ، أي: ما به قوة، والطِّرْقُ: الشحم، فوضعوه موضع القوة؛ لأن القوة عنه تكون، وقولُهم للمزادة: راوية، وإنما الراوية البعيرُ الذي يسقى عليه الماء، فسمي الوعاء الذي يحمله باسمه، ومن ذلك الحَفَضُ متاعُ البيتِ، فسمي البعير الذي يحمله حَفَضًا، ومن ذلك قول المسيب بن علس:

* وَتَـمُـدُّ ثِـنْـيَ جَـدِيـلِـهـا بِـشِـرَاعِ[1]

أراد بدَقَلٍ، فقال: بشراع؛ لأن الشراع عليه يكون

وهذا باب واسع، وأيسر من أن يحتاج إلى استقصائه

وبعد، فلو كان هذان البيتان خطأ كما ادعيتم وأخذتم على هذا الشاعر المجَتمَع على إحسانه غلطا من غيرهما في شعره لمَا كان بذلك داخلا في جملة المسبوقين، ولا الخاطئين في الشعر؛ لجودة نظمه، واستواء نَسْجه، ووقوع لفظه في مواقعه، ولأن معانيه تصحُّ بالنقد، وتخلُصُ على السبك، وأبو تمام يَتَبَهْرَجُ شعره عند التفتيش والبحث، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح.

17 - قال صاحب أبي تمام: لئن أسرفتم في الذمّ، وبالغتم على صاحبنا في الطعن، وتجاوزتم الحدَّ الذي يقف عنده المحتجُّ المناظر، إلى مذهب المسقِط المغالِط، والمتعصِّب المتحامل - فلسنا نمنع أن يكون صاحبُنا قد وهِمَ في بعض شعره، وعدا عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه، وغيرُ منكَرٍ لفكرٍ نَتَج من المحاسن ما نَتَج، وولَّد من البدائع ما ولَّد، أن يلحقه الكَلَالُ في الأوقات، والزلل في الأحيان، بل من الواجب لمن أحسن إحسانَه أن يُسامَحَ في سهوه،

(1) هذا عجز بيت له، وصدره قوله:

* وكـأن غـاربـهـا ربـاوة مـخـرم*

والغارب: ما بين السنام والعنق. والرباوة - مثلث الراء - منقطع الغلظ من الجبل. والمخرم: منقطع أنف الجبل. والجديل: الزمام. وثنيه: ما انثنى منه باليد. وأراد تمد جديلها بعنق طويلة، فشبهها بشراع السفينة، ولكنه أراد الدقل (الصارى) وقد ذكره صاحب الصناعتين(52) فيما يعاب من الشعر.

ويُتَجاوز له عن زلله، فما رأينا أحدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن، ولا مِنْ أخذ الرواة عليه الغلطَ والعيبَ، هذا الأصمعي قد عاب امرأ القيس بقوله:

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ[1]

وقال: شبه شَعَرَ الناصية بسَعَف النخلة، والشَّعَر إذا غطَّى العينَ لم يكن الفرس كريما، وذلك هو الغَمَم، والذي يُحمَد في الناصية الجثلةُ، وهي التي لم تفرط في الكثرة فتكونَ الفرسُ غَمّاء، والغمَم مكروه، ولم تفرط في الخِفة فتكونَ الفرس سَفْواء، والسفا أيضا مكروه في الخيل، والجيِّدُ ما قال عَبيد:

مُضَبَّرٌ خَلْقُها تَضْبِيرًا يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهَا السَّبِيبُ[2]

ورَوَى ذلك عنه أبو حاتم سَهْل بن محمد السجستاني، وقال أَيضا: سمعت الأصمعي يقول: أخطأ امرؤ القيس في قوله:

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظاتا كَما أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ

لأن المتن لا يوصف بكثرة اللحم، ويُستحب منه التَّعريق، وكذلك الوجه كما قال طفيل:

*** مُعَرَّقَةُ الأَلْحِي تَلُوحُ مُتُونُها ***

وأخذ عليه في قوله في وصف الفرس:

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وِلِلسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِمِنْهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِب[3]

---

(1) انظر البيت والاعتراض عليه في الموشح (35 وما بعدها) وفي الصناعتين (70) والبيت في صفة فرس، والخيفانة في الأصل: الجرادة، شبه بها فرسه.

(2) المضبر: الملزز الخلق المكتنز اللحم، والسبيب: الذنب والعرف والناصية وانظر الموشح(35).

(3) انظر الصناعتين (54) والموشح (29) وفيه «فللزجر ألهوب» وفي الديوان «وللزجر منه وقع أهوج متعب». والألهوب: شدة الجري، والدرة: أصلها اسم لما در من اللبن، والأخرج: الظليم، وهو الذكر من النعام، والمهذب: الشديد العدو. قال أبو هلال: ولو وصف أخس حمار وأضعفه ما زاد على ذلك.

والجيد قوله:

على سابح يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كز ولا وان

وقول علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

قلت: ومن المعيب قول امرئ القيس أيضا:

وللسوط منها مجال كما تنزل ذو برد منهمر

وقال: هذه الفرس بطيئة، لأنها تُحوج إلى السوط، وإلى أن تُركض بالرجل وتزجر، ويقال: إن أول من عابه بهذا البيت زوجتُه لمَّا احتكم إليها هو وعلقمة الفحل، فغلّبت علقمة، فطلقها. وقد أخذ أيضا عليه قوله:

﴿ أَغــرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّك قَاتِلِي ﴾[1]

وقال: إذا لم يَغُرّ هذا فأيُّ شيء يغر؟

وعِيبَ زهير بن أبي سُلْمى بقوله:

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ ماؤُهَا طَحِلٌ عَلَى الْجُذُوعِ يَخَفْنَ الغَمْرَ وَالْغَرَقَا[2]

وقالوا: ليس خروج الضفادع من الماء خوفَ الغَمْر والغرَق، وإنما ذلك لأنها تَبيض في الشطوط.

وعيب على كعبٍ ابنِهِ قولُه:

﴿ ضَخْمٌ مُقلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها ﴾[3]

وقالوا: إنما توصف النجائب برقة المذبح.

وأخِذ على النابغة قولُه يصف عُنُقَ المرأة بالطول:

إذَا ارْتَعَشَتْ خافَ الْجَبانُ رِعاثَها وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ

وهذا قريب من قول أبي نُوَاس:

﴿لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ﴾

بل أبو نُوَاس أعذر؛ لقوله «لتخافك» يريد لتكاد تخافك، والشعراءُ تُسقط «تكاد» في الشعر وهي تريدها.

---

(1) هذا صدر بيت، وعجزه قوله: ﴿ وأنك مهما تأمري القلب يفعل ﴾ وانظر الموشح (36) والصناعتين (54).

(2) الشربات: جمع شرب - بفتح الشين والراء- وهو حويض يصنع حول النخلة بقدر ما يسع ريها. والطحل - بفتح الطاء وكسر الحاء - الماء الفاسد المنتن من حمأة ونحوها. وانظر الاعتراض على هذا البيت في الموشح (47) وفي الصناعتين (53).

(3) هذا صدر بيت، وعجزه قوله: ﴿فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل﴾ والمقلد: العنق، سمى بذلك لأنه موضع القلادة، والفعم: الممتلئ، والمقيد: أراد الرجلين؛ لأنهما موضع القيد.

وجاء في القرآن مثل ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46]، وقال الشاعر:

يَتَقارَضُونَ إِذا الْتَقَوْا فِي مَوْطِنٍ   نَظَرًا يُزِيلُ مَواطِئَ الأَقْدَام

أي: نظرًا يكاد يُزيل، فأضمر «يكاد»، واللام إذا جاءت كانت أدلَّ عليها، [و] قال الله جل وعز: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10] أي: كادت وأخذ على النابغة قوله:

أَلِكْنِي يَا عُيَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلا   سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي[1]

وقالوا: قوله ألكني أي كُنْ لي رسولا، فكيف يكون ألكني إليك عني؟ فاعتذر له الأصمعي، وقال: هذا مما حملته الرواة على النابغة: كأنه يدفع أن يكون قاله وأَخذ على المسَيب قوله:

وَقَدْ أَتَنَاسَى الْهَمَّ عِنْد احْتِضَارِهِ   بِناجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ[2]

قال: الصيعرية صفةٌ للنوق، لا للفحول، فسمعه طَرَفَةُ بن العبد - وهو صبي- فقال: اسْتَنْوَقَ الجملُ، وضحك منه، ويقال: إن المسيب قال: أَخْرِج لسانك يا فتى، فأخرجه، فقال: وَيْلٌ لهذا من هذا، يعني رأسه من لسانه.

وأخذ على المرقّش قوله:

صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا سِوَى أَنَّ ذِكْرَهُ   إِذا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الأَرْضُ قَائمَا[3]

(1) انظره في الصناعتين (57)

(2) نسب صاحب الصناعتين (63 و 64) هذا البيت إلى المتلمس، وليس كما ذكر، بل البيت - كما قال المؤلف هنا - للمسيب بن علس، من قصيدة أولها:

ألا انعم صباحًا أيها الربع واسلم   نحييك عن شحط وإن لم تكلم

وانظر الموشح في الاعتراض على البيت وفي قصة طرفة (76) وفيه «عند ادكاره».

(3) ورد هذا البيت مع الاعتراض عليه في الصناعتين (54)، والبيت للمرقش الأصغر، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة، وهو عم طرفة بن العبد بن سفيان. قال أبو هلال: وكيف صحا عنها من إذا ذكرت له دارت به الأرض؟.... والجيد في السلو قول أوس:

صحا قلبه عن ذكره وتأملا   وكان بذكرى أم عمرو موكلا

قالوا: مَنْ إذا ذَكَر دارت به الأرضُ ليس بصاح.

وأُخذ على عديّ بن زيد قوله:

يَـبُـذُّ الـجيـاد فَـارِهًـا مُـتَـتَـابِـعًـا[1]

وقالوا: لا يقال للفرس فاره، وإنما يقال له: جواد، وكريم، والفارهُ: البغل والحمار.

وأُخذ عليه أيضا قوله في صفة الخمر:

الْمُشْرفُ الهيْدبُ يسعَى بِهِ أخْضَرَ مطموثًا بماء الحريصْ[2]

الحريص: سحابة تحرص وجه الأرض: أي تقشره لشدتها، ويقال: الحريص اسم نهر بناحية الحيرة، فوصف الخمر بالخضرة، وما وصفها بذلك أحد غيره.

وأخذ على الأعشى قوله:

وَقَدْ غَدَوْتُ إلى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ شَلُولٌ مِشَلٌّ شُلْشُلٌ شَوِلُ[3]

وقالوا: هذه الألفاظ كلُّها التي بعد «شاوٍ» متقاربة في المعني.

وقرئ على الأصمعي قول أبي ذؤيب الهذلي[4]:

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَها فَشُرِّجَ لَحْمُهَا بِالنَّيِّ فَهْيَ تَثُوخُ فِيهَا الْإِصْبَعُ[5]

---

(1) هذا عجز بيت، وصدره قوله: * فَصَافَ يُفَرِّي جُلَّهُ عَنْ سَرَاتِهِ *
قال ابن منظور (ف ر ه): «فأما قول عدي بن زيد في صفة فرس (وأنشد البيت) فزعم أبو حاتم أن عديا لم يكن له بصر بالخيل، وقد خطئ عدي في ذلك» اهـ.

(2) قال أبو هلال (71): ومما لم يسمع مثله قط قول عدي بن زيد في الخمر، ووصفه إياها بالخضرة حيث يقول (وأنشد البيت كما أثبتناه) والهيدب: الذي عليه أهداب تتذبذب من بجاد ونحوه، وكان في أصول هذا الكتاب «والمشرف الهندي يسقي به» وهو تحريف من عدة وجوه. والحريص. بالصاد المهملة كما في القاموس وغيره، ووقعت في الأصول بالضاد معجمة، وهو تحريف أيضا، ووقع على الصواب في الصناعتين.

(3) غدوت: أصله الذهاب غدوة، ثم أريد منه مطلق الذهاب، الحانوت: مكان الخمار، والشاوي: الذي يشوي اللحم، والشلول والمشل والشلشل والشول كلهن بمعنى الخفيف في العمل والخدمة والحاجة.

(4) البيتان من مرثيته لأبنائه الذين ماتوا في مصر، وهي في المفضليات والجمهرة، وانظر الصناعتين (58).

(5) قصر: حبس، والصبوح: شرب الغداة، وشرج: خلط، والنَّي: الشحم، وتثوخ: تغيب.

تأْبى بِدِرَّتِها إذا مَا اسْتُكْرِهَتْ إلَّا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ[1]

فقال: هذه الفرس تُساوي دِرْهمين؛ لأنه جَعَلها كثيرة اللحم، رِخْوَةً، يدخل فيها الإِصبع، حَرُونا، إذا حُرِّكت قامت، إلا العرق فإنه يسيل.

وقرئ على الأصمعي قول أبي النجم:

*** يَسْبَحُ أُولَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهْ ***[2]

فقال: حِمار الكُساح إذًا أفره منه

وعاب الأصمعي ذا الرمة بقوله:

حَتَّى إذا دَوَّمَتْ فِي الْأَرْضِ أدْرَكَهَا كَبْرٌ وَلَوْ شَاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ[3]

وقال: الفصحاء لا يقولون دَوَّم في الأرض، وإنما يقولون: دَوَّمَ في الهواء، إذا حَلَّق، وَدوَّى في الأرض، إذا ذهب.

وكان الأصمعي أيضًا يعيبه في قوله:

*** ونَقْرى عَبيط الشَّحْمِ والماءُ جَامِسُ ***[4]

وقال: إنما يقال للجامد من السمن وما أشبهه جامس، وروى ذلك عنه أبو حاتم.

---

(1) وما استكرهت: في الجمهرة: ما استصعبت، وفي المفضليات ما استغضبت، وتأبى بدرتها: تمتنع لا تعطيه كل جريها، والحميم: العرق ويتبضع - بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة - يرشح ويجري قليلا قليلا، يقول: إن جلدها يرشح بالعرق.

(2) هذا بيت من الرجز المشطور، في صفة فرس. وروايته هكذا:

جاء كلمع البرق جاش ماطره يسبح أولاه ويطفو آخره

*** فما يمس الأرض إلا حافره ***

وانظر الصناعتين (60)

(3) في الجمهرة *** حتى إذا دومت في الأرض راجعه كبر ... ***

(4) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

*** نَغَارُ إذا ما الرَّوْعُ أبْدَع عَنِ الْبَرَى ***

وانظر الصناعتين (83) ونغار: مضارع من الغيرة، والروع: الفزع، وأبدى: أظهر، والبرى: يقال هو كالورى وزنا ومعنى، والمراد إذا اشتد الفزع فخرج من أجله الناس جميعا، ونقرى: من القرى وهو إطعام الضيف وأراد بقوله «والماء جامس» حين اشتداد البرد، لأن وقت الشتاء عندهم هو زمان القحط الذي يعز فيه الجود.

وحكى أبو نصر عن الأصمعي قال: كنا نظن الطرماح شيئا حتى قال:

وَأَكْـرَهُ أنْ يَعِيبَ عَلَيَّ قَوْمِي ... هِجَائِي الأَرْذلِينَ ذَوِي الْحنَاتِ

لأنها إِحْنةٌ وإِحَنٌ، ولا يقال حنات.

وأُخذ على الآخر قوله:

فَمَا رَقَـدَ الوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ ... عَلَى البَكْر يَمْريه بساقٍ وحافِرِ[1]

فسمَّى رِجْلَ الإنسان حافرا، وهذه استعارةٌ في نهاية القبح. وكذلك قول الآخر:

قَـدَ افْـنَـى أَنَـامِـلَـهُ عَضُّهُ ... فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الْوَظِيفا

فجعل له وظيفا مكان الرِّجْل. وكذلك قول الآخر:

سَأَمْنَعُها أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَها ... إِلَـى مَلِكٍ أَظْـلافُـهُ لَـمْ تَشَقَّقِ

وقال الحُطيئة:

قَرَوْا جَارَكَ الْعَيْمانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ ... وقلص عن بَرْدِ الشَّرَاب مشَافِرُهْ[2]

وعيب على أيمن بن خريم قولُه يمدح بشر بن مروان:

فَإِنَّا قَـدْ وَجَـدْنـا أُمَّ بِشْرٍ ... كأمِّ الأُسْدِ مِذْكارًا وَلُودًا[3]

وقالوا: أخطأ في أنْ جَعَلَ أم الأسدِ وَلُودا؛ لأن الحيوانات الكريمة عسرة نَزْرَة النّتاج، والصوابُ قول كُثَير:

بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُها فِرَاخًا ... وَأُمُّ الصَّقْرِ مِـقْلاتٌ نَـزُورُ

وقال جرير:

---

(1) ورد في الموشح (91) وفيه «فما برح الولدان».

(2) ورد في الموشح (91).

(3) ورد في الموشح (322) وفي الصناعتين (74) وقبله قوله:

ولـو أعـطـاك بـشـر ألـف ألـف ... رأى حـقـا عـلـيـه أن يـزيـدا

وأعـقـب مـدحـتـي سـرجـا خلنجا ... وأبـيـض جـوزجـانـيـا عـقـودا

قال العسكري: «جميع هذا الكلام جار على غير الصواب، إلا في ابتداء وصفه بالتناهي في الجود، ثم انحط إلى ما لا يقع مع الأول موقعا، وهو السرج وغيره، وأتى في البيت الثالث بما هو أقرب إلى الذم منه إلى المدح؛ لأن الناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة أعسر، وأولادها أقل».

صـارَتْ حَنيفَةُ أَثْلاثًا فَثُلْثُهُمُ مِنَ الْعَبِيدِ وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيها[1]

فقيل لرجل من بني حنيفة: من أي الأثلاث أنت؟ فقال: من الثلث الملْغَى لجرير

وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عمارة بن عقيل ينشد لجرير:

لَمَّا تذَكَّرْتُ بِالدَّيْرَيْنِ أَرَّقنِي صَوْتُ الدَّجاجِ وَقَرْعٌ بِالنَّوَاقِيسِ[2]

فقال: أخطأ والله أبوك، التأذينُ لا يكون في أول الليل، وقال من طلب العذر لجرير: أرقنى انتظار صوت الدجاج.

وعاب الأخطلُ الفرزدقَ في قوله:[3]

أَبَنِي غُـدَانَـةَ إِنَّنِي حَرَّرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْـنِ جعَالِ
لَوْلا عَطِيَّةُ لاجتدَعْتُ أُنُوفَكُمْ مِـنْ بَيْنِ أَلْأمِ أَعْـيُـنٍ وَسِبالِ

قال: وكيف وهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء؟ وقال عطية حين بلغه الشعر: ما أسرع ما رجع أخي في هبته!

ومدح الفرزدق الحجاج وقد دخل عليه ببيت واحد، فقال:

وَمَنْ يَأمَنُ الْحَجَّاجَ - وَالطَّيْرُ تَتَّقِي عُقُوبَتَهُ - إِلَّا ضَعِيفُ الْعَزائِمِ[4]

---

(1) الموشح (126).

(2) الصناعتين (83) والدجاج ههنا: الديكة.

(3) ورد البيتان في الصناعتين (66) منسوبين إلى جرير، قال العسكري قبل إنشادهما: «وأراد جرير أن يذكر عفوه عن بني غدانة حين شفع فيهم عطية بن جعال، فهجاهم أقبح هجاء، فقال (وأنشدهما) فلما سمع عطية هذا الشعر قال: ما أسرع مارجع أخي في عطيته».

(4) الصناعتين (75) وفيه «اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج، فقال: من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتي فهذه الخلعة له، فقال الفرزدق (وأنشد البيت) وقال جرير:

فمن يـأمـن الـحـجـاج؟ أمـا عقابه فـمــر، وأمــا عــقــده فـوثــيــق
يـسـر لــك الـبـغـضـاء كـل منافق كـمـا كـل ذي ديــن عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق: ما عملت شيئا: إن الطير تنفر من الصبي والخشبة. ودفع الخلعة إلى جرير». وورد مثل ذلك في الموشح (113) وفيه أن الحجاج قال للفرزدق «كلام لاخير فيه؛ لأن الطير تتقي كل شيء: الثوب والصبي وغير ذلك» وكان في الأصول «الطير تتقي الثور وتتقي الظبي» وهو تحريف.

فقال له الحجاج: الطير تتَّقِى الثوبَ، وتتقى الصبى، ما جئت بشيء! وإنما أراد الفرزدق الطائر الذي يطير في السماء فليست تناله يدٌ.

وأخذ على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان:

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْخِلافَةَ مِنْهُمُ   لِأَبْيَضَ لا عَارِي الْخِوَانِ ولا جَدْبِ[1]

وهذا لا يمدح به خليفة.. وأراد أن يمدح رجلا من بني أسد كان أجاره، فهجاه؛ وكان يقال لقوم الرجل: الْقُيُون، يُعَيَّرون بذلك، فقال:

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْنًا وأُنْبَؤُهُ   فالْيَوْمَ طير عَنْ أَثْوَابِهِ الشَّرَرُ[2]

أي: فاليوم نفي ذلك عن نفسه، فما زاد على أن نبَّه عليه، وقد كان له في الممادح مُتَّسَع. وأراد أن يهجو سُوَيْدَ بن مَنْجُوفٍ فمدحه، وذلك قوله:

فَماجِذْعُ سُوءٍ خَرَّبَ السُّوسُ وَسْطَهُ   لِمَا حَمَّلَتْهُ وَائِـلٌ بِمُطِيقِ[3]

وأخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبي سويد،

إذا الْتَقَتِ الأبْطالُ أَبْصَرْتَ وَجْهَهُ   مُضيئًا، وَأعْنَاقُ الْكُمَاةِ خُضُوعُ

فقالوا: أساء القِسْمة، وأخطأ الترتيب؛ وإنما كان يجب أن يقول: أبصرته ساميا وأعناق الملوك خضوع، أو أبصرت لونه مضيئا وألوان الكماة كاسفة.

ومن خطأ الشعر قول عَدِي بن الرِّقاع يذكر الباري تبارك وتعالى:

وَكَـفُّـكَ بَسْطَةٌ وَنَـدَاكَ سَحٌّ   وأنتَ المرْءُ تفعلُ ما تقولُ[4]

فجعل ربه مرءًا، وعابه الأصمعي في قوله:

لَهُمْ رايةٌ تهدِي الجموعَ كأنَّها   إذا خطَرتْ في ثعلب الرُّمْحِ طائِرُ[5]

وقال: الراية لا تخطر، إنما الخَطَران للرمح.

(1) الموشح (141) والصناعتين (55).

(2) الصناعتين (64) وفيه زيادة بيت قبله، والموشح (134) وفيه زيادة بيتين أحدهما قبله والآخر بعده. وفي كل منهما قصة.

(3) انظر الموشح (135) وفيه «خرق السوس وسطه» والصناعتين (64).

(4) انظره في الصناعتين (75) وفيه «ونداك غمر».

(5) الصناعتين (71).

ومن فاسد اللفظ وقبيحه قولُ ذي الرمَّة:

فأَضْحَتْ مَبَادِيهَا قِفارًا رُسُومُهَا   كأنْ لَمْ -سِوَى أَهْلٍ مِنَ الْوحْشِ- تُؤْهَلِ[1]

أراد: كأن لم تؤْهَلْ سوى أهل من الوحش.

ومن خطأ المديح قولُ الكميت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

إلَى السِّرَاجِ الْمُنيرِ أَحْمدَ لا   تَعْدِلُ بِي رَغْبَةٌ وَلَا رَهَبُ[2]

عَنْهُ إلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إلَيَّ الْعُيُونَ وَارْتَقَبُوا

وَقِيلَ أَفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ   عَنَّفَني الْقائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا

لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ وَلَوْ   أُكْثِرَ فِيكَ الضَّجاجُ وَاللَّجبُ

فمن يعنّفه ويؤنبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكثر عليه فيه الضَّجاج واللجَب؟ وهذا لو كان قاله بين المشركين وفي صدر الإسلام لعل العذر كان يتسع له فيه، وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بأن قال: لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم خاصةً بهذا الخطاب، وإنما أراد أهلَ بيته؛ لأنه قد قال فيهم من الشعر ما قال، ولأن بني أمية كانت تعنف من يمدحهم، وتنكر أشد الإنكار على من يتخونهم، ويُغْرِقُ في الثناء عليهم والوصفِ لهم.

وعيب أيضا الكميت بأن جمع كلمتين لا تُشْبِه إحداهما الأخرى، وذلك قوله:

وَقَدْ رَأَيْنَا بِها حُورًا مُنَعَّمَةً   رودًا تكامَلَ فِيهَا الدَّلُّ والشَّنَبُ[3]

وقال: الدَّلُّ إنما يكون مع الْغَنَج أو نحوه، والشَّنَب إنما يكون مع اللَّعس أو ما يجري مَجْرَاه من أوصاف الثغر والفم؛ والجيِّدُ ما قاله ذوالرمة:

لَمْياءُ فِي شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ   وَفِي اللِّثاتِ وَفي أَنْيَابِها شَنَبُ

---

(1) «مباديها» حيث تبدو في الربيع، وهذه رواية ملفقة من روايتين (انظر الخزانة 3 – 626) ووقع في الأصول «مناديها» وهو تحريف.

(2) «إلى السراج» متعلق ببيت قبله، وهو:

فاعتتب الشوق من فؤادي والـ   ـشعر إلى من إليه معتتب

ويروي «لا تعدلني» في مكان «لا تعدل بي» وانظر الهاشميات (ص 82 طبع ليدن عام 1904).

(3) انظر الموشح (193) وفيه «بيضا تكامل»

ولو استقصينا هذا الباب لطال جدا، وإنما أوردنا ههنا منه مثَالا لتعلموا أن فحولَ الشعراء- الذين غلبوا عليه، وافتتحوا معانيَه، وصاروا قُدْوة، واتبعهم الشعراء، واحتذَوْا عَلَى حَذْوهم، وبَنَوْا على أصولهم - ما عُصموا من الزلَل، ولا سلموا من الغلط.

هذا في المعاني التي هي المقصد والمرمى والغرض، فأما ما بَوَّبه النحويون من عيوب الشعر في الإِقواء والإكفاء والسِّناد، وغير ذلك مما هو عَيْبٌ في اللفظ دون المعنى، فليست بنا حاجةٌ إلى ذكره؛ لكثرته وشهرته. وكذلك ما أخذَتْه الرواة على المحدّثين المتأخرين - من الغلط والخطأ واللحن - أشهرُ أيضا من أن يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندل على ذلك؛ فلم يك أحد من متقدِّم ولا متأخر في خطئه ولا سَهْوه وغلطه مجهولَ الحق، ولا بمجحود الفضل، بل عَفَّى عندكم إحسانُه على إساءته، وعلا تجويدُه عَلَى تقصيره، فكيف خصصتم أبا تمام دون غيره بالطعن، وعبتموه دون مَنْ سواه بالزلل والوهن؟ ولم يك بذلك بِدْعًا، ولا منفردًا، ولا إليه سابقًا؛ فَبَخَسْتُم حقَّ الإِحسان الذي انتشر في الآفاق، وسارت به الركبان، وتمثل به المتمثل، وتأدَّبَ بحفظه وإنشاده المتأدب، مما إنْ ذكرناه لم تنكروه، وأقررتم بفضله، وأجمعتم عَلَى استجادته واستحسانه، فهل الظلم المستقبَحُ والتعصُّبُ المستهْجَن إلا ما أنتم مُرْتكبوه وخابطون فيه؟

18 - قال صاحب البحتري: أما أخذ السهو والغلطِ على مَنْ أخذ عليه من المتقدمين والمتأخرين ففي البيت الواحد والبيتين والثلاثة، وربما سَلم الشاعر المكثِرُ من ذلك بتَّةً، وتعرَّى منه حتى لا تؤخذ عليه لفظة، وأبو تمام لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدَّة أبيات يكون فيها مخطئا، أوْ محيلا، أو عن الغرض عادلا، أو مستعيرا استعارة قبيحة، أو مفسدا للمعنى الذي يَقْصد بطَلب الطِّباق والتَّجْنيس، أو مُبْهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم، ولا يوجد له مخرج، مما لو عددناه لكان كثيرا فاحشا، فكيف يكون ما أُخذ عَلَى الشعراء من الوَهم وقليل الغلط عذرًا لمن لا تُحْصَى معايبُه ومواقعُ الخطإِ في شعره؟ وعلى أن أكثر ما عَدَدْتُمُوه - مما أخذته الرواة على الشعراء - صحيح، والسهو فيه إنما دخل على الرواة، ولو كان هذا موضعَ ذكره لذكرناه.

19 – قال صاحب أبي تمام الطائي: فَبِمَ تدافعون قول البحتري يرثي أبا تمام وَدِعْبلًا ويذمُّ مَنْ بقي بعدهما من الشعراء:[1]

قَدْ زَادَ فِي حُزْنِي وَأَوْقَدَ لَوْعَتِي ... مَثْوَى حَبيبٍ يَوْمَ مَاتَ وَدِعْبِلِ[2]

وَبَقَاءُ ضَرْب الخثعَمِيِّ وشِبْهِهِ ... من كل مُضْطرب القريحة مخبل[3]

أهل المعاني المستحيلة إن هم ... طلبوا البراعة بالكلام المقفل[4]

أَخَـوَيّ لاتَـزَلِ السَّمَاءُ مُخِيلَةً ... تَغْشَاكُمَا بِحَيا السَّحَابِ الْمُسبلِ[5]

جَدَثٌ لَدَى الأَهْوَازِ يَبْعُدُ دُونَهُ ... مَسْرَى النَّعِيِّ وَرِمَّةٌ بِالْمَوْصِلِ

فمحال أن يرثي البحتري أبا تمام ويذكر مَنْ بَعْده من الشعراء بأن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة، وعنده أن أبا تمام تلك صفته، فلم تنكرون فضلَ مَنْ يعترف البحتري بفضله، ويشهد في الشعر له، وتنسبُون العيبَ إليه وهذه صفته عنده، وتلحقونه به وهو يبرئه منه؟

20 – قال صاحب البحتري: ولم لا يفعل البحتري ذلك وقد كان هو وأبو تمام بَعْدَ اجتماعهما وتعارفهما متصافِيَيْن عَلى القرب والبعد، متحابَّيْنِ متلائمين على الدنو والشَّحَط، يجمعهما الطلب والنسَب والمكتَسَب، ولم يكن في زمانهما شاعر مشهور يَفِد على الملوك ويَجْتَدِي بالشعر وينتسب إلى طيء سواهما، فليس بمنكَرٍ أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل، ويصفه بأحسن ما فيه، ويَنْحَله ما ليس فيه، وخاصةً في الشعر؛ ثم تأبينُ الميت، فإن العادة جرت بأن يُعْطَى من التقريظ والوصف وجميل

(1) الأبيات غير موجودة في ديوان البحتري، ويوجد أولها ورابعها وخامسها في «هبة الأيام» (ص 50) وفي معاهد التنصيص (ص 277 بولاق) وخمستها موجودة في أخبار أبي تمام 274.

(2) في الأخبار «قد زاد في كلفي».

(3) كان في أصول الكتاب «وتقاصرت بالخثعمي وشبهه» وهو تصحيف الذي أثبتناه عن الأخبار، وفيه «مضطرب القريحة مهمل».

(4) في الأخبار «طلبوا البداعة والكلام المقفل» بعطف «الكلام» على «المعاني».

(5) في الأخبار «بحيا مقيم مسبل».

الذكر أضعاف ما كان يستحقه، فلا تَدْفَعُوا العِيان فلن يمحق وصفُ البحتري أبا تمام في حياته وتأبينُه إياه بعد وفاته ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره.

21 - قال صاحب أبي تمام: فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرًا من العلماء بالشعر يقولونِ: جيد أبي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله، وإذا كان كل جيد دون جيده لم يضر ما يؤثَرُ من رديئه.

22 - قال صاحب البحتري: إنما صارجيد أبي تمام موصوفا لأنه يأتي في تضاعيف الرديء الساقط؛ فيجيء رائقا لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالإِضافة، ولهذا قال له أبو هفان: إذا طَرَحْت درَّةً في بحر خُرْءٍ فمن الذي يغوص عليها ويخرجها غيرك؟ والمطبوعُ الذي هو مستوِي الشعر قليلُ السقط لا يتبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة، ومن أجل ذلك صار جيد أبي تمام معلومًا وعدده محصورا.

وهذا عندي - أنا- هو الصحيح؛ لأني نظرت في شعر أبي تمام والبحتري وتلقَّطت محاسنهما، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الأوقات؛ فما من مرة إلا وأنا أُلْحِق في اختيار شعر البحتري ما لم أكن اخترته من قبل، وما أعلم أني زدتُ في اختيار شعر أبي تمام ثلاثين بيتًا على ما كنت اخترته قديما.

23 - قال صاحب أبي تمام: أفتنكرون كثرة ما أخذه البحتري من أبي تمام، وإغراقه في الاستعارة من معانيه؟ فأيهما أول بالتقدمة: المستعير، أو المستعارمنه؟

(1) وقد ابتدأنا بالجواب عن هذا في صدر كلامنا، ونحن نُتِمُّه في هذا الموضع إن شاء الله تعالى: أما ادِّعاؤكم كثرةَ الأخذ منه فقد قلنا إنه غير منكرٍ أن يكون أخذ منه مِنْ كثرة ما كان يرد على سمع البحتري من شعر أبي تمام فيعتلق معناه: قاصدا الأخذ، أوغير قاصد، لكن ليس كما ادعيتم وادعاه أبو الضياء بشر بن تميم في كتابه؛ لأنا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه، وتجري طباع الشعراء عليه، فجعله مسروقا، وإنما السَّرَق يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك، فما كان من هذا الباب فهو الذي أخذه البحتري من أبي تمام، لا ما ذكره أبو الضياء وحشا به كتابه، وأنا أذكر هذين الشيئين في موضعهما من الكتاب، وأبين ما أخذه

البحتري من أبي تمام على الصحة، دون ما اشتركا فيه؛ إذ كان غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفقا في كثير من المعاني، لا سيما ما تقدم الناس فيه، وتردد في الأشعار ذكره، وجرى في الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله.

وبعد؛ فينبغي أن تتأملوا محاسن البحتري، ومختار شعره، والبارعَ من معانيه، والفاخِرَ من كلامه؛ فإنكم لاتجدون فيه على غزره وكثرته حرفًا واحدًا مما أخذه من أبي تمام، وإذا كان ذلك إنما يوجد في المتوسط من شعره فقد قام الدليل على أنه لم يعتمد أخذه، وأنه إنما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده. تَمَّ احتجاج الخصمين بحمد الله.

****

وأنا أبتدئ بذكر مساوي هذين الشاعرين لأختم بذكر محاسنهما، وأذكر طَرَفًا من سرقات أبي تمام، وإحالاته، وغلطه وساقط شعره، ومساوي البحتري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام، وغير ذلك من غلطٍ في بعض معانيه، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، ثم بين معنًى ومعنًى؛ فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوَّده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه، وأفرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه، وبابا للأمثال، أختم بهما الرسالة، وأضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما، وأجعله مؤلفا على حروف المعجم؛ ليقرب مُتَناوَلُه، ويسهل حفظه، وتقع الإِحاطة به، إن شاء الله تعالى.

سرقات أبي تمام

كان أبو تمام مشتهرًا بالشعر، مشغوفًا به، مشغولا مدةَ عمره بتخيره ودراسته، وله كتبُ اختيارات فيه مشهورة معروفة؛ فمنها الاختيار القبائليّ الأكبر اختار فيه من كل قصيدة، وقد مر على يدي هذا الاختيار، ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلي اختار فيه قطعًا من محاسن أشعار القبائل، ولم يورِدْ فيه كبيرَ شيء للمشهورين، ومنها الاختيار

الذي تلقط فيه محاسنَ شعرِ الجاهلية والإِسلام، وأخذ من كل قصيدة شيئا حتى انتهى إلى إبراهيم بن هَرْمَة، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول، ومنها اختيار تلقَّط فيه أشياء من الشعراء المقلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين، وبَوَّبه أبوابا، وصدره بما قيل في الشجاعة، وهو أشهر اختياراته، وأكثرها في أيدي الناس، ويُلَقب بالحماسة، ومنها اختيار المقطعات، وهو مبوب على ترتيب الحماسة إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم والقدماء والمتأخرين، وصَدَّره بذكر الغزل، وقد قرأت هذا الاختيار، وتلقطت منه نتفًا وأبياتًا كثيرة، وليس بمشهور شهرة غيره، ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين، وهو موجود في أيدي الناس؛ وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر، وأنه اشتغل به، وجعله وُكْدَه، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه، فإنه ما شَيْء كبير من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه، ولهذا أقول: إن الذي خفي [من] سرقاته أكثرُ مما قام منها، على كثرتها.

وأنا أذكر ما وقع إليَّ في كتب الناس من سرقاته، وما استنبطته أنا منها واستخرجته؛ فإن ظهرتُ بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها إن شاء الله.

1 - قال الكميت الأكبر، وهو الكميت بن ثعلبة:

وَلا تُكْثِرُوا فِيهِ اللَّجاجَ فَإِنَّهُ مَحا السَّيْفُ ما قالَ ابْنُ دارَةَ أَجْمَعا[1]

أخذه الطائي فقال:

*** السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً مِنَ الْكُتُبِ ***[2]

(1) كان ابن دارة – وهو سالم بن مسافع بن عقبة بن يربوع – قد هجا فزارة هجاء مقذعًا، فبلغ هجاؤه زميل ابن أبير أحد بني عبد الله بن مناف الفزاري، فحلف ألا يأكل لحمًا ولا يغسل رأسه ولا يأتي امرأة حتى يقتل ابن دارة، ثم أمكنته فيه الفرصة فقتله، وقال في قتله إياه:

أنا زميل قاتل ابن داره وغاسل المخزاة عن فزاره

*** ثم جعلت عقله البكاره ***

وفي مقتل ابن دارة يقول الكميت بن ثعلبة هذا البيت؛ وهو الكميت الأكبر.

(2) هو صدر مطلع قصيدة يقولها أبو تمام في مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله بن هارون الرشيد، وعجزه قوله: *** في حده الحد بين الجد واللعب ***

وانظر الديوان (ص 7)

وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يَفْتَح عَمورية، وراسلته الروم إِنا نجد في كُتُبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح إلا في وقت إدراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعك من المقام فيها البردُ والثلج. فأبى أن ينصرف وأكبَّ عليها حتى فتحها وأبطل ما قالوه، فلذلك قال الطائي:

*** السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ***

وهو أحسن ابتداءاته.

2 – وقال النابغة يصف يوم الحرب:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طالِعَةٌ ... لا النُّورُ نُورٌ وَلا الإِظْلامُ إِظْلامُ[1]

أخذه الطائي فقال وذَكَر ضوءَ النهار وظلمة الدخان في الحريق الذي وصفه:

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ والظَّلْمَاءُ عاكِفَةٌ ... وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخانٍ في ضُحًى شَحِبِ

فالشَّمْسُ طالِعَةٌ مِنْ ذا وقَدْ أَفَلَتْ ... وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذا وَلَمْ تَجِبِ

3 – وقال الأعشى:

وإن صُدُورَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ... ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ

أخذه الطائي فقال[2] :

مِنَ الْقِلاصِ اللَّوَاتِي فِي حَقائِبِها ... بِضاعَةٌ غَيْرُ مُزْجاةٍ مِنَ الْكَلِمِ

4 – وقال مسلم بن الوليد في صفة الخمر:

قتلت وعاجلها المدير ولم يُقَدْ ... فإذا به قد صيرته قتيلا

أخذه الطائي وأحسن الأخذ فقال:

(1) وذكر صاحب الصناعتين (147) أن النابغة أخذ هذا البيت من قول وهب بن الحارث بن زهرة:

تبدو كواكبه والشمس طالعة ... يجري على الكأس منه الصاب والمقر

(2) البيت من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق أولها:

سلم على الربع من سلمى بذي سلم ... عليه وسم من الأيام والقدم

انظر الديوان (268)

إذا الْيَدُ نالَتْها بِوِتْرٍ تَوَقَّرَتْ عَلَى ضِغْنِها ثُمَّ اسْتَقادَتْ مِنَ الرِّجْلِ[1]

وإن كان أخذها من ديكِ الجنّ فلا إحسان له؛ لأنه أتى بالمعنى بعينه، قال ديك الجن:

تظل بأيدينا تقعقع روحها وتأخذ من أقدامنا الراحُ ثارَها

كذا وجدته فيما نقلته، وليس ينبغي أن يُقْطَع على أيهما أخذ من صاحبه؛ لأنهما كانا في عصر واحد.

5 - وقال الأعشى:

وَأَرَى الْغَواني لا يُواصِلْنَ امْرَأ فَقَدَ الشَّبابَ وَقَدْ يَصِلْنَ الأَمْرَدَا

أخذ الطائي المعنى والصفة فقال:[2]

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مواقِعًا مَنْ كان أَشْبهُهُمْ بِهِنَّ خُدودَا

6 - وقال البَعيث:

وإنَّـا لَنُعْطِي الْمَشْرَفِيَّةَ حقَّها فَتَقْطَعُ في أَيْمانِنا وَتُقَطَّعُ

فقال الطائي:

فَما كُنْتُ إِلا السَّيْفَ لَاقَى ضَرِيبَةً فَقَطَّعَها ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَا[3]

7 - وقال الطائي:

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِها وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ[4]
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُـدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

(1) البيت من قصيدة له يصف فيها تقتير الرزق عليه وهو بمصر (الديوان 419) وأولها قوله:

أصـب بحميا كأسها مقتل العذل تكن عوضا إن عنفوك مـن النبل

(2) البيت من غزل قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان ص 88) وأولها قوله:

طلل الجميع لقد عفوت حميدا وكـفـى على رزئـي بــذاك شهيدا

(3) لا يوجد هذا البيت في الديوان.

(4) سبق ذكر هذين البيتين وبيان مأخذهما (انظر ص 15 و 16 هذا الكتاب) وارجع إلى الصناعتين (154) وما ذكرناه هناك من المراجع.

أخذ صدر البيت الأول من قول كُثَير:

وَرَكْبٍ كأَطْرَافِ الْأسِنَّةِ عَرَّسُوا　　قلائص فِي أَصْلابِهِنَّ نُحُولُ

ويشبه قول البَعِيث:

أَطافَتْ بِشُعْثٍ كالْأسِنَّةِ هُجَّدٍ　　بِخَاشِعَةِ الْأَصْوَاءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا

وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر:

غُـلام وَغًـى تقَحَّمَها فَأبْلَى　　فَخَانَ بَـلاءهُ الدَّهْرُ الْخَؤونُ

فَكانَ عَلَى الْفتَى الْإقْـدَامُ فِيها　　وَلَيْسَ عَلَيْهِ ما جَنَتِ الْمَنُونُ

8 – وقال جرَانُ الْعُوْد يصف الخيال:

سَقْيًا لِـزَوْرِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتَـاكَ بِهِ　　حَديثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهْوَ مَشْغُولُ

فذكر العِلَّةَ في طروق الخيال، وهو السابق لهذا المعنى، فأخذه العباس بن الأحنف فقال:

خَيالُكِ حِينَ أرْقُدُ نُصْب عَيْنِي　　إلَـى وَقْـتِ انْتباهِي مَا يَـزُولُ

وَلَيْسَ يَـزُورُنِـي صِلَةً وَلكِنْ　　حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكِ هُوَ الْوَصُولُ

فتبعه الطائي فقال:

زَارَ الْخَيالُ لَها، لا، بَلْ أَزَارَكَهُ　　فِكْرٌ إِذا نامَ فِكْرُ الْخِلْوِ لَمْ يَنَمِ(1)

وقال في هذا المعنى أيضا:

نَمْ فَما زارَكَ الْخَيالُ وَلكِنَّكَ　　بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيالِ(2)

9- وقال أبو تمام الطائي:

أَمَّا الْهِجاءُ فَدَقَّ عِرِضُكَ دُونَهُ　　وَالْمَدْحُ فِيكَ كَما عَلِمْتَ جَلِيلُ

---

(1) هو من غزل قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان 268) وفيه «إذا نام فكر الخلق» وما هنا أحسن.

(2) من أبيات في الغزل (الديوان 459). قلت: ومن قوله في هذا المعنى أيضا

استـزارتـه فـكـرتـي فـي الـمـنـام　　فـأتـانـي فـي خـيـفـة واكـتـتـام

(انظر الديوان ص 460)

فاذْهَبْ فَأَنتَ طَليقُ عِرْضِكَ إنَّهُ   عِرضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

أخذه من قول هشام المعروف بالحلو أحد الشعراء البصريين يهجو بشار بن برد:

بِذِلَّةِ وَالدِيْكَ كَسَبْتَ عِزًّا   وَبِاللُّؤمِ اجْتَرَأْتَ عَلى الْجَوَابِ

فأخذه إبراهيم بن العباس فأجاد وأحسن:

نَجا بِكَ عِرْضُكَ مَنْجَى الذُّبابِ   حَمَتْهُ مَقاذِرُهُ أنْ يُنالا

10 - وقال الطائي:

وَالشَّيْبُ إنْ طَرَدَ الشبَّابَ بَياضُهُ   كالصُّبْحِ أحْدَثَ لِلظَّلامِ أُفُولا

أراد قول الفرزدق:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبابِ كَأَنَّهُ   لَيْلٌ يَصِيحُ بِجانِبَيْهِ نَهارُ

فقَصَّر عنه

11 - وقال قيس بن ذريح:

بَلِيغٌ إذا يَشْكُو إلى غَيْرِها الْهَوَى   وَإنْ هُوَ لاقاها فَغَيْرُ بَلِيغِ

أخذه الطائي فقال:

لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِراقِ تَبَلُّدِي   وَبَراعَةُ الْمُشْتاقِ أَنْ يَتَبَلَّدَا[1]

12 - وقال الحطيئة:

إذا هَمَّ بالأعْداءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ   حَصَانٌ عَلَيْها لُؤْلُؤٌ وَشُنُوفُ

فأخذه كُثَير فقال

إذا هَمَّ بِالأعْداءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ   حَصَانٌ عَلَيْها عِقْدُ دُرٍّ يَزِينُها

أخذه الطائي فخلَط؛ لقصده إلى مجانسة اللفظ، فقال:

---

(1) هو من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن عبد الكريم (الديوان ص 125) وأولها قوله:

يادار، دار عليك أرهام الندى   واهتز روضك في الثرى فترأدا

عَدَا حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسالِها الْخَصِبِ[1]

13 – وقال مسلم بن الوليد:

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بِها فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَل

أخذه الطائي فقال:

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عقْبانُ أعْلامِهِ ضُحًى بِعِقْبانِ طَيْرٍ فِي الدِّماءِ نَوَاهِلِ[2]
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الْجَيْشِ إلا أَنَّها لَمْ تُقاتِلِ

فأتى في المعنى زيادةً، وهي قوله «إلا أنها لم تقاتل»، وجاء به في بيتين.

وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى؛ فأولُ من سبق إليه الأفْوَه الأوْدِيّ، وذلك قوله:

وَتَـرَى الطَّيْرَ عَلَى آثارِنا رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمارْ

فتبعه النابغة فقال:

إذا مَا غَزَوْا بالْجَيْش حلّقَ فَوْقَهُمْ عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ[3]
جَـوَانِـحُ قَـدْ أَيْـقَـنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذا ما الْتَقَى الْجَمْعانِ أَوَّلُ غَالِبِ

فأخذه حميد بن ثور فقال يصف الذئب:

إذا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْـتَ غَمَامَةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذي هُوَ صَانِعُ[4]

وقال أبو نواس:

---

(1) من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ص 10) وعداك: صرفك، والثغور الأولى: المواضع التي تخشى الخافة من جهتها والمستضامة: التي أصابها الضيم، والثغور الثانية: المباسم، والسلسال: العذب البارد.

(2) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان ص 248) وأولها قوله:

غدا الملك معمور الحرا والمنازل منور وحف الـروض عذب المناهل

وانظر مع ذلك معاهد التنصيص (540 بولاق).

(3) في دلائل الإعجاز (360) «إذا ما غدا» وفيه في الثاني «إذا ما التقى الصفان» وفي معاهد التنصيص والديوان كما هنا.

(4) في المطبوعات الثلاث

* إذا مـا غـزا يـومـا رأيـت غـيـابـة*

وما أثرناه عن معاهد التنصيص، وهو أليق.

تَـتَـأَيَّـا الـطَّـيْـرُ غَـزْوَتَـهُ ثِقَةً بِالشَّبْعِ مِـنْ جَـزَرِهْ

أي: تتعمد وتقصد[1]

14 – وقال منصور النَّمِرِيُّ يمدح الرشيد[2]:

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيّةِ طَرْفُها سَـواءٌ عَلَيْهِ قُرْبُها وَبَعِيدُها

أخذه أبو تمام فقال:

أَطَـلَّ عَلَى كُلَى الآفَـاقِ حَتَّى كأَنَّ الأرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ[3]

عجز هذا البيت حَسَن جدا، وبيت النمرى أحبُّ إليَّ؛ لأن معناه أشرح.

15 – وقال مسلم بن الوليد:

فَلَمَّا انْتَضَى اللَّيْلَ الصَّباحُ وَصَلْتُهُ بِحَاشِيَةٍ مِـنْ لَـوْنِـهِ الْمُتَوَرِّدِ

أخذه أبو تمام فقال:

حُطَّتْ عَلَى قُبَّةِ الإِسْلامِ أَرْحُلُه وَالشَّمْسُ قَدْنَفَضَتْوَرْسًاعَلَى الْأُصُلِ[4]

هذا ما ذكره ابن المنجم، والذي أظنه أنه أخذه من قول الآخر:

وَالـشَّـمْـسُ صَـفْـرَاءُ كَـلَـوْنِ الْـوَرْسِ

16 – وقال مرار الْفَقْعَسِيُّ في وصف الأثافيّ:

أَثَرُ الْوَقُودِ عَلَى جَوَانِبِها بِـخُـدُودِهِـنّ كـأَنَّـهُ لَطْمُ

أخذه أبو تمام فقال:

---

(1) تتأيا: من قولهم تأيا فلان الشيء، إذا تحرى آيته وقصد إليها، وآية الشيء: شخصه. وجزر الطير والسباع: اللحم.

(2) في المطبوعات «منصور النميري» وليس بشيء.

(3) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 141). وكلى الآفاق: جوانبها ونواحيها.

(4) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ويذكر حجه (الديوان 250) وفيه «إلى عمدة الإسلام». والورس: نبات أصفر اللون. والأصل – بضمتين – جمع أصيل، وهو الوقت قبيل غروب الشمس.

أثافٍ كالْخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْنًا وَنُؤْيٌ مِثْلَمَا انْفَصَمَ السِّوَارُ[1]

أوردَ المعنى في مصراع، وأتى بالمصراع الثاني بمعنى آخر يليق به فأجاد، إلا أن بيت المرار أشرح وأوضح معنًى؛ لقوله «أثر الورود على جوانبها» فأبان المعنى الذي من أجله أشبه الخدودَ الملطومة.

17 - وقال أبو نواس:

فالْخَمْرُ يَاقُوتَةٌ وَالْكأْسُ لُؤْلُؤَةٌ مِنْ كَفِّ لُؤْلُؤَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ

أخذه أبو تمام فقال وأساء:

أَوْ دُرَّةٌ بَيْضاءُ بِكْرٌ أَطْبَقَتْ حبلا عَلَى يَاقُوتَةٍ حَـمْـرَاءِ[2]

لأن قوله «حبلا» كلام قبيح مستكره جدا

18 - وقال أبو تمام:[3]

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى ما الْحُبُّ إلا لِلْحَبِيبِ الأَوَّلِ

أخذه من قول كُثير:

إذا وَصَلَتْنا خُلَّةٌ كَـيْ تُزِيلَها أَبَيْنا وَقُلْنا الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ

وذكر محمد بن داود بن الجراح في كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن الطَّثْرِيَّةِ[4] إذ يقول:

---

(1) الديوان (141)، والأثافي: الحجارة التي تنصب عليها القدر، والنؤي: حفيرة كانوا يصنعونها حول خيامهم لتمنع تسرب المطر إلى داخلها، وانفصم: انقطع، والسوار: واحد الأساور.

(2) من قصيدة يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان 3) وفيه «قد أطبقت حملا» وقبل هذا البيت:

وكـــان بهجتها وبـهـجـة كأسها نـــار ونـــور قـيـــدا بـوعـــاء

(3) الديوان (457) من أربعة أبيات في الغزل، وبعده:

كم منزل في الأرض يألفه الهوى وحـنـيـنـه أبـــدا لأول مـــنـزل

وانظر أخبار أبي تمام (263 وما بعدها) والصناعتين (152)

(4) في المطبوعات «من قول الطثرية» وليس بشيء، وابن الطثرية: هو يزيد بن سلمة الخير بن عامر بن صعصعة، وأمه من طثرة بطن من عنز، ونسب البيت في البيان والتبيين لمجنون بني عامر قيس بن الملوح.

أَتَانِي هَوَاها قَبْلَ أَنْ أَعْـرِفَ الْهَوَى
فَـصَـادَفَ قَلْـبًـا فَـارِغًـا فَتَمَكَّنَا

وهذا أجود ما قيل في هذا المعنى؛ لأنه ذكر العلة.

19 - وقال أبو تمام[1]:

وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفاقِ إلا ... وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالأَمانِي ... وَإِنْ قَلِقَتْ رِكابِي فِي الْبِلادِ

أخذه من قول أبي نُواس:

وَإِنْ جَرَتِ الأَلفَاظُ يَوْمًا بمَدْحَةٍ ... لِغَيْرِكَ إِنْسانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

وقد كان ابن أبي دُؤَاد[2] سأله عن هذا المعنى حين أنشده القصيدة، فقال: أهو مما اخترعته؟ فقال: أخذته من قول ابن هانى:

* وَإِنْ جَـرَتِ الأَلـفَـاظُ يَـوْمًـا بِـمَـدْحَـةٍ *

20 - وقال ابن الخياط[3] في قصيدة يمدح بها المهدي فأجازه بجائزة ففرَّقها في الدار فبلغه فأضْعَفَ له الجائزة، فقال:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى ... وَلَمْ أَدرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي

أخذه أبو تمام فقال:

عَلَّمنِي جُـودكَ السَّماحَ فَمَا ... أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكْ[4]

وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود

21 - وقال دِعْبِل بن علي:

(1) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 79) وانظر أخبار أبي تمام (141) وجدواك: عطائك ومنحتك، وراحلتي: ناقتي.

(2) في المطبوعات «ابن أبي داود» وهو تحريف يعلم صوابه من الديوان ومن أخبار أبي تمام.

(3) هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس، من شعراء الدولتين، انقطع أولا إلى آل الزبير ومدحهم، وانظر الصناعتين أيضًا (149).

(4) ليس البيت في الديوان، وانظر أخبار أبي تمام (158 وما بعدها) ذكره أول أربعة أبيات.

وَإِنَّ امْـرَأً أَسْـدَى إِلَـيَّ بِشَافِعٍ إِلَيْهِ ويَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لَأَحْمَقُ[1]
شفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوائجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يَخْلُقُ

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ:

فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطائِهِ وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سُؤالِهِ[2]
وَإِذا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْك صَنِيعَةً مِـنْ جَـاهِـهِ فَكَأَنّها مِـنْ مَالِهِ

22 – وقال مسلم بن الوليد في الحجاب وأخطأ في المعنى:

كَذلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفِرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

أخذه أبو تمام فقال:

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلا إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ[3]

إلا أن لبيت أبي تمام وجها من الصواب وقد ذكرته في باب في هذا الكتاب مع ما أُخذ على مسلم في بيته من العيب.

23 – وقال النابغة الجعدي:

وَتَسْتَلِبُ الدُّهْمَ الَّتِى كانَ رَبُّهَا ضَنِينًا بِهَا وَالْحَرْبُ فِيهَا الْحَرائِبُ

فأخذه أبو تمام فقال وقصّر عنه:

لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ نُوفَلِسٌ
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ[4]

أو أخذه من قول إبراهيم بن المهدي:

(1) الصناعتين (160) أسدى إليك: منحك وأعطاك، يريد أن الذي لا يعطيك إلا بعد أن تتوسل إليه بالشفعاء لا يستحق مديحا على عطائك إنما يستحقه الشفعاء.

(2) من ستة أبيات يقولها في إسحاق بن أبي ربعي كاتب أبي دلف يسأله أن يشفع له (الديوان 240) وانظر أخبار أبي تمام (64).

(3) من أربعة أبيات يعتب بها على أبي دلف، وقيل: علي عبد الله بن طاهر الديوان (22).

(4) من مدحته في المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان 10) والحرب –بفتحتين– سلب الأموال. وانظر الأخبار (54).

وَسَعَّرُوا الحَرْبَ وَاسْمُ الْحَربِ قَدْ عَلِمُوا
لَوْ يَنْفَعُ العِلْمُ مُشْتَقٌ مِنَ الْحَرَبِ[1]

24 – وقالت مريم بنت طارق[2] ترثي أخاها في أبيات أنشدها ابن الأنباري في أماليه:

كُنَّا كَأَنْجمِ لَيلٍ بَيْنَها قمرٌ ... يَجْلُو الدُّجى فهوى مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى فقال:

كــأَنَّ بَنِي نَبهانَ يَــوْمَ وفَاتِهِ ... نُجومُ سَماءٍ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ

أو أخذه من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك:

أمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلّتْ مُصِيبتُهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِها القَمَرُ

ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه؟ أمريم أخذت من جرير أم جرير أخذ منها؟

وروى دِعْبِل بن علي الخزاعي لأبي سُلْمى المزني، من ولد زهير، واسمه مكنفٌ [وهو[3]] الذي [كان] يهجو بَنى القَعْقاع آلَ ذُفافة العَبْسِيِّ فيقول:

إنَّ الضُّرَاطَ بِهِ تَعاظَمَ مَجْدُكُمْ ... فَتَعاظَمُوا ضَرِطًا بَنِي القَعْقاعِ[4]

قال دعبل: فلما مات ذُفافة رثاه أبو سُلْمى فقال:

أَبَعْدَ أَبِي العَبَّاسِ يُسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ ... وَما بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ عُتْبَى ولا عُذْرُ
أَلَا أَيُّها النَّاعِي ذُفافَةَ ذا النَّدَى ... تَعِسْتَ وَشَلَّتْ مِنْ أَنامِلِكَ العَشْرُ
ولا مَطَرَتْ أَرْضًا سَماءٌ ولا جَرَتْ ... نجُومٌ ولا لَذَّتْ لِشارِبِها الخَمْرُ
كــأَنَّ بَنِي القَعْقاعِ بَعْدَ وَفاتِهِ ... نُجُومُ سَماءٍ خرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ
تُـوُفِّـيَـتِ الآمــالُ بَـعْـدَ ذُفـافَـةٍ ... فَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ
يُعَزَّوْنَ عَنْ تَاوٍ تُعَزّى بِهِ العُلا ... وَيَبْكِي عَلَيْهِ البَأْسُ وَالمَجْدُ وَالشِّعْرُ

(1) في المطبوعات «ومسعر الحرب» وفي أخبار أبي تمام «هم هيجوا الحرب» وسعروا: أوقدوا نارها.
(2) نسبه في أخبار أبي تمام (133) إلى صفية الباهلية، ووجد في ديوان الخنساء (134).
(3) زيادة يقتضيها السياق.
(4) في أخبار أبي تمام (200) «تصاعد جدكم» وفيه سبعة أبيات من الرثاء اشتركت مع سبعة الأبيات الآتية في 1 و 2 و 3 و 4 و 5 مع تخالف في الترتيب وفيها بيتان زائدان عما هنا، كما أن في ما هنا زيادة بيتين.

وَمَا كانَ إلّا مَالَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى ولَيْسَ لَهُ ذُخْرُ

قال أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح: قال أبو محمد اليزيدي: أنشدني دِعْبِلٌ هذه القصيدة، وجعل يعجّبني من الطائي في ادعائه إياها، وتغييره بعضَ أبياتها

25 – وقال مسلم بن الوليد يرثي:

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْها السَّهْل وَالأَجْبالُ

أخذ أبو تمام المعنى وقصّر في العبارة، فقال[1]:

وَقَفْنا فَقُلْنا بَعْدَ أَنْ أُفْرِدَ الثَّرَى بِهِ مَا يُقالُ فِي السَّحَابَةِ تُقْلِعُ

وتقصيره عن مسلم أن مسلما قال «أثنى عليها السهل والأجبال» فأراد أن هذه السحابة عمَّت بنفعها، وفي قول أبي تمام «ما يقال في السحابة تقلع» إبهام، لأنه لم يُفْصح بالثناء عليها وأنها نفعت، وقد يقال في السحابة إذا أَقْلَعَتْ ما هو غير المدح والثناء، إذا نزلت في غير حِينها، وفي غير وقت الحاجة إليها، وكثيرا ما يضرُّ المطر إذا كانت هذه حالَه، وإن كان أبو تمام لم يُرد هذا القِسْم، وإنما أراد القسم الآخر فقط؛ فقصّر في العبارة والشرح، ألا ترى إلى قول الشاعر الأول ما أحسن ما شَرَط، وهو طَرَفَةُ:

فَسَقَى دِيَــارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَديمَةٌ تَهْمِي[2]

قال «غير مفسدها» لما دعا لها بالسُّقْيا الذي يدوم، وقال البحتري:

أَلَحَّ جُودًا فَلَمْ تَضْرُرْ سَحَائِبُهُ وَرُبَّمَا ضرَّ عِنْدَ الْحَاجَةِ الْمَطَرُ

وقول أبي تمام «ما يقال في السحابة تقلع» يحتاج إلى تفسير مع سَرِقته.

26 – وقال العباس بن الأحنف:

---

(1) من قصيدة يرثي فيها إدريس بن بدر السامي (الديوان 373) وفيه

* وقـمـنـا فـقـلـنـا بـعـد أن أفـرد الـنـدى *

(2) من كلمة له يمدح قتادة بن مسلمة الحنفي، وكان قد بذل لقوم طرفة في عام جديب (انظر العقد الثمين 21 والديوان 62 ومعاهد التنصيص 163 بولاق).

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا   وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا[1]

أخذه الطائي فقال:

أَآلِفَـةَ النَّحِيبِ كـم افْـتِـرَاقٍ   أظل فَكَانَ دَاعِـيَـةَ اجْتِمَاعِ[2]

وبيت الأعرابي - وهو عُرْوة بن الوَرْد - أجود من بيتيهما، وهو قوله:

تَقُولُ سُلَيْمى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا   وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقامِ أُطَـوِّفُ[3]

27 - وقال أبو تمام:

أَسَرْبِلُ هُجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ
إِذًا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي[4]

أخذ المعنى من قول بعض الخوارج[5] وسَامَه قَطَرِيّ بن الْفُجاءَة قِتالَ الحجاج فأبى؛ لأن الحجاج كان مَنَّ عليه، فقال:

أَأُقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطانِهِ   بِـيَـدٍ تُـقِـرُّ بِـأَنَّـهـا مَـوْلاتُـهُ
إِنِّي إِذًا لَأَخُو الدَّناءَةِ وَالَّـذِي   غَطَّتْ عَلَى إِحسْانِهِ جَهَلَاتُهُ
مَـاذا أَقُـولُ إذا وَقَـفْـتُ إِزاءَهُ   فِي الصَّفِّ فَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعلاتُه
أَأَقُـولُ جَارَ عَلَيَّ؟ لا، إِنِّي إِذًا   لَأَحَـقُّ مَنْ جَـارَتْ عَلَيْهِ وُلاتُهُ

(1) انظر معاهد التنصيص (24 بولاق) والصناعتين (165).

(2) من قصيدة يمدح فيها ابن أصرم (الديوان 193). وفيه «ألم فكان» والنحيب: البكاء، وألم: نزل وعرض.

(3) انظر ديوان عروة بن الورد (93 طبع الجزائر) وفيه «لو أقمت لسرنا» وأطوف - بتشديد الواو- أكثر الطواف والجولان، وانظر الصناعتين (165 - و 168).

(4) من قصيدة يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقي ويعتذر إليه (الديوان 129) وانظر معاهد التنصيص (ص17 بولاق) وقبل البيت المذكور:

فكيف وما أخللت بعدك بالحجى   وأنـت فلم تخلل بمكرمة عندي

وانظر الصناعتين أيضا (162).

(5) انظر حديثه في أخبار أبي تمام (205) وفيه خمسة الأبيات التي يرويها هنا با ختلاف يسير، ومعها هناك سادس. وانظر دلائل الإعجاز (260).

وَتَحَدَّثَ الأقْوَامُ أَنَّ صَنائِعًا غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلَتْ نَخلاتُهُ

28 – وقال قيس بن الخطيم[1]

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَها الْـ ـخالِقُ أَنْ لا يُكِنَّها سَدَفُ

أخذه أبو تمام فقال:

فَعَجِبْتُ مِنْ شَمْسٍ إذا حُجِبَتْ بَدَتْ
مِنْ نُورِها فَكأَنَّها لَمْ تُحْجَبِ[2]

أو أخذه من قول أبي نواس:

تَرَى ضَوْءَها مِنْ ظاهِرِ الْكَأْسِ ظاهِرًا
عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَها بِغِطَاء

29 – وقال مسلم بن الوليد:

يُصِيبُ مِنْكَ مِنَ الآمالِ طالِبُها حِلْمًا وَعِلْمًا وَمَعْرُوفًا وَإسْلامَا

أخذه أبو تمام فقال[3] وبرّز عليه وإن كان بيت مسلم أجْمَعَ للمعنى:

نَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إلَى مَلكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

30 – وقال أبو نُوَاس:

تَبْكِي الْبُدُورُ لِضِحْكِهِ وَالسَّيْفُ يَضْحَكُ إنْ عَبَسْ

أراد بالبدور جمع بَدْرة، فأخذه أبو تمام فقال وقصّر عنه:

---

(1) انظر ديوانه (17 طبع ليبزج) والسدف – بفتحتين– الظلمة، ومثلة السدفة – بضم فسكون– ويكنها: يسترها، ويروي «يجنها» وفي المطبوعات الثلاث «وقضى الله حين صورها» والوزن به غير قائم؛ فالبيت من قصيدة من المنسرح أولها قوله:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

والتصويب عن الديوان.

(2) من قصيدة يمدح فيها عمر بن طوق (الديوان 12) وفيه «فنعمت من شمس»

(3) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي (الديوان 52) وقبل البيت قوله:

لست من العيس أو أكلفها وخدا يداوي المريض من وصبه
للمصطفى محتدا أبي الحسن انـ ـصعن انصياع الكدري في قربه

كُــلَّ يَـــوْمٍ لَـــهُ وَكُـــلَّ أَوَانٍ خُلُقٌ ضَاحِكٌ وَمَـالٌ كَئِيبُ[1]

فبإِزاء هذا البيتِ قولُ أبي نواس «تبكي البدور لضحكه» وقولُه «والسيف يضحك إن عبس» فَضْلٌ.

31 – وقال جرير[2]:

* وَهُـــنَّ أَضْـعَـفُ خَـلْـقِ الـلّـهِ أَرْكَـانَـا *

أخذه أبو تمام فجعله في الخمر فقال:

وَضَعِيفَةٍ فَـإِذا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ، كَذلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ[3]

32 – وقال رجل من بني أسد، وكان أبو عبد الله الجرشي[4] أحد شعراء الشاميين أنشدنيه لبعض شعراء بني أسد:

تَغَيَّبْتُ كَي لا تَحْتَوِيني دِيَارُكُمْ وَلَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهارِ لَمُلَّتِ

أخذه الطائي فقال:

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ[5]

فأما قول الإِيادى:

فَإِنِّي رَأَيْـتُ الْقَطْرَ يُسْأَمُ دَائِمًا وَيُسْأَلُ بالأَيْدِي إِذا هُوَ أَمْسَكا

فمن أبي تمام أخذه؛ لأنه متأخر بعده.

---

(1) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان 58).

(2) هذا عجز مشهور، وقبله:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف - إلخ

(3) من قصيدة يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان 3) وقبله:

عنبية ذهبية سبكت لها ذهب المعاني صاغة الشعراء
صعبت وراض المزج سيئ خلقها فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الأفعال بالأسماء

(4) كذا، ولم أعثر على تحقيقه، وفي الشعراء المغمورين من اسمه أبو عبد الله الجدلي، ومن اسمه أبو عبد الله السلمي.

(5) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 101) وفيه «أن ليست عليهم».

33 - وقال مسلم بن الوليد:

مُوفٍ عَلَى نَهَجٍ وَالْيَوْمُ ذُو رَهَجٍ   كَـأَنَّـهُ أَجَـلٌ يَسْعَى إِلَـى أَمَـلِ

فأخذه الطائي فقال وقصّر:

رَآهُ   الْعِلْجُ   مُقْتَحِمًا   عَلَيْهِ   كَمَا اقْتَحَمَ الْفَنَاءُ عَلَى الْخُلُودِ(1)

34 - وقال قَطَرِيّ بن الفجاءة:

ثُمَّ انْثَنَيْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أُصَبْ   جَذَعَ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْـدَامِ(2)

أخذه أبو تمام فقال:

وَمُجَرَّبُونَ سَقاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ   فَـإِذَا لَقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْـمَـارُ(3)

وقد ذكر هذا المعنى في بيت آخر فقال:

كَهْلُ الْأَنَاةِ فَتَى الشَّذَاةِ إذا غَدَا   لِلْحَرْبِ كانَ الْمَاجِدَ الْغِطْرِيفَا(4)

35 - وقال آخر:

يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمُ سواهم   وَلَكِنْ بِالطِّعانِ هُمُ تِجَارُ

ويروي «بالرماح»، أخذه الطائي فقال وقصّر وغيَّر المعنى وجاء بغرض آخر:

لُفُظٌ لِأَخْـلاقِ التِّجَارِ وَإِنَّهُمْ   لَغَدَا بِمَا ادَّخَـرُوا لَهُ لَتِجَارُ(5)

---

(1) الديوان (105) والعلج - بكسر فسكون - الرجل الضخم من كفار العجم.

(2) انظر شرح الحماسة للتبريزى (1 - 130) وجذع البصيرة: حال من الضمير المستتر في «انصرفت».

(3) الديوان (148) لقوا: التقوا بالعدو، وأغمار: غير مجربين.

(4) الديوان (207) وفيه «إذا عدا» وفيه «كان القشعم الغطريفا». والأناة: الحلم. والشذاة: القوة، أو بقيتها. والقشعم: الأسد. والغطريف السيد الشريف.

(5) لفظ - بضمتين: جمع لافظ، على غير قياس. واللافظ للشيء: الطارح له المهمله، يعني أنهم يتركون أخلاق التجار لدناءتها، ولكنهم لكثرة ما أحرزوا من المحامد و المكرمات، ولكثرة ما اكتسبوا بها من ثناء وحمد، يشبهون التجار، فقد اشتروا حمد الناس وثناءهم عليهم بكريم سجاياهم فكانوا الرابحين. انظر الديوان (148) وفيه:

* وإنـهـم بـكـثـير مـا فـضـلـوا بـه لـتـجـار *

وكان في الأصول «لقط» بالقاف والطاء المهملة، وهو تحريف، صوابه عن الديوان.

36 – وقال أبو نواس يمدح الخصيبَ[1]:

فَمَا جَـازَهُ جُودٌ وَلا حَلَّ دُونَهُ   وَلكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

37 – وقال جرير يهجو الأخطل:

مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ   خَيْلًا تكرُّ عَلَيْكُم وَرِجَـالا

أخذه أبو تمام فقال:

حَيْرَانَ يَحْسَبُ سِجْفَ النَّقْعِ مِنْ دَهَش
نَقًى يُحَاذِرُ أَنْ يَنْقَضَّ أَوْ جُرُفَا[2]

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى: ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المنافقون: 4]

38 – وقال مسلم يرثي:

سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلَى
حَتَّى إذا سَبَقَ الـرَّدَى بِـكَ دَارُوا
نَفَضَتْ بِكَ الآمالُ أَحْلاسَ الْمُنَى   وَاسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَها الْأَمْصارُ

أخذه أبو تمام فقال:

تُوُفِّيَتِ الْآمَـالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ   فَأَصْبَحَ مَشْغُولًا عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ[3]

أو أخذ ذلك من أبي سُلْمى يرثي ذُفَافَةَ العبسي كما حكى دِعْبِلٌ[4].

39 – وقال تَوْبَة بن الحمير:

يَقُولُ أُنـاسٌ لا يَضُرُّكَ نَأْيُها   بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُها

أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه:

لا شيْءَ ضائر عاشِقٍ فإذا نَأَى   عَنْهُ الْحَبِيبُ فَكُلُّ شَيْءٍ ضائِرُهْ[5]

---

(1) سقط هنا من جميع الأصول بيت أبي تمام الذي يقال إنه مسروق المعنى من بيت أبي نواس.

(2) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلي (الديوان 202) وقبله قوله

ومـرّ بـابـك مـر الـريـح منجذبا   محلوليا دمـه المعسول لـو رشفا

(3) من قصيدته في رثاء محمد وقحطبة وأبي نصر بني حميد الطوسي (الديوان 368).

(4) انظر (ص 59 و 60) من هذا الكتاب.

(5) من غزل قصيدة يمدح فيها نصر بن منصور بن بسام (الديوان 155).

40 – وقال عنترة:

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الطَّويلِ ثِيابَهُ ... لَيسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنا بِمُحَرَّمِ

أخذه أبو تمام فقال[1]:

يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ سُمْرُ الْقنا ... بِـإِهـابِـهِ أَوْلَـى مِـنَ السِّرْبالِ

قال ذلك لأنه ظن أن عنترة أراد الثياب نفسها، وإنما أراد عنترة بقوله «ثيابه» نفسَه.

41 – وقال مسلم بن الوليد:

يَكْسُو السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ

وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنا الذُّبُلِ

أخذه أبو تمام وأساء الأخذ وتعسَّف اللفظ فقال[2]:

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ مِنْ ... قَنا الظُّهُورِ قَنا الْخَطِّيِّ مُدَّعَمَا

أو أخذا المعنى جميعا من قول جرير:

كَـأَنَّ رُؤُوسَ الْـقَـوْمِ فَـوْقَ رِماحِنا

غَداةَ الْوَغَى تِيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا

42 – وقال امرؤ القيس:

سَمَوْتُ إِلَيْها بَعْدَ ما نامَ أَهْلُها ... سُمُوَّ حَبابِ الْماءِ حالًا عَلَى حالِ

أخذه أبو تمام وعدل به إلى وجه المديح فقال:

سَما لِلْعُلا مِنْ جانِبَيْها كِلَيْهِما ... سُمُوَّ حَبَابِ الْماءِ جاشَتْ غَوارِبُهُ[3]

وما قيل في إخفاء الحركة والدبيب أبلغ، ولا أبرع من بيت امرئ القيس هذا.

43 – وقال الفرزدق يهجو جريرا:

---

(1) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ويذكر أخذ بابك (الديوان 261).

(2) من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 303) والخطي: المنسوب إلى الخط، وأراد به الرمح، ومدعما: مسندا.

(3) من قصيدة يمدح فيها عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان 45) وفيه «عباب الماء» والعباب: معظم الماء، وجاشت: زخرت أو اضطربت، وغواربه: أعالي موجه.

أَنْتُمْ قَــرَارَةُ كُلِّ مَدْفَعِ سَــوْءَةٍ وَلِـكُــلِّ سـائِلَـةٍ تَسِيرُ قَــرَارُ

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعًا فقال:

وكَـانَـتْ لَـوْعَـةً ثُـمَّ اطْمَأَنَّتْ كَــذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَــرَارُ[1]

44 – وقال محمد بن بشير الخارجي من خارجة عَدْوَانَ:

وَإِذا رَأَيْـتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَـمْ تَـدْرِ أَيُّهُما أَخُـو الأَرْحَـامِ

أخذه أبو تمام فقال:

فَلَوْ أَبْصَرْتَهُمْ وَالزَّائِرِيهِمْ لَمَا مِزْتَ الْحَمِيمَ مِنَ الْبَعِيدِ[2]

فقصر عن الأول

45 – وقال بعض الأعراب يصف المصلوبَ، أنشده ثعلب:

قــامَ وَلَـمَّـا يَـسْـتَعِـنْ بِساقِهِ أَلِـفَ مَـثْـوَاهُ عَـلـى فِـرَاقِـهِ

* كَـأَنَّـمَـا يَـضْـحَـكُ فِـي إِشْـرَاقِـهِ *

أخذ أبو تمام قوله «ألف مثواه على فراقه» فقال:

لا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَآهُمْ خَالَهُمْ أَبَدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفارِ[3]

46 – وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سَبَقَ إليه:

لا يَسْتَطِيعُ يَزِيدُ مِنْ طَبِيعَتِهِ عَنِ الْمُرُوءَةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامَا

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاد، فقال:

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَ انَّهُ دَعاها لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنامِلُهُ[4]

47 – وقال ذو الرمة[5]:

---

(1) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 141).

(2) ليس لهذا البيت وجود في الديوان.

(3) من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأشفين (الديوان 154).

(4) من قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان 232) وفيه «ثناها لقبض لم تطعه».

(5) العلافي: الرحل العظيم، والأحم: الأسود، وقيل: الأبيض، والأعيس من الإبل: ما في لونه أدمة (وانظر الصناعتين 175).

وَلَيْلٍ كَجِلْبابِ العَرُوسِ ادَّرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدُ
أَحَـمُّ عِلافِيٌّ وَأَبْـيَـضُ صـارِمٌ وَأَعْيَسُ مَهْرِيٌّ وَأَرْوَعُ ماجِدُ

أخذه أبو تمام فقصّر وليس هو المعنى بعينه فقال:

الْبِيدُ وَالْعِيسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا ثَلاثَةٌ أَبَـدًا يُـقْـرَنَّ في قَـرَنِ[1]

والذى اتبع ذا الرمة فأحسن الاتباع البحتري في قوله[2]:

يَا خَلِيلَيَّ بِالسَّوَاجِرِ مِنْ أُدِّ بْنِ مَعْنٍ وَبُحْتُرِ بْنِ عَتُودِ
اطْلُبَا ثالِثًا سِـوَاىَ فَإِنِّى رَابِعُ الْعِيسِ وَالدُّجى وَالْبِيدِ

48 – وقال النابغة الذبياني وكان الأصمعي يتعجب من جَوْدَته:

وَعَيَّرَتْنِى بَنُو ذُبْيانَ خَشْيَتَهُ وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشاكَ مِنْ عارِ

أخذه أبو تمام فقال وزاد ذكر الموت:

خَضَعُوا لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عارُ[3]

49 – وقال كعب بن زهير يمدح قريشا:

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا في نُحُورِهِمُ وَما لَهُمْ عَنْ حِياضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

أخذه أبو تمام كما قال لي بعض الرواة فقال يرثي بني حميد:

لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ الْعَيُّوقِ مُنْصَلِتًا ما كانَ إِلَّا عَلَى هاماتِهِمْ يَقَعُ[4]

---

(1) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن على بن قرة (الديوان 334) وفيه «العيس والهم والليل التمام» والعيس: الإبل، والقرن: الحبل. وانظر أخبار أبي تمام (82 وما بعدها).

(2) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان: 1 – 205) وفيه «يا نديمي بالسواجير من ود –إلخ».

(3) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 146) وفيه «خشعوا» وانظر أخبار أبي تمام (99)

(4) من قصيدة يرثي فيها بني حميد (الديوان 371) وفيه «منصلت» وهي خير مما هنا، وخر: سقط، والعيوق: نجم، ومنصلت: ماض نافذ في ضريبته. وانظر الأخبار 138، وكان في الأصول «يرثي حميدا»

روى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى، فقال: أخذته من قول نادبة: لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ، فأما قول كعب «لا يقع الطعن إلّا في نحورهم» فإنما أراد أنهم لا يولون الدبر، وليس من معنى أبي تمام في شيء.

50 – وقال يصف الراية:

تَخْفِقُ أَثْنَاؤُهَا عَلَى مَلِكٍ   يَرَى طِرادَ الأَبْطالِ مِنْ طَرِدِهْ[1]

أخذه من قول أبي نواس:

***تَعُدُّ عِينَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْواتِها ***

وأخذه أبو نواس من قول أبي النجم:

*** تَعُدُّ عاناتِ اللِّوَى مِنْ مالِها***

51 – وقال أبو تمام يستهدي نبيذًا:

وَهْيَ نَزْرٌ لَوْ أَنَّها مِنْ دُمُوعِ الصَّبِّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْغَلِيلِ[2]

أخذه من قول الآخر أو أخذه الآخر منه، والمعنيان متشابهان:

لَوْ كانَ ما أَهْدَيْتَهُ إِثْمِدًا   لَمْ يَكْفِ إِلّا مُقْلَةً واحِدَهْ

52 – وقال يصف مغنية تغنّي بالفارسية:

وَلَمْ أَفْهَمْ مَعانِيَهَا وَلَكِنْ   شَجَتْ كَبِدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجاها[3]

أخذه من قول الحسين بن الضحاك على ما في قول الخليع من المناقضة:

وَما أَفْهَمُ ما يَعْنِي   مُغَنِّينَا إِذا غَنَّى

سِوَى أَنِّيَ مِنْ حُبِّي   لَهُ أَسْتَحْسِنُ الْمَعْنَى

لأنه قال «ما أفهم ما يعني» ثم قال «أستحسن المعنى» وإنما أراد بالمعنى اللَّحْنَ لا معنى القول، وأجود من ذلك كله قول حميد بن ثور يصف الحمامة:

(1) من قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 93) وأثناؤها: منعطفاتها، والطرد: مزاولة الصيد.

(2) من كلمة يعتب فيها على أبي علي موسى القمي (الديوان 407) والنزر: القليل. والغليل: العطش.

(3) (الديوان 467) وفيه «ورت كبدي» وشجت: أحزنت، وورت: أوقدت، وشجاها: طربها أو حزنها

وَلَمْ أرَ مِثْلي شاقَهُ صَوْتُ مِثْلِها   وَلا عَرَبِيًّا شاقَهُ صَوْتُ أعْجَما[1]

53 – وقال الفرزدق يرثي امرأة له ماتت حاملا:

وَجَفْنِ سلاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ   عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَواكِيا

وَفِي بَطْنِهِ مِنْ دارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ   لَوَ انَّ الْمَنايا أَمْهَلَتْهُ لَيالِيا

فقال أبو تمام وأجاد اللفظ وأحسن الأخذ وأصاب التمثيل، فقال يرثي ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر:

لَهَفِي عَلَى تِلْكَ الْمَخايِلِ فِيهِما   لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمائِلا[2]

إنَّ الْهِلالَ إذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ   أَيْقَنْتَ أنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كامِلا

54 – وقال أبو تمام:

صَلَتانٌ أَعْداؤُهُ حَيْثُ كانُوا   فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفاضِ[3]

فأخطأ في قوله «مستفاض» وإنما هو مستفيض، وقد احتجّ له محتج بأن قال: أراد مستفاض فيه، وإنما جعلهم يُفيضون في ذكره لأنهم أبدا على حال وَجل واحتراس من إيقاعه بهم، فهم لا يقطعون ذِكْرَه من شدة الخوف منه، ألا تراه قال «حيث حلوا» أي: هم بهذه الحال قريبا كانت دارهم منه أو بعيدا، وأخذ هذا المعنى من قول أعشى باهِلَةَ يرثي أخاه لأمه المنتشر:

لا يأمَنُ الْقَوْمُ مُمْساهُ وَمُصْبحَهُ   فِي كُلِّ فَجٍّ وَإنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ[4]

أو من قول عُرْوَة الصَّعاليكِ:

وَإنْ بَعُدُوا لا يأمَنُونَ اقْتِرَابَهُ   تَشَوُّفَ أهْلِ الْغائِبِ الْمُتَنَظَّرِ[5]

(1) يروي   * ولم أر مثلي هاجه اليوم مثلها *

(2) الديوان (380) وفيه «على تلك الشواهد» وفيه «أيقنت أن سيعود».

(3) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 187) والصلتان: الشجاع الجريء.

(4) جمهرة أشعار العرب (137 بولاق).

(5) ديوان عروة (80) وفيه «فإن بعدوا».

وهذان البيتان جميعا أوضحُ وأشرحُ وأجودُ من بيت أبي تمام، وقد قيل: إنه أراد أن أعداءه يُقِرُّون بفضله، ويُفيضون في ذكر مناقبه، وذلك محتمل، والمعنى الأول أقوى وأفشى في كلامهم.

55 - وقال بشار بن بُرْد:

شَرِبْنا مِنْ فُؤَادِ الدَّنِّ حَتَّى ... تَرَكْنا الدَّنَّ لَيْسَ لَهُ فُؤَادُ

أخذه أبو تمام فقصّر عنه فقال:

غَدَتْ وَهْيَ أَوْلَى مِنْ فُؤَادِي بعَزْمَتِي

وَرُحْتُ بِما فِي الدَّنِّ أَوْلَى مِنَ الدَّنِّ[1]

56 - وقال الأخطل:

تَدِبُّ دَبِيبًا في الْعِظامِ كَأَنَّها ... دَبِيبُ نِمَالٍ في نَقَا يَتَهَيَّلُ

أخذه أبو تمام فأفسد المعنى فقال:

إِذا الرَّاحُ دَبَّتْ فِيهِ تَحْسِبُ جِسْمَهُ ... لِمَا دَبَّ فِيهِ قَرْيَةً مِنْ قُرَى النَّمْلِ[2]

لا أَعُدُّ الْإِقْلَالَ عُدْمًا وَلكِنْ ... فَقْدُ مَنْ قَدْ فَقَدْتُهُ الْإِعْدَامُ[3]

أخذ أبو تمام صدر البيت فقال:

لا يَحْسَبُ الْإِقْلال عُدْمًا بَل يَرَى ... أَنَّ المُقِلَّ مِنَ الْمُرُوءَةِ مُعْدِمُ[4]

58 - وقال أبو الهندي:

وَتَرَى سُهَيْلًا في السَّماءِ كَأَنَّهُ ... ثَوْرٌ يُعارِضُهُ هِجانُ الرَّبْرَبِ[5]

---

(1) جاء في الديوان (339): «قال غير الصولي: قال أبو تمام. شربت عند الحسن بن وهب فغلب عليّ السكر، فأخبرت أني كسرت آنية، فحملت بين أربعة؛ فلما أفقت كتبت إليه بهذه الأبيات» وهي اثنا عشر بيتا ثانيها هذا البيت.

(2) من قصيدة له يصف فيها تقتير الرزق عليه في مصر (الديوان 420) وفيه

* إذا هي دبت في التي خال جسمه *

(3) يروي «لا أعد الاقتار».

(4) من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبي (الديوان 284).

(5) سهيل: نجم ينقضي بطلوعه القيظ. والربرب: القطيع من برقر الوحش.

أخذه أبو تمام فقال:

أُرَاعِــي مِـنْ كَـوَاكِـبِـهِ هِجانًا ... سَوَامًا لا تَريعُ إلَي الْمُسِيمُ[1]

59 – وقال أبو نُواس:

شُقِقْتُ مِنَ الصِّبا وَاشْتُقَّ مِنِّي ... كَما اشْتُقَّتْ مِنَ الكَرَمِ الْكُرُومُ

أخذه أبو تمام فقال:

أَلَذُّ مُصافَاةً مِنَ الظِّلِّ في الضُّحى ... وَأكْرَمُ في اللَّأوَاءِ عُودًا مِنَ الْكَرْمِ[2]

60 – وقال مسلم بن الوليد:

تَمْضي الْمنَايَا كَمَا تَمْضي أسِنَّتُهُ ... كأَنَّ في سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامَا

أخذه أبو تمام فقال:

فَتًى مِنْ يَدَيْهِ الْبَأسُ يَضحَكُ وَالنَّدَى

وَفي سَرْجِهِ بَـدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ[3]

61 – وقال ابن هَرْمة:

اسْتَبْقِ عَيْنَيْكَ لا يُودِ الْبُكا بِهِما ... وَاكْفُفْ بَوَادِرَ مِنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ

أخذه أبو تمام فقال:

لَيْسَ الشُّؤُونُ وَإِنْ جادَتْ بِبَاقِيَةٍ ... وَلا الْجُفُونُ عَلَى هذا وَلا الْحَدَقُ[4]

وقال أيضا:

---

(1) من قصيدة يمدح فيها بعض الطائيين (الديوان 288) وقبل هذا

ولـيـل بـت أكـالـؤه كـأنـي ... سـليم أو سـهـرت عـلـى سليم

وأكلؤه: أحرسه، يريد يرعى نجومه، والسليم: اللديغ، وفي أمثالهم «السليم لا ينام ولا ينيم» والهجان: الكرام، والسوام: السائمة .

(2) من كلمة يعاتب فيها أبا القاسم بن الحسن بن سهل (الديوان 411) وقبل هذا البيت:

يـداك لـنـا شـهـرا ربـيـع كلاهما ... إذا جف أطـراف النخيل من الأزم

(3) من قصيدة يمدح فيها جعفر الخياط (الديوان 159) والبأس: الشجاعة، والندى: الكرم، والليث والغضنفر جميعا من أسماء الأسد، وقد جعل أحدهما صفة للآخر.

(4) ليس له وجود في الديوان.

وَلا يَبْقَى عَلَى إِدْمـــانِ هذَا ... وَلا هذَا الْعُيُونُ ولا الْقُلُوب[1]

62 - وقال أبو تمام يهجو السَّرَّاجَ:

يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ لم تعرض ضَخْرَةً ... صَمَّاءَ مِنْ مَجْدِي بِعِرْضِ زُجَاجِ[2]

أخذه من قول الآخر وأظنه بشارا:

ارْفُقْ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكْتَ نِسْبَتَهُ ... فَـإِنَّـهُ عَـرَبِـيٌّ مِـنْ قَـوَارِيـرِ

63 - وقال الشاعر:

مَـهَـامِـهُ أَشْـبَـاهٌ كَـأَنَّ سَرَابَها ... مُلاءٌ بِأَيْدِي الْغَاسِلاتِ رَحِيضُ[3]

أخذه أبو تمام فقال:

وَبِـســاطٌ كَـأَنَّـما الآلُ فِيهِ ... وَعَلَيْهِ سَحْقُ الْمُلاءِ الرَّحِيضُ[4]

64 - وقال أبو تمام:

فَاشْمأَلُّوا يُلجْلجُونَ دُءُوبًـا ... مضَغًا لِلكَلالِ فِيهَا أَنِيضُ[5]

أخذه من قول زهير:

تُلَجْلِجُ مضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ ... أَصَلَّتْ فَهْيَ تَحتَ الْكَشْحِ دَاءُ[6]

65 - وقال أبو نُوَاس:

سَنَّ لِلنَّاس النَّدَى فَندوا ... فَـكَـأَنَّ البُخْلَ لَـمْ يَكُنِ

أخذه أبو تمام فقال:

---

(1) ليس له وجود في الديوان.

(2) له كلمة في هجاء يوسف السراج الشاعر (الديوان 491) ولكن ناشري الديوان في بيروت أسقطوا كثيرا من باب الهجاء.

(3) المهامه: الصحارى، وأشباه: متشابهة، والسراب - ومثله الآل- ما يرى ماء وليس بماء، والرحيض: المغسول.

(4) من قصيدة يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 182).

(5) في الديوان «اشمعلوا» وهما واحد، ومعناه ساروا متفرقين من المرح ويلجلجون: يضجون، والدءوب: الجد والمتابعة، والكلال: التعب، والأنيض: الخفقان.

(6) العقد الثمين (30).

مَضَوْا وَكأَنَّ المَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمُ ... لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ[1]

66 – وقال في الغزل:

مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَحْتَوِيكَ الظُّنُونُ ... كَيْفَ يُحْوَى ما لا تَرَاهُ الْعُيونُ[2]
غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ إِنَّكَ خلْقٌ ... حَرَكَاتٌ مَفْعُولَةٌ وَسُكُونُ

أخذه من قول أبي نُوَاس وقصَّر عنه:

سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ الْخَـ ... ـلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينِ
يَسُوقُهُ مِنْ قَرَارٍ ... إِلَى قَرَارٍ مَكِينِ
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتٌ ... مَخْلُوقَةٌ مِنْ سُكُونِ

67 – وقال أبو العتاهية:

كم نِعْمَةٍ لا يسْتَقِلُّ بِشُكْرِها ... لِلّهِ في طَيِّ الْمَكارِهِ كامِنَهْ

أخذه الطائي فقال وأحسن؛ لأنه جاء بالزيادة التي هي عكس الشيء الأول:

قَدْ يُنْعِمُ اللّهُ بالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي اللّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بالنِّعَمِ[3]

68 – وقال آخر – ولست أدري أهو قبل الطائي أو في أيامه:

ما كنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ بَحْرًا زاخِرًا ... عَمَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّها إِرْوَاءَ
أَضْحَى دَفِينًا في ذِرَاعٍ وَاحِدٍ ... مِنْ بَعْدِ ما مَلَكَ الْفَضاءَ فَضاءَ

فقال الطائي وأبرَّ عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى:

وكَيْفَ احْتمالِي لِلسَّحابِ صَنِيعَةً ... بإِسْقائِها قَبْرًا وَفي لَحْدِهِ الْبَحْرُ[4]

69 – وقال آخر:

نُؤْيٌ كَما نَقَصَ الْهِلالَ مَحاقُهُ ... أَوْ مِثْلَ ما فَصَمَ السِّوَارَ الْمِعْصَمُ

---

(1) من قصيدة له يفتخر بقومه ويذكرهم (الديوان 479).

(2) هذان البيتان غير موجودين في ديوانه المطبوع.

(3) من كلمة يقولها في مرض الياس بن أسد (الديوان 316) وانظر الصناعتين (171) وقبل هذا البيت قوله:

فليهنك الأجر والنعمى التي سبغت ... حتى جلت صدأ الصمصامة الخذم

(4) من مرثيته في بني حميد الطوسي (الديوان 370) وفيه «وكيف احتمالي للغيوث».

أخذه أبو تمام فقال[1]:

*** وَنُــــؤْيٌ مِـثْـلَـمـا انْـفَـصَـمَ الـسِّــوَارُ ***

70 - وقال آخر في السحاب:

كَـأَنَّ عَيْنَيْنِ باتا طُولَ لَيْلِهِما   يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهِ الْمُقَلا

فقال الطائي وحَوَّل المعنى وأجاد:

كأَنَّ الْغَمامَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَها   حَبيبًا فَما تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ[2]

71 - وقال الطائي:

وَلَيْسَتْ بالعَوَانِ العَنْسِ عِنْدِي   وَلا هِيَ مْنكِ بالبِكْرِ الكعَابِ[3]

أخذه من قول الفرزدق:

وَعِنْدَ زِيـادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطاءَهُمْ   رِجالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرَا
قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طالِب حاجَةٍ   عَوَانٍ مِنَ الْحاجاتِ أَوْ حاجَةً بِكْرَا

72 - وقال الآخر وهو معبد الهذلي:

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إذا كُنْتُ مِنْهُ   بَيْنَ حِلٍّ وَبَيْنَ وقْـتِ الرَّحِيلِ
كُـل فَـجٍّ مِـنَ الـبِـلادِ كَـأَنِّـي   طالِبٌ بَعْضَ أَهْـلِـهِ بذُحُولِ

فقال الطائي:

كَأَنَّ لَها دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ   مِنَ الأَرْضِ أَوْتارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبِ[4]

73 - وقال آخر وأنشده ابن أبي طاهر والأخفش للأرقط بن دعبل:

نَهْنِهْ دُمُوعَكَ مِنْ سَحّ وَتَسْجام   الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَسْقامِي
وَما أَظُنُّ دُمُـوعَ العَيْنِ رَاضِيَةً   حَتَّى تَسُحَّ دَمًا هطْلًا بِتَسْجامِ

---

(1) قد مضى ذكر مأخذ هذا البيت (انظر ص 55 من هذا الكتاب).

(2) من قصيدته في وصف قومه والافتخار بهم (الديوان 478) وفيه «كأن السحاب الغر».

(3) من مدحة له في أبي الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 55) والعوان: المرأة في نصف عمرها، والعنس: التي طال مكثها بغير زواج، والكعاب: البارزة النهد.

(4) من قصيدة يمدح فيها عباس بن لهيعة (الديوان 24).

أخذ الطائي معنى البيتين ولفظهما فقال[1]:

ما اليَوْم أَوَّل تَوْديعِي ولا الثَّانِي   البَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وأَحْزَانِي
وَما أظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِما صَنَعَتْ   حَتَّى تُبَلِّغَنِي أَقْصَى خَرَاسانِ

74 - وأنشدني ابنُ أبي طاهر لدعبل:

إنْ جاءَهُ مُرْتَغِبًا سَائِلٌ   آلَتْ عَلَيْهِ رَغْبَةُ السَّائِلِ[2]

أخذه أبو تمام فقال:

وَإنِّي لأَرْجُو عاجِلًا أنْ تَرُدَّنِي   مَوَاهِبُهُ بَحْرًا تُرَجَّى مَوَاهِبِي[3]

75 - وقال دِعْبِلُ بن علي:

وأسْمَرٌ في رَأْسِهِ أَزْرَقٌ   مِثْلُ لِسان الْحَيَّةِ الصَّادِي

أخذه الطائي فقال:

مُثَقَّفات سَلَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَها   وَالْعُرْبَ أُدْمَتَها وَالعاشِقَ الْقَضَفا[4]

فزاد المعنى بأن شبَّه زُرْقتها بزرقة الروم، وسمرتها بسمرة العرب، ولكن قول دِعْبِل «مثل لسان الحية الصادي» ليس لحسنه نهاية.

76 - وقال أبو نواس:

وَأطْعَمَ حَتَّى ما بِمَكَّةَ آكِلٌ   وَأعْطَى عَطاءً لَمْ يَكُنْ بِضَمانِ

أخذ الطائي معنى صَدْر البيت فقال:

فَنوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ   وَحارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحارِبُهْ[5]

77 - وقال أبو نواس في أُرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح فيها قومًا:

---

(1) أولهما مطلع قصيدة في مديح بن حسان الضبي وبينه وبين الثاني ثلاثة أبيات (الديوان 323).

(2) يريد إن جاءه سائل أعطاه عطاء كثيرا حتى يصير معقدا لرجاء السائلين.

(3) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 43).

(4) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 203) وفيه «والعرب سمرتها» ومثقفات: مقومات معدلات، والأدمة: السمرة، والقضف: النحافة.

(5) من قصيدة يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر (الديوان 45) ونول: أعطى، وينيله: يعطيه، مضارع أنال.

بِشْرُهُمْ قَبْلَ النَّوَالِ اللَّاحِقِ ... كالبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جَوْدٍ دَافِقِ
وَالْغَيْثُ يَخْفَى وَقْعُهُ لِلرَّامِقِ ... إِنْ لَمْ يَجِدْهُ بِدَلِيلِ البارِقِ

أخذ المعنى أبو تمام فقال:

يَسْتَنْزِلُ الأَمَلَ البَعِيدَ بِبِشْرِهِ ... بِشْرَ الْخمِيلَةِ بالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ(1)
وكَذَا السَّحائِبُ قَلَّمَا تَدْعُو إِلَى ... مَعْرُوفِها الرُّوَّادَ ما لَمْ تَبْرُقِ

78 – وقال أبو العتاهية:

وَإِنَّا إذا ما تَرَكْنا السُّؤَا ... لَ مِنْهُ فَلَمْ نَبْغِهِ يَبْتَدِينا
وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ ... فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينا

وقال مسلم بن الوليد في معنى بيت أبي العتاهية الأول:

أَخٌ لِيَ يُعْطِينِي إِذا ما سَأَلْتُهُ ... وَلَوْ لَمْ أُعَرِّضْ بالسُّؤالِ ابْتَدانِيا

أخذ أبو تمام معنى البيت ومعنى بيت أبي العتاهية الأول فقال:

وَرَأَيْتَنِي فسَأَلْتَ نَفْسَكَ سَيْبَها ... لِي ثُمَّ جُدْتَ وَما انْتَظَرْتَ سُؤالي(2)

أو لعله أخذه من قول منصور النمري:

رَأَيْتُ الْمُصْطَفَى هارُونَ يُعْطِي ... عَطاءً لَيْسَ يَنْتَظِرُ السُّؤالا

وأجود من هذا كله قولُ سَلْم الخاسر:

أَعْطاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... فَكَفاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبي العتاهية الثاني فقال:

كالغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافاكَ رَيِّقُهُ ... وإِنْ تَحَمَّلْتَ عَنْهُ كانَ فِي الطَّلَبِ(3)

(1) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 213) وفيه «بشرى الخميلة» والخميلة: الروضة الكثيرة الشجر، والمغدق: الكثير المطر. والرواد – في البيت الثاني– جمع رائد، وهو طالب الكلأ والعشب والماء.

(2) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان 247).

(3) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن سهل (الديوان 16) وفيه «وإن ترحلت عنه لج» والغيث: المطر، وريقه: صافيه.

79 - وقال مسلم:

وما كانَ مِثْلي يَعْتَرِيكَ رَجاؤهُ ... ولكِنْ أَسَاءَتْ شِيمَةٌ مِنْ فتًى مَحْض

أخذه أبو تمام وزاد زيادة حسنةً فقال:

فَـإِنْ كَـانَ ذَنْبِي أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِي ... أَساءَ فَفِي سُوءِ القَضاءِ لِيَ العُذْرُ[1]

80 - وأنشد أبو تمام في الحماسة:

تَـرِدُ السِّباعُ مَعِي فَأُلْفَى كالمُدِلِّ مِنَ السِّباعِ

أخذ المعنى من فيه فقال:

أَبَـنَّ مَـعَ السِّباعِ الماءَ حَتَّى ... لَخالَتْهُ السِّباعُ مِنَ السِّباعِ[2]

81 - وقال النظار بن هاشم الأزدى:

يَعِفُّ المَرْءُ ما اسْتَحْيا وَيَبْقَى ... نَبَاتُ العُودِ ما بَقِيَ اللِّحاءُ

وما في أنْ يَعِيشَ المَرْءُ خَيْرٌ ... إذا ما الْـمَـرْءُ زايَـلَـهُ الْحَياءُ

أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكثر لفظهما فقال:

يَعيشُ الْمَرءُ ما اسْتَحْيا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ[3]

فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ... وَلا الدُّنْيا إذا ذَهَـبَ الْحَياءُ

82 - وقال أبونُواس:

أَبِنْ لِي كَيْفَ صِرْتَ إِلى حَرِيمِي ... وَنَـجْـمُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ

أخذه الطائي فقال:

(1) من قصيدة له في الفخر (الديوان 475) وقبله قوله:

ومـن قـامـر الأيـام عـن ثمراتها ... فـأحـج بـه أن ينجلي ولـهـا القمر

(2) من قصيدة يمدح فيها ابن أصرم (الديوان 193) وفيه «ابن مع السباع الغيل» وأبن - ومثله بن - بمعنى أقام، وضمنه معنى سكن فنصب به «الغيل» أو «الماء» والمراد بالماء موارده، وخالته: حسبته وظننته.

(3) من أبيات يعرض فيها ببعض بني حميد ولم يصرح فيها بهجائه؛ لأنه كان كثير المدح لهم، ولأنهم طائيون (الديوان 485).

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جِنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدِ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلادُ بِإِثْمِدِ[1]

83 – وسُمع أبو نواس يقول:

تَبْكي فَتُذْرِي الدرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَّابِ

فقال وأساء كل الإِساءة وقبَّح صدر البيت:

مَلْطُومَةٌ بالْوَرْدِ أُطْلِقَ طَرْفُها في الْخَلْقِ فَهْوَ مَعَ الْمَنُونِ مُحَكَّمُ[2]

84 – وقال أبو تمام:

وَمِمَّا كانَتِ الْحُكَمَاءُ قالَتْ لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤادِ[3]

أخذه من الجعد بن صمام أحد بني عامر بن سنان، ذكره أبو تمام في اختيارات القبائل:

إِنَّ البَيَانَ مَعَ الْفُؤَادِ وَإِنَّما جُعِلَ اللِّسَانُ بِمَا يَقُول رَسُولا

85 – وقال طريح الثففي يرثي قوما:

فَلِلهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى قَطُّ حادِثًا كَفَرْسِ الْكِلَابِ الْأُسْدَ يومَ الْمُشَلَّلِ[4]

أخذه أبو تمام فأجاد في الأخذ فقال:

مَنْ لَمْ يُعَايِنْ أَبَا نَصْرٍ وَقاتِلَهُ فَما رَأى ضَبُعًا في شِدْقِهَا سَبُعُ[5]

وهذا معنى مُتَدَاوَل، وقد يجوز أن يكون أخذه الطائي من غير هذا الموضع.

86 – وقال مروان بن أبي حَفْصة:

مَا ضَرَّني حَسَدُ اللِّئامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِير

أخذه أبو تمام فقال:

(1) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 103).

(2) من غزل قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبي (الديوان 284) وفيه «مظلومة للورد».

(3) من قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 80).

(4) فرس: هو مصدر فرس يفرسه – من باب ضرب – بمعنى دق عنقه وكل قتل فرس، والفريس : القتيل.

(5) من كلمة يرثي فيها بني حميد (الديوان 372).

* وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الفَضْلِ مُولَعُ[1]

87 – وقال أبو دهبل الجمحي[2]:

مَا زِلْتَ فِي العَفْوِ للذُّنُوبِ وَإِطْـ ـــلَاقِ لِـعَـانٍ بِـجُـرْمِـهِ غَلِقِ
حَـتَّـى تَـمَـنَّـى الْـبُـرَاةُ أَنَّـهُـمُ عِنْدَكَ أَمْسَوْا فِي الْقَدِّ وَالْحَلَقِ

أخذه أبو تمام فقال:

وَتَكَفَّلَ الْأَيْـتَـامَ عَـنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَـــا أَنَّـنَـا أَيْـتَـامُ[3]

88 – وقال زيد الخيل الطائي:

وَأَسْمَر مَرْبُوعٌ يَرَى مَا رَأَيْتُهُ بَصِيرٌ - إِذا صوَّبْتُه -بالْمَقاتِلِ[4]

أخذه أبو تمام فقال:

مِنْ كُلِّ أَسْمَرَ نَظَّارٍ بلَا نَظَرٍ إِلى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوَدُ[5]

89 – وقال أبو نُخَيْلة في مَسْلَمة بن عبد الملك:

وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْـرِي وَمَا كَانَ خَامِلا
وَلكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِن بَعْضِ[6]

أخذه أبو تمام فقال:

---

(1) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان 190) وصدره قوله:

* لـقـد آسـف الأعــداء مـجـد ابــن يـوسـف *

(2) وقع في المطبوعات «أبو ذهيل» وهو تحريف، وانظر الصناعتين (153).

(3) من قصيدة يمدح فيها المأمون (280) وانظر الصناعتين (154).

(4) عني بالأسمر الرمح، والمربوع: الذي ليس بالطويل ولا القصير.

(5) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (99) وفيه «من كل أزرق» وقبل هذا البيت قوله:

أنهبت أرواحـه الأرمـاح إذ شرعت فـمـا تـرد لـريـب الـدهـر عـنـه يد
كأنها - وهـي فـي الأوداج والغة وفي الكلى - تجد الغيظ التي تجد

(6) ذكر مؤلف هذا الكتاب في كتابه المؤتلف والمختلف أنه يقول هذا في مسلمة بن هشام بن عبد الملك، وروى هناك صدره «وأحييت لي ذكرا» انظره (ص 193).

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضاحِي امْتِدادًا ولمْ أَكُن
بَهِيمًا وَلا أَرْضِي مِنَ الأرْضِ مَجْهَلا[1]

ولكِنْ أَيادٍ صَادَفَتْنِي جِسَامُهَا أَغَرَّ فَوافَتْ بِي أَغَرَّ مُحَجَّلا

90 – وقال المسيب بن علس:

هُمُ الرَّبيعُ عَلَى مَنْ كانَ حَلَّهُمُ وَفي الْعَدُوِّ مَناكيدٌ مَشائِيمُ

وقال غلافة بن عركي التميمي يرثي قوما:

وَكُنْتُمْ قَدِيمًا في الْحرُوبِ وَغَيْرِهَا مَيامِينَ لِلأَدْنَى لِأَعْدائِكُمْ نُكْدَا

ومثله قول كعب بن الجزم:

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشائِيم لِلْعِدَى مَيَامِينُ لِلْمَوْلَى وَلِلْمُتَحَرِّمِ

أخذ الطائي هذا المعنى فقال في مدح أبي سعيد:

إذا ما دَعَوْناهُ بأجْلَحَ أَيْمَنٍ دَعاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بأَصْلَعَ أَنْكَدِ[2]

91 – وقال دُكَيْن الراجز:

* عَارِي الْحَصَى يَدْرُسُ ما لَمْ يُلْبَسِ *

فقال أبو تمام:

تُجَدَّدُ كُلَّما لُبِسَتْ وَتَبْقَى إذا ابْتُذِلَتْ وَتَخْلُقُ في الحِجَابِ[3]

---

(1) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان 252) وفيه «فألفت بي أغر محجلا» والأوضاح: جمع وضح، وهو الغرة، والمجهل الأرض التي لا أعلام فيها.

(2) (الديوان 101) والضمير المستتر في «دعاه» يعود إلى بابك، وقبل البيت قوله:

رمى الله منه بابكا وجيوشه بقاصمة الأصلاب في كل مشهد
بأسمح من صوب الغمام سماحة وأشجع من صرف الزمان وأنجد

والأجلح: الشديد المقدام، والأيمن: المبارك، والأصلع: الشديد أو المنحسر شعر رأسه، والأنكد: المشؤوم، يريد أنه مبارك ميمون لنا لأ ننا أولياؤه وأنكد مشؤوم على بابك لأنه معاديه.

(3) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم (الديوان 56) وقبل البيت قوله:

ذكرت صنيعة لك ألبستني أثيث المال والنعم الرغاب

وأثيث المال: كثيره، والنعم: جمع نعمة، والرغاب الكثيرة. وابتذلت: امتهنت. وتخلق: تبلى.

أو أخذه من قول الراجز:

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ القُدْمِ الْأُوَلْ　　يُمِيتُهُ التَّرْكُ وَيُحْيِيهِ العَمَلْ

يعني طريقا

92 – وقال تميم بن أُبيّ بنِ مُقْبل:

قَدْ كُنْتُ رَاعِـيَ أبْكارٍ مُنعَّمةٍ　　فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ أَرْعَى جِلَّةً شُرُفَا[1]

يريد عجائز، أخذه الطائي فقال وعَدَل بشطر البيت إلى وجه آخر فأحسن:

كُنْتُ أَرْعَى الْخُدودَ حَتَّى إِذا ما　　فارَقُوني بَقِيتُ أرْعَى النُّجُوما[2]

93 – وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

والمال يغشى رجالا لا طَباخَ بهم　　كالسيل يغشى أصول الدِّنْدِنِ البالي[3]

أخذه الطائي فقال:

لَاتُنْكِرِي عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى
فالسَّيْلُ حَـرْبٌ لِلْمَكانِ الْعَالِي[4]

94 – وقال أبو تمام في وصف الشِّعر:

وَلكِنَّه صَـوْبُ العقُولِ: إذا انجَلَتْ
سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ[5]

أخذه من قول أَوْسٍ:

أَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَيَّ غَمَامَتِي　　وَدَهْرِيَ وَفِي حَبْلِ العَشِيرَةِ أَحْطِبُ

(1) الجلة – بكسر الجيم وتشديد اللام – ذو السن العالية من الآدميين ومن الإبل، يطلق هذا اللفظ على الواحد والجمع وعلى المذكر والمؤنث. والشرف – بضم الشين والراء جمع شارف أو مشارفة، وهي الناقة المسنة الهرمة.

(2) هو ثاني أبيات قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 290) وفيه : «كنت أرعى البدور» وفيه «أمسيت أرعى».

(3) «لا طباخ بهم» لا قوة ولا سمن. والدندن: ما اسود من النبات لقدمه.

(4) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجا (الديوان 246).

(5) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 43) والصوب: المطر.

95 – وقال أُمية بن أبي الصلت:

عَطاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إنْ حَبَوْتَهُ ... بِخَيْرٍ وَما كُلُّ الْعَطاءِ يَزِينُ[1]

أخذه الطائي فقال:

مازِلْتُ مُنْتَظِرًا أُعْجُوبَةً زَمَنًا ... حَتَّى رَأَيْتُ سُؤالًا يَجْتَنِي شَرَفا[2]

96 – وقال كثير:

وَنازَعَنِي إلى مَدْحِ ابْنِ لَيْلَى ... قَوافِيها مُنازَعَةَ الغراب

أخذه الطائي فقال:

تَغايَرَ الشِّعْرُ فيه إذْ سَهِرْتُ لَهُ ... حَتَّى ظَنَنْتُ قَوافيهِ سَتَقْتَتِلُ[3]

97 – وقالت محياة بنت طليق من بني تيم الله بن ثعلبة:

نَعَى ابْنَيْ مجل صوتُ ناعٍ أَصَمَّنِي ... فلا آبَ مَحْمُودًا بَرِيدٌ نَعاهُما

وقال سفيان بن عبد يغوث النصري:

صَمَّتْ لَهُ أُذُنايَ حِينَ نَعَيْتَهُ ... وَوَجَدْتُ حُزْنًا دائِمًا لَمْ يَذْهَب

أخذه الطائي فقال:

أَصَمَّ بكَ النَّاعي وَإنْ كانَ أَسْمَعا ... وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعا[4]

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمي:

فَفَقَّأَ عَيْنَيَّ تَبْكاؤُهُ ... وَأَوْرَثَ في السَّمْعِ مِنِّي صَمَمْ

98 –وقال سعران بن عرباض القسري:

فَما السَّائِلُ الْمَحْرُومُ يَرْجِعُ خائِبًا ... وَلكِنْ بَخِيلُ الْأَغْنِياءِ يَخِيبُ

وقال آخر وهو الشجاع الفائق في خبر عن ابن الكلبي ورواه ابن دريد:

(1) انظره مع بيت تال له في الصناعتين (30) وأمية يقولهما في مديح عبد الله بن جدعان.

(2) من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى (الديوان 201) وفيه «أعجوبة عننا» أي ظاهرة.

(3) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان 227).

(4) مطلع مرثية له في أبي نصر محمد بن حميد الطائي (الديوان 374) وأصم: أفقد السمع، والناعي: الذي يخبر بموت الميت، والمغنى: المنزل والبلقع: الخالي.

لاتَزْهَدَنْ في اصْطِناعِ الْعُرْفِ مِنْ أَحَد
إنَّ الَّـذِي يُحْرَمُ الْمَعْرُوفَ مَحْرُومُ

أخذه أبو تمام فقال:

وَإني ماحُورِفْتُ في طَلَبِ الْغِنَى   ولكِنَّما حُورِفْتُمُ في الْمَكارِمِ[1]

99 – وقال عنترة:

*** وَالـطَّـعْـنُ مِـنِّـي سَـابِـقُ الآجَـالِ***

وإنما أراد الآجال سابقة طعني لشدة خوفة إذا سَدَّد سنانه للطعن. أخذه الطائي فغيره تغييرا حسنا فقال:

يَكادُ حِينَ يُلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَنَقٍ   قَبْلَ السِّنانِ عَلَى حَوْبائِه يَرِدُ[2]

100 – وقال عديُّ بن الرِّقاع يمدح بعضَ بني مروان:

وَإذا رَأَيْـتَ جَمَاعَة هُوَ فِيهِمُ   نُبِّئْتَ سُـؤْدَدَهُ وَإنْ لَمْ تَسْأَلِ

أخذه الطائي فقال:

يَـحْـمِـيـهِ لَأْلاؤُهُ وَلَـوْذَعِـيَّـتُـهُ   عَنْ أَنْ يُذَالَ بِمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ[3]

فقصَّر عديٌّ بالممدوح؛ إذ جعله إذا كان في جماعة لم يُعْرف حتى تنبئ عنه شمائله، وتبعه أبو تمام في التقصير.

101 – وقال:[4]

(1) هذا البيت لا يوجد في الديوان.

(2) من قصيدة يمدح فيها أباسيعد محمد بن يوسف (الديوان 97) والقرن – بكسر فسكون– البطل المماثل، والحنق: الغيظ، والسنان: الرمح أو أعلاه، والحوباء: النفس، يريد أن رعبه يبطش بقرنه فيميت نفسه قبل أن ينال منه.

(3) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان 228) ولألاؤه: ضياؤه وإشراق وجهه، ولوذعيته: ذكاؤه، ويذال: يمتهن، وفي الديوان «من أن يذال».

(4) ثلاثة الأبيات التي زعم أنه أخذ معناها من قول لقيط هي من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 292 و 293) وفيه أول الثالث «تيمته العلى» والخبل: الهوج والبله، وتقضقض: تحطم وتكسر، والحيزوم: ما استدار بالبطن والظهر. وولهته: صيرته والها، كتيمته صيرته متيما.

طَلَبُ الْمَجْدِ يُورِثُ الْمَرْءَ خَبْلا   وَهُمُومًا تُقَضْقِضُ الْحَيْزُومَا
فَـتَـرَاهُ وَهْـوَ الْـخَـلِـيُّ شَجِيًّا   وَتَـرَاهُ وَهْـوَ الصَّحِيحُ سَقِيما

أخذ قوله «وهمومًا تقضقض الحيزوما» من قول لَقيط الإيادي:

لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلَّا رَيثَ يَبْعَثُهُ   هَمٌّ يَكادُ حَشاهُ يَحْطِمُ الضِّلَعَا

وأخذ معنى قوله:

وَلَّهتْهُ الْعُلَى فَلَيْسَ يَعدُّ الـ   ـبُؤْسَ بُؤْسًا وَلا النَّعِيم نَعِيمَا

من قول لقيط أيضا:

لا مُتْرَفًا إنْ رَخاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ   ولا إذا عَضَّ مكْرُوهٌ بِهِ خَشعَا

102 – وقال أبو العارم الطائي:

غبي العين أو فهم تغابى   عن الشدات والفكر القواصي

أخذه أبو تمام فقال وزاد عليه وأحسن:

لَيْسَ الْغَبِيُّ بَسيِّدٍ في قَوْمِهِ   لكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابي[1]

أو أخذه من قول دِعْبِل:

تُـخَـالُ أَحْـنَـانًـا بِـهِ غَفْلَةٌ   مِنْ كَـرَمِ النَّفْسِ، وَمَا أَعْلَمَهْ!

103 – وتمثلت فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته عليه السلام فيما روي عنها ولا أعلم صحته:

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّها   صُبَّتْ عَلَى الأَيَّـامِ عُـدْنَ لَيَالِيا

ومثله قوله الطائي:

عـادَتْ لَـهُ أَيَّـامُـهُ مُـسْـوَدَّةً   حَتَّى تُـوُهِّـمَ أَنَّـهُـنَّ لَيَالِي[2]

(1) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق التغلبى (الديوان 20) والغبي: القليل الفطنة، والمتغابي: الذي يظهر الغباء وليس بغبي.

(2) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان 246).

104 – وقال ابن أذينة[1]:

أَسعَى لَهُ فَيُعَنِّيني تَطَلُّبُهُ ... وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَاني لا يُعَنِّيني

أخذه الطائي فقال:

الـرِّزْقُ لَا تكْمَدْ عَلَيْهِ فإِنَّهُ ... يَأْتي وَلمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولا[2]

105 – وقال الطائي:

وَجَّهَ الْعِيسَ وَهْيَ عِيسٌ إِلَى اللّـ ... ـهِ فَآضَتْ مِنَ الهَوَاجِرِ شيمَا[3]

أخذه من قول ابن هَرْمَة:

بَـدَأَت عَلَيْهَا وَهْيَ عِيسٌ فأَصْبَحَتْ
مِنَ السَّيْرِ جُونًا لاحِقَاتِ الْغَوَارِبِ[4]

106 – وأنشد الأشْنَانْدَانيُّ في المعاني يذكر الإبل:

رَدَّتْ عَوَارِيَّ غِيطَانِ الْفَلا وَنَجَتْ ... بِمِثْلِ إِيبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْعُشَرِ[5]

---

(1) في عامة الأصول «أبو أذينة» وليس بشيء، وابن أذينة صاحب هذا البيت هو عروة بن أذينة، والبيت من أبيات له قالها في أثناء مدحته لهشام بن عبد الملك، وقبله قوله:

لقد علمت وما الأشراف من خلفي ... أن الـذي هـو رزقـي سـوف يأتيني

(2) من قصيدة يمدح فيها نوح بن عمر السكسكي من كندة (الديوان 243) وفيه «الرزق لا تحرص عليه»

(3) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 292) وفيه «فآلت مثل القسي حطيما» والعيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، والناقة عيساء، والجمل أعيس، وآلت: رجعت، والقسي: جمع قوس، وحطيما: محطومة، وآضت: صارت، والهواجر: جمع هاجرة، وأصلها نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو عند زوالها إلى العصر، سمي هذا الوقت بذلك الاسم لأن الناس يستكنون فيه كأنهم قد تهاجروا، وتطلق الهاجرة على شدة الحر، وأراد أبو تمام «من سير الهواجر» والشيما: النوق السود أصل عينها واو أو همزة، ويريد أن الممدوح خرج بهذه الإبل في سبيل الله وهي بيضاء فرجع بها وهي سوداء من لفح الهجير.

(4) الجون هنا السود، ولاحقات: جمع لاحقة، وهي الضامرة، وفعله لحق كسمع لحوقا، والغوارب: جمع غارب، وهو الكاهل، أو هو ما بين السنام والعنق.

(5) الغيطان: جمع، واحده غوط، وهو المطمئن الواسع من الأرض. يريد أنها كانت قد رعت الغيطان فسمنت، فلما سافر عليها هزلت، فكأنها ردت على الغيطان ما كانت قد استعارته منها من الشحم والسمن. والإيبالة: الحزمة من الحطب. والحائل: الذي أتى عليه حول. والعشر – بزنة عمر – ضرب من الشجر. يريد أنها نجت وقد صارت مثل الإيبالة من النحول. وانظر معاني الشعر للإشنانداني (50، 51).

أخذه أبو تمام فقال:

فَكَمْ جِزْعَ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ ... وَبِالْأَمْسِ كانَتْ أَتْمَكَتْهُ مَذَانِبُهْ[1]

107 – وقال أبو تمام:

لَوْ أَصَخْنا مِنْ بَعْدِها لَسَمِعْنا ... لِقُلُوبِ الْأيـامِ مِنْكَ وَجِيبا[2]

أخذه من قول أبي نواس:

حَتَّى الَّذِي في الرَّحْمِ لَمْ يَكُ نُطْفَةً ... لِـفُـؤَادِهِ مِـنْ خَـوْفِـهِ خَفَقانُ

108 – وقال آخر:

يَا حَبَّذَا رِيحُ الجَنُوب إذا غَدَتْ ... بالْفَجْرِ وَهْيَ ضَعِيفَةُ الأَنْفاسِ

قَدْ حُمّلَتْ بَرْدَ الثَّرَى وَتَحَمَّلَتْ ... عَبَقًا مِنَ الْجَثْجَاثِ وَالْبَسْبَاسِ

أخذه الطائي فقال:

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ ... نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفا[3]

109 – وقال نُصَيب:

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الأَرْضِ مِلْحًا فَزَادَني ... على ظَمَئِي أَنْ أَبْحَرَ الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ

أخذه أبو تمام فقال:

(1) من قصيدة يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر (الديوان 44) وجزع الوادي: جانبه، وجب: قطع، والغارب: الكاهل، وذروته: أعلاه، وأتمكته: سمنت تامكه، وهو السنام، ومذانب الوادي: مجاريه الضيقة، وأراد العشب الذي ينبت فيها.

(2) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري (الديوان 27) وفي أصول هذا الكتاب «من بعده» وهو تحريف صوابه عن الديوان ويؤيده أن قبل هذا البيت:

فـضـربـت الـشـتـاء فـي أخدعيـه ... ضـربـة غـادرتـه قـــودا ركـوبـا

الأخدعان: عرقان في العنق، والقود – بفتح فسكون – ما يقاد بالمقود من الخيل، يريد أن هذه الضربة ذللته وسهلت قياده، وأصخنا: استمعنا: وأصغينا، والوجيب: الرجفان.

(3) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 206) وفيه «أرسى بعرصتك» وأرسى كرسا: ثبت وأقام، وعرصة الدار: ساحتها، والندى: بلل الماء، والعقوة –بفتح فسكون– والبيت دعاء للمنزل بأن يقيم فيه الخصب وطيب الهواء، وقبل البيت:

يـا منزلا أعطى الـحـوادث حكمها ... لا مـطـل فـي عـدة ولا تسويفا

كانَتْ مُجاوَرَةُ الطُّلُولِ وَأَهْلِهَا زَمَنًا عِذَابَ الْوِرْدِ فَهْيَ بِحَارُ[1]

110 – وقال غيلان بن سلمة الثقفي يصف فرسا:

نَهْد كَتَيْس أَقَبَّ مُعْتَدِلِ كأنّما في صَهِيلِهِ جَرَسُ

أخذه أبو تمام فقال

صَهْصَلِقٌ في الصَّهيلِ تَحْسَبُهُ أُشْرِجَ حُلْقُومُهُ عَلَى جَرَس[2]

111 – وقال الفرزدق:

قِيَامٌ يَنْظُرُون إلى سَعِيدٍ كأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلالا

أخذه أبو تمام فقال:

رَمَقُوا أعالِيَ جِذْعِهِ فَكَأَنَّمَا رَمَقُوا الْهِلالَ عَشِيَّةَ الإِفْطَارِ[3]

112 – وقال ابن مناذر في البرامكة:

إذَا وَرَدُوا بَطْحَاءَ مَكّةَ أَشْرَقَتْ بِيَحْيى وَبِالفَضْلِ بْنِ يَحيى وَجَعْفَرِ
لَهُمْ رِحْلَةٌ في كُلِّ يَوْمٍ إلى العِدَى وَأُخْرى إلى البَيْتِ العَتِيقِ الْمُسَتَّرِ

أخذه أبو تمام فقال:

حين عَفَّى مَقامَ إِبْلِيسَ سامَى بِالْمَطايا مَقامَ إبْرَاهِيما[4]

113 – وقال أبو تمام

فَحَيَّوْا بالْأَسِنَّةِ ثُمَّ ثَنَّوْا مُصافَحَةً بِأَطْرَافِ الرِّماحِ[5]

أخذ قوله «فحيوا بالأسنة» من قول مسلم:

---

(1) من مدحة في أبي سعيد أيضا (الديوان 145) وفيه «وهي بحار»

(2) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق ويطلب منه فرسا (الديوان 170) وصهصلق: شديد، والصهيل: صوت الفرس، وأشرج: شد إليه، ومما يستحب في الخيل أن يكون صوت الفرس شديدا لأنه يدل على سعة الصدر.

(3) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله، ويذكر إحراق الأفشين.

(4) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد وكان قد قدم من مكة (الديوان 292).

(5) لا يوجد هذا البيت في ديوانه.

فَحَيَّوْا بأَطْرَافِ الْقَنا وتعانَقُوا   مُعانقَةَ الْبَغْضاءِ غَيْرِ التَّوَدُّدِ

وأخذ قوله «مصافحة بأطراف الرماح» من قول أبي إسحاق التغلبي:

دَنَـوْتُ لَـهُ بأبْيَضَ مَشْرَفيٍّ   كَما يَدْنُو الْمُصافِحُ لِلسَّلامِ

114 - وقال جرير في يزيد بن معاوية:

الْحَزْمُ وَالْجُودُ وَالْإِيمَانُ قَدْ نَزَلوا   عَلَى يَزِيدَ أَمِينِ اللهِ فَاخْتَلَفُوا

ألم به أبو تمام فقال:

مِنَ الْبَأْسِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْجُودِ وَالتُّقى   عِيالٌ عَلَيْهِ رِزْقُهُنّ شَمائِلُهْ[1]

فقال «عيال عليه» وهو نحو قول جرير «نزلوا على يزيد» ولعل أبا تمام أخذه من قول دعبل:

تَنافَسَ فيهِ الْحَزْمُ وَالْبَأْسُ وَالتُّقى   وَبَذْلُ اللُّهَى حَتَّى اصْطَبَحْنَ ضَرائِرَا

115 - وقال الكميت يصف الخيل:

يَفْقَهْنَ عَنْهُمْ إذا قَالُوا، وَيَفْقَهُهُمْ   مُسْتَطْعِمٌ صاهِلٌ مِنْهُمْ وَمُنْتَحِمُ

أخذه أبو تمام فقال:

وَهْــوَ إذا مـا نَـاجَـاهُ فـارِسُـهُ   يَفْهَمُ عَنْهُ ما تَفْهَمُ الإِنْسُ[2]

116 - وقال الكميت أيضا:

وألْقَيْنَ الْبُرُودَ عَلَى خُدُود   يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالأَسِيلِ[3]

يريد بالفدَاغم الرخْوَةَ اللّحِيمَةَ؛ فقال أبو تمام:

وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُود صِيانَةً   وَشْيَ الْبُرُودِ بمسجفٍ وَمُمَهَّدِ[4]

(1) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان 230).

(2) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 167).

(3) الفداغم: جمع فدغم - بزنة جعفر - وهو الوجه الحسن الممتلئ، والأسيل - بزنة أمير - الخد الطويل المسترسل، وفعله من باب كرم.

(4) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان 111) وثنوا: عطفوا، والوشي: النقش، وأراد بوشي الخدود زينتها من حمرة وتلوين. والبرود: الثياب، واحدها برد، وأراد بوشي البرود الثياب المطرزة. والمسجف: الستار المرخى، والممهد: الممدود.

117 – وقال الأبيردُ الرِّياحيُّ:

وَكُنْتُ أَرَى هَجْرًا فِراقَكَ ساعَةً ... أَلَا لا بَلِ الْمَوْتُ التَّفَرُّقُ وَالهَجْرُ[1]

أخذه أبو تمام فقال

الْـمَـوْتُ عِـنْـدِي وَالـفِـرا ... قُ كِلاهُما ما لا يُطاقُ[2]

118 – وأنشد أبو العباس المبرد للعُتْبِي:

أَضْحَت بِخَدِّي للدُّمُوعِ رُسُومُ ... أَسَفًا عَلَيْك وَفي الْفُؤَادِ كُلُومُ

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ في الْمَواطِنِ كُلِّهَا ... إِلَّا عَـلَـيْـك فَـإِنَّـهُ مَـذْمُـومُ

قال: وأخذه الطائي فقال في إدريس بن بَدر السامي:[3]

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِيَ الْحُزْنِ هُمَّعُ ... تُوصِّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطَّعُ

وَقَدْ كانَ يُدْعى لابِسُ الصَّبْرِ حَازِمًا ... فأَصْبَحَ يُدْعى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

قال: وجاء به الطائي في موضع آخر، فقال:

الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تلَذُّذِي ... في الحُبِّ أَحْرى أَنْ يَكونَ جَمِيلا[4]

119 – وقال الراجز أنشده يعقوبُ بن السِّكِّيت:

قَدْ أَضْحَتِ الْعُقْدةُ صَلْعاء اللِّمَمْ ... وَأَصْبَحَ الأَسْوَدُ مَخْضُوبًا بِدَمْ

العقدة: موضع ذو شجر لا يَفنى فيذهب، وصلعاء اللمم الجماجم، وهو جمع لِمَّة، فجعله مثلا لرؤوس النبت أَكَلَتْه الإِبل فصارت لُممه صُلْعًا، والأسود: الحية تطؤه الإبل فتقتله؛ فظفر بهذا أبو تمام فقال:

---

(1) البيت من قصيدة له يرثي فيها أخاه بريدا، وفيها يقول:

أحـقـا عـبـاد الـلـه أن لـسـت لاقيا ... بـريـدا طـوال الـدهـر مـا لألأ العفر

(2) البيت خامس سبعة أبيات له في الغزل (الديوان 453) وأولها قوله:

نـــأي وشـيـــك وانـطـــلاق ... وعـلـيـك شـوق واحـتـــراق

(3) في المطبوعات «الشامي» بالشين معجمة. وهو تحريف، وإنما هو بالسين مهملة نسبة إلى سامة بن لؤي، وهو أحد بنيه (انظر الديوان 372) وأول البيتين مطلع القصيدة، وثانيهما يقع بعده بتسعة أبيات.

(4) البيت من غزل قصيدة يمدح فيها نوح بن عمر السكسي (الديوان 242) وفيه «غير أن تلذذا» وأحرى: أجدر وأليق.

حَتَّى تعَمَّمَ صُلْعُ هَاماتِ الرُّبَى   مِنْ نَـوْرِهِ وَتَـأَزَّرَ الأهْضامُ[1]

والأهضام: ما انخفض من الأرض

****

ووجدت ابن أبي طاهر خَرَّج سرقاتِ أبي تمام، فأصاب في بعضها، وأخطأ في البعض؛ لأنه خَلَط الخاصَّ من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا

1 - فمن السَّرَق قول أبي تمام:

كَما كادَ يُنْسَى عَهْدُ ظَمْياءَ بِاللِّوَى   وَلكِنْ أَمَلَّتْهُ عَلَيْهِ الحَمَائِمُ[2]

أخذه من قول الْعتَّابي:

بَكَى وَاسْتَمَلَّ الشَّوْقَ مِنْ فِيّ حَمَامَةٍ   أَبَتْ في غُصُونِ الْأيْك إلَّا التَّرَنُّما

أظن قوله «في حمامة» أراد [به] من صوت[3] حمامة، دعته إليه الضرورة، وليس هذا موضع «فى» وقوله «أملته» من قول العتابي «واستمَلَّ». وقد جاء مثلُه في أشعارهم[4]

2 - وقال: أخذ قوله:

لاتَنْشِجَنَّ لَهَا فَـإِنَّ بُكاءَها   ضَحِكٌ وَإِنَّ بُكاءَكَ اسْتِغْرَامُ[5]

من قول الآخر:

فإِنِّي إنْ بَكَيْتُ بَكَيْتُ حَقًّا   وإِنَّـكِ في بُكائِكِ تَكْذِبِينَا

(1) من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان 279) والصلع: جمع صلعاء، وصف من الصلع - بفتحتين - وهو انحسار شعر الرأس، والهامات: جمع هامة وهي الرأس، وتأزر: لبس الإزار. وفسر المؤلف الأهضام.

(2) من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 285) أملته. بتضعيف اللام - من الإملال بمعنى الإملاء ووزنه، وفي الكتاب الكريم: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾.

(3) بل نرى أن «في حمامة» معناه «فم حمامة» واستمع إلى قول حميد ابن ثور:

عجبت لـهـا أنـى يـكـون غناؤها   فصيحا ولـم تفغر بمنطقها فما

(4) اقرأ منه جملة صالحة في الكامل للمبرد (848 طبع مطبعة الحلبي).

(5) الديوان (279) وفيه «لا تشجين لها» وما هنا أنسب، وتقول نشج الرجل - من باب ضرب - نشيجا، إذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

3 - وقال:

* فَـنَـوَّلَ حَـتَّـى لَـمْ يَـجِـدْ مَـنْ يُنِيلُه*[1]

أخذه من قول علي بن جَبَلَة:

أَعْطَيْتَ حَتَّى لَم تَجِدْ لَكَ سَائِلا وَبَـدَأْتَ إذْ قَطَعَ الْعُفاةُ سُؤَالَها

وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير ابن جَبَلَة.

4 - وقال:

إنِّي لأعْجَبُ مِمَّنْ في حَقِيبَتِهِ مِنَ الْمَنِيِّ بُحُورٌ كَيْفَ لا يَلِدُ

أخذه من مروان في قوله:

لَوْ كانَ يَحْمِلُ مِنْ هذَا الـوَرَى ذَكَرٌ
لَـكُـنْـتَ أَوَّلَ خَـلْـقِ الـلـهِ بِـالـوَلَـدِ

ومن قوله أيضا:

لَوْ كانَ يُخْلَقُ في بَطْنِ امْرِئٍ وَلَدٌ لَأصبَحَ البَطْنُ مِنْهُ ضَامِنًا وَلَدَا

5 - وقال:

يَحْميهِ لَأْلاؤُهُ وَلَـوْذَعِيَّتُهُ عَنْ أَنْ يُذَالَ بِمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ[2]

أخذه من [قول] حسان:

إذَا ما تَـرَعْـرَعَ فِينَا الْـغُـلَامُ فمَا إنْ يُـقَـالُ لَـهُ مَـنْ هُـوَهْ

وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير حسان

6 - وقال:

فلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ في جُفونِهَا فقَدْ أُسْكِنَتْ بَيْنَ الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ[3]

---

(1) تمامه.

* وحـــارب حـتـى لـم يـجـد مــن يـحـاربـه *

وانظر (ص 72 من هذا الكتاب)

(2) انظر (ص 80 من هذا الكتاب).

(3) من قصيدة يرثي فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي (الديوان 387) وكان في المطبوعات الثلاث «في جنونها» والتصويب عن الديوان، والجفون: جمع جفن، وهو قراب السيف، والطلى- بضم الطاء- الأعناق، والجماجم: الرءوس، يريد: لا تبحثوا عن سيوف هؤلاء في جفونها، فإنكم إن بحثتم عنها في الجفون لم تجدوها، لأنها أغمدت في أعناق أعدائهم ورءوسهم فبقيت ساكنة فيها.

أخذه من قول عنترة:

وَلَــمْ يَعْلَمْ جَـزِيَّـةُ أَنَّ نَبْلِي ... يكونُ جَفِيرَهَا الْبَطَلُ النَّجِيدُ[1]

7 – وقال:

يَتَجَنَّبُ الآثَـامَ ثُـمَّ يَخَافُهَا ... فكَأَنَّمَا حَـسَنَاتُـهُ آثَـامُ[2]

أخذه من قول أبي العتاهية:

لَمْ تَنْتَقِضْنِي إِذْ أَسَأْتُ وَزِدْتَني ... حَتَّى كَـأَنَّ إِسَـاءَتِـي إِحْسَانُ

8 – وقال الطائي:

أَجلْ أَيُّها الرَّبْعُ الَّذي بانَ آهِلُهْ ... لَقَدْأَدْرَكتْفِيكَالنَّوَىماتُحَاوِلُهْ[3]

9 – وقال:

لا تُذِيلَنْ مَصُونَ هَمِّكَ وَانْظُرْ ... كَمْبِذِيالأَيْكِدَوْحَةٍمِنْقَضِيبِ[4]

أخذه من قول الأشهب:

عَـلَّ بَنِيَّ يَشُدُّ اللّهُ أَزْرَهُــمُ ... وَالدَّوْحُ يَنْبُتُ عِيدانًا فَيَكْتَهِلُ[5]

10 – وقال:

أَظَـلَّـهُ البَيْنُ حَتَّى إِنَّــهُ رَجُـلٌ ... لَوْمَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بالْبَيْنِ ما عَلِمَا[6]

---

(1) الجفير – بفتح الجيم – جعبة من جلود لا خشب فيها، أو جعبة من خشب لا جلود فيها، يريد أن مكان سيفي وغمده الذي أضعه فيه هو البطل النجيد.

(2) الديوان (280) وكان في المطبوعات «يتجنب الأيام» والتصحيح عن الديوان.

(3) هو مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان 229) وكان في المطبوعات «ما تحاول» والتصحيح عن الديوان وقد سقط من جميع الأصول البيت الذي يقال إنه أخذ هذا منه.

(4) هو من قصيدة يمدح فيها سليمان بن وهب (الديوان 36) وفيه «لا تذيلن صغير همك» وهي أصح، وفيه أيضا «كم بذي الأثل» وتذيل: تحتقر، والدوحة : الشجرة العظيمة، و «من قضيب» يعني به أنها نشأت منه، والمراد لاتحتقر الأمور الصغيرة فإنها تعود عظيمه كبيرة. ومعظم النار من مستصغر الشرر.

(5) اكتهل النبت: تناهى وعظم، ونبت كهل ومكتهل.

(6) من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 302) وقبل البيت قوله:

نــأوا فظلت لـوشـك البين مقلته ... تندى نجيعا ويـنـدى جسمه سقما

أَخذه من قول أبي الشِّيصِ:

وَكَــمْ مِــنْ مَيْتَةٍ قَـدْ مُـتُّ فِيهِ ... وَلكِنْ كــانَ ذاكَ وَماشَعَرْتُ

11 - وقال في وصف الرماح:

كأَنَّهَا - وَهْيَ في الأَكْبادِ وَالِغَةٌ ... وَفي الْكُلَى - تَجْدُ الْغَيْظ الذِي تَجِدُ[1]

أخذه من قول النَّمرِيِّ:

وَمُصْلَتاتٍ كــأَنَّ حِقْدًا ... مِنْهَا عَلَى الْهَامِ وَالرِّقابِ

12 - وقال:

إذا ما أَغارُوا فاحَتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ ... أغارَتْ عَلَيْهِمْ فاحْتَوَتْه الصَّنائعُ[2]

أَخذه من قول الآخر:

إذا أَسْلَفَتْهُنَّ المَلاحِمُ مَغْنَمًا ... دَعاهُنَّ مِنْ كَسْبِ الْمَكارِمِ مَغْرَمُ

13 - وقال:

وَرَكْبٍ كأَطْرَافِ الأسِنَّةِ عَرَّسُوا ... عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تسْطُو غَيَاهبُهْ

وقد ذكرتُ أخذ هذا المعنى فيما تقدم من كُثَير[3]

14 - وقال:

تُوُفِّيَتِ الآمــالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... فأَصْبَحَ مَشْغُولًا عنِ السَّفَرِ السَّفْرُ

أخذه من قول عصام الجرجاني[4]:

أَلا في سَبيل اللهِ آمالُكَ الَّتِي ... تُوُفِّينَ لَمَّا اغْتَالَكَ الْحَدَثَانُ

---

(1) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 99) وفيه «كأنها وهي في الأوداج» والأوداج: جمع ودج، وهو عرق في العنق، ووالغة: شاربة، والكلى: جمع كلوة أو كلية.

(2) من قصيدته التي يمدح فيها قومه ويفتخر بهم (الديوان 480) وكان في الأصول «أغار عليهم» وما أثبتناه عن الديوان. والصنائع: جمع صنيعة.

(3) ارجع إلى (ص 21 و 48) من هذا الكتاب.

(4) كذا في جميع الأصول، ولعله «عصام الزماني» وهو عصام بن عبيد، أحد بني زمان بن مالك، شاعر أموي، وكان يناقض يحيى بن أبي حفصة مولى مروان بن الحكم.

وقد تقدم ذكر هذا وأنه أخذه من موضع آخر[1]

15 - وقال:

* تَـعْـلِـيـفُـهَـا الإِسْــــرَاجُ وَالإِلْــجَـــامُ[2]

أخذه من قول جرير:

حَرَاجِيجُ يُعْلَفْنَ الذَّمِيلَ كأَنَّهَا   معاطف ظبي أو حنِيُّ الشَّرَا جِعِ[3]

16 - وقال:

ذاكَ الَّذِي كانَ لَوْ أَنَّ الأنامَ لَهُ   نَسْلٌ لَما عَابَهُمْ جُبْنٌ وَلا بَخَلُ[4]

أخذه من قول أبي الشميط: (؟)

لَوْ كانَ جَدُّكُم شريكٌ وَالِـدًا   لِلنَّاسِ لَم تَلِدِ النِّسَاءُ بَخِيلا

17 - وقال:

حَمْراء مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا   بَيْضَاءَ مِنْ حَلَب الْغَمامِ الرَّقْرَقِ[5]

أخذه من قول مسلم:

صَفْرَاءُ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا   بَيْضَاءَ مِنْ حَلَبِ الْغُيُومِ البُجَّسِ

18 - وقال: أخذ قوله:

---

(1) انظر (ص 61 من هذا الكتاب).

(2) عجز بيت، وصدره قوله:

* بـسـواهـم لـحـق الأيـاطـل شـزب *

والسواهم: الضوامر، والأياطل: الخواصر، والشزب: المضمرة، وهو من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان 281) وفيه «تعليقها الأسراج» وما هنا هو الصواب.

(3) الحراجيج: جمع حرجوج وهو الناقة الطويلة، والذميل: السير اللين ما كان فوق العنق. والحنى: الجوانب. والشراجع: جمع شرجع، وهو سرير الموتى، تشبه به الناقة.

(4) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان 228) وفيه «لما راضهم» وراضهم: ذللهم، وما هنا أنسب وأوضح.

(5) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع.

*** بَياضُ الْعَطايا في سَــوَادِ المَطَالِبِ***[1]

من قول الأخطل:

رَأيْــنَ بَيَاضًا في سَــوَادٍ كَأَنَّهُ   بَيَاضُ الْعَطايا في سَوادِ المَطالِبِ

19 – وأخذ قوله:

نَاجَيْتُ ذِكْرَكَ وَالظَّلْماءُ عاكِفَةٌ   فكانَ ياسَيِّدِي أَحْلى مِنَ الشَّهدِ[2]

من قول ابن أبي أمية:

كَـمْ لَيْلَةٍ نَادَمَنِي ذِكْــرُهُ   يُسْعِدُنِي المثلث والزير

20 – وأخذ قوله:

*** وَالْـعَـيْـشُ غَـضٌّ وَالـزَّمـانُ غُــلامُ**[3]

من قول الأخطل:

سَعَيْتَ شَبَابَ الدهرِ لَمْ تَسْتَطِعْهُمُ   أَفالْآنَ لمَّا أَصْبَحَ الدَّهْرُ فانِيًا؟

21 – وأخذ قوله:

ذَاكَ الَّذِى أحْصَى الشُّهُورَ وَعَدَّهَا   طمَعًا لِيَنْتِجَ سَقْبَةً مِنْ حَائِلِ[4]

من قول أعرابي:

إِنَّــا وَجَــدْنَـا طـرد الهوامل   خيرا من التاتان والمسائل (؟)

---

(1) هو عجز بيت، وصدره قوله:

*** وأحـــســن مــن نـــور تـفـتـحـه الــصـبـا ***

والبيت من قصيدة يمدح فيها أبادلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 42) والنور: زهر النبت، والصبا: الريح.

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع.

(3) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

*** ولــقــد أراك فــهــل أراك بـغـبـطـة ***

(الديوان 279) وكان في المطبوعات «والظلام غلام» وهو تحريف تصويبه عن الديوان.

(4) هذا بيت من أبيات له يقولها في هجاء موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 502) والسقبة – بفتح فسكون – الأنثى من أولاد الناقة ساعة تولد. وقد اختلف علماء اللغة في جواز إطلاق هذا اللفظ بالتاء على الأنثى. والحائل: الناقة التي حمل عليها فلم تلقح، وتجمع على حيال. والمراد أنه يطلب المستحيل.

وعــدة الــعــام وعــام قابل ملقوحة في بطن نـاب حائل

22 – وأخذ قوله:

يعْلُون حَتَّى ما يَشُكُّ عَدُوُّهُمْ أَنَّ المَنايا الْحُمْرَ حَيٌّ مِنْهُمُ[1]

من قول مسلم بن الوليد:

لَـوْ أنَّ قَـوْمًـا يَخْلُقُون مَنِيَّةً مِنْ بأسِهِمْ كانُوا بَني جِبْرِيلا

23 – وأخذ قوله:

لَـوْ كـانَ في الدُّنْيَا قَبيلٌ آخَرٌ بازائِهِمْ ما كانَ فِيهَا مُعْدِمُ[2]

من قول بشار:

لَـــوْ كـــانَ مِـثْـلــكَ آخَــرٌ ما كــانَ في الدُّنيَا فَقيرْ

24 – وقال في قوله:

ذُقْنَا الصُّدودَ فلَمَّا اقْتادَ أَرْسُنَنا حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنا الرَّحِمُ[3]

من قول الأسود بن يعفر:

سمَا بَصَري لمَّا عَرَفْتُ مَكانَهُ وَأَطَّتْ إِلِيَّ الْواشِجَاتُ أَطِيطا[4]

25 – وأخذ قوله:

صَفْرَاءُ صُفْرَةَ صِحَّةٍ قَدْ رَكَّبَتْ جُثْمَانَهُ في ثَوْبِ سُقْمٍ أَصْفَرِ[5]

من قول علي بن رزين الكوفي:

* بَـيْـضَـاءُ رُعْـبُـوبَـةٌ صَـفْـرَاءُ مِـنْ غِـيَـرٍ*

(1) من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبي (الديوان 285).

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوانه.

(3) من أبيات له في العتاب (الديوان 410) والعجول –بفتح العين– الثكلى، أو الواله من النساء والإبل، قيل لها ذلك لعجلتها في حركتها جزعا.

(4) تقول: أطت الإبل أطيطا؛ إذا أنَّت من التعب أو الحنين، والواشجات: جمع واشجة، وهي الرحم المشتبكة، وتقول: وشجت بك قرابته تشج – مثل وعد يعد – ووشجها الله تعالى توشيجا.

(5) من قصيدة يعاتب فيها عباس بن لهيعة (الديوان 396) وقبله:

أمـا الــذي فــي جسمه فسل التي هـجـرتـه وهـو مـواصـل لـم يهجر

26 – وقال في قوله:

*** لَمْ تَكْمَدِي فَظَنَنْتَ أَنْ لَمْ تَكْمَدِي*** [1]

من قولهم:

لاتُنْكِري جَـزَعَ المُحِبِّ فإنَّهُ يَطْوِي عَلَى الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حَشَاكِ

27 – وقال في قوله:

سقَى الغَيْثُ غَيْثًا وَارَتِ الأَرْضُ شَخْصَهُ
وَإِنْ لَم يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلا قَطْرُ [2]

من قول عقيق بن سليك العامري[3]:

*** سَـقَـاكَ الْـغـيْـثُ إِنَّـكَ كُـنْـتَ غَـيْـثًـا[4] ***

28 – وقال في قوله:

أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحادِثَاتِ مُحَمَّدًا يكُونُ لِأَثْوَابِ الْعُلى أَبَدًا نَشْرُ [5]

---

(1) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

*** كـشـف الـغـطـاء فـأوقـدي أو أخْـمـدي ***

وهذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم (الديوان 111) «وأوقدي أو أخمدي معناه اعذليه إن شئت فأججي نيران غرامه أو اتركي عذله فتنطفئ لوعته، ومعنى «لم تكمدي» لم تحزني على حبيب ظعن أو هجر «فظننت» فشككت وتوهمت أن ما يظهره المحبون من الحزن والألم غير صحيح، «أن» هو بفتح الهمزة على أن لام التعليل مقدرة قبله، أي: أن علة شكك في ما يظهره المحبون هو أنك لم تذوقي حرقة الهوى ولا احترقت بنيرانه، هذا ما يظهر لي في هذا البيت، ونظيره في المعنى قول أبي تمام نفسه:

بـرح الـخـفـاء فـأجـجـي نـار الـمـلام وأخـمـديـهـا
لـم تـعـشـقـي فـعـذلـتـنـي لـو ذقـتـه لـم تـوقـديـهـا

(2) من قصيدته في رثاء بني حميد الطوسي (الديوان 370).

(3) كذا في أصول هذا الكتاب. وقائل هذا البيت هو «عدي بن ربيعة التغلبي» وهو المهلهل أخو كليب وائل، فلعل ما في الأصل محرف عن هذا.

(4) هذا صدر بيت، وعجزه قوله:

*** ويـســرا حـيـن يـلـتـمـس الـسـيـار***

والبيت من مرثية للمهلهل في أخيه كليب يقول فيها:

أجـبـنـي يـا كـلـيـب خـلاك ذم لـقـد فـجـعـت بـفـارسـهـا نـزار

(5) الديوان (369) وفيه «يكون لأثواب الندى».

من قول أبي نواس:

طَوَى المَوْتُ ما بَيْني وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ　　　وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي المَنِيَّةُ نَاشِرُ

29 - وقوله أيضًا:

* وَمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لايُشْفِقُ[1] *

من قول المخبَّل أيضًا:

وَلا يَعْدَمُ الْغَاوِي على الْغَيِّ لائِمًا　　　وَإِنْ هُوَ لَمْ يُشْفِقْ عَلَيْهِ يَلُومُ

30 - وأخذ قوله:

مَنْ شَرَّدَ الإِعْدَامَ عَنْ أَوْطَانِهِ　　　بالْبَذلِ حتَّى اسْتُطْرِفَ الإِعْدَامُ[2]

من قول الأعشى:

هُمْ يَطْرُدُونَ الفَقْرَ عَنْ جَارِهِمْ　　　حَتَّى يُرَى كالْغُصْنِ النَّاضِرِ

وفي قول أبي تمام زيادةٌ حسنة، وهي قوله «حتى استطرف الإعدام»

31 - وأخذ قوله:

حَلَفْتَ، إِنْ لَمْ تَثَبَّتْ، أَنَّ حَافِرَهُ　　　مِنْ صَخْرِ تَدْمُرَ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانِ[3]

من قول الآخر:

(1) هذا عجز بيت من كلمة يهجو فيها عتبة بن أبي عاصم، وهو مع صدره برواية الديوان (499) هكذا:

عمري لقد نصح الزمان وإنه　　　لمن العجائب ناصح لا يشفق

(2) من قصيدة يمدح فيها المأمون (الديوان 280) والإعدام: الفقر، وتقول: أعدم فلان، وهو معدم، ومعناه أنه لا يجد شيئا. والبذل: العطاء، واستطرف -بالبناء للمجهول- أي عده الناس طريفا، والطريف: الجديد.

(3) هذا رابع أربعة أبيات يهجو فيها عثمان بن إدريس السامي، ولم تذكر في الديوان المطبوع في بيروت، ونشرت في نسخة الديوان المطبوع بمصر (طبع المطبعة الوهبية 1292) من الهجرة) وهاك هذه الأبيات الأربعة:

وسابح هطل التعداء هتان　　　على الجراء أمون غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه　　　فخل عينيك في ظمآن ريان
فلو تراه مشيحا والحصى قلق　　　تحت السنابك من مثنى ووحدان
حلفت - إن لم تثبت - أن حافره　　　من صخر تدمر أو من وجه عثمان

لَوْ كانَ حافِرُ بِرْذَوْني كأَوْجُهِكُمْ   بَني بديلٍ لمَا أنْعَلْتُهُ أبـدَا

****

ومما نسبه فيه ابن أبي طاهر إلى السَّرَق ما ليس بمسروق؛ لأنه مما يشترك فيه الناسُ من المعاني والجرى على ألسنتهم، ومنه ما نسبه إلى السَّرَق، والمعنيان مختلفان.

32 - [فمن الأول][1] قول أبي تمام:

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ الْجُودِ مُذْ زَمَنٍ   فَقَالَ لي لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ[2]

وقال: أخذه من [قول[3]] العتَّابي:

رَدَّتْ صَنائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ   فَكَأَنَهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

ومثل هذا لا يقال له مسروق؛ لأنه قد جَرَى في عادات الناس - إذا مات الرجل من أهل الخير والفضل، وأُثني عليه بالجميل - أن يقولوا: ما مات مَنْ خلَّف مثل هذا الثناء، ولا من ذُكرِ بهذا الذكر. وذلك شائع في كل أمة، وفي كل لسان.

33 - وقال أبو تمام:

إذا عُنِيتُ بِشَيْءٍ خِلْتُ أَنِّيَ قَدْ   أَدْرَكْتُهُ أَدْرَكَتْني حِرْفَةُ الأَدَبِ[4]

وقال: أخذه من [قول] الْخُرَيْميّ:

أَدْرَكَتْني بذاك أول دائي   بِسِجِسْتَانَ حِرْفَةُ الآدَابِ

و«حرفة الآداب» لفظة قد اشترك الناس فيها، وكثرت على الأفواه، حتى قد سقط أن واحدًا يستملها من آخر، هذا قول ابن أبي طاهر. ولم يقل أبو تمام «أدركتنى حرفة

---

(1) زيادة لا بد منها لتصحيح السياق.

(2) البيت سادس ستة أبيات يقولها في رثاء محمد بن حميد (الديوان 387) وقبله قوله:

فقلت، والدمع من حـزن ومـن فرح   يجري، وقد خدد الخدين منسجمه

(3) زيادة لا بد منها لتصحيح السياق.

(4) من قصيدة له في الفخر (الديوان 471) وفيه «إذا عنيت بشأو» وعنيت - بالبناء للمجهول - اهتممت. والشأو: الغاية التي يقصدها. ويراد بحرفة الأدب الفقر.

الأدب» إنما قال «أدركتني حرفة العرب» وقد ذكرتُ غلطه في هذه اللفظة عند ذكر البيت في الموازنة.

34 - وقال في قوله:

لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ في النَّدَى مِنْ لَـذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ[1]

أخذه من [قول] بشار:

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجاءِ وَلَا الخَوْ فِ وَلكِن يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطاءِ

وما إخاله احْتَذَى في هذا البيت على قول بشار؛ لأن بشارا قال: ليس يعطيك رغبة في جزاء يرجوه ولا خوفا من مكروه، ولكن لالتذاذه العطيةَ، وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه الندى لم يحمدوه، والمعنيان إنما اتفقا في طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط، وهذا ليس من بديع المعاني التي يختص بها شاعر فيقال: إن واحدًا أخذه من الآخر؛ لأن العادة جارية بأن يقال: فلان لا يعطي متكارها ولا متكلِّفًا، بل يُعطي عن نية صادقة، ومحبة لبذل المعروف تامة، ونحو هذا من القول.

35 - وقال في قوله:

* لَـوْ كـانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحَميِّ في فَـحَـمٍ[2]

من قول الأغلب:

قَدْ قاتَلُوا لوْ يَنْفُخُونَ في فَحَمْ ما جَبُنُوا وَلا تَـوَلَّـوْا منْ أَمَـمْ

(1) البيت من قصيدة يقال إنه مدح بها المأمون، والأولى أنه مدح بها المعتصم (الديوان 113 بيروت) والرواية التي ذكرها المؤلف هنا هي رواية الديوان المطبوع في مصر (ص 57) وعليها يتعين أن يكون قوله «لم تحمد» من الحمد الذي هو الثناء، ويكون «لم تحمد» جواب لو في أول البيت، وفي نسخة الديوان «لم تخمد» بالخاء المعجمة على أن هذه الجملة صفة لقريحة. وفي نسخة ثالثة من الديوان (ص 264 طبع بيروت 1928).

لم يعلم العافون كم لك في الندى من لـذة وقريحـة لـم تخمد

(2) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

* لـم يـألـكـم مـالـك صـفـحـا ومـغـفـرة *

والبيت من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان 269).

وهذا معنى شائع من معاني العرب، وجارٍ في الأمثال أن يقولوا: قد فعلْتَ كذا، واجتهدت في كذا لو كنت تنفخ في فحم؛ لأن النفخ في الفحم يُحيى النار وَيُشْعلها، والنفخ في حطب ليس بفحم إذا أخذت النار فيه لا يُورِي نارًا.

36 - وقال في قوله[1]:

*** وَالمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَؤُولِ ***

من قول محمود:

وَارْغَبْ إلى مَلِكِ المُلوكِ وَلا تكُنْ ... بادِي الضَّرَاعة طَالِبًا مِنْ طالِبِ

ومثل هذا لا يكون مسروقا؛ لأنه جار على الألسن أن يقال: وقع سائل على سائل، ومجتهد على مجتهد، ووقع البائس على الفقير، وأمثال هذا.

37 - وقال في قوله[2]:

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ ... آلِفٌ لِلحَضيضِ فَهْوَ حَضيضُ

من قول أعرابي:

هِمَّتُهُ قَدْ عَلَتْ وَقدْرَتُهُ ... في اللَّحْدِ بَيْنَ الثَّرَى مَعَ الكَفَنِ

وهذا أيضًا من المعاني المشتركة الجارية في العادة أن يقولوا: همته في عَلاء وجده في سفال، وهمته ناطقة وجده أخرس، وهمة ذات حِرَاك وجد ساكن، وهمة فلان ترفعه وجَدُّه يضَعه، وما أشبه هذا.

---

(1) لم أجد هذا المصراع في ديوانه، ولكن له من قصيدة يهجو فيها موسى بن إبراهيم الرافقي بيتا في هذا المعنى، وهو قوله:

ما خلفت حواء أحمق لحية ... من سائل يرجو الغنى من سائل

الديوان (502) ومحمود الذي يقال إنه أخذ معناه منه هو محمود بن الحسن الوراق، وهو معاصر لأبي تمام، توفي في أيام المعتصم، وأكثر شعره في المواعظ

(2) من أبيات يتحدث فيها عن نفسه أثناء قصيدة يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 181) وقبل هذا البيت قوله:

أتأرتنى الأيام بالنظر الشز ... ر وكانت وطرفها لي غضيض

كيف يمسي برأس علياء مضح ... وجناح السمو منه مهيض

وانظر الصناعتين (170).

38 – وقال في قوله[1]:

تُقَبِّلُ الرُّكْنَ رُكْنَ الْبَيْتِ نَافِلَةً　　　وَظَهْرُ كفِّكَ مَعْمُورٌ مِنَ القُبَلِ

من قول عبد الله بن طاهر:

أَعْلَتْ لَهُ ذِكْرَهُ مُكافأةً　　　بأَنْ تَوَالَى في ظَهْرِهَا الْقُبَلُ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر قُبَل الكف. وهذا ليس من المعاني المبتدعَة؛ لأن الناس أبدًا يقولون: ما خُلق وجههُ إلا للتحية وكفه إلا للقبل، كما قال دِعْبِل[2]:

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى　　　وَظَاهِرُهَا لِلْقُبَلْ

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرًا فلا يكون عندي مسروقا.

39 – وقال في قوله[3]:

نَظَرَتْ فَالْتَفَتُّ مِنْهَا إِلى أَحْـ　　　ـلَى سَوَادٍ رَأَيْتُه في بَيَاضِ

من قول كُثَير:

وَعَنْ نَجْلاءَ تَدْمَعُ في بَيَاضٍ　　　إِذا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ في سَوَادِ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذِكر البياض والسواد، والألفاظ غير محظورة، وأبو تمام إنما قال: «فالتفت منها إلى أحلى سواد» يعني حدقتها «في بياض» يعني شحمة عينها، وهذا هو الصحيح، وقدقيل: سواد عينها في بياض وجهها، وكُثَير أراد أن عينها تدمع في بياض إذا دمعت، يريد خدها، وتنظر في سواد، يعني حدقتها. وهذا المعنى غير ذاك.

(1) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري، ويذكر حجه (الديوان 251).

(2) نسب أبو هلال هذا البيت إلى إبراهيم بن العباس من أبيات يقولها في الفضل بن سهل، وقبل هذا البيت قوله:

لفضل بن سهل يد　　　تقاصر عنها المثل

فبسطتها للغنى　　　وسطوتها للأجل

انظر الصناعتين (168 و 169).

(3) من غزل قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 187).

40 – وقال في قوله[1]:

كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَوْلا ما أُخَفِّفُهَا ... بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لم تُحْمَل وَلمْ تُطَقْ
باللَّهِ أَدْفَـعُ عَنِّي ثِقْلَ فادِحِهَا ... فإِنَّني خَائِفٌ مِنْها عَلَى عُنُقي

من قول أبي نُوَاس. والمعنيان مختلفان؛ لأن أبا نواس قال:

لاتُسْدِيَنَّ إليَّ عارِفَةً ... حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ ما سَلَفَا[2]
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعمًا ... أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا

فذكر أن نِعَم الممدوح قد غلبت الشكر، فاستعفاه من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة، وأبو تمام قال: لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها، ثم أحسن وألطف في قوله: «فإنني خائف منها على عنقي» ومعنى أبي نواس أجود وأبرع.

41 – وقال في قوله[3]:

أَعْمِلِ النَّتْفَ وَالطِّلا وَقَدِيمًا ... كانَ صَعْبًا أَنْ تُشْعَبَ الْقَارُورَهْ

من قول الأعشى:

كَصَدْعِ الزُّجاجَةِ ما تَسْتَطِيـ ... ـعُ كَفُّ الصَّنَاعِ لَها أَنْ تَحِيرَا

قلت: ووقع في شعر الأعشى أيضًا قوله:

فَبَانَتْ وَفِي الصَّدْرِ صَدعٌ لها ... كَصَدْعِ الزُّجاجَةِ لا يَلْتَئِمْ

وهذا معنى متداول مشهور مبذول من معانيهم في الزجاج، قد نطق به الناس، وأكثروا فيه حتى سقط أن يقال: إن أبا تمام أخذه من الأعشى، وقد تقدم فيه المسيَّب ابن عَلَس فقال:

بانتْ وَصَدْعُ الْقَلْبِ كانَ لها ... صَدْعَ الزُّجاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ

وقال آخر:

(1) آخر ستة أبيات يقولها في مدح إسحاق بن أبي ربعي (الديوان 209) وفيه «يامنة لك لولا».

(2) انظر الصناعتين (162).

(3) هو ثالث خمسة أبيات يقولها في هجاء كاتب ديوان اسمه عبدون، ويوجد في الديوان (ص 187 طبع مصر عام 1292 هـ) وفيه «إذ تشعب» .

وَتَفرَّقَتْ نِيَّاتُهُمْ فَتَصَدَّعُوا صَـدْعَ الزُّجاجَةِ ما لهَا تِيفَاقُ

ومثله كثير.

42 – وقال في قوله:

إذا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حاكمًا غداالْعَفْوُمِنْهُوَهْوَفي السَّيْفِ حاكمُ[1]

من قول مسلم بن الوليد:

يَعْدُو عَـدُوُّك خائِفًا فـإذا رَأَى أنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجا كا

والمعنيان مختلفان؛ لأن أبا تمام قال: إذا حكم سيفُ الممدوح على الهام حكم عفوُه على السيف، ومسلم قال: إن عدوَّ الممدوح يخافه فإذا رأى أنْ قد قدر على العقاب رجاه؛ فليس هذا المعنى من ذلك في شيء.

43 – وقال في قوله:

فإن هَزِئْتُم سَللْنَاهَا وَقَدْ غَنِيَتْ دَهْرًا وَهَامُ بَني بَكْرٍ لها غُمُد[2]

من قول سعد بن ناشب:

فَــإِنَّ أَسْيَافَنا بِيضٌ مُهَنَّدَةٌ عُتُقٌ وَآثَارُها في هَامِهِمْ جُدُدُ

والمعنيان مختلفان؛ لأن أبا تمام قال «وهام بني بكر لها غمد» وهذا قال: «وآثارها في هامهم جدد» فهذا غير ذلك.

44 – وقال في قوله:

فَلَوْ كانتِ الأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَى
هَلَكْنَ إِذًا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ[3]

من قول أبي العتاهية:

---

(1) من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 287).

(2) لا يوجد هذا البيت في إحدى نسخ الديوان.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 286) وفيه «ولو كانت الأقسام» والحجى – بكسر الحاء المهملة – العقل. وقبل البيت قوله:

ينال الفتى من عيشه وهـو جاهل ويكدي الفتى في دهـره وهـو عالم

إِنَّمَا النَّاسُ كالبَهَائِمِ في الرِّزْ قِ سَـوَاءٌ جَهُولُهُمْ وَالْحَلِيمُ

وبين المعنيين خلاف؛ فإن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأتيها جاهلةً كانت أو عالمةً كما يأتي البهائم، وهذا قائم في الفطرة والعقول؛ فتتفق الخواطر في مثله. وأبو تمام قال: إن الرزق لو جرى على قَدْر العقل لهلكت البهائم، وهذه زيادة في المعنى حسنة، وإن كان إلى مذهب أبي العتاهية يؤول.

45 – وقال في قوله:

وَأَشْجَيتُ أَيَّامِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لي عَوَاقِبُهُ وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرُ[1]

من قول أبي الشيص:

يُصَبِّرِني قَـوْمٌ بَـرَاءٌ مِنَ الهَوَى وَلَلصَّبْرُ تَارَاتٍ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

فقول الناس: الصبر مر، والصبر كاسمه صبر، وقولهم: الصبر محمود العاقبة، وإن كان مُرًّا؛ لا يكون مسروقا فيقال: إن واحدًا أخذه من آخر، وقول أبي الشيص: إن للصبر تارات يكون فيها أمرَّ من الصبر، أي: له تارات يكون فيها شديدَ المرارة، وقول أبي تمام: أشجيت أيامي بصبر حلت لي عواقبه، ثم قال: والصبر مر عواقبه، يريد في الحلق لو جرعتهُ لكان مقطعه شديدَ المرارة؛ وإنما قال هذا ليجتمع له في البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه، هذا تفسيره على ماروواه ابن أبي طاهر، ولم يقل أبو تمام: والصبر مر عواقبه، وإنما قال: والصبر مثل اسمه صبر.

46 – وقال في قوله:

لِئِنْ ذَمَّتِ الأَعْدَاءُ سُوءَ صَبَاحِهَا فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ[2]

من قول مسلم:

لَوْ حاكَمَتْكَ فَطَالَبَتْكَ بِذَحْلِهَا شَهِدَتْ عَلَيْكَ ثَعَالِبٌ وَنُسُورُ

---

(1) من قصيدة له في الفخر (الديوان 475) وكان في الأصول «والصبر عند اسمه صبر» وما أثبتناه عن الديوان. وأشجيت: أحزنت.

(2) من قصيدة له في الفخر (الديوان 477) وفيه «فإن ذمت».

وذِكْرُ وقوعِ الذئاب وغيرها والنسور وماسواها من الطير على القَتْلَى مَعْنًى متداول ومعروف، وهو في بيت أبي تمام غيره في بيت مسلم؛ لأن مسلمًا قال لممدوحه: إن حاكمتك - يريد الفِرْقة والعُصَب التي لقيتْكَ - في مطالبتك [بثأر] مَنْ قتلتَ منها لشهدَتْ عليك الثعالب والنسور، وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء: لئن ذمت الأعداءُ سوءَ صباحها فليس يؤدي الذئب والنسر شكرها؛ لكثرة ما أكلا منها، وهذا المعنى غير ذاك، والله أعلم.

تم الجزء الأول من الموازنة
على ما جزأه مؤلفه والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشِر بنِ يَحيى الآمِديُّ عفا الله عنه:

قد ذكرتُ في الجزء الأول احتجاجَ كل فرقة من أصحاب أبي تمام حبيب بن أوسٍ الطائي وأبي عُبَادة الوليدِ بن عُبَيْد الله البُحْتُري على الأخرى في تفضيل أحدهما على الآخر، وقلت: إني أبتدئ - بعد هذا الباب - بذكر معايبهما؛ لأختم الكتابَ بوصف محاسنهما؛ فأتبعت ذلك بما خرَّجْته من سَرِقات أبي تمام وبَيَّضت آخر الجزء لأُلحق به ما وَجدْته منها في دواوين الشعراء فعلَّمت عليه، وما أجده بعد ذلك؛ فإنه كثير السرقة.

وقد سمعت أبا علي محمدَ بن العلاء السجستاني يقول: إنه ليس له معنًى انفرد [به] فاخترَعَه إلا ثلاثة معان، وهي قوله[1]:

تأبى عَلَى التَّصْريدِ إلا نَائِلا ... إلا يَكُنْ ماءً قَرَاحًا يمذَقِ[2]

نَزْرًا كما اسْتَكْرَهْتَ عائِرَ نَفْحَةٍ ... مِنْ فأرَةِ الْمِسْكِ الَّتي لَم تُفْتَقِ[3]

وقوله:[4]

بَني مالِكٍ قَدْ نَبَّهَتْ خامِلَ الثَّرَى ... قُبُورٌ لكمْ مُسْتَشْرِفاتُ المعَالِمِ[5]

رَوَاكِدُ قِيسَ الْكَفِّ مِنْ مُتَنَاوِلٍ ... وَفِيها عُلًى لا تُرْتَقى بالسَّلالِمِ[6]

(1) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب، ويصف فرسا له (الديوان 211).

(2) تأبى: تمتنع. والتصريد: التقليل. والنائل: العطاء. والقراح: الخالص غير المشوب. ويمذق: يخلط ويمزج.

(3) النزر: القليل. وفأرة المسك: وعاؤه. وتفتق: تفوح رائحتها.

(4) من قصيدة له يرثي فيها هشام بن عبد الله بن مالك الخزاعي (الديوان 386)

(5) الخامل: الذي لا ذكر له. والثرى: التراب، ومستشرفات: عالية، والمعالم: الآثار.

(6) الرواكد: جمع راكد، والمراد به الثابت، و «قيس الكف» أي قدر الكف، وفي الديوان «قيد الشبر».

وقوله[1]:

وَإذا أَرَادَ اللّهُ نَشْرَ فَضِيلةٍ طُوِيَتْ أَتَـاحَ لهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلا اشْتِعَالُ النَّارِ فيما جاوَرَتْ ما كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو علي، بل أرى أن له – على كثرة مآخذه من أشعار الناس ومعانيهم – مخترعاتٍ كثيرةً، وبدائع مشهورة، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه إن شاء الله تعالى.

ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يَجْعلون السرقاتِ من كبير عيوبه؛ لأنه باب ما يَعْرَى منه أحد[2] من الشعراء إلا القليل، بل الذي وجدتهم يَنْعَوْنه عليه[3] كثرة غلطِه وإحالته وأغاليطه في المعاني والألفاظ.

وتأملت الأسباب التي أدَّته إلى ذلك فإذا هي ما رواه أبو عبد الله محمدُ بن داود ابن الجرَّاح في كتاب الورقة عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن عبد الله ابن المعتزّ بالله في كتابه الذي ذكر فيه البديع، وكذلك مارواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه أن أول من أفسد الشعر مُسْلم بن الوليد، وأن أبا تمام تبعه فسلك في البديع مذهَبَه فتحير فيه، كأنهم يريدون إسرافَه في طلب الطباق والتجنيس والاستعارات، وإسرافه في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها، حتى صار كثيرٌ مما أتى من المعاني لا يعْرَف ولا يعلم غرضه فيها إلا مع الكَدِّ والفكر وطول التأمل، ومنه مالا يُعرف معناه إلا بالظن والحدْسِ، ولو كان أخَذَ عفْوَ هذه الأشياء، ولم يُوغل فيها، ولم يجاذب الألفاظ والمعاني مجاذَبة ويَقْتَسِرها مُكارَهة، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجَمامه غير مُتْعَب ولا مكدود، وأورد من الاستعارات ما قرُب في حسن، ولم يُفْحش، واقتصر من القول على ما كان محذُوًّا حَذْوَ الشعراء

(1) في قصيدة له يمدح فيها أبا عبد اللّه أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه، ويستشفع له في ذلك بخالد بن يزيد (الديوان 85) والنشر: الظهور، والطي الاستتار، وأصلهما طي الثوب ونشره. وأتاح لها: قدر وهيأ أسبابها. والعود: ضرب من الخشب له رائحة طيبة، وعرفه – بفتح فسكون – رائحته.

(2) أي: لا يخلو منه أحد.

(3) «ينعونه عليه» مأخوذ من قولهم: فلان ينعي على فلان ذنوبه، إذا كان يظهرها ويشهرها.

المحسنين؛ ليسلم من هذه الأشياء التي تُهَجِّن الشعر وتُذْهب ماءه ورونقه، ولعل ذلك أن يكون ثلثَ شعره أو أكثر منه - لظننته كان يتقدَّم عند أهل العلم بالشعر أكثَرَ الشعراء المتأخرين، وكان قليله حينئذٍ يقوم مقامَ كثير غيره؛ لما فيه من لطيف المعاني ومستغرَب الألفاظ، لكن شَرِهَ إلى إيراد كل ما جاش به خاطره ولجلجهُ فكره فخَلط الجيدَ بالرديء، والعينَ النادر بالرَّذْل الساقط، والصوابَ بالخطأ. وأفرط المتعصبون له في تفضيله، وقدَّموه على من هو فوقه من أجل جيده، وسامحوه في رديئه، وتجاوزوا له عن خطائه، وتأولوا له التأول البعيد فيه، وقابل المنحرفون عنه إفراطًا [بإفراط] فبَخَسوه حقه، واطَّرحوا إحسانه، ونَعَوا سيئاته، وقدَّموا عليه مَنْ هو دونه. وتجاوز ذلك بعضُهم إلى القَدْح في الجيد من شعره، وطعن فيما لا يُطْعَن عليه، واحتجَّ بمالا تقوم حجة به، ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى ألَّف في ذلك كتابًا، وهو أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلي المعروف بالفريد، ثم ماعلمته وَضَع يده من غلطه وخطئه إلا على أبيات يسيرة، ولم يُقم على ذلك الحجة، ولم يهتد لشرح العلة، ولم يتجاوز فيما نَعاه بعدها عليه الأبياتَ التي تتضمن بُعدَ الاستعارة وهجين اللفظ، وقد بينت خطأه فيما أنكر من الصواب في جزء مفرد إن أحب القارئُ أن يجعله من جملة هذا الكتاب ويصله بأجزائه فعل ذلك إن شاء الله تعالى؛ فالذي تضمَّن يدخُل في محاسن أبي تمام التي ذكرتُ أنى أختم كتابي هذا بها بمحاسن البحتري.

وأنا الآن أذكر ما غَلِط فيه أبو تمام من المعاني والألفاظ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته، بعد أن أسقطت منه كلَّ ما احتَمَل التأويل، ودخل تحت المجاز، ولاحت له أدنى علة.

وأنا أبتدئ بالأبيات التي ذكرتُ أن أبا العباس أنكرها، ولم يُقِم الحجة على تبيين عيبها وإظهار الخطأ فيها، ثم أستقصي الاحتجاجَ في جميع ذلك؛ لعلمي بكثرة مَنْ لا يجوزه على الشاعر ويوقع له التأول البعيد ويورد الشبه والتمويه. وبالله أستعين، وهو حسبي ونعم الوكيل.

1 - أنكر أبو العباس أحمد بن عُبيد الله على أبي تمام قوله[1]:

هادِيهِ جِـذْعٌ مِنَ الأرَاكِ، وما تحت الصَّلا مِنْهُ صَخْرةٌ جَلْسُ[2]

قال: هذا من بعيدِ خطائه أن شبَّه عنقَ الفرس بالجِذْع، ثم قال «جذع من الأراك» ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعا؟ وتشبه بها أعناق الخيل!. وأخطأ أبو العباس في إنكاره على أبي تمام أنْ شبَّه عنقَ الفرس بالجذع، وذلك عادة العرب، وهو في أشعارها أكثر من أن يحصى، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبي تمام. وأصاب أبو العباس في إِنكاره أن تكون عيدانُ الأراك جذوعا، وإن لم يلخص المعنى؛ لأن عيدان الأراك لا تَغْلُظ حتى تصير كالجذوع، ولا تقاربها. فإِن قيل: إن الشجرة من الأراك قد تعظم حتى تصير دَوْحة يَسْتَظل بها الجماعة من الناس والسِّربُ من الوحوش، وذلك معروف موجود، وقد قال الراعي:

غذاه وحولي الثرى فوق متنه مدب الأتـى والأراك الدوائح

والدوائح: العِظام منه جمعُ دَوْحَة. قيل: إن الأمر وإن كان كذلك في بعض شجر الأراك من علوها وتشعب أغصانها، فإن قائم الشجرة وعيدانَها لا تغلظ ولا تمتلئ امتلاءً يقارب الجذوع ولا ما هو دونها في الغلظ، ولو انتهت إلى هذه الحالة - وذلك غير معلوم- لما قيل لها أيضًا جذوع؛ لأن الجذع إنما هو النخلة فقط، وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة، قال الراجز:

بِكُلِّ طِـرْفٍ أَعْـوَجِـيٍّ صَهَّالْ يمْشِي إذا ما قِيدَ مَشْيَ المُخْتَال

*** تـحـتَ هَــوَادٍ كَــجُـذُوع الأوْقَـــالْ ***

فقال: «كجذوع الأوقال» جمع وَقْلة وهي شجرة المقل؛ لأن فيها شبهًا من النخل من جهة الخوص والليف.

فإن قيل: فقد قال ذو الرمة:

(1) البيت من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 167).

(2) في الديوان «وما خلف الصلا» والهادي: العنق، والجذع: ساق الشجرة والأراك: ضرب من الشجر معروف يستاك بأغصانه. شبه عنق الفرس بساق أراكة. والصلا: وسط الظهر. والجلس: الغليظة.

وَهادٍ كَجِذْعِ السَّاجِ سَامٍ يَقُودُهُ   معرق أحناء الصَّبِيَّيْنِ أَشْدَقُ

قيل: ذو الرمة إنما قال ذلك على التشبيه؛ لأن العود من الساج يشبه الجذع المنحوت في غلظه وهيئته، وعودُ الأراك مِنْ أبعد شيء من ذلك؛ لأنه لا يمتد ولا يستوي استواء الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التي تمتد أبدانها علوا امتدادا مستويًا، وذلك لرقته وشدة التوائه وتشعبه.

2 - وأنكر أبو العباس قول أبي تمام(1):

رَقِيقُ حَواشي الْحِلْمِ لَوْأَنَّ حِلْمَهُ   بِكَفَّيْكَ ما مارَيْتَ في أَنَّهُ بُرْدُ(2)

وقال: هذا الذي أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت، ولم يزد على هذا شيئًا، والخطأ في هذا ظاهر؛ لأني ما علمت أحدا من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة، وإنما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة، ونحو ذلك.

كما قال النابغة:

وَأَعْظَمُ أَحْلامًا وَأكْبرُ سَيِّدًا   وأَفْضَلُ مَشْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِعَا

وكما قال الأخطل:

وَأَعْظَمُ أَحْلامًا وَأكْبرُ سَيِّدًا   وأَفْضَلُ مَشْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِعَا

وكما قال الأخطل:

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لهُمْ   وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلامًا إِذا قَدَرُوا

وكما قال أبو ذؤيب:

وَصَبْر عَلَى حَدَثِ النَّائِبَات   وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَقلْبٌ ذَكِيّ

وكما قال عدي بن الرقاع في مثل ذلك:

في شِدَّةِ الْعقْدِ وَالْحِلْمِ الرَّزين وَفى الْـ
ـقَوْلِ الثبيتِ إِذا ما اسْتُنْصِتَ الْكَلِمُ

(1) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 121).

(2) في الديوان «لو أن خلفه» وماريت: جادلت. والبرد: الثوب.

وقال أيضا:

أَبَــتْ لَــكُــمُ مَــوَاطِــنُ طَيِّبات   وَأَحْــلامٌ لَكمْ تَــزِنُ الْجِبَالا

وكما قال عدي أيضا:

الْجَامِعُ الْحِلَمِ الأَصِيلِ وَسُؤْدَدًا   غَمْرا يُقاسُ بِهِ وَحِكْمَةَ حازِمِ

وكما قال أيضًا:

قَــرْم لهُ مَع دِينِه وَتمَامه   حِلْمٌ إذا وُزِنَ الحلُومُ ثَقيلُ

وقال الفرزدق:

أحلامُنَا تَزِنُ الجِبالَ رَزَانةً   وَتَخالُنا جِنًّا إذا ما نَجْهلُ

وقال أيضا:

إنَّا لَتُوزَنُ بالْجِبالِ حُلومُنا   وَيَزيدُ جاهِلنا عَلَى الجُهَّالِ

وكما قال الآخر:

وَعَظيمُ الحِلْمِ لَوْ وَازَنْتَهُ   بِثَبِيرٍ أَوْ بِرَضْوَى لرَجَحْ

ومثل هذا كثير في أشعارهم، ألا ترى أنهم إذا ذمُّوا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون: خفيف الحلم، وقد خَفَّ حلمه. وقال عياض بن كثير الضبي:

قَبَائلُه سُودٌ خِفَافٌ حُلُومُهُمْ   ذَوُو نَيْرَبٍ في الحَيِّ يغْدُو و يطرق

وقال علقمة بن هبيرة الأسدي:

كَــأَنَّ جَــرَادةً صَــفْــرَاءَ طَــارَتْ   بِــأَحْــلام الغواضر أجْمَعِينَا

جعلها صفراءَ لأنها ذكر، وهي أسرع من الأنثى وأخفَ.

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات ووجدتهما في ديوانه، والصحيح أنهما لأبي العباس الأعمى:

بحُلُوم إذا الحُلُومُ اسْتُخِفَّتْ   وَوُجُــوهٍ مِثْلِ الدَّنَانيرِ مُلْسِ

وقال قيس بن عمير الكناني:

كمثل الحصى بكر ولكن خيانة   وغدر وَأَحْلامٌ خفِافٌ عَوَازِبُ

فهذه طريقة وصفهم الحلم، إنما مدحوه بالثقل والرزانة، وذمُّوه بالطَّيْش والخفة.

وأيضا فإن البُرْدَ لا يوصف بالرقة، وإنما يوصف بالمتانة والصفاقة. وأكثر ما يكون ألوانًا مختلفة، كما قال يزيد بن الطَّثْرِيَّة:

أَشَاقَتْكَ أَطْلالُ الدِّيارِ كَأَنما ... مَعارِفُها بالأَبْرَقَيْنِ بُرُودُ

والأبرق والبرقاء من الأرض: ما كان فيها حجارة ورمل؛ فقيل بَرْقاء لاختلاف الألوان فيها، ومن ذلك الحبلُ الأبرق الذي فُتل من قُوًى مختلفة الألوان؛ فلذلك شبه الشاعر معارفَ الديار بالبرود لاختلاف ألوان البرود.

ولولا أنه قال «رقيق حواشي الحلم» ما ظننت أنه شبهه بالبُرْد إلا لمتانته، وهذا عندي من أفحش الخطأ، ثم قوله «بكفيك» كلام في غاية السخافة، وأظن أبا العباس ابن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط.

وإني لأعجب من اتباع البحتري إياه في البُرْدِ - مع شدة تجنبه الأشياءَ المنكَرَة عليه - حيث يقول[1]:

وَلَيَالٍ كُسينَ مِنْ رِقَّةِ الصَّيْـ ... ـفِ فَخَيَّلْنَ أَنَّهُنَّ بُرُودُ

وكيف لم يجد شيئا يجعله مثلا في الرقة غير البرد؟ ولكن الجيد في وصف الحلم قوله متبعًا للمذهب الصحيح المعروف[2]:

خَفَّتْ إِلى السُّؤْدَدِ المَجْفُوِّ نَهْضَتُهُ ... وَلَوْ يُوَازِنُ رَضْوَى حِلْمُهُ رَجَحَا

وقوله[3]

فَلَوْ وُزِنَتْ أَرْكانُ رَضْوَى وَيَذْبُلِ ... وَقِيسَ بها في الْحِلْمِ خَفَّ ثَقيلُها

---

(1) من قصيدة للبحتري يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان: 1 - 138) وبعده:

الرياح التي تهب نسيم ... والنجوم التي تطل سعود

(2) من مدائحه في الفتح بن خاقان أيضا (الديوان: 1 - 114) وقبل هذا البيت قوله:

رد المكارم فينا بعد ما فقدت ... وقرب الجود منا بعد ما نزحا
لا يكفهر إذا انحاز الوقار به ... ولا تطيش نواحيه إذا مزحا

(3) لم أعثر على هذا البيت في الديوان المطبوع بمصر. ورضوى ويذبل: جبلان.

وأبو تمام لايجهل هذا من أمر الحلم، ويعلم أن الشعراء إِليه تقصد، وإِياه تعتمد، ولعله قد أورد مثله، ولكنه يريد أن يبتدع فيقع في الخطأ.

3 - وأنكر أبو العباس على أبي تمام قوله:

مِنَ الهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلَاخِلَ صُوِّرتْ

لهَا وُشُحًا جَالَتْ عَلَيْها الخَلاخِلُ[1]

ولم يذكر موضع العيب فيه، ولا أراه علمه، وهذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب، وهو أقبح ما وُصف به النساء؛ لأن من شأن الخلاخيل وَالْبُرِين[2] أن تُوصَف بأنها تَعَضُّ في الأعْضاد والسواعد، وتضيق في الأسْوُق، فإذا جَعَل خلاخيلَها وُشُحا تَجُول عليها فقد أخطأ الوصف؛ لأنه لايجوز أن يكون الخلخالُ الذي من شأنه أن يَعَضَّ بالساق وِشاحًا جائلا على جسدها؛ لأن الوشاح هو ما تَقَلَّده المرأة متَّشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصبّ جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهي إلى العَجْب وتلتقي طرفاه على الكشح الأيسر؛ فيكون منها في موضع حمائل السيف من الرَّجُل، وإذا كانت هذه صورةَ الوشاح فغير جائز أن يوصف بالسَّعة والطول ليدل عَلَى تمام المرأة وطولها ويكون ذلك لائقا بتشبيه النساء في البيت الثاني بقَنَا الخطّ، وإنما يُوصَف الوشاح بالقلَق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر؛ لأنه يَقْلَق هنا إذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا، بل حركته تدل على ضُمْر البطن أكثر، وليس طوله في نفسه مما يدل على امتلاه ولا خَمَص[3]، وإِذا كان الخلخال- وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها - وشاحًا للمرأة فإنه يأخذ أعْلَى

(1) من قصيدة له يمدح محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان 256) وفيه «لو أن الخلاخل صيرت» وسينشده المؤلف على هذا الوجه فيما بعد، وبعد البيت قوله:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس ... قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

وسيأتي للمؤلف حديث طويل عنه.

(2) البرين - بضم الباء أو كسرها - جمع برة، بالضم، وهي الخلخال.

(3) تقول: خمص بطن فلانة - بكسر الميم أو ضمها أو فتحها - إذا كان ضامرا، وأصله الخلو من الطعام.

جسدها كله، وإذا كانت كذلك فقد مُسِخت إلى غاية القَماءة[1] والصِّغر، وصارت في هيئة الجُعَل[2]؛ وقد تصف العرب الخَصْر بالدقة، ولكن تعطي كل جزء من الجسد قِسْطَه من الوصف، كما قال امرؤ القيس[3]:

طِوَالِ الْمتُونِ وَالْعَرَانِين كالْقَنا لِطَافِ الْخُصُورِ في تَمَام وَإكْمالِ

ألا تراه لما قال «لطاف الخصور» قال «في تمام وإكمال» ولو قال هذا الشَّاعر «لو أن الخلاخيل صيرت لها حُقُبًا» لصح له المعنى، كما قال منصور النمري[4].

فَلوْ قِسْتَ يَوْمًا حِجْلَها بِحِقابِها لَكانَا سَوَاءً، لَا، بَلِ الحِجلُ أوْسَعُ

فجعل حجلها – وهو الخلخال– أوسعَ من حقابها، والحقاب: ما تديره المرأة على خصرها، فهو يختص بالخصر، وكذلك النطاق، والوشاح لايختص بالخصر، وإنما يُعَلَّق حتى ينتهي إليه إذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا، فاتبع أبو تمام منصورًا في المعنى فأخطأ، ومن عادة العرب أنها لاتكاد تذكر الهَيَفَ وطيّ الكَشْح ودِقة الخصر إلا إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يُسْتَحَب [فيه] الامتلاء والريّ والغلظ، على ما عرفتك، كما قال ذو الرمة:

عَجْزَاءُ مَمْكُورَةٌ خُمْصانَةٌ قَلِقُ مِنهاالْوِشاحُ وَتَمَّ الجِسْمُ وَالْقَصَبُ[5]

وكما قال أيضا:

---

(1) القماءة: القصر، ضد الطول. قال الشاعر:

تبين لي أن القماءة ذلة وأن أعزاء الرجال طوالها

(2) الجعل – بضم الجيم وفتح العين – دويبة، وجمعه جعلان – بكسر فسكون – وهي التي يقال لها في مصر (الجعران).

(3) من لاميته التي أولها:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وانظر العقد الثمين (103) وكان في أصول هذا الكتاب «طوال المتون والعرانين والقنا» وما أثبتناه عن العقد الثمين.

(4) ورد في الصناعتين (91) وفيه «ولو قست يوم»

(5) انظر الجمهرة (177 بولاق) والعجزاء: العظيمة العجز، والممكورة: المجدولة، والخمصانة – بضم الخاء وسكون الميم – الضامرة البطن، و «قلق منها الوشاح» معناه أنه يضطرب ويتحرك عن موضعه لدقة ما دار عليه. والقصب: أصله كل عظم مستدير أجوف، وأراد عظامها. وانظر الصناعتين.

أناةٌ تَلوثُ المِرْطَ مِنْها بِدِعْصَةٍ رُكامٍ وتَجْتابُ الْوِشاحَ فَيَقْلقُ[1]

وكما قال:

تَرى خَلْفَها نِصْفًا قَنَاةً قَوِيمَةً وَنِصْفًا نَقًا يَرْتَجُّ أَوْ يَتَمَرْمَرُ[2]

وكما قال الشَّنْفَرى:

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَّتْ وَأُكْمِلَتْ
فَلَوْ جُنَّ إِنْسانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ

أي: دقّ منها ما ينبغي أن يَدِق، وجلّ منها ما ينبغي أن يجل؛ فهذا هو تمام الوصف

وقال تميمُ بن أُبيِّ بن مُقْبل:

هِيفُ الْمُرَدَّى رَدَاحٌ في تَأَوُّدِها مَخْطُوفَةٌ مُنْتَهى الأَحْشاءِ عُطْبُولُ[3]

فقال «هيف المرَدَّى» ثم قال «رَدَاح» والرَّدَاحُ: العظيمة العجز، وهذا كقول ذي الرمة «خلفها نصفا قناة قويمة» وقوله «عطبول» قويمة العنق وقال أيضا تميم:

مِنَ الْهِيفِ مِبْدَانٌ ترى نُطُقاتِهَا بمهلكة أَخْرَاصُهُنَّ تَذَبْذَبُ[4]

(1) أصل اللوث عصب العمامة، وقد لاثها يلوثها. وأراد هنا الإدارة مطلقًا والمرط – بكسر فسكون – كساء من صوف أوخز. والدعص والدعصة. بكسر الدال وسكون العين – القطعة المستديرة من الرمل، ويشبه بها عجز المرأة، والركام: المجتمع بعضه إلى بعض. و «تجتاب الوشاح» تلبسه، ويقلق: يضطرب.

(2) أراد أن نصفها الأعلى يشبه القناة القويمة في استوائه، ونصفها الأسفل يشبه النقا في عظمه وضخامته، والنقا: الكثيب من الرمل. وانظر ديوان المعاني (1 – 250).

(3) هيف: جمع هيفاء، وهي الضامرة الرقيقة الخاصرة، وفعله هيف هيفا كفرح فرحا. والمردى – بضم الميم وفتح الراء وتشديد الدال – مكان الارتداء وتقول: تردت الجارية، وارتدت؛ إذا لبست الوشاح أو الرداء، وردتها أمها: ألبستها إياه. يقول: إنها ضامرة هذا الموضع من جسمها. والرداح، بزنة السحاب: المرأة الثقيلة الأوراك. وتأودها: انعطافها وتثنيها. والمخطوفة: الضامرة. تقول: رجل أخطف الحشا، ومخطوف الحشا، وامرأة مخطوفة الحشا، وعطبول: هي المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق، كذا فسره المجد في القاموس.

(4) الهيف: جمع هيفاء، وهي الضامرة البطن، والمبدان –بكسر فسكون– العظيمة البدن، وهو الجسد، والنطقات: جمع نطق – بضم النون والطاء– وهو جمع نطاق، والأخراص: جمع خرص – بضم الخاء أو كسرها– وهو الحلقة من الذهب أو الفضة، وتذبذب: أصله تتذبذب: أي تتحرك.

فجعلها هيفاء، وهي الخميصة البطن، [ثم] قال «مبدان»؛ فصار البَدَن لا يمنع من الهَيَف، ولا يضادّه.

وقال تميم أيضا:

وَقدْ دَقَّ مِنها الْخَصرُ حَتَّى وِشَاحُهَا
يَجُولُ وَقَدْ عَمَّ الخلَاخِيلَ وَالْقُلْبا[1]

وقال علي بن أبي علقمة الجري[2]:

ترى حِجْلَهَا ملآن ليس بزائد يجول، ولم تَمْلَأْ وشاحا ولا عقدا[3]

فإن ذلك من شأن الوشاح؛ لأن من سبيله أن يكون جائلا إذا انتهى إلى خصرها لدقته، ومن شأن العِقْد أن يجول أيضًا على عنقها وترائقها لقلة اللحم هناك، وذلك المحمود من الوصف، وقال امرؤ القيس[4]:

عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ ريَّا المُخَلْخَلِ

وقال طَرَفة بن العبد:

ومَلْأى السِّوَارِ مَعَ الدُّمْلُجَيْنِ وَأَمَّا الْوِشَاحُ عَلَيْهَا فَجَالا[5]

وقال عَلْقمة بن عَبَدة:

(1) ورد في الصناعتين (91) وكان في الأصول «ومن دق منها الخصر» والتصويب عن الصناعتين. والخلاخيل: جمع خلخال، وهو حلية تلبسها المرأة في رجلها، والقلب -بضم فسكون- السوار.

(2) في حماسة ابن الشجري (189) «علي بن علقمة».

(3) الحجل - بكسر فسكون - الخلخال، و «يجول» يتحرك، وجملتها صفة لزائد، ووقع في الأصول «ولم تملك وشاحا» وتصويبه عن حماسة ابن الشجري (189).

(4) هذا عجز بيت من لاميته المعلقة، وصدره قوله:

*** هصرت بفودى رأسها فتمايلت ***

وهصرت: جذبت، والفودان: جانبا الرأس. وهضيم الكشح: ضامرة البطن. والمخلخل: الموضع الذي يلبس فيه الخلخال، ورياه: ممتلئته، أراد بذلك امتلاء ساقها ونضارتها كالغصن الريان.

(5) هذا البيت لا يوجد في ديوان طرفة ولا في العقد الثمين، وأنشده في الصناعتين (91) منسوبا إليه أيضا، والدملج- بضم الدال وسكون الميم واللام مفتوحة أو مضمومة-المعضد، وأراد بكونها ملأى السوار والدملجين أن يديها ممتلئتان باللحم.

صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ مَلْأَى الْمِرْطِ خَرْعَبَةٌ
كأَنَّهَا رَشَــأٌ فِي الْبَيْتِ مَـلْـزُومُ[1]

وقال المرار:

بِيضُ الْـعَـوَارِضِ بُـدَّنٌ أَبْدَانُهَا   رُجُحُ الرَّوادِفِ ضُمَّرُ الأَخْصارِ[2]

وقال كثير:

كَسَوْنَ الرَّيْطَ ذا الْهُدبِ الْيَمَانِي   خُـصُـورًا فـوْقَ أَعْـجَـازٍ ثِقَالِ

وقال كثير أيضًا:

يَجُولُ الْـوِشَـاحُ بأَقْرَابِهَا   وَتأْبى خَلاخِلُهَا أَنْ تَجُولا[3]

وقال آخر:

عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلاثُ إِزَارِهَـا   فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتيلُ

يريد كأنه لدِقَّته مقطوعٌ مما يليه. وهذا كله ضد ما قاله أبو تمام.

فإن حَمَل بعضُ مَنْ يريد إقامة العذر له نفسَه على أن يقول: إنما ذهب في قوله «جالت عليها الخلاخل» إلى قولهم: فُلان يدخل في الخاتم لظرفه ولين أخلاقه لا لضيق مفاصله.

قيل: هذا من كلام العامة، وقول أبي تمام: «من الهيفِ» يمنع هذا التأول، ويحجز عنه؛ لأن الهِيفَ الخميصاتُ البطون الواحدة هَيْفاء، وإلى هذا ذهب، لا إلى وصف الأخلاق والطباع.

---

(1) ارجع إلى ديوان علقمة (51 طبع الجزائر) وديوان المعاني (1 – 250) وفيهما «ملء الدرع» وكان في الأصول «ملأى القرط» ولا معنى له فأثبتنا أقرب الألفاظ إليه مما يصح معه المعنى، وصفر الوشاحين: كناية عن كونها ضامرة البطن لطيفته، والدرع: القميص، وكنى بكونها ملء الدرع عن عظم عجزها. والخرعبة: الضعيفة العظام لنعمتها ولين عيشها، والرشأ: الظبي، وملزوم: تربيه الجواري في البيوت فيلزمنه ولا يفارقنه إعجابا به.

(2) يقولون: امرأة راجح ورجاح – بزنة السحاب – إذا كانت كبيرة العجز، وجمعه رجح.

(3) ورد في الصناعتين (91) أيضا، والأقراب: جمع قرب – بالضم أو بوزان عنق – وهو الخاصرة.

فإن قال قائل: إنما قال «لو أن الخلاخيل صيرت لها وشحًا» أي لو ساغ ذلك وجاز، كما يقال: لو دخل أحد في سم الخياط لرقته وحسن أخلاقه لدخل زيد، وكما قال الشاعر[1]:

*** لَـوْ طَـارَ ذو حَـافِـرٍ مِـنْ سُـرْعَـةٍ طَـارَا ***

وكما قال الآخر[2]:

لَوْ كانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَم
قَـوْمٌ لِسُؤْدَدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

قيل: هذا مذهب حَسَن معروف من مذاهبهم، ولكن ليس بينه وبين قول أبي تمام شبه، وإنما كان يشبهه لو قال «لو أن الخلاخيل تكون مكان الوشاح لجال عليها» ولو قال هذا أيضا لكان يُعَد مخطئا؛ لأنه سواء عليه قال هذا أو قال قصر ظهرها أو بعض خلقها أو ضم بعض أعضائها إلى بعض حتى يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها، ومثل هذا لا يقوله أحد إلا الكشحي وأبو العير، ولفظ بيته أقبح من هذا، وأشنع؛ لأنه إنما أخرجه مُخْرج الحقيقة أو ما يقارب الحقيقة، نحو قول القائل: لو تغطت هند بشعرها لغطاها، ولوسترت وجهها بذراعها لسترته، ولو مسستها لتاخَتِ الإِصبع فيها، أو لأدْمَتْها، وهذا ضرب من المبالغة وهو إلى الحقيقة أقرب، وليس من الأبيات المذكورة في شيء ولا على سياقة ذلك اللفظ، والإِحالةُ فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبحُ من الإِحالة فيما مخرجه مخرج التوسع؛ وكان ينبغي لأبي تمام لما وصف النساء في البيت التالي بالطول والتمام فقال:

---

(1) هذا عجز بيت في وصف فرس، لمعاوية بن مرداس، وصدره قوله:

*** يـكـاد فـي شـأوه لـولا أسـكـنـه ***

وانظر معاهد التنصيص (352 بولاق) وكان في الأصول «لو كان ذو حافر» وليس بشيء، وتصويبه عن المعاهد. ونظيره قول بعض الأعراب .

فلو طار ذو حافر قبلها ... لطارت ولكنه لم يطر

(2) ينسب هذا البيت إلى زهير بن أبي سلمى المزني (العقد الثمين 56) وبعده :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ماولدوا

* قَـنَـا الْـخَـطِّ إلا أنّ تِـلـك ذَوَابــــل *

أن يصف الوشح بالطول والتمام؛ لأن الوشاح من المرأة في موضع حمائل السيف، فكيف يجعلها مثل الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلها؟ وقد يبالغ الشاعر في أشياء حتى يخرج منها إلى المحال ويخرج بعضها مخرج النادر فيستحسن ولا يستقبح، نحو قول الشاعر:[1]

مَــنْ رَأَى مِـثْـلَ حِبَّتِي ... تُـشْـبِـهُ الْـبَـدْرَ إذْ بَـدَا
يَـدْخُـلُ الـيَـوْمَ خَصْرُها ... ثُـمَّ أَرْدَافُـهـا غَـدَا

ومثل هذا كثير، وقد قال النابغة في وصف عنق المرأة بالطول، فقال:

إِذَا ارْتَعَشَتْ خَافَ الْجَبَانُ رِعَاثَها ... وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ[2]

فجعل القرط يخاف أن يسقط من هناك فيهلك، وإنما أخرج هذا كالمثل: أي لو كان مما يقع منه الخوف لخاف، وقال ذو الرمة:

وَالقُرْطُ في حُرَّةِ الذِّفْرَى مُعَلَّقُهُ ... تَبَاعَدَ الْحَبْلُ مِنْهُ فَهْوَ يَضْطَرِبُ[3]

فدل بقوله «تباعد الحبل منه» على طول عُنُق المرأة؛ فهذه المبالغة لائقة مستحسنة؛ لأنه دلَّ على الوصف بالشيء الذي يَخُص الموصوف، لا بالشيء الذي يخص غيره؛ ولو كان أبو تمام قال «لو أن الخلاخيل صُيِّرت لها نطقا» لكان أتى بالصواب؛ لأن النطاق هو كل ما يُدار على الخصر مثل المِنْطَقة من سير كان أو ثوب أو غيرهما، أو لو قال «حُقُبًا»؛ لأن الحِقَاب والنِّطاق بمنزلة واحدة، وأظنه أراد أن يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح.

وقد بالَغَ أبو العتاهية في وصف الخصور بالدقة، فقال:

(1) نسبهما في الصناعتين (285) وفي ديوان المعاني (1 - 251) إلى المؤمل، وروى ثانيهما في الكتابين هكذا:

تــدخــل الــيــوم ثــم تــد ... خــل أردافـــهـــا غـــدا

(2) انظر (ص 34 من هذا الكتاب).

(3) الجمهرة (ص 178 بولاق) والحر: الحسن من كل شيء، ومؤنثه حرة. والذفرى - بكسر الذال وسكون الفاء - ما خلف الأذنين، وكنى بتباعد الحبل عن طول العنق.

وَمُـخَـصَّـرَاتٍ زُرْنَـنَـا بَعْدَ الهُدُوِّ مِـنَ الْخدُورِ
نُـفُـجٌ رَوَادِفُـهُـنَّ يَلْـ ـبَسْنَ الخَوَاتِمَ في الخُصُور[1]

لم يرد أن خواتمهنَّ في خصورهن، لأن هذا محال، وإنما ذهب إلى مثل قولهم: «جَفْنَة يقعد فيها خمسة» أي: لو قعدوا فيها لوسعتهم.

وقال الآخر:

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيـ ـدِ يَتَّخِذُ الفأرُ فِيهِ مَغَارَا[2]

أي: لو اتخذ فيه مغارًا لوسعه، فكذلك قوله: «يلبسن الخواتم في الخصور» أي: تصلُح خصورهن أن تَدْخُل في خواتمهن لدقتها، وكلُّ ما دنا من المعاني بالحقائق كان أَلْوَطَ بالنفس، وأَحْلى في السمع.

فهذا ما أنكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غالط، وهو ثلاثة أبيات.

* * * *

4 – ومما أخطأ فيه الطائي البيتُ الذي بعد قوله:

مِنَ الهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاَخِلَ صُيِّرَتْ لهَا وُشُحًا جَالَتْ عَلَيْها الخَلَاخِلُ

وهو قوله:

مَهَا الوَحْشِ إلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ قَنَا الخَطِّ إلَّا أنّ تِلكَ ذَوَابِلُ

وإنما قيل للقنا «ذَوَابل» للينها وتثنيها، فنَفَى ذلك عن قُدود النساء التي من أكمل صفاتها التثني واللين والانعطاف، كما قال تميم بن أبيّ بن مُقْبل:

يَهْزُزْنَ لِلمَشْي أَوْصَالًا مُنَعَّمَةً هَزَّ الْجَنُوب ضُحًى عِيدَانَ يَبْرِينَا
أَوْ كَاهْتِزَازِ رُدَيْنِيٍّ تَدَاوَلَهُ أَيْدِي التِّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينَا

---

(1) يقال: امرأة نفج الحقيبة – بضم النون والفاء– إذا كانت ضخمة الأرداف.

(2) ذكر صدره في ديوان المعاني (2 – 114) ونسبه إلى امرئ القيس وقال قبل إنشاده: «ويشبه الحافر بالقعب، فمن قديم الشعر في ذلك قول امرئ القيس» اهـ، ولم أجده في شعر امرئ القيس المنشور في العقد الثمين.

فشبه تميم قدودَهن بالرُّديني للينه وتثنّيه لا غير، وهذا أجود من كل ما قاله الناس في مَشْي النساء وحُسْن قدودهن، وقوله «مها الوحش» أراد كمَهَا الوحش إلا أن هاتا أوانس، فوضع المشبَّه به في مكان المشبه، وهذا في كلامهم شائع مستفيض.

5 - ومما أخطأ فيه الطائيُّ أقبح خطأٍ قولُه:

قَسَم الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَينَ الصَّبَا وَقَبُولِها وَدَبُورِهَا أَثْلاَثَا[1]

لأن الصَّبا هي القَبول، وليس بين أهل اللغة وغيرِهم في ذلك خلافٌ.

فإن قيل: إنما سميت الصبا قَبولا لأنها تُقابل الدبور؛ فلعله استعار هذا الاسم للدبور، فقال «بين الصَّبا وقبولها» يريد الدبور لأنها تقابل الصبا ومقابلتها أي الريح المقابلة لها.

قيل: هذا غلط من وجوه، منها: أنه قد ذكر الدبور في البيت مرَّة؛ فلا يجوز أن يأتي بها مرة ثانية. ومنها: أنه ما سُمع من العرب «زَيْدٌ قَبُولك» أي: مُقابلك، ولا «دار زيد قَبول دار عمرو» بمعنى مُقابلتها؛ فإنما خُصَّت الصَّبا وحدها بهذا الاسم لأنها تأتي من الموضع الذي يُقبل منه النهار، وهو مطلع الشمس، وقيل لها دبور لأنها ضدُّها، أخذه من أقبل وأدبر، ولو جاز هذا في كلامهم وساغ في لغتهم أو كان مثله مسموعا منهم لساغ أن تُسَمّى الشمال أيضًا قبولا؛ لأنها تُقَابل الجنوب، وأن تسمى الجنوب قبولا؛ لأنها تقابل الشمال. وما أظن أحدًا يدَّعي هذا، ولا يستجيز أن يعارض بمثل هذه المعارضة، ولا أن يحدث لغة غير معروفة، ويَنْسُب إلى العرب ما لم تعلمه ولم تنطق به. ومنها - وهي أولاها في فساد هذا التأويل - أنه قال «بين الصبا وقبولها ودبورها أثلاثا» وقوله «أثلاثا» يدلّك أنه أراد ثلاث رياح، وأنه توهَّم أن القَبُول ريحٌ غيرُ الصَّبا. وهذا واضح. والجيد قول البحتري:

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان 63) وانظر الاعتراض عليه في الصناعتين (92) وقبله - وهو مطلع القصيدة - قوله:

قف بالطلول الدارسات علاثا أضحت حبال قطينهن رثاثا

مَتْرُوكَةٌ لِلرِّيحِ بَيْنَ شَمَالِهَا وجَنُوبِها ودَبُورِهَا وقَبُولِها[1]

فجاء بالرياح الأربع. وقال البحتري أيضًا:

شَنِئْتُ الصَّبا إذْ قِيلَ وَجَّهْنَ قَصْدَهَا وَعَادَيْتُ مِنْ بَينِ الرِّيَاحِ قَبُولَها[2]

فقوله «وجَّهن» يعني الحُمولَ، والهاء في «قبولها» راجعةٌ إلى الرياح وهذا مما يُوهمك أنه أراد ريحين، وإنما أراد ريحًا واحدة وسماها باسمَيْها، فقال: شنئت الصَّبا وعاديت القبول: أي أبغضت هذين الاسمين لأن حُمول الظاعنين توجَّهت نحوها، ولم يقل إن الحمول توجَّهن إلى وجهين مختلفين.

وحكى ابن الأعرابي – أوحُكي عنه – أنه قال: القبول كله ريحٌ طيبة المس لينة، لا أذى فيها، سُميت قَبولا لأن النفس تقبلها، وأظن الأخطل – إن كانت الرواية صحيحة– لهذا قال:

فإنْ تبْخَلْ سَدُوسُ بدِرْهَمَيْها فـإنّ الـرِّيـحَ طَـيِّـبَـةٌ قَـبُـولُ

أي: طيبة لا تمنعنا الانصراف والسير، وهذه ليست من الريح التي ذكرها أبو تمام في شيء؛ لأن هذه على هذا الوصف: قد تكون الشمال، وتكون الجنوب، وتكون الصَّبا، وذلك إنما أراد ريحًا بعينها؛ لأنه قال: «بين الصبا وقبولها» فجعلها مضافة إليها، كما لو قال «بين الشمال وجنوبها» لأنهما ريحان معروفتان، وهما أختان مختلفتان تَعْتقِبان، وكذلك لو قال «بين الصبا ودبورها» وكذلك لو قال «بين القبول ودبورها» أو «بين القبول وشمالها» فإذا ذُكرت القبولُ مع هذه الرياح المعروفة كانت هي الصبا، وليس هذا موضع القبول التي هي الريح اللينة المسّ الطيبة على ما ذكر؛ لأنه وصف مجهول، ويجوز أن يكون لكل ريح، ولا يقع في هذا الموضع؛ لأنك إذا عَنَيتها بقولك قد نفيت الصبا وقبولها لم يدر أي ريح هي في معنى إضافتها إلى الريح

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي (الديوان 2 – 184) وقبله – وهو مطلع القصيدة – قوله:

تلك الـديـار ودارســات طلولها طـوع الخطوب دقيقها وجليلها

وانظر الصناعتين (92).

(2) من غزل قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان 2 – 197) وانظر الصناعتين (92).

المعروفة التي هي إذا لان مسُّها جاز أن تسمى بذلك الاسم، هذا خُلْفٌ من القول إذا قيل. وأيضًا إن أبا تمام إنما أراد أنّ هذه الرياح عفت هذه الديار، وذهبت بها؛ فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المس مع الدبور؟ هذا محال أن يكون أراده، كيف والديار يُدْعَى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة لئلا تعفوها؛ ألا ترى قول أبي تمام:

أَرْسَى بنَادِيكَ النَّدَى وتَنَفَّسَتْ نَفَسًا بعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفا[1]

وقال البحتري:

وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيَاحُ نَسِيمًا فَعَلَى رَبْعِ دَارِهَا وَالجَنَابِ[2]

فشرط أن تكون الرياح مريضةً لئلا تعفوها وتمحوها.

فإن قيل: فلعله أراد «بين الصبا وقبولها» أي: بين الصبا وسهلها ولينها، ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف، وإنما يريد الاسمَ الذي يَقَع للريح اللينة المس؛ فكأنه قال «بين القبول وقبولها» يقال: «جاءنا عباسٌ وعَبَّاسُه» أي: ووجهه العبَّاسُ، و «أتانا الضحَّاكُ وضحاكه» أي: ووجهه الضَّحَّاك؛ لأن التعبيس والضَّحِك في الوجه، و «قد فَتَنَتْنَا حوراءُ بحَوْرَائها» أي: بعينها الحوراء.

قيل: هذا كله لفظ سائغ مستقيم، غير أنَّا ما سمعنا مثل هذا في الريح ولا علمناه في اللغة، ولا وجدنا في الشعراء أحدًا قال «الصبا وقبولها» ولا «الجنوب وقبولها» ولا «الشمال وقبولها» أي: سَهْلها ولَيّنها، ولو أراد الطائي ذلك كان أيضا مخطئا؛ لأن الريح لينها وشديدَها ريحٌ واحدة، وقد قال أبو تمام «أثلاثا» فدلَّ على أنه أراد ثلاثَ رياحٍ، وإن كان أراد ريحًا أخرى غير الصَّبا فقد قَدَّمتُ القول في أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم، وقد استقصى أَصْحَابُ الأَنْواء في كتبهم ذكر الرياح وأوصافها ونُعوتها،

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف، ويعرض بوال ولي بعده فهزم (الديوان 206) وفيه «أرسى بعرصتك الندى». والعرصة والنادي والعقوة: ساحة الدار، وقبل هذا البيت قوله:

أطلالهم سلبت دماها الهيفا واستبدلت وحشا بهن عكوفا
يا منزلا أعطى الحوادث حكمها لامطل في عدة ولا تسويفا

(2) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان 1 – 71) وروايته فيه هكذا:

وإذا هبت الجنوب نسيما فعلى رسم دارها والجناب

واستشهدوا بأكثر ماسمعوه من أشعار العرب فيها، وبالغ أبو حنيفة الدِّينَوَرِيُّ في ذلك؛ فما منهم أحد ذكر أن القَبول غيرُ الصَّبا، وإنما قال ابن الأعرابي في نوادره: إن العربَ تسمِّي كلَّ ريح طيبةٍ لينةِ المسّ قَبولا. قال الأخطل:

فإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْها فـإنَّ الـرِّيـحَ طَـيِّـبَـةٌ قَـبُـولُ

فإنما أراد الصَّبا؛ لأنه ريحٌ محبوبة تنسب إلى الطيب، وهي دائمة الهبوب لينة المس معتدلة في أكثر أوقاتها: أي فإن مَنَعَت سَدُوس نائلهَا فإن الريح طيبة قبول، أي: هي صَبًا ما تمنعنا من الانصراف والرحيل؛ فإن كان ما ذكره ابن الأعرابيّ صحيحًا - وهو الصحيح إن شاء الله - فإنهم إنما قالوه لكل ريح طيبة لينة، قالوا: هذه الصبا، وهذه القبول، أي: كالصبا أو كالقبول، فأسقطوا حرف التشبيه، وجعلوا المشبه في مكان المشبه به، كما تقول [إذا] شمِمْتَ رائحةً طيبةَ العَرْف: هذه المسك، وإذا رأيت وجهًا جميلا قلت: هذا هو البدر، وإن شئت كان المعنى: هذه المسك حقا، وهذا هو البدر يقينا، ولو هبت شَمال شديدة مُزْعجة حتى تقول: هذه هي الدبور بعينها - لكان هذا من أسوغ كلام وأفصحه، وإن كانت العربُ سمَّت الشمال والجنوبَ - إذا هَبَّتا هبوبًا سهلا لينًا - قبولا فإنما شبهوها بالصَّبا وأعاروها اسمها، وإنما قيل لها قبول لأنها تأتي من مَطْلع الشمس، وهو الموضع الذي يُقْبل منه النهار، وقيل للدبور دَبورًا لأنها تَهُبُّ من حيث يُدْبر، وقد قيل غير ذلك، وهذا هو الصحيح. وقد قيل عن النضر بن شميل أنه قال: الْقَبول ريحٌ تلي الصَّبا ما بينها وبين الجنوب، وهذا غير معروف ولا مُعوَّل عليه، إلا أن يكون قاله عَلَى هذا الذي ذكرته. والله أعلم.

وبيت أبي تمام لا يحتمل أن يُتأول فيه هذه الريح؛ لأنه أراد مَحْوَ الديار ولا تُذكر في محو الديار القبول الخفيفة الهبوب الطيبة المس مع الدبور التي لا تكاد تَهُب، فإن هبت لم تأت إلا شديدة مزعجة.

و [لو] قال آخر ممن لا تمييز له: أراد بين الصبا وقبولها، أي: الريح التي قَبلَتها، كأنها قابلتها فَقَبَلَتْها فهي قَبُولها، يعني ريحًا من الرياح، كما يقال: فاخرته ففَخَرْتُه، وخاصمته فخصمته.

قيل: هذا خطأ من وجوه: منها: أن الريح التي تقابل الصَّبا مقابلةً صحيحة هي الدبور، وقد ذُكِرَت في البيت الأول؛ فلا يجوز أن يردِّدها؛ ومنها: أنك لا تقول قابَلْتُ زيدًا فَقَبَلْته، مثل فاخرته ففخرته؛ لأنك إذا قابلته فقد صرت قُبَالته وصار قبالتك؛ فليس أحدكما في هذا بأفضَلَ من الآخر، وذلك مثل قولك: وَاجَهْتُه، وآريته، وساويته، وحاذَيْته[1]؛ لأنك في هذه الأحوال مثله وهو مثلك؛ فلا يجوز أن تقول فيه: فَعَلته: أي غلبته؛ ومنها: أنك إذا قلت زيد ضاربٌ عمرًا وضَرُوبُ عمرٍو وقاتلٌ بكرًا وقَتُولُ بكرٍ لم تدل على أنه كانت مضاربة بينهما أو مقاتلة؛ لأنه يجوز أن يكون الضرب وقع من أحدهما ولم يقع من الآخر، ولذلك أصل؛ فلذلك لا يدلّ قوله «قبولها» [على] أنه كانت هناك مقابلة، كما لا يدل قولك «زيد ضاربُ عمرو» على أنه كانت مُضارَبة بينهما حتى غلب زيد عمرًا بالضرب، وإذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة.

6 – ومن خطائه قوله[2]:

وَصَنِيعَةٍ لَكَ ثَيِّبٍ أَهْدَيْتَها ... وَهْيَ الكَعَابُ لِعَائِذٍ بِكَ مُصْرِمِ[3]
حَلَّتْ مَحَلَّ البِكْرِ مِنْ مُعْطًى وَقَدْ ... زُفَّتْ مِنَ المُعْطِي زِفَافَ الأَيِّمِ[4]

غَلَطُه وقع في البيتين جميعا، وقالوا: أراد بقوله «وصنيعة لك» أي: للممدوح «ثيب» أي: قد افترِعت «أهديتَها وهي الكعاب لعائذ بك مصرم» أي: قليل المال، وجاء بالكَعَاب على أنها تَقُوم مقامَ البكر ليجعلها في البيت ضد الثيب فتصحّ له القِسْمة: أي هذه الصنيعة ثيِّب عندك: أي قد اصْطَنَعْت مثلها مرارا، وهي الكعاب – يريد البكر – عند هذا العائذِ بك؛ لأنه أول ما اصطنعته إليه أو لأنها أكبرُ صنيعة صنعتها عنده.

(1) في أصول هذا الكتاب «وحادثته» من الحديث، والسياق يقتضي ما أثبتنا. وتقول: حاذى فلان فلانا؛ إذا صار بحذائه وجواره من أحد جوانبه.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 313).

(3) الثيب: غير البكر. والكعاب – بزنة السحاب – البارزة النهد. والعائذ: اللاجئ، اسم فاعل من عاذ فلان بفلان، إذا التجأ إليه. والمصرم: الفقير.

(4) الأيم في الأصل: المرأة التي لازوج لها.

قالوا: والكَعَاب التي كَعَبَ ثَدْيُها، وقد تكون بكرا وتكون ثيبًا، فليست ضدًّا للبكر في البيت، ولا تصحّ بها قسمته؛ لأن اسم الكعاب لا يزول عنها إذا افترعت حتى ينهد ثديها ويرتفع.

قالوا: واعتمد أن يشرح هذا في البيت الثاني فقال:

حَلَّتْ مَحَلَّ البِكْرِ مِنْ مُعْطًى وَقَدْ زُفَّتْ مِنَ المُعْطِي زفَافَ الأَيِّم

وذلك معنى قوله: «وهي الكَعاب لعائذ بك» ثم قال: «زفت من المعطي زفافَ الأيم»، وهو يريد معنى قوله: «وصنيعة لك ثيب» على أن الأيم هي الثيب.

وقالوا: هذا خطأ؛ لأن الأيم هي التي لا زوج لها، بكرا كانت أو ثيبا، قال اللّه عز وجل: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ﴾ [النور: 32]، أفتراه قال: أنكحوا الثيبات من النساء دون الأبكار؟ إنما أراد تبارك اسمُه أنكحوا النساء اللواتي لا أزواج لهن؛ فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل في الآية، قال الشماخ:

يَقَرُّ بِعَيْني أَنْ أُحَـدَّثَ أَنَّهَا وَإِنْ لَـمْ أَنَلْهَا أَيِّمٌ لَـمْ تَـزَوَّجِ

وهذا هو المعروف في كلامهم.

وهذا الذي ذكروه من غلطه في الأيِّم هو كما ذكروه، فأما ما ادَّعَوه في البيت الأول من الغلط في الكعَاب لمن أقامها مُقام البكر فليس ذلك بغلط، والمعنى صحيح، وقد جاء مثله في أشعار العرب، قال قدامة بن ضرار الحنفي:

غداة خَطبْنَا الْبِيضَ بالْبِيضِ عَنْوَةً وَأُبْـنَ إِلَينَا ثَيِّبَاتٍ وَكُعَّبَا[1]

أراد بالكُعَّب الأبكار. وقال جرير يهجو امرأة:

وقد حملت ثمانية وتمت لِتَاسِعَةٍ وَتَحْسَبُهَا كَعَابَا

فأقام الكَعَاب مقام البكر، وجعلها ضدَّ الثيب. ومثله في كلامهم موجود؛ وإنما فعلوا ذلك – وإن كان الكاعبُ قد تكون بكرًا وتكون ثيبًا – لأن أول أحوال الكواعب

(1) البيض الأولى: جمع بيضاء، وأراد بها النساء، والبيض الثانية: جمع أبيض، وأراد بها السيوف. وعنوة– بفتح العين وسكون النون – قهرا وغلبة وأبن: رجعن.

أن يكنَّ قد ناهزن حدَّ البلوغ، وبدأت ثُدْيُّهن بالتكعيب؛ فهن في هذه الحال أكثر ما يكن أبكارًا وغير ذات أزواج، قال عمرو بن معد يكرب.

تَرَكُوا السَّوَامَ لَنَا وكلَّ خَرِيدَةٍ بَيْضَاءَ خَرْعَبَةٍ وأُخْـرَى ثَيِّبِ

فأقام الخريدة مقام البكر، وجعلها ضد الثيب في البيت، والخريدة هي الحييَّة.

حكى اللحياني قال: سمعت أعرابيا من كلب يقول: الخريدةُ الدرَّة التي لم تُثْقب، وهي من النساء البكر، والْخَرْعَبة: اللينة المفاصل الطويلة، وهذه قد تكون ثيبا، إلا أنه جعلها بكرًا لأن الحياء أكثر ما يكون في الأبكار.

فقد صحَّ معنى بيت أبي تمام الأول في الكَعَاب، وبقي الغلط قائما في الأيم، وجعلها في البيت الثاني ضد الثيب.

فإن قيل: فلِمَ لا يكون لأبي تمام إِقامة الأيم في البيت الأول مقام الثيب؛ إذ كانت الأيم قد تكون ثيبا، كما أقمت الكعَاب في البيت الثاني مقام البكر إذ كانت الكعاب قد تكون بكرًا، وتتجاوز له في هذا كما تجاوزت في تلك؟

قيل: لفظة كعَاب تدلّ بصيغتها على صغر السن كما عرفتك، فهي في الأكثر تكون بكرا غير مُفْترعة؛ فلذلك استحسنوا أن أقاموا الكعَاب مقام البكر، ولفظة أيم لا تدل على حدٍّ في السن من صغر ولا كبر ولا بكورة ولا افتراع؛ فلا تجوز إقامتها مقام الثيب بحال، وقد غلط في الأيم بعضُ كبار الفقهاء فجعلها مكان الثيب، وذلك لحديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم[1] فإنه لحقه السهو في تأويله فحمله على غير معناه؛ فلعل أبا تمام من هذا الوجه قد لحقه الغلط، وقد ذكر أبو تمام معنى هذين البيتين في موضع آخر، فقال – وقد ذكر صنيعة أيضا-:

وَلَيْسَتْ بالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِي وَلَا هِيَ مِنْكَ بالْبِكْرِ الكعَابِ[2]

(1) لعله يريد قوله عليه الصلاة والسلام: «الأيم أحق بنفسها» ولعله يريد ببعض كبار الفقهاء الشافعي رحمه الله؛ فإنه يرى أن هذا الحديث في شأن الثيب من النساء، وإن كان له في بيان أحقيتها رأي غير ما يدل عليه الظاهر، وليس هذا موضع بيان آراء الفقهاء.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 56) وقبل هذا البيت قوله:

ذكـرت صنيـعـة لـك ألبستني أثيـث الـمـال والـنـعـم الـرغـاب
تـجـدد كـلـمـا لـبـست وتـبـقـى إذا ابتذلت وتخلق في الحجاب
إذا مـا أبـرزت زادت ضـيـاء وتـشـحـب وجـنـتـاهـا في النقاب

والعَوَان: هي التي بين المُسِنَّة والصغيرة السن، وهي التي قد عَرَفت الأمور، وجَرَت عليها التجربة، فلذلك قيل: العَوَانُ لا تُعَلَّم الخمرَة[1]، ومنه قيل: حَرْبٌ عَوَان، وهي التي قوتل فيها مرة بعد مرة، وإنما استعير لها اسم المرأة في هذه الحال، كما قال الشاعر:

*** الْـحَــرْبُ أَوَّلُ مـا تـكُـونُ فَـتـيَّـةٌ ***[2]

فاستعار لها أولَ ما تبدأ وتنشأ اسمَ الفتاة، وأراد أبو تمام أن هذه الصنيعة ليست بالعَوَان عندي: أي ليست صنيعةً قد تقدمتها لك لديَّ صنائع تشبهها لعظمها وجلالها، ولا هي بالبكر التي ليست مع ذلك لكبر صنائعك، بل أسديت كثيرًا مثلها إلى غيري، وهذا هو المعنى الذي قصدة في البيتين المتقدمين، إلا أنه جعل «العَنْسَ» هنا في موضع العانس فغلط فقال «العنس»، والعانس: هي التي حبسها أهلها عن التزويج حتى تجاوزت حَدَّ الفتاة، والعَنْس: اسم من أسماء الناقة، وهي التي قد انتهت في شدتها وقوتها، فأين وَصْفُ الناقة من وصف المرأة؟

فإن قيل: إن أبا تمام لم يرد غير العَنْس، ولم يرد العانس؛ لأنه لو أراد العانس لكان مخطئا من وجه غير الذي ذكرته، وهو أن العوان – فيما ذكر بعض أهل اللغة – الثيب–، وقيل: إنها التي كان لها زوج، وجرير قد أفصح أنها ذات الزوج في قوله:

وأَعْطَوْا كما أَعْطَتْ عَوَانٌ حُلِيَّها ... أَقَـرَّتْ لِبَعْلٍ بَعْدَ بَعْلٍ تُرَاسِلُهْ

فكيف يكون العانس وصفًا للعَوَان، والعانس هي التي حُبست عن التزويج؟ قال عامر بن جُوَيْن الطائي:

وَوَاللّهِ ما أحْبَبْتُ حبَّكِ عانِسًا ... وَلَا ثَيِّبًا لَـو أنَّ ذاكِ أَتَاني

فجعلها ضد الثيب، والعَنْس أولى بأن تكون وصفا للعَوَان من العانس، ويكونان جميعا من أوصاف الناقة، وهي دون المسنة وفوق الفتية، فهي حينئذ الكاملة.

---

(1) هذا مثل يضرب للمجرب العارف. والخمرة – بكسر الخاء وسكون الميم – اسم الهيئة من الخمار– بزنة الكتاب – وهو النصيف وكل ما تستر به المرأة وجهها. وتقول: اختمرت المرأة، إذا لبسته.

(2) هذا صدر بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وعجزه قوله:

*** تـسـعـى بـبـزتـهـا لـكـل جـهـول ***

والعنس: الناقة التي قد انتهت في قوتها، فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النوق، كما استعار البكر الكَعَاب من أوصاف النساء.

قيل: هذا غلط من الاحتجاج وتعسُّف من التأول، وإنما يُستَدَل ببعض الألفاظ على بعض، كما يستدل على المعنى بما يَقْتَرن ويتصل به؛ فيكون في ذلك بيان وإيضاح، أما العَوَان والبكر - وإن كان قد وُصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم - فإن البكر في البيت لا تكون مستعارة إلا من أوصاف النساء، من أجل ما اقترن بها من لفظ الكَعاب التي هي مخصوصة بوصف الجارية التي كَعَبَ ثَدْيُها؛ فلا تكون العَوَان في صدر البيت من أوصاف النوق، والبكر في آخره من أوصاف النساء؛ فعلمنا أنه لم يرد بالْعنْس إلا العانس فغلط، كأنه أراد [أن] هذه الصنيعة ليست في حال ما هي عندي بالعَوَان العانس، ولا في حال ما هي عندك بالبكر الكعاب؛ لأن المرأة تكون كاعبا وبكرا في حال، وعوانا عانسا في حال أخرى، فتنتقل في هذه الأوصاف، والعنس لا موضع لها ههنا.

وأما قوله «إنه لو أراد العانس كان مخطئا لأن العانس هي التي حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفا للعوان، لأن العوان عند أهل اللغة الثيب» فيقال: إِنه إنما كان يسوغ لك هذا التأويل لو زال اسم العنوس عن المرأة إذا تزَوّجت، فأما وهو باقٍ عليها بعد التزويج الذي صارت به ثيِّبا فلم لا يكون وصفًا للعَوَان التي هي أيضا ثيب عندك، ألا ترى إلى قول كُثَير:

فــإِنَّ طِلَابي عَانِسًا أَمَّ ولدة   لَمِمَّا تمنينِي النُّفُوسُ الْكَوَاذِبُ

فقال «عانسا» وجعلها أم ولدة.

فإن قال: فلعلّ أبا تمام لم يرد هذا، وإنما أراد بالعنس مصدر عَنَسَت المرأةُ تعنس عَنْسًا، فجعل المصدرَ وهو عَنْس وصفًا للعَوَان مكان العانس، والمصادر قد تجعل أوصافا في مكان أسماء الفاعلين.

قيل له: المصدر المعروف في مصدر عَنَست المرأة هو العنُوس، ولم يسمع الْعَنس، وعلى أن الأصمعي قد أنكر عَنَست مخففا، وقال: إنما هو عُنِّست تُعَنَّس

تَعْنِيسًا، حكى ذلك عنه يعقوب بن السكيت، وهَب قد جاء العنْس مصدر عَنَست فليس في كل موضع يسوغ أن تكون المصادر أوصافا، وإنما تكون أوصافا على وجه من الوجوه وطريقةٍ من اللفظ، وهي قولهم: إنما زيد دهره أكل ونوم، وإنما عمرو أبدا قيام وقعود؛ فتقيم المضاف إليه مقام المصاف؛ لأنه يدل عليه، أو تجعل زيدا نفسه الأكل والنوم وعمرا القيام والقعود على المبالغة؛ لأن ذلك كثير منهما، كما قالت الخنساء:

تَرْتَع مَا رَتَعَتْ حَتَّى إذَا ادَّكَرَتْ ... فَـإنَّـمَـا هِـيَ إقْـبَـالٌ وَإدْبَـارُ

فجعلت الناقة هي الإدبار والإقبال لأن ذلك كثير منها، وإن شئت كان المعنى ذات إقبال وإدبار؛ فأقمت المضاف إليه مقام المضاف؛ فهذه طريقة الوصف بالمصادر، وإذا تأوَّلْتَ بالعنْس المصدرَ في قوله «وليست بالعَوَان العَنْس» كان ذلك كقولك: ليست هند بالصبية الصِّغَر، تريد الصغيرة، ولا دَعْد بالهَرِمَة الكِبَر، تريد الكبيرة، فهذا لايسوغ في منطق، ولا يعد في لغة، ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفا على نحو ما ذكرته؛ فيقال: هندٌ الْحُسْنُ كله، ودعد الْجَمَال أجْمَعه، وزيد الهَرَم أقْصَاه، وعَبْدُ الله البُغْضُ نفْسُه، والتِّيه عَيْنه، وإن شئت كان المعنى هندٌ صاحبةُ الحسْن كله، ودعد ذات الجمال أجمعه، وزيد أخو الهرم، وعبد الله ذو التيه؛ فأقمت المضاف إليه مُقام المضاف، كما قال اللّه عز وجل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف: 82] يريد أهل القرية، وإن شئت جعلت هندًا هي الحسن، ودعدًا هي الجمال، على المبالغة، لما كانتا متناهيتين في هذين الوصفين.

ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العَوَان والبكر، وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء في هذا المعنى، ولم يخلط بهما العَنْس والكَعَاب والثيب والأيِّم؛ لكان قد سلك الطريقَ المستقيم فأتى باللفظ المألوف المستعمل، وتخلص من فاحش الخطأ، وإنما أراد معنى قول الفرزدق[1]:

وَعِـنْـدَ زِيَـادٍ لَـوْ تُرِيدُ عَطَاءَهُ ... رِجَـالٌ كثِيرٌ قَدْ تَرَى بهِمُ فَقْرَا
قُعُودٌ لَدَى الأَبْوابِ طَالِبُ حَاجةٍ ... عَوَانٍ مِنَ الحاجَاتِ أَو حَاجَةً بِكْرَا

(1) تقدم ذكرهما في هذا الكتاب (انظر ص 71).

أي: منهم طالبُ حاجةٍ عوانٍ: أي حاجة قد عرفها وصارت عادةً له ورسما يتطلبه في كل حين، ومنهم طالب حاجة بكر: أي أولَ ما يلتمسه منه ويترجّاه عنده، فأحبَّ أبو تمام أن يَزيدَ على هذا المعنى ويُغرّب، فأخرجهُ ذلك إلى الخطأ.

وقد أحسن محمد بن حازم الباهلي[1] في قوله:

أَبَا جَعْفَرٍ يَابْنَ الْجَحَاجِحَةِ الغُرِّ ... بَدَتْ حَاجةٌ وَالْحُرُّ يأْوِي إلى الْحُرِّ

وَقَدْ لَبِسْتَنِي مِنكَ بالأَمْسِ نِعمَةٌ ... فَهلْ لَكَ في أُخْرَى عَوَانٍ إلى بِكْر

عَلَى أَنَّهُ إِنْ أَمْكَنتْ أوْ تَعذَّرَتْ ... فإنَّكَ بَيْنَ الشُّكْرِ منِّي وَالعُذْر

فهذه طريقة الشعراء في العَوَان والبكر.

7 - ومن خطائه قوله[2]:

الْــوُدُّ لِلْقُرْبى وَلـكِـنْ عُرْفُه ... لِلْأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ[3]

لأنه نَقَصَ الممدوح مرتبةً من الفضل، وجعل وُدَّه لذوي قرابته، ومنعهم عُرفه وجعله في الأبعدين دونهم، ولا أعرف له في هذا عذرا يتوجه.

وقد عارضني في هذا البيت غيرُ واحدٍ ممن ينتحل نُصْرَة أبي تمام؛

فقال بعضهم: إن العُرْف ما يَتبرَّع به الإنسان؛ فلذلك جعله في الأباعد، فأما الأقارب فإن بِرَّهم وصِلَتهم من الحقوق الواجبة اللازمة.

قلت: إن كنتَ تريد الحقوقَ التي تلزم فإن ذلك إنما هو للآباء والأجداد والأمهات والأولاد والأعمام والأخوال والإخوة والأخَوات إذا كانوا فُقَرَاء محتاجين؛ فيجب

(1) محمد بن حازم الباهلي، أبو جعفر، هو أحد الشعراء المطبوعين، كان يهجو الناس كثيرا، ولم يمدح إلا المأمون العباسي.

(2) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها عمرو بن طوق التغلبي (الديوان 14) وانظر الاعتراض عليه في الصناعتين أيضا (92).

(3) العرف - بضم العين وسكون الراء - العطاء والإحسان وقد فسر الصولي هذا البيت بقوله: أي يخص ذوي قرباه بالود دون العطاء، لأنهم غير محتاجين، وعرفه لمن لا نسب بينه وبينهم. وهذا معنى لا نرى فيه محلا للاعتراض، إذا نظرت إلى قوله «لأنهم غير محتاجين» وقال أبو هلال: «ولا أعرف لم حرم أقارب هذا الممدوح عرفه، وصيره للأ بعدين، فنقصه الفضل في صلة الرحم؟ وإذا لم يكن مع الود نفع لم يعتد به؟».

لهم من الإنفاق عليهم بقدر القوت والكفاية، وهذا لايخرج أن يُسمى معروفا، ألا تَرَاهم يقولون: أَنِلْ أبَاكَ مِنْ مَعْرُوفك، أو أَنِلْ أمك من معروفك؛ فلا يكون هذا قبيحا، بل حقا، وقال الله عز وجل فيما فَرَضَ عَلَى النساء: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233] فقد صار الفَرْضُ ههنا معروفا؛ لأن المعروف هو الحسن الجميل من القول والفعل الذي قد عُرفت المصلحةُ فيه فصار معهودا إذا أورد لم تنفر النفوس منه فتنكره، وهذا لا يكون الإنسان محمودا به إذا أعطاه هذه الطبقة من أهله حتى يُمْدَح به ويُفْتَخر له به، بل يكون مذموما إذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه من الأقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم، وهم بنو الأعمام الذين هم الأعضاد والعُدَّة، وبهم تكون النُّصرة، وكذلك بنو الأخَوَات وبنو الأخوال لم يجعل المعروف الذي هو يتبرع به في الأ باعد دونهم ويخرجون منه، وإن أردت الحقوق التي يُلْزِمها الإنسانُ نفسَه تكرُّما وتفضُّلا فذلك حقيقة العُرْف الذي يتبرع المرء به، ويحمد عليه، ويمدح بفعله إياه، وإعطائه له، ويُذم إذا منعه، والأقارب على الاختلاف في طبقاتهم وأنسابهم أولى من الأ باعد؛ فمن جعله في الأباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم، ونهاية العقوق، وعين الحمق، وإن وصفه واصفٌ [به] فقد بالغ في ذمه، وتناهى في هجائه.

فقال: قوله «الود للقربى» قد جمع لهم الود والعرف وغيره؛ لأن المودة تشتمل على ذلك كله، والعرْفُ الذي خَصَّ به الأبعدين لا يجمع الوداد؛ إذ ليس كل من أسديت إليه معروفا فقد وَدِدْتَه فقد أعطى ذوي القربى أكثر مما أعطى الأبعدين.

فقلت له: وليس كل من وددته أيضا فقد أسديت إليه نائلا ولا معروفا، ولا يتضمن لفظُ الودّ غيرَ المحبة فقط، وعلى أن قوله «دون الأقرب» توكيد يوجب إِخراج الأقارب عن العُرف، وتخليصَه للأبعدين، فما معنى هذا التأويل الذي تأوَّلته؟ فأقام على أن الودَّ يجمع العرْف والصِّلة، وهذا غير معروف، ولا موجود في كلام الناس، وقال المقنَّعُ الكِنْدِيُّ(1):

(1) روى في الصناعتين (92) عجز البيت الثاني من هذين البيتين، وهو محل الاستشهاد منهما على المعنى الذي يريد.

فإنَّ الَّـذِي بَيْنى وَبَينَ بَنِي أَبي وَبينَ بَني عَمِّي لمُخْتَلِفٌ جِدًّا
إِذَا جَمَعُوا صَرْمي مَعًا وَقَطيعَتي جَمَعْتُ لهُمْ مِنِّي مَعَ الصِّلَةِ الوُدَّا

فأفصح هذا بأنه يَجْمع لهم بين الصلة والود، وقال البحتري(1):

مَـــوَدَّةٌ وَعَـطَـاء مِنكَ نِلْتُهما وَرُبَّ مُعْطَى نَوال غيْرَ مَوْدُودِ

فقال «مودة وعطاء منك نلتهما» فلو كانت المودَّة لا تكون إلا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول معنى، وكذلك البيتُ قبله، وقال: «رُبَّ معطًى غير مودود» «ورُبَّ مودود غير معطى نوال، ألا ترى إلى قول الأهشى(2):

بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ في النَّفْسِ حَاجَتَها
بَعْدَ ائْتِـلَافٍ وَخَـيْـرُ الْـوُدِّ مَا نَفَعا

فأراد أن الودَّ قد يكون ولا نفع معه، وقال أبو تمام:(3)

قَرَانِي اللُّهَى وَالْوُدَّ حَتَّى كَأَنَما أَفَادَ الغِنَى مِنْ نَائِلي وَفَوَائِدِي

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء، فأجبته بمثل هذا الجواب، وقلت له: إن كان الأمر على ما تزعُم وتركناك على شهوتك في أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض إذًا هذا الشاعرُ نفسَه في البيت؛ فإنه إن كان أراد بقوله «الود للقربى» المحبة والمعروف جميعًا فقد قال في عجز البيت «ولكن عرفه في الأبعد دون الأقرب» فأخرج الأقرب بقوله «دون» فلوكنتَ تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الأقرب كان ذلك أقلَّ قبحا من المناقضة.

فقال: إنما أراد بقوله: «ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب» إِفْرَادَ العُرف للأبعد، وإِلا فجَمْعه له مع الود كما جمعهما للأقرب.

(1) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الوهاب (الديوان 1 – 174).

(2) رواه في الصناعتين (92).

(3) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 117) وقراني: أضافني، من قرى الضيف يقريه قريا، واللهى: العطايا، وأفاد بمعنى استفاد، يريد أنه لعظيم مالقيه به من البشر والحفاوة وغيرهما من دلائل المودة كان كمن أفاد منه الغنى.

فقلت: قوله «دون» يفسد عليك هذا التأويل، وما أراك إلا قد أوضحت فيه الإحالة والمناقضة وبينتهما؛ لأنك في هذا كقائل قال: الود والمال جميعا لزيد، والمال لعمرو مفردا دون زيد، فكيف يجمع المال مع الود لزيد أولًا ويُفْرد عمرًا به دون زيد آخرا؟ وهذا أقبح ما يكون من المناقضة. وإنما كان يصح هذا الكلام أن لو قال: الود والمال لزيد، والمال لعمرو دون الود؛ فيكون قد أخرج عمرًا من الود إخراجًا مؤكدا بقوله «دون الود» فأمَّا الكلام الأول فمتناقض كما عرفتك، وكذلك بيت أبي تمام كان يُتأول على هذا أن لو قال «دون الود» لا دون الأقرب، وما ظننت أن أحدا يدَّعي مثل هذه الدعوى، ولا أن حاجة تدعو إلى مثل هذا الاحتجاج، ويجب أن يقال لهذا المعارض: هل يجب عندك أن تكون مودة لا معروف معها، إذ ليس كل من وددته فقد أنلته معروفا؟ فإن قال «لا» كابَرَ وسقط كلامه، وإن قال «نعم» قيل: قد أخرجت لفظةَ الود عن أن تدلَّ بمجردها على المعروف إلا بشيء يَقْترن بها .

وقال آخر إنما أخرج أقاربه من المعروف لأنهم في غنى وسعة حالة، فلذلك أفردهم بالود.

قلت له: فإن كانوا أغنياء بغناه فقد أوسعهم من معروفه؛ فما كان ينبغي للشاعر أن يَشرط للأباعد دونهم.

وقلت له: وكيف يُعلم أنهم أغنياء وليس في داخل البيت دليل عليه؟ قال: كذا نوى وأراد، قلت: ليس العملُ على نية المتكلم، وإنما العمل على توجيه معاني ألفاظه، ولو حَملْتَ قول كلِّ قائل وفعلَ كل فاعل على نيته لما نسب أحد إلى خطأ في قول ولا فعل، ولكان من سَدَّد سَهْما وهو يريد غرضًا فأصاب به عينَ رجل فذهبت غير مخطئ؛ لأنه ما اعتمد إلا الغرض، ولا نوى غير القرطاس.

وقال آخر: أراد بقوله «ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب» أي: بَعْدَ الأقرب، تقول: جاءني الأمير فمن دونه، أي: فمن بَعْده.

قلت: فإنما معنى فمن دونه، أي فمن هو أدْوَنُ منه في الرتبة، بعده كان مجيئه أو قبله

وقال آخر: إنما أراد أبو تمام بقوله «دون الأقرب» أي: فضلا عن الأقرب، أي: فكيف الأقرب، وإن كان هذا مذهبا للناس أن يضعوا «دون» في هذا الموضع فيقولوا:

أنا أرْضَى بالقليل دون الكثير، أي: فضلا عن الكثير وأنا أَقْنَعُ بقُرْص من شعيردون ما سواه، أي: فَضْلًا عن ما سواه وهذا مذهب صحيح معروف.

قلت له: هذا توهُّم منك فاسد، وتأول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود؛ لأن معنى «دون» عند أهل اللغة التقصيرُ عن الغاية فمعنى قوله «أنا أرضى بالقليل دون الكثير» أي أرضى بالقليل ولا أنتهي إلى الكثير: أي لا أطمح إليه، وأرضى بقُرْص من شعير ولا أنتهي إلى ما سواه؛ فهذه حقيقة معنى اللفظ، وأما ما تأولته فإنما هو بمعنى بَلْهَ التي تأتي في الكلام، وموضعُها دَعْ، كقول كُثَيِر:

بَسَطْتَ لِبَاغِي الْعُرْفِ كَفًّا بِسيطَةً تَنَالُ الْعِدَى بَلْهَ الصَّدِيقَ فُضولُها

أي: تنال العدى فدع الصديق، أي: لاتَصِلُ إلى العدى إلا بعد أن تصل إلى الصديق، و«دون» لاتتضمن هذا المعنى ولا تؤديه.

قال: فقد تأتي «دون» بمعنى فوق، كما تأتي فوق بمعنى دون، في قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾ [البقرة: 26] ذُكر أن معناه فما دونها؛ لأن «فوق» قد تكون دون عند ما هو فوقها؛ و «دون» قد تكون فوق عند ما هو تحتها، فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله «دون الأقرب» أي: فوق الأقرب، بمعنى زيادة على ما أعطاه الأقرب، أو تكون «دون» ههنا بمعنى أمام؛ لأن بعض أهل اللغة جعلها من الأضداد، وأنها تأتي بمعنى خَلْف وبمعنى أمام، مثل وَرَاء، فيكون معنى قوله «دون الأقرب» أي: أمام عُرْفه في الأقرب، أي: قبله.

قلت له: أما ما قيل في قوله عز وجل (فما فوقها) معناه فما دونها، فإن أهل العربية على خلاف ذلك، وليس لهذه اللغة عندهم إلاوجهان: أحدهما: أن يكون فما فوقها فما هو أكبر منها؛ لأن البعوضة غايةٌ في الصغر؛ فيكون المعنى أنه عز وجل لا يستحي أن يضرب مثلا ما بين الشيء الذي هو نهاية الصغر إلى ما هو فوقه، أي: ما زاد عليه وتجاوز. والوجه الآخر فما فوقها في الصغر، وهذا قول أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وأبي إسحاق الزجاج، والكسائي من قبلهما، وأبي عبيدة، وما أظن غير هؤلاء يقول إلا مثل ذلك، وأما ما ذكرت من أن «دون» تأتي بمعنى خَلْف وأمام فإنها عند

أهل العربية من الأضداد نحو «وراء» فقد أخبرتك أن معناها عند أهل العربية التقصير عن الغاية، وإذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه أو يَمْنة أو شأمة صَلَح في ذلك كله أن تقول: هو دونه، ألا ترى أنك إذا قلت «بيوت بني فلان دون الْحَرَّة» صلح أن تكون دونها إلى مَهَبِّ الشِّمال، أو إلى مَهَبّ الجنوب، أو إلى غيرهما من الجهات؛ فلا يعلم المخاطب أيّ الجهات التي تَعْني؛ فليس هذا من الأضداد في شيء، وإن جعلها قوم من الأضداد لمَّا رأوها تُسْتَعمل في هذه الوجوه لما فيها من الإِبهام، وكذلك «وراء» إنما هي من الْمُوَاراة والاستتار؛ فما اسْتَتَر عنك فهو وَرَاء: خَلْفَك كان أوقُدَّامك، هذا إذا لم تَرَه ولم تُشاهده، فأما إذا رأيته فلا يكون أمامك ووراءك، وإنما قال لبيد:

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... لُزُومُ الْعَصى تُحْنَى عَلَيْهَا الأصابِعُ(1)

بمعنى أليس أمامي؛ لأنه قال ذلك قبل أن يَرَى ويُشاهد نفسه وقد لزم العصا، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف: 79] قالوا: إنه كان أمامهم، وصَلَح ذلك لأنهم لم يُعاينوه ولم يشاهدوه، فقد وضَح لك الآن معنى «دون» أنها لا تخرج عن بابها التي وُضعت له، ألا ترى أنك تقول: نَزلتُ في القرية دون النخل؛ فيجوز أن تكون القريةُ أمام النخل، وخلفه، وأن يكون المعنى أنك أفردت القرية بنزولك، ولم تُعَرِّج على النخل، وكذلك «لقيت زيدا دون عمرو» و«أكلت السمك دون اللبن» أخرجتَ عمرًا من لقائك، واللبنَ من أكلك، وكذلك قول الطائي «دون الأقرب» قد أخرجهم من العُرْف، وهذا لا شيء أوضح منه.

وقد حمل بعضُهم نفسَه على أن قال: أراد الطائي «لكن عرفه في الأبعد الأوطان دون عرفه في الأقرب» وهذا من أفحش الخطأ؛ لأن قوله «دون الأقرب» مثل قولك: وُدِّي لزيد دون عمرو؛ فليس معناه كمعنى قولك: ودي لزيد دون [ودِّي] لعمرو؛ لأنك في الأول قد أخرجت عَمرًا من الود وأفردت زيدًا به، وفي الثاني جعلت الود لزيد دون الود لعمرو، أي: أقلَّ منه؛ فهذا معنى وذاك معنى آخر. وأيضا فلو اعتمد

(1) من قصيدة له يرثي فيها أخاه أربد، أولها:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الديار بعدنا والمصانع

أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج لكن التي تدخل للاستدراك من أن يكون استدْرَكَ بها شيئا؛ فلا يكون لها في البيت معنى ألبتة.

وقال آخر ممن يلتمس العذر لأبي تمام: إنما هذا على طريق الإيثار كما يؤثر الإِنسان على نفسه، فكذلك يؤثر على أقاربه.

قيل له: الإيثار على النفس حَسَنٌ جدا، وصاحبه ممدوح، كما قال الله عز وجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9] وكما قال أبو خِرَاش:

أُقَسِّمُ جِسْمِي في جُسُوم كَثِيرَةٍ ... وَأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ وَالمَاءُ بَارِدُ

والإِيثار إنما يكون إيثارا ويقَع الحمد به إذا آثر الإِنسان غيرَه على نفسه أو على ولده، وفي بعض الأحوال. فأما إذا آثر بعضَ الطالبين على بعض بغير سبب يُعلم فهو بذلك مذموم غير ممدوح، فكيف إذا آثر البعيدَ على القريب؟

وقد جاء في أشعار العرب من الحثِّ على بر الأقارب ومِن حَمْد مَنْ وصَلهم وذمِّ من حَرَمهم ما هو أشهر وأكثر من أن يخفى؛ قال زهير:[1].

وَلَيْسَ مانعَ ذي قُرْبى وَذِي رَحِمٍ ... يَوْمًا وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خابِطٍ ورَقا

وقال أبو دواد الإِياديّ:

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ
فَرِشْ وَاصْطَنِعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ ترْمِي[2]

وقال حاتم الطائي:

لَا تَعْذِلِيني عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ ... رحْمًا قَرِيبًا فَخَيْرُ المَالِ ما وَصَلا[3]

---

(1) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان، وأولها قوله:

إن الخليط أجد البين فانفرقا ... وعلق القلب من أسماء ماعلقا

وانظر العقد الثمين (38).

(2) أورده صاحب الصناعتين للمعنى الذي أنشده المؤلف من أجله (93).

(3) هو بيت له من قصيدة أولها قوله:

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا ... ولا تقولي لشيء فات ما فعلا

وانظر ديوانه (38 طبع أوربة عام 1872) وفيه في عجز هذا البيت «رحما وخير سبيل المال ما وصلا».

وقال أوس بن حجر:

أَلَيْسَ بِوَهَّابٍ مُفِيدٍ وَمُتْلِفٍ   وَصُوُلٍ لِذِي قُرْبى هَضِيم لِمُهْتَضِمْ

وقال زهير:

وَذي نَسَبٍ ناءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ   بمَالٍ وَما يَدْري بأَنَّكَ وَاصِلُهْ(1)

وقال كثير:

بَسَطْتَ لِبَاغِي الْعُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً
تَنالُ الْعِدَى بَلْهَ الصَّدِيقَ فُضُولُها

هذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائي؛ لأنه أراد أن عُرْفه ينال العدى فضلا عن الصديق؛ لأن قوله «بله الصديق» أي: فدع الصديق لأنه لا يصل إلى العِدَى إلا بعد أن يصل إلى الصديق، وقال كُثَير أيضا:

لأَهْلِ الوُدِّ وَالْقُرْبى عَلَيْهِ   صَنائعُ بَثَّها بَرٌّ وَصُولُ
ولِلْفُقَراءِ عَائِدَةٌ وَرَحْمٌ   فَلا يُقْصَى الْفَقِيرُ وَلَا يُعِيلُ

ألا تراه بدأ بأهل ودّه وقرابته فجعل منافعَه فيهم، ثم ثَنّى بالفقراء فجعل لهم عائدة ورحما: أي رحمة. وقال كثير أيضا:

وَلَمْ يَبْلُغِ السَّاعُونَ فِي الْمَجْدِ سَعْيَهُ   وَلَمْ يُفْضِلُوا إفْضالَهُ فِي الْأَقارِبِ
جَزَتْكَ الْجَوَازِي عَنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً   وَقَرَّبْتَ مِنْ مَأْوَى طَرِيدٍ وراغِبِ
وصاحب قوم معصم بِكَ حَقّهُ   وَجَار ابن ذي قربى وآخر جانب
رَأَيْتُكَ وَالْمعْرُوفُ مِنْكَ سِجِيَّةٌ   تَعُمُّ بِخَيْرٍ كُلَّ جادٍ وَغَائِبِ

(1) هو بيت من قصيدة يمدح فيها حصن بن حذيفة بن بدر، وأولها قوله:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله   وعرى أفراس الصبا ورواحله

وقد تقدم هذا المطلع في هذا الكتاب (ص 17) وسيأتي مرة أخرى في الباب الذي يعقده المؤلف للكلام على قبيح استعارات أبي تمام، وانظر العقد الثمين (46).

«جادٍ» يقال: يَجْدُو ويَجْتَدى[1]، أي: تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك؛ فجعل كثير كما ترى معروفه عُموما في الأقارب وفي الأباعد إلى الحاضر والغائب. وقال ابن هَرْمَة:

كَمْ نائِلٍ وَصِلاتٍ قَدْ نَفَحْتَ بِهَا ... وَنِعْمَةٍ مِنْكَ لا تُحصى أَيادِيها
عِنْدَ الأ قارِبِ وَالْأَقْصَيْنَ نَفْعُهُما ... بِيضٌ رَوَائِحُهَا تَحْدُو غَوادِيها

وقال كنانة بن عبد ياليل الثقفي:

صَلاةٌ وَتسْبِيحٌ وَإِعْطاءُ نائِلٍ ... وَذُو رَحِمٍ تَنالُهُ مِنْكَ إِصْبَعُ

يريد بقوله إِصبع رحم ونائل.

وقال إسماعيل بن يسار النسائي:

وَإِذا أَصَبْتَ مِنَ النَّوَافِلِ رَغْبَةً ... فَامْنَحْ عَشِيرَتَكَ الأدانِي فَضْلَها

وقال المسيب بن علي في منع الأ قارب:

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الأَبْعَدِينَ ... وَيَشْقَى بِهِ الأَقْرَبُ الأَقْرَبُ[2]

وقال الحارث بن كلدة الثقفي يذم فاعل ذلك:

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْشَى الأباعِدَ نَفْعُهُ ... وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى المَماتِ أَقارِبُهْ[3]
فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ فَالْبَعِيدُ يَنالُهُ ... وَإِنْ يَك شَرٌّ فَابْنُ عَمِّكَ صاحِبُهْ

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب

وقال مُسَافر بن أبي عمرو بن أمية[4] في ذلك:

تَمُدُّ إِلَى الأَقْصى بِثَدْيِكَ كُلِّه ... وَأَنْتَ عَلَى الأَدْنَى صَرُورٌ مُجَدِّدُ

---

(1) تقول: جدا علينا فلان، بمعنى أفضل. وتقول: جدوت فلانا أجدوه، واجتديته، واستجديته؛ بمعنى سألته. وقال الشاعر:

جَدَوْتُ أُناسًا مُوسِرِينَ فَمَا جَدَوْا ... أَلا اللّهَ أَجْدُوهُ إِذا كُنْتُ جَادِيًا

(2) انظره في الصناعتين (93)

(3) روى أولهما في الصناعتين (93) أيضا.

(4) رواهما في الصناعتين (93) مع تغيير يسير لا يضر بالمعنى.

وَإنَّكَ لَوْ أَصْلَحْتَ مَنْ أَنتَ مُفْسِدٌ تَـوَدَّدَكَ الأقْصي الَّـذِي تَتَوَدَّدُ

الصَّرور: الضيق حلمة الثدي، والمجدِّد: الذي قد انقطع لبنه.

وهذه طريقة القوم في هذا، وهو مذهب سائر الأمم.

وأما قول أبي تمام[1]:

وَرُبَّمَا عَدَلَتْ كَفُّ الْكَرِيمِ عن الْـ ـقَوْمِ الْحُضُورِ ونَالَتْ مَعْشَرًا غُيُبَا

فليس هو من بيته الأول في شيء، وقد أدرك فيه الغرض، كأنه يَعْذر من فعل هذا: أي ربما اتفق أن يَفْعله من غير قصد، وليس هذا بمحمود.

وقد ذهب البحتري إلى نحو ما ذهب إليه أبو تمام فقال[2]:

بَلْ كانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَيْبِهِ نَسَبًا مَنْ كانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمَا

إلا أنه لم يُخْرجهم من معروفه، وإن كان أيضا قد دخل تحت الإِساءة.

ونحو هذا قول البحتري أيضا[3]:

غَدَا قَسْمُهُ عَدْلًا: فَفِيكُمْ نَوَالُهُ، وَفي سِرِّ نَبْهانَ بْنِ عَمْرو مَآثِرُهْ

وَما عَجَبٌ أَنْ تَشْهَدُوا الطَّعْنَ دُونَهُ وما عَشَرَتْكُمْ فِي نَدَاهُ عَشائِرُهْ

فأي قسمة عَدْل ههنا أن يجعل نَدَاه في غير قومه، ويقتصر بهم على أن يجروا الفخر لمآثره؟ وإن كان قد دل بقوله «وما عشرتكم في نداه عشائره» على أنه لم يحرمهم نواله ألبتة.

والأحسن في هذا قوله[4]:

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي ويعاتبه (الديوان 22) «ونالت» ههنا بمعنى أعطت.

(2) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان 2 - 260) والجذم بكسر الجيم وسكون الذال - الأصل. وانظره في الصناعتين (93) أيضا.

(3) من قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان 2 - 13) وفيه في صدر الأول منهما «غدا قسمة عدلا» وفي عجزه «وفي سر و نبهان» وكان في الأصل في الثاني «وما عجب أن يشهد الطعن».

(4) من قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن عمار (الديوان 2 - 188) وكان في الأصول «فإن ينفرد عنا يسير» وهو تحريف ما أثبتناه عن الديوان.

فَـإِنْ تَنْفَرِدْ عَنَّا قُشَيْرٌ بِمَجْدِهِ   فَلَمْ تَنْفَرِدْ عَنَّا بِنَائِلِهِ الْجَزْلِ

فأعطاهم المجد والنائل جميعا.

وشبيه بهذا أو قريب منه قوله[1]:

عَطاؤُكَ ذا الْقُرْبى جَزِيلٌ، وَفَوْقَهُ   عَطاؤُكَ فِي أَهْلِ الشَّنَاءَةِ والْبُعْدِ

فقال: «عطاؤك ذا القربى جزيل» ثم قال «وفوقه عطاؤك في أهل الشناءة والبعد» فقوله «وفوقه» أي: أجزل منه، وقد يكون «فوقه» بمعنى زيادة عليه، والمعنى الأول بالبيت أليق.

والجيدُ في هذا البعيدُ من العيب قولُه:

ظَلَّ فِيها الْبَعيدُ مِثْلَ الْقَرِيبِ الْـ   ـمُجْتَبَى والْعَدُوُّ مِثْلَ الصَّدِيق[2]

ولا أعرف لأبي تمام فيما قال عذرا يتوجّه، ولا وجدت فيما تصفحته من أشعار العرب ما يجانسه إلا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسي:

لِمَنْ يَزُورُكَ مِنْ أَشْرَافِنا لَطَفٌ   وَذِي الْقَرَابَةِ إدنـاءٌ وَتَقْرِيبُ

وأظن أبا تمام عَثَر به واستغربه فأخذ المعنى وزاد عليه زيادةً أخرجته إلى ذمِّ الممدوح؛ لأن هذا الشاعر قال «لمن يزورُكَ من أشرافنا لَطَف» أي: بر «ولذي القرابة إدناء وتقريب» ولم يقل إدناء وتقريب دون البر، كما قال أبو تمام؛ لأن البر واللَّطَف

---

(1) هو ثاني سبعة أبيات يقولها في مديح أحمد بن محمد الطائي (الديوان 1 – 202) وفيه «عطاؤك ذا القربى علو».

(2) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل (الديوان 2 – 136) وقبل هذا البيت – مما يرتبط به معناه – قوله:

وعـطـايـاك فـي الـفـضـول عـداد الـ   ـرمل من عالج، فقل في الحقوق
أخـذت بالسماح غصبا، وقـد يؤ   ـخـذ نـيـل الـبـخـيـل بـالـتـوفـيـق
لا أعـد الـمـرزوق منها – إذا فكـ   ـرت فيها وفـيـه – بـالـمـرزوق
ظل فيها البعيد مثل القريب الـ   ـمجتبى، والـعـدو مثل الصديق
كـحـبـي الـغـمـام جـاد فـروى   كـل واد مـن الـبـلاد ونـيـق

والنيق – بكسر النون أوله– أرفع موضع في الجبل، يريد عم بريه الجبال والوديان. وانظره في الصناعتين (93) أيضا.

إذا كانا للغريب الزائر، وكان الإدناء والتقريب في تلك الحال لذي القرابة – فقد يجوز أن يهيجه البر إليه في وقت إيصاله إلى الغريب، وهذا إن كان يقع في الأكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله:

ولله در أبي عبادة الوليدِ بن عبيد الله البحتري إذ يقول[1]:

فَـإِنَّ ذاكَ النَّدى يُدْنِي إلَيْهِ يَدًا ... مُمْتَاحَةً مِنْ بَعِيدِ الدَّار والرَّحِمِ

وقوله[2]:

وَمَا أَضَعْتَ الْحَقَّ فِي أَجْنَبٍ ... فَكَيْفَ تَنْسَى وَاجبًا في شَقِيقْ

8 – ومن خطائه قوله:[3]

يَدِي لمَنْ شاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذقْ جرَعَا ... مِنْ رَاحتَيْكَ دَرَى مَا الصَّابُ والْعَسَلُ

لفظ هذا البيت مبنيٌّ على فساد؛ لكثرة ما فيه من الحذف؛ لأنه أراد بقوله «يدي لمن شاء رهن» أي أسابقه وأبايعه معاقدة أو مراهنة إن كان مَنْ لم يذق جرعا من راحتيك دَرَى ما الصاب والعسل، ومثل هذا لا يسوغ؛ لأنه حذف «إن» التي تدخل للشرط، ولا يجوز حذفها؛ لأنها إذا حُذفت سقط معنى الشرط، وحَذَف «مَنْ» وهي الاسم الذي صلته «لم يذق» فاختلّ البيت، وأشكل معناه، والحذف لعمري كثيرٌ في كلام العرب، إذا كان المحذوف مما تدلّ عليه جملة الكلام، قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ﴾ [الروم: 8] أراد عز وجل أو لم يتفكروا ليعلموا، وأشباه هذا كثير، ومن باب الحذف والاختصار قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران: 106]

---

(1) من قصيدة يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان 2 – 265) وفيه «ما إن يزال الندى يدني» وانظر الصناعتين (93) أيضا وقبل هذا البيت – مما يتصل به معناه – قوله:

الله جار بني خاقان إنهم الـ ... ـأثرون من كرم الأخلاق والشيم
بيت تقدم فيه المجد واجتمعت ... له عظام المساعي والعلى القدم
النازحون عن الفحشاء يبعدهم ... عن لؤمها شرف الأخلاق والكرم
ما انفك مجد عبيد الله يكسبهم ... محبة من صدور العرب والعجم

(2) من قصيدة يمدح فيها المعتمد على الله (الديوان 2 – 126) وفيه: «فكيف تنسى واجبا في الشقيق».

(3) هو بيت من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان 228).

قال أبو عبيدة: العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد، كأنه أراد: فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم، وقوله عز وجل: ﴿إِذًا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ [الإسراء: 75] يفسر ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، وفي الشعر مثل هذا موجود، قال الشاعر[1]:

لَوْ قُلْتَ ما في قَوْمِها لَمْ تَأْثَمِ ... يَفْضُلها في حَسَبٍ وَمِيسَمِ

يريد أحد يفضلها، فحذف «أحد»؛ لأن الكلام يدلّ عليه، ذكر ذلك سيبويه. وأنشد في باب الحذف[2]

وما الدَّهْرُ إلَّا تارَتانِ فَمِنْهُما ... أَمُوتُ وأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ

يريد فمنهما تارة أموت.

فإن تأول متأولٌ هذا البيت على ألفاظٍ أُخَرَ محذوفة غير اللفظ الذي ذكرته فالاختلال بعدُ قائم؛ لكثرة ما حذف منه، وسقوط الدليل عليه.

9 - ومن خطائه قوله[3]:

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغانِيكُمْ بَعْدِي ... ومَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ

جعل الوشائعَ حواشيَ البردِ أو شيئًا منها، وليس الأمر كذلك، إنما الوشائع غَزْلٌ من اللُّحْمَة ملفوف يجرُّه الناسج بين طاقات السَّدى عند النِّساجة[4] قال ذو الرمة:

---

(1) هو بيت من الرجز لحكيم بن معية الربعي، أحد الرجاز الإسلاميين وبعد البيت قوله:

عفيفة الجيب حرام المحرم ... من آل قيس في النصاب الأكرم

والنحاة يستشهدون بالبيت الذي أنشده المؤلف على جواز حذف الموصوف، إذا كان بعض اسم مجرور بفي، وكان النعت جملة، ألاترى أن «أحدا» - الذي هو الموصوف المحذوف - بعض اسم وهو «قومها» مجرور بفي؟ ثم ألا ترى أن الوصف جملة وهي قوله «يفضلها»؟

(2) البيت لابن مقبل (اللسان: ك د ح - ت و ر) وهو مما يستشهد به النحاة على حذف المنعوت وبقاء النعت، أراد الشاعر فمنهما تارة أموتها: أي أموت فيها، وتارة أخرى أسعى في طلب العيش وأدأب.

(3) هو مطلع قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقي ويعتذر إليه (الديوان 127) وأقوت: أقفرت وخلت من سكانها، والمغاني: جمع مغنى، وهو المنزل يغني فيه أهله وساكنوه: أي يقيمون، تقول: غنى فلان بالمكان يغني، إذا أقام. ومحت: بليت والبرد -بالضم- الثوب.

(4) السدى - بفتح السين، بزنة الفتى - ما كان من خيوط النسيج طولا، واللحمة - بضم اللام- ما كان منها بين طاقات السدى، والنساجة - بكسر النون - حرفة النساج.

بِهِ مَلْعَبٌ مِنْ مُعْصِفَاتٍ نَسَجْنَهُ كَنَسْجِ الْيَمانِي بُرْدُهُ بِالْوَشائِعِ

فأما قول كثير:

دِيارٌ عَفَتْ مِنْ عَزَّةَ الصَّيْفَ بَعْدَ ما تُجِدُّ عَلَيْهِنَّ الْوَشِيعَ الْمُنَمْنَمَا

إنما أراد بالوشيع هنا ما سُدَّ به الخصاصة بين الشيئين، وهذه وشائع الغزل؛ والمنمنم: مأخوذ من[1] النَّمَّام: أي بعد ما كانت هذه الديار تجد بالوشيع، أي: يخصص جنابها، ومثل أبي تمام لا يسوغ [له] الغلط في مثل هذا؛ لأنه حَضَري، وإنما يُسامَح في ذلك البدَويُّ الذي يريد الشيء ولم يُعاينْه فيذكر غيره لقلة خُبْره بالأشياء التي تكون بالأمصار. وأما أبو تمام فليست هذه حاله، بل ما جَهِل هذا، ولكنه سامح نفسه فيه، ألا ترى إلى قوله في موضع آخر يصف قصيدةً:

الْجِدُّ وَالْهَزْلُ في تَوْشِيعِ لُحْمَتِها والنبل والسخف والأشجان والطَّرَبُ[2]

فقال «في توشيع لحمتها»

10 – ومن خطائه قوله[3]:

لَوْ كانَ في عَاجِلٍ مِنْ آجِلٍ بَدَلٌ لَكَانَ في وَعْدِهِ مِنْ رِفْدِهِ بَدَلُ

ولم لا يكون في عاجل من آجل بدلٌ؟ والناسُ كلُّهم على اختيار العاجل وإيثاره وتقديمه على الآجل، ألا ترى قولَ القائل الذي قد صار مثلا:

* وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ *

والعاجل أبدا هو المطلوبُ المرغوب فيه، حتى إن قليلهُ يؤثَر على كثير الآجل، كما قال الآخر:

---

(1) النمام – بفتح النون وتشديد الميم – نبت طيب الريح.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات (الديوان 51) والتوشيع: ههنا لف اللحمة بعد ندفها. والنبل: الذكاء، والسخف: النزاقة والخفة والطيش. والأشجان: الأحزان، واحدها شجن، بفتح الشين والجيم.

(3) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان 227) والآجل كالمؤجل: المتأخر، والرفد– بكسر فسكون– العطاء.

أَعَـاذِلَ، عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي   أَحَبُّ مِنَ الأَكْثَرِ الرَّائِثِ[1]

كأنه يريد عاجل ما أشتهى مع القلة أحبُّ إِليَّ من الأكثر المُبْطئ، فمن شأن العاجل أبدًا أن يكون أفضلَ الأعواض والأبدال من كل آجل إذا كان في الخير، فعاجل الخير خير من آجله، كما أن عاجلَ الشر شر من آجله؛ لأن العاجل شيء قد وقع: إن كان خيرا فقد حصل نفعه، أو شرا فقد تعجَّل شره، وآجل الخير يُخْشى فوْتُه، وربما وقع الإِخفاق منه، كما أن آجل الشر يُرجى زواله، وربما لم يقع، فكيف لايكون العاجلُ بدلًا أو خَلَفًا من الآجل؟

فإن قال قائل: إن الذي أراده أبو تمام وقاله صحيح، ومذهبه فيه مستقيم؛ لأن العاجل لا يكون أبدا بدلا ولا خلفا من الآجل؛ لأن المبدلَ لا يكون قبل المبدلِ منه، ولا الخلفَ يتقدم على ما هو خلف له؛ لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خَلْفَ الذي هو قُدَّامه؛ فأبو تمام إنما أنكر أن يكون العاجلُ بدلًا أو خلفا من الآجل على هذه السبيل.

قيل: هذا غلط من التأويل، أو مغالطة؛ لأنه ليس على هذا الوجه مَنَع أبو تمام من أن يكون العاجلُ بدلا من الآجل فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب، وإنما أراد أنه لا يقوم مقامه في الحاجة إليه، فكيف يكون الأول يقوم مقام الثاني والمتقدم مقام المتأخر؟ وكان وَجْه الكلام الذي يصحّ به المعنى ويستقيم أن يقول: لو كان في عاجِلِ قولٍ بدلٌ من آجل فعل لكان في وعده من رِفْدِهِ بَدَل.

فإن قال: فهذا الذي أراد أبو تمام

قيل: ليس الأمر كذلك؛ لأن طريقة لفظه في البيت أن يكون معناه لو كان في شيء عاجل من شيء آجل بدل.

وبعد؛ فلو أراد ما ظننتَه وذهبتَ إليه - وذلك ليس بمعلوم، ولا في البيت عليه دليل- لم يُلْتَفت إلى إرادته؛ لأنك إذا فصلت الإِضافة من عاجل قول أو آجل فعلٍ ففرقت بين المضاف والمضاف إليه لم يدلّ أحدهما على الآخر؛ لأن لفظة «عاجل»

(1) الرائث: اسم الفاعل من راث الأمر يريث ريثا - كباع يبيع بيعا- إذا أبطأ، وفي مثل من أمثالهم: رُب عجلة تهب ريثا. وفي حديث الاستسقاء «عجلا غير رائث» أي غير بطيء. ونسبه في نقد الشعراء (128) إلى عبيد الله بن عبد الله بن مسعود.

لاتدلّ غيرَ مضافة على ما تدلّ عليه لفظة «عاجل قولٍ» كما أن لفظة «آجل» لا تدل على «آجل فعلٍ» ولا يدلان أيضا على شيء مُضْمَر، كما أن قولك: زيد أولُ ناطقٍ وآخر ساكتٍ. وعمرو أولُ خارجٍ وآخر قادمٍ، وبكر أولُ آخذٍ وآخر تاركٍ؛ إذا أفردت «أول» و «آخر» لم يدلّا على شيء مما أضيف إليه. ألا ترى أن الأصمعي أنكر على ذي الرُّمة قوله يصف الوتر:

*** كـأَنـهُ فـي نِـيـاطِ الْـقَـوْسِ حُـلْـقُـومُ ***

فقال: حُلْقوم ماذا؟ إذ كان يجب أن يقول: حلقوم طائر، أو حلقوم قطاة، أو غيرهما مما يشبه الوتر في الرقة، وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل، أو حلقوم بعير، وهذا من الأصمعي إِنكار صحيح، وإن كان لا يلزم ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام؛ لأن العرب لا تُشَبه الوتر إلا بحلقوم الطائر، وذلك قول الراجز:

*** لام مـمـر مـثـل حـلـقـوم الـوتـر ***

أخذه أبو تمام فقال[1]

*** لام كَـحُـلْـقُـوم الْـقَـطَـاةِ تَـغْـتَـرِفْ ***

وأبو تمام أراد أن هذا الممدوح يقيم وَعْدَه لصحته مُقام عطيته، وأَحَبَّ الإِغراق على رسمه فأخطأ في تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل؛ لأنه أطلق القولَ عموما؛ فلا يدل على الخصوص.

والجيد النادر في هذا قول البحتري:[2]

لَوْ قَلِيلٌ كَفى امْـرَأً مِنْ كَثِيرٍ ... لاكْتَفَيْنَا بِـقَـوْلِـهِ مِـنْ فِعَالِهْ

وأحسن الراعي في قوله:

ضَافِي الْعَطِيَّةِ: رَاجِيهِ وَسَائِلُهُ ... سِيَّان، أَفْلَحَ مَنْ يُعْطِي وَمَنْ يَعِدُ

(1) لا يوجد هذا في ديوان أبي تمام المطبوع.

(2) هو بيت من قصيدة يمدح فيها بعض بني حميد (الديوان: 2 - 201).

11 – ومن خطائه قوله:[1]

بِيَوْم كَطُولِ الدَّهْرِ في عَرْضِ مِثْلِهِ وَوَجْدِيَ مِنْ هذا وهذَاكَ أَطْوَلُ

فجَعَل للدهر – وهو الزمان – عَرضا، وذلك مَحْض المحال، وعلى أنه ما كانت إليه حاجة، لأنه قد استوفي المعنى بقوله «كطول الدهر» فأتى على العرض في المبالغة

فإن قيل: فلِمَ لا يكون سعة ومجازا؟

قيل: هذه ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة، وهي بعيدة من المجاز؛ لأن المجاز في هذا له صورة معروفة، وألفاظ مألوفة معتادة، لا يُتَجاوز في النظر بها إلى ماسواها، وهي قول الناس: عِشْنا في خَفْض ودَعَة زمانًا طويلا عريضًا، وما زلنا في رَخاءٍ ونعمةٍ الدهْرَ الطويلَ العريض. وإنما أرادوا تمامه وكماله وسَعَته، نحو قولهم: ثوبٌ طويل عريض، أي: تامّ واسع، وأرض طويل عريضة، أي: تامة في الطول والسعة، وكذلك إذا وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة فإنما يريدون التمام والكمال، ألا ترى إلى قول الراعي[2]:

أَنْتَ ابْن فَرْعَيْ قُرَيْشٍ لَوْ تُقاسِمُها فى الْمَجْدِ صارَ إلَيْكَ الْعَرْضُ والطُّولُ

أي: لها سعة وتمام وكمال. والفضائل: المحاسن[3]. وكذلك قوله:

إذا ابْتَدَرَ النَّاسُ الْمَكارِمَ بَزَّهُمْ عَراضَةُ أَخْلاقِ ابْنِ لَيْلَى وطُولُها[4]

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي (الديوان 244) وقبله – وهو مطلع القصيدة – قوله:

تحمل عنه الصبر يوم تحملوا وعادت صباه في الصبا وهي شمأل

وانظر الاعتراض على هذا البيت أيضا في الصناعتين (96).

(2) أنشده في الصناعتين (96) منسوبا إلى كثير، وفيه «لو تقايسها» وأظنه أليق مما هنا. وكان في الأصول «أنت ابن فدعى قريش».

(3) كذا، وليس في بيت الراعي ما يشرح بهذا الكلام، ونظن أنه قد سقط بعد البيت قوله: «أي صار إليك المجد بتمامه، وكذلك قول كثير:

بطاحي له نسب مصفى وأخلاق لها عرض وطول

أي لها سعة وتمام وكمال» فإن الكلام يستقيم على هذا الوجه.

(4) نسب ابن منظور في اللسان (ع ر ض) هذا البيت الى جرير والعراضة -بالفتح- مصدر من مصادر عرض.

أي بَزَّهم منه أخلاقه وتمامها وكمالها في الفضل؛ لأن الأخلاق تُمدح بالسعة وتذم بالضيق، إلا أن أكثر ما يأتي في كلامهم العرض المراد به السعة إذا جاء مفردا عن الطول، نحو قولهم: فلان في نِعْمَةٍ عريضة، وله جاهٌ عَريض، وكما قال الله عز وجل ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: 133] أي: سعتها: وكما قال الله عز وجل في موضع آخر: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: 51] وكما قال تميم ابن أبيّ بن مقبل:

يَقْطَعْنَ عَرْضَ الأرْضِ غَيْرَ لَوَاغبٍ وكـأَنَّ بَحْرَيْهَا لَهُنَّ صَحَارِ[1]

أي: يقطعن سَعَة الأرض، وكما قال الآخر:

سَأَجْعَلُ عَرْضَ الأرْضِ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ وأجْعَلُ بَيْتِي في غَنِيٍّ وأعْصُرِ

وكما قال العجاج:

إذا تغشوا بعد أرض أرضا حسبتهم زادوا عليها عرضا

أي: سعة وكثرة، وكما قال تميم أيضا:

حَتَّى إذا الرِّيحُ خَبَّتْ بِالسَّفَا خَبَبًا عَرْضَ الْبِلادِ أَشَتَّ الأمْرُ وَاخْتَلَفَا

أي: سعة البلاد؛ فهذا إذا جرى على هذا اللفظ المستعمل حَسُن ولم يقبح، وإذا عدل به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ المألوفة إلى ما يشبه الحقائق أو يقاربها كنت مخطئًا؛ لأنك إذا قلت: مضى لنا في الخفض والدعة دهر طويل كأن طوله كعرضه – لم يجز ذلك؛ لأن هذا الترتيب كان وصفًا لأشياء مجسَّمة، كما قال الطائي:

*** بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ ***

فكانَ هذا اللفظ كأنه يذْرع ثوبًا أو يمسح أرضا أو يصف بالاجتماع والتزوير رجلا، كما قال تميم بن أبيّ بن مُقبل:

وكُلُّ يَمانٍ طُولُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ فَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ وَلا طَرَفَانِ

(1) لواغب جمع لاغبة، وهي اسم الفاعل المؤنث من لغب – على مثال منع وسمع وكرم – إذا أعيا أشد الإعياء. والبحران: مثنى البحر، والمراد به ههنا الريف، وهي الأرض فيها زرع وخصب، يريد كأن الأرض المرزوعة صحراء خالية فهن يسرعن الجري فيها لا يعوقهن شيء.

فإن قيل: فإذا جعلت للزمان العرضَ الذي هو سعة على المجاز، لِمَ لا تجعل له العرض الذي هو خلاف الطول على المجاز؟

قيل له: العرض الذي هو خلاف الطول حقيقة، والزمان لا عرض له على الحقيقة، فكيف تكون الحقيقة مجازا؟

فإن قيل: فإن الزمان لا يوصف بالسعة، كما لا يوصف بالعرض؛ فلِمَ استعرت له العرض الذي هو السعة؟

قيل: العرض - وإن جاء وَصْفا وحلية للزمان في قولهم: عاش فلان في نعمة زمنا طويلا عريضا - فإنما صلح لأنك وَصَلته بالطول، وقَرَنْته به، فكأن المعنى عاش في زمن تَمَّ له وكمل واتسع، كما أخبرتك، والزمان قد يوصف بالسعة فيقال: قد اتَّسع لك الوقت والزمان في مثل كذا، ولا يقال عَرُضَ لك، والعرض ههنا هو السعة، ولكن أجري هذا على حسب ما استعملوه، وإنما في الوقت فُسْحة لك وامتداد يراد به معنى الطول، وقال ضِرَارُ بن الخطاب:

*** وما لا قَيْت في الزَّمَنِ الْعَرِيضِ***

وذكر العرض مفردًا عن الطول: أي الزمن الذي اتّسع لك، وقد يجوز - إن قلت: عاش في الخير دهرًا عريضا - أن تُريدَ بالعرض سعةَ الخير فيه، لا سعته في نفسه، كما قالوا «ليل نائم» أي يُنَام فيه، و «لَمْحٌ باصر» أي: يُبْصَر فيه. وإنما تُستعار اللفظة لغير ما هي له إذا احْتَملت معنى يصلح لذلك الشيء الذي استعيرت له ويليق به؛ لأن الكلام إنما هو مبنيٌّ على الفائدة في حقيقته ومجازه، وإذا لم تتعلق اللفظة بالعرض على الحقيقة وهذا محال لما كان في بيت أبي تمام معنى؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ في طول وَجْده؛ إذ كل الوجد يُوصَف بالطول، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما، فيقال: طال وجدي، وطال شوقي، وطال غرامي، وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول؛ فيقال: طال ليلي، وطال نهاري، فما كانت حاجة إلى العرض؛ وإنما فضل وجده على الدهر وعلى اليوم الذي جعله كالدهر من جهة الطول لا من جهة العرض، ألا تراه قال:

*** ووَجْـــدِيَ مــنْ هــذا وهـــذَاكَ أَطْـــوَلُ ***

وقد ذكر أبو تمام العرض في بيت آخر فقال[1]:

إنَّ الثَّناءَ يَسِيرُ عَرْضًا فِي الْوَرى وَمَحَلُّهُ في الطُّولِ فَوْقَ الأنْجُم

كيف جعل سَيْر الثناء عَرْضًا في الورى وهو لم يحدّد موضعا بعينه فيحسن فيه ذكر الطول والعرض فيكون كما قال الراعي:

وجرى على حرب الصوى فَطَرَدْتهُ طَرْدَ الْوَسِيقَةِ في السَّمَاوَةِ طُولا[2]

فيحسن أن يقول «طولا» لأنه ذكر السماوة، كما قال النابغة – ويقال: إنه محمول عليه–:

جَنِبْنَ مع الغُطاطِ يُقَدْنَ حَتَّى قَطَعْنَ الْحَزْنَ عَرْضًا والرِّمالا[3]

فصلح لأنه ذكر أنهن قطَعن أرضَ الْحَزْن والرمال، ومثل قول أبي تمام قول الْمرَّار:

فَلَوْ كانتْ تَجُوبُ الأرْضَ عَرْضًا ولكِنْ جَوْبُهُنَّ الأرْضَ طُولا

وله ولبيت أبي تمام معنى غامض يصحان به، وأنا أذكره مع شرح المعاني الغامضة من شعر أبي تمام:

ومما يشبه قول أبي تمام:

*** بيوم كطول الـدهـر فـي عـرض مثله ***

أو يقاربه قولُ الكُمَيْت يصف عِدَّة قومٍ بالكثرة:

كاللَّيْلِ، لا، بَـلْ يُضْعِفُو نَ عَلَيْهِ مِـنْ بـادٍ وحاضِرْ

وكيف يتحصّل مقدار الليل حتى يتحصل ضعفه؟ وهذا أيضا يصحُّ على التمييز والتفتيش، إذا حصل معناه، وذلك أن الليل لا يغشى الأرض كلّها بظلمته، وإنما

(1) هو بيت من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 314) وكان في الأصول «إن الثناء يصير» وما أثبتناه عن الديوان ويؤيده قول المؤلف بعد «كيف جعل سير الثناء».

(2) الوسيقة: من الإبل كالرفقة من الناس؛ فإذا سرقت طردت معا. والسماوة: موضع بين الكوفة والشام بجوار صحراء تنسب إليه.

(3) الغطاط – بضم الغين، وتفتح – الصبح، أو بقية من سواد الليل، والسحر.

يغشى بعضها، فلعل الكميت أراد أنهم يأخذون من الأرض ضعف ما أخذه الليل منها إذا غشيها على سبيل المبالغة، كما قال الأحمر بن شجاع الكلبي:

بحارًا تُخَشِّي النَّاظِرِينَ كأَنَّها دُجَى اللَّيْلِ، بل هِي منْ دُجَى اللَّيْلِ أكْثَرُ

12 - وقال أبو تمام:

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أهْلِهِ بَلَدُ[1]

وهذا أيضا غلط؛ من أجل أن كلَّ بلد يضيق بأهله، وليس ضيقُه من جهة ضيق الأرض؛ لأن الأرض لو كانت عَشَرَةَ أضعافها في المقدار أو ألفَ ضعفٍ مثلها ما كان ذلك بموجبٍ أن يكون الْحَزْن والصمان أو نجد أو المدينة أو مكة أو الكوفة أو البصرة في قدر مساحة كل ناحية منها أوسع وأزيد مما هي عليه الآن؛ إذ لم يختطّ البصرةَ والكوفةَ مَن اختطهما ولا أَسَّس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض وضيقها، ولا صار قدرُ الْحَزن والصَّمان هذا القدرَ في ذرعهما ومساحتهما على قدر مساحة الأرض وذرعهما بقسطٍ أَخذاه منها، وإنما ذلك على حسب الأخلاق في كل سَعة، وعلى حسب ما أدَّى إليه الاجتهاد والاختيار ممن أَسَّس كل بلدة ومَصَّر كل مصر، وكان ينبغي أن يقول: ورَحْبَ صدر لو أن الأرض واسعةٌ كوسعه لم يسعها الفلك وضاقت عنها السماء، أو أن يقول: لو أن سَعَة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد، وكان حينئذ يكون المعنى لائقا مستقيما.

والجيد الصحيح في هذا المعنى قولُ البحتري:

مَفازَةُ صَدْرٍ تطَرَّقُ لَمْ تكن لِيَسْلُكَها فَرْدًا سُلَيْكُ الْمَقانِبِ[2]

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 97) وانظر الاعتراض على هذا البيت في الصناعتين أيضا (93) و «رحب» منصوب لأنه معطوف على نية» المنصوب في بيت متقدم وهو قوله:

مستصحبانية قد طال ما ضمنت لك الخطوب فأوفت بالذي تعد

(2) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 1 - 73) وكان في أصول الكتاب «مفازة صدر لم تطرق ولم يكن ليسلكها بردا» وهو تصحيف صوابه عن الديوان وعن الصناعتين (94) وسليك: هو سليك بن السلكة، شاعر لص فتاك عداء خبير بالأرضين، والمقانب: جمع مقنب - بزنة منبر - يطلق على جماعة الخيل والفرسان. ويطلق أيضا على الذئاب، وأحسبهم أضافوا سليكا إليه على المعنى الثاني؛ لأنهم يطلقون على الشذاذ والصعاليك لقب «الذؤبان».

أي: لم يكن ليسلكه إلا بدليل لسَعته، وأيضا فإن الجزء من الأرض هو ما يكون فيه من الحيوان والنبات، وإنما مقداره على ما يقوله أهل الهندسة الربع من الأرض وأقل من الربع، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءا من ألف جزء من ذلك. فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة إنما هو من أجل ضيق الأرض؟

فإن قيل: لا يدل قوله «الأرض» وهو لفظُ عمومٍ على البلدان التي هي مخصوصة، ولا يكون[1] اللفظ إلا هكذا: أن يريد القائل لفظة تدل على معنى فيأتي بأخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة.

13 – ومن خطائه قوله:[2]

وَكُلَّمَا أَمْسَتِ الأَخْطَارُ بَيْنَهُمُ هَلْكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَمْسَى لَهُ خَطَرُ[3]

لَوْ لَمْ تُصَادِفْ شِيَاتُ البَهْمِ أَكْثَرَ مَا فِي الْخَيْلِ لَمْ تُحْمَدِ الأَوْضَاحُ وَالْغُرَرُ[4]

فالأوضاح: هي البياض في الأطرافِ، وقد يكون أيضا في البَهْم، وكذلك أيضا الغُرَر قد توجد في البَهْم كثيرة، وهذا فساد في ترتيب البيت؛ لأنه ليس إذا وُجدت شيات الْبهْم – وهي صغار الغنم– أكثر ما في الخيل، أو وجدت شيات الخيل أكثر ما في البهم كان ذلك موجبا لحمد الأوضاح والغرر، وإنما كان يصحُّ نظمُ الكلام: لو لم توجد الأوضاح والغرر في البهم، حتى تكون مخصوصة بالخيل، فيقول: لوْ لمْ

(1) كذا، ولعل أصله «قيل لا يكون الخطأ إلا هكذا – إلخ» حتى يكون هذا جوابا لقوله «فإن قيل – إلخ»

(2) البيتان من قصيدة له يمدح فيها عمر بن عبد العزيز الطائي (الديوان 150).

(3) الأخطار ههنا: عظائم الأمور ومهامها. وهلكى ههنا: بمعنى عظيمة وسامية يتنافس فيها ويحرص على بلوغها، يريد أن عظائم الأمور مقياس علو الهمة، والتطلع إليها في حرص على بلوغها دليل على عظمة النفس.

(4) الشيات: جمع شية – بكسر الشين فيهما – وهو لون يخالف لون سائر الجسد. والبهم – بفتح فسكون– الصغار من أولاد البقر والضأن والمعز. والأوضاح: جمع وضح، وهو التحجيل. والغرر: جمع غرة، وهي البياض في جبهة الفرس، وإنما بني أبو تمام البيت على أن التحجيل والغرر إنما مدحت في الخيل لعدم وجود نظائرها في البهم، ولم يمدح غيرهما من الشيات في الخيل لاشتراك البهم والخيل فيها، وسينكر عليه المؤلف ذلك.

تعدم الأوضاح والغرر في البهم لما حمدت في الخيل، فأما أن توجد شيات البهم في الخيل كثيرًا أو شيات الخيل في الْبهْم دائما، فليس هذا بموجبٍ حَمْدَ الأوضاح والغرر في الخيل؛ لأن الأوضاح والغرر موجودة في الغنم، وقال طارق بن شهاب:

وَرَاحَتْ أُصَيْلانًا كأَنَّ ضُرُوعَهَا ... دِلاءٌ، وَفيهَا وَاتِدُ الْقَرْنِ لَبْلَبُ[1]

لَـهُ رَعَـثَـاتٌ كالشُّنُوفِ وَغُـرَّةٌ ... شَدِيخٌ وَلَوْنٌ كالْوَذِيلَةِ مُذْهَبُ[2]

فذكر أن له غُرَّة، وقال آخر في وصف عنز:

سَوْدَاءُ إلَّا وَضَحًا في الشَّوَى ... كأنمَا الْجَوْزَاءُ في الأكْرُعِ

فذكر بياض أكرعها، وذلك موضع التحجيل، بل لو قال: «لو لم تقل الأوضاحُ والغرَر في الْبَهْم لما حُمدت في الخيل» لكان أقربَ إلى الصواب؛ لأني أظنها في البهم أقلّ، وفي الخيل أكثر، وليس في هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك.

14 – ومن خطأ المدح قوله:[3]

سَأحْمدُ نَصْرًا مَاحَييتُ، وَإِنَّني ... لَأَعْلَمُ أنْ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الْحَمْدِ

فإنه رفع الممدوح عن الحمد الذي نَدَب الله عباده إليه بأن يذكروه به، وينسبوه إليه، وافتتح فُرقَانه في أول سورة بذكره، وحَثَّ عليه، وللعرب في ذكر الحمد ما هو كثير في كلامها وأشعارها، ما فيهم مَنْ رَفَعَ أحدًا عن أن يحمد، ولا من استقلَّ الحمد للممدوح، قال زُهَير بن أبي سُلْمى:

مُتَصَرِّفٍ لِلمَجْدِ مُعْتَرِفٍ ... لِلرُّزْءِ نَهَّاضٍ إلى الذِّكْرِ[4]

(1) واتد القرن: ثابته وقويه، وذلك عندما يكتمل، واللبلب ههنا: الحريص على إناثه، ويقال أيضا: رجل لبلب، إذا كان بارا بأهله

(2) تقول: رعثت العنز – على مثال فرح– إذا ابيض طرف زنمتها والشنوف: جمع شنف – بفتح الشين – وهو ما يعلق في أعلى الأذن. والوذيلة –بزنة السفينة – المرآة، أو قطعة من الفضة مجلوة.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان 111) وانظر الاعتراض على هذا البيت في الصناعتين (94) أيضا.

(4) من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان (العقد الثمين 34) وفيه «معترف للنائبات يراح للذكر» وقد ورد في الصناعتين (94) كما هنا، وقبله قوله:

وإذا بـــرزت بـــه بـــرزت إلـى ... صـافي الـخـلـيـقـة طـيـب الخبر

أي: حيث ما رأى خلة تكسبه الحمد الْتَمَسها وطلبها. وقال زهير أيضا:

أَلَـيْـسَ بِفَيَّاضٍ يَـدَاهُ غَمَامَةٌ ثِمَالِ الْيَتامى في السِّنِينَ محمدِ[1]

فقوله «محمد» أي: يُحمد كثيرا، وقال الأعشى:

وَلكِنْ عَلَى الْحَمْدِ إِنْفَاقُهُ وَقَدْ يَشْتَرِيه بِأَغْلَى ثَمَنْ[2]

وقال أيضا:

إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كانَ كَلالُهَا إلى المَاجِدِ الْفَرْعِ الجَوَادِ محمدِ[3]

فوصفه بأن جعله محمدًا: أي يُحْمد كثيرا، وقال الآخر:[4]

* وَمَـنْ يُـعْـطِ أَثْـمَـانَ المَحَامِدِ يُحْمَد *

فهذه هي الطريقة المعروفة في كلام العرب، ولو قال الطائي «لو جلّ أحد من المدح لجللتَ عنه» كان أعذر، كما قال البحتري:[5]

لَوْ جَلَّ خَلْقٌ قَطُّ عَنْ أُكرُومَةٍ تُبْنَى جَلَلْتَ عَنِ النَّدَى وَالْبَاس

أي: كنتَ تَجِلُّ لعلوِّ شأنك عن أن يقال: سخيّ، أو شجاع؛ إذ كان هذان الوصفان قد يوصف بهما من هو دونك. وقال البحتري أيضا:[6]

وَالْحَمْدُ أَنْفَسُ مَا تَعَوَّضَهُ امْرُؤٌ رُزِئَ التِّلادَ إِنِ المُرَزَّأ عُوِّضَا

فأما قول البحتري:[7]

كَيْفَ نُثْنِي عَلَى ابْنِ يُوسُفَ؟ لَا كَيْـ ـفَ! سَرَى مَجْدُهُ فَعَابَ الثَّنَاءَ

(1) العقد الثمين (33)

(2) ورد في الصناعتين (94) أيضا.

(3) كذا، وينبغي أن يكون «المحمد» لأنه ههنا وصف كسابقه وليس بعلم.

(4) نسبه في الصناعتين (94) إلى الحطيئة.

(5) هو من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك (الديوان: 2 - 60) وفيه «تنثى» وورد في الصناعتين (94) وفيه «تثنى».

(6) من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان: 2 - 71).

(7) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان: 1 - 1) وفيه «لا كيف سما مجده ففات الثناء» وهي أليق.

فعيبه الثناء إنما معناه عظم أن يدركه ويبلغ حده، ألا تراه قال «كيف نثني على ابن يوسف لا كيف» أي: لا طريق إلى كيف الثناء الذي يستحقه ويليق به، ثم قال: «سرى مجده فعاب الثناء» قطعا من الكلام الأول.

15 - ومن خطائه قوله:

طَعَنُوا فَكانَ بُكايَ حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ ارْعَوَيْتُ، وَذاكَ حُكْمُ لَبِيدِ[1]

أَجْدرْ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إِطْفاؤُها بِالدَّمْعِ أَنْ تَزْدادَ طُولَ وَقُودِ

وهذا خلاف ما عليه العرب، وضدٌّ ما يعرف من معانيها؛ لأن من شأن الدمع أن يطفئ الغليل، ويُبْرد حرارة الحزن، ويزيل شدة الوجد، ويُعْقب الراحة، وهو في أشعارهم كثير موجود يُنْحى به هذا النحو من المعنى؛ فمن ذلك قول امرئ القيس:

وَإِنَّ شِفائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[2]

وقول ذي الرمة:

لَعَلَّ انْحِدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحَةً مِنَ الوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلابِلِ[3]

وقال الفرزدق:

فَقُلْتُ لَها إِنَّ الْبُكاءَ لَراحَةٌ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنْ لا تَلاقِيَا[4]

(1) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه، ويستشفع بخالد بن يزيد (الديوان 82) وارعويت: انتهيت وكففت عن البكاء: وأشار بحكم لبيد إلى قوله لابنتيه:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وجملة «إطفاؤها بالدمع» من المبتدأ والخبر صفة للوعة، و «أن تزداد» فاعل فعل التعجب الذي هو «أجدر» وقد كان من حقه أن تدخل عليه باء الجر الزائدة فيقال «بأن تزداد» إلا أنه قد كثر حذف هذه الياء قبل «أن» المصدرية. وانظر البيتين والاعتراض عليهما في الصناعتين (95).

(2) من طويلته المعلقة (انظر الصناعتين 95 والجمهرة 40 بولاق).

(3) من قصيدة له أولها:

خليلي، عوجا من صدور الرواحل بجمهور حزوى فابكيا في المنازل

وانظره أيضا في الصناعتين (95)

(4) انظره أيضا في الصناعتين (95)

وهو كثير في أشعارهم، ما عَدَل به أحد منهم عن هذا المعنى، وكذلك المتأخرون، هذا السبيلَ سلكوا، وأبو تمام من بينهم ركبَ هذا المعنى، وكرره في شعره متبعا لمذاهب الناس: فمن ذلك قوله:

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدامعٍ لم تُنْظَمِ ... والدَّمْعُ يحْمِلُ بَعْضَ ثقل المُغْرَمِ(1)

وقال في موضع آخر:

واقِعًا بالْخُدودِ والْحَرُّ مِنْهُ ... واقِعٌ بالْقُلُوبِ والأكْبادِ(2)

وقال أيضا:

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بمَائِهَا ... والدَّمْعُ مِنْهُ خاذِلٌ ومُوَاسِي(3)

وقال أيضا:

فَلَعَلَّ عَبْرَةَ ساعَةٍ أَذْرَيْتَها ... تَشْفِيكَ مِنْ إرْبابِ وجْدٍ مُحْولِ(4)

---

(1) هو مطلع قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 312) وفيه «يحمل بعض شجو المغرم» وانظره أيضا في الصناعتين (95).

(2) هو رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، وقبله قوله:

سعدت غربة النوى بسعاد ... فهي طوع الاتهام والانجاد
فارقتنا فللمدامع أنوا ... ء سوار على الخدود غواد
كل يوم يسفحن دمعا طريفا ... يمتري مزنه بشوق تلاد

وانظر الديوان (75) وكان في الأصول «والبرد منه واقع بالقلوب» وكذلك هو في الصناعتين (95) وهو مخالف لما يراد إثباته من المعنى، وتصويبه عن الديوان.

(3) هو ثاني بيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم بالله (الديوان 172) وفيه «فلعل عينك أن تعين بمائها» والمطلع قوله:

مافي وقوفك ساعة من باس ... نقضي ذمام الأربع الأدراس

(4) هو ثاني بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 233) والمطلع قوله:

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل ... تبلل غليلا بالدموع فيبلل

والأرباب: الإقامة، والوجد: الغرام، والمحول: الذي أتى عليه حول.

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذي جَرَت به العادة في وصف الدمع لكان المذهبَ المستقيم، ولكنه أحبَّ الإِغراب فحرج إلى ما لا يُعْرَف في كلام العرب، ولا مذاهب سائر الأمم.

وقد تبعه على الخطأ البحتريُّ فقال:

فَعَلامَ فَيْضُ مَدامِعٍ تَدقُ الْجَوَى وعَذابُ قَلْبٍ في الْحِسانِ مُعَذَّبِ[1]

قوله «تَدِقُ الجوى» من قولهم «لم يَدِقِ الأرضَ منه شيء» أي: لم يصل، وفي شعر امرئ القيس* ما فيه مودقي[2]* أي: على أثري، وأصله من الدنو، فكأنه قال «تدق الجوى» أي: تدني الجوى: يقال: أتان وديق، أي: تدنو من الفحل، ومنه الوديقة الهاجرة؛ لدنو الحر، وقيل لقَطر المطر وَدْقٌ لانحلابه من السحاب ودنوه من الأرض.

16 - ومن خطائه قولُه:

رَضِيتُ وهَلْ أَرْضَى إذا كانَ مُسْخِطِي
مِنَ الأمْرِ ما فِيهِ رِضى مَنْ لَهُ الأمْرُ[3]

فمعنى هذا البيت التقرير، والتقرير على ضربين: تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع، أو على فعل هو في الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه، ويقتضي من المخاطب في الجواب الاعتراف به، نحو قوله: هل أكرمتك؟ هل أحسنت إليك؟ هل أودك وأوثرك وأقضي حاجتك؟ وتقرير على فعل يدفعه المقرَّر وينبغي أن يكون قد وقع، نحو قوله: هل كان قطُّ إليك شيء كرهته؟ هل عرفت مني عير الجميل؟ فقوله في البيت «وهل أرضى» تقرير لفعل ينفيه عن نفسه، وهو الرضى، كما يقول القائل: وهل يمكنني المقام على هذه الحال؟ أي: لا يمكننى، وهل يصبر الحر على الذل؟

---

(1) من غزل قصيدة يمدح فيها أبا صالح بن يزدان (الديوان: 1 - 60) وفيه «بالحسان» ومثل ما أثبتناه في الصناعتين (95) وكان في الأصول «وعذاب قلب في اجتناب معذب»

(2) كذا، والبيت الذي فيه هذه الكلمة من شعر امرئ القيس هو قوله:

دخلت على بيضاء جم عظامها تعفى بذيل المرط إذ جشت مودقي

وانظره في العقد الثمين (90) وفي اللسان (و د ق).

(3) هو من قصيدة له في الفخر (الديوان 475) وانظره من الاعتراض عليه في الصناعتين أيضا (96).

وهل يروي زيد ويشبع عمرو؟ وهذه أفعال معناها النفي، فقوله «وهل أرضى» إنما هو نفي للرضى ، فصار المعنى ولست أرضى إذا كان الذي يُسْخطني ما فيه رضى من له الأمر: أي رضى اللَّهِ تعالى، وهذا خطأ منه فاحش.

فإن قال قائل: فلِمَ لا يكون قوله «وهل أرضى» تقريرًا على فعل هو في الحال ليؤكده من نفسه نحو قوله: هل أودك؟ ونحو قول الشاعر:

هَلُ اكرِمُ مَثْوَى الضَّيْفِ إنْ جَاءَ طَارِقًا وَأَبْـذُلُ مَعْرُوفي لَهُ دُونَ مُنْكري

قيل له: ليس قول القائل لمن يخاطبه «هل أودُّك» «هل أوثرك» وقوله «سل عني هل أصلح للخير» أو «هل أكتم السر» أو «هل أقنع بالميسور» مثل قول أبي تمام «رضيت وهل أرضى» فإن صيغة هذا الكلام دالة على أنه قد نفي الرضى عن نفسه، بإدخاله الواو على «هل» وإنما يشبه هذا قولَ القائل «وهل [أرضى] إذا كانت أفعالك كذا» «وهل أصلح للخير عندك إذا كنت تعتقد غير ذلك» «وهل ينفع في زيد العتاب» كقول الشاعر:

*** وَهَـلْ يُصْلِحُ الْعَطَّار مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ ***

وقول ذي الرمة:

وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْليمَ أَوْيَكْشِفُ العَمى ثَلَاثُ الأَثَافِي وَالرُّسُومُ البَلاقِعُ

لأن الواو ههنا كأنها عطفَتْ جوابا على قول قائل: إن فلانا سيصْلُح ويرجع إلى الجميل، فقال آخر:

*** وَهَـلْ يُصْلِحُ العَطَّار مَا أَفْسَدَ الـدَّهْرُ ***

وكقول الرمة:

أَمَنْزِلَتَيْ مَـيٍّ سَـلامٌ عَلَيْكُما هَلِ الأَزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ؟

لما علم أن التسليم غير نافع عاد على نفسه فقال «وهل يرجع التسليم» وكما قال امرؤ القيس:

*** وَإنَّ شِـفَـائِـي عَـبْـرَةٌ مُـهَـرَاقَـةٌ ***

ثم قال:

* وَهَـلْ عِـنْـدَ رَبْـعٍ دَارِسٍ مِـنْ مُـعَـوَّلِ؟*

وكذلك قول أبي تمام «رضيت» ثم قال: «وهل أرضى إذا كان مُسخطي» إنما معناه ولست أرضى، فكان وجه الكلام أن يقول: رضيت، وكيف لا أرضى إذا كان مسخطي ما فيه رضى الله تعالى، وكذا أراد فأخطأ في اللفظ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده.

فإن قيل: إن «هل» هنا بمعنى قد، وإنما أراد الطائي رضيت وقد أرضى، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1] أي: قد أتى.

قيل: هذا إنما قاله قوم من أهل التفسير، وتبعهم قوم من النحويين. وأهلُ اللغة جميعًا على خلاف ذلك؛ إذ لم يأت في كلام العرب وأشعارها «هل قام زيد» بمعنى قد قام زيد، وإذا كان ذلك معدومًا في كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز أن يؤخذ أو يُعوَّل عليه؟ وقد قال أبو إسحاق الزجاج وجماعةٌ من أهل العربية في قوله عز وجل (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) معناه ألم يأت على سبيل التقرير. وهب الأمر في هذا كما ذكروا، والخلاف ساقط فيه، فإن بيت أبي تمام لايحتمل من التأويل ما احتملته الآية؛ لأن «هل» إنما شبَّهها من شبهها بقد إذا وليت[1] لفظ الماضي خاصة، وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل، فسقط عنها أن تضارع قد؛ لأن قد حينئذ قد تكون بمعنى ربما، و «هل» ليس فيها ذلك.

وبعد؛ فإن كان الرجل إنما أراد بهل معنى قد فلِمَ لَمْ يقل رضيت وقد أرضى فيأتي بلفظة «قد» نفسها إذا كان يريد الخبر، ولا يأتي بهل فيلتبس الخبر الذي إيّاه قصد بالاستفهام؟ فإن البيت كان يستقيم بقد[2] ويغنينا عن الاحتجاج الطويل وقد استقصيت القولَ في هذا البيت وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره في معنى قد وهل ولخصته في جزء مفرد، وإنما فعلت ذلك لكثرة من عارضني فيه، وادَّعى الدعاوى الباطلة في الاحتجاج لصحته.

(1) من حق العبارة أن يقول «إذا وليها لفظ الماضي خاصة»

(2) في الأصل «فإن البيت كان يستقيم بهل» والذي يقتضيه الكلام ما أثبتناه.

17 – ومن خطائه قولُه في البُكاء على الدار:

دارٌ أُجِلُّ الْهَوَى عَنْ أَنْ أُلم بها   في الرَّكْبِ إلاوَعَيْنِي مِنْ مَنائِحِها[1]

وهذا لَفظ مُحال عن وجهه؛ لأن «إلا» ههنا تحقيق وإيجاب، فكيف يجوز أن تكون عينه من منائحها إذا لم يُلم بها؟ وإنما وَجْه الكلام «دار أجل الهوى عن أن ألم بها وليس عيني من منائحها» وقد كنت أظن أن أبا تمام على هذا نظم الشعر، وأن غلطا وقع عليه في نقل البيت، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التي لم تَقَع في يد الصولي وأضرابه، فوجدت البيتَ في غير نسخة مثبتًا على هذا الخطأ.

18 – ومن خطائه أيضا في وصف الربع وساكنه قولُه:

قَدْ كُنْتَ مَعْهُودًا بِأَحْسَنِ سَاكِنٍ   ثَـاوٍ وَأَحْسَنِ دِمْنَةٍ وَرُسُـوم[2]

والربع لا يكون رسمًا لا إذا فارقه ساكنوه؛ لأن الرسم هو الأثر الباقي بعد سكّانه.

والصواب قول البحتري:

يا مَغَانِي الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا   غَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِي مَلُومَا[3]

وقال امرؤ القيس

* وَهَـلْ عِنْدَ رَسْـم دَارِسٍ مِنْ مُـعَـوَّلِ[4] *

فقال ذلك لأن الرسم يكون دارسًا وغير دارس، وقال:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْـرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ

وَرَسْـمٍ عَـفَـتْ آيـاتُـهُ مُـنْـذُ أَزْمَـانِ

19 – ومن خطائه قوله:

طَلَلَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا   وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بذاكَ شَهِيدَا[5]

---

(1) هو خامس بيت من قصيدة يمدح فيها الفضل بن صالح الهاشمي (الديوان 72)

(2) هو ثاني بيت من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 305) والبيت الذي قبله هو قوله:

يـا ربـع لـو ربـعـوا على ابـن هموم   مستسلم لـجـوى الـفـراق سقيم

(3) هو مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان 2 – 136).

(4) انظر (ص 154 و 158 من هذا الكتاب).

(5) هو مطلع قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 87) والطلل: ما بقي شاخصا من آثار الديار. وعفوت: درست وامحيت. والرزء –بضم فسكون– المصيبة.

أراد وكفى بأنه مضى حميدًا شاهدا على أني رُزِئت، وكان وَجْه الكلام أن يقول: وكفى برزئى شاهدا على أن مضى حميدا؛ لأن حَمْد أمر الطلل قد مضى، وليس بشاهد ولا معلوم، ورزؤه بما ظهر من تفجُّعه شاهد معلوم؛ فَلأنْ يكون الحاضر شاهدا على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهدا على الحاضر.

فإن قيل: إنما أراد أن يستشهد على عظيم رُزْئه عند من لم يعلمه.

قيل: فمن لا يعلم قَدْر مرزئته التي بعضها ظاهر عليه كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهد على هذا؟

فإن قال: هذا إنما جاء به على القلب.

قيل له: المتأخر لا يُرَخَّص له في القلب؛ لأن القلب إنما جاء في كلام العرب على السهو، والمتأخرُ إنما يحتذي على أمثلتهم، ويقتدي بهم، وليس ينبغي له أن يَتْبعهم فيما سَهَوْا فيه.

فإن قيل: فقد جاء القلب في القرآن، ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة؛ لأن كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك، وهو قوله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [القصص: 76] وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح: أي تنهض بثقلها، وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: 8] وإنما هو تدلى فدنا، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾]العاديات: 8] أي: وإن حبه للخير لشديد. ولهذا أشباه كثيرة في القرآن.

قيل: هذا ليس بقلب، وإنما هو صحيح مستقيم، إنما أراد الله تعالى اسمه: ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة، أي: تميلها من ثقلها، ذكر ذلك الفراء وغيره، وقالوا: إنما المعنى لتنئ العصبة. وقوله (وإنه لحب الخير لشديد) قيل: المعنى إنه لحبِّ المال لشديد، والشدة: البخل، يقال «رجل شديدٌ» أي: بخيل، يريد إنه لحب المال لبخيل متشدد، يريد إنه لحب المال: أي لأجل حبه المال يبخل، وقالوا في قوله عز وجل: (ثمَّ دَنَى فَتَدَلَّى): إنما كان تدلّيه عند دُنُوِّه واقترابه، وكما قال أبو النجم:

*** قَـبْـلَ دُنُـــوِّ الأُفْــقِ مِــنْ جَــوْزائِـــهِ ***

والجوزاءُ إذا دَنَتْ من الأفق فقد دنا الأفقُ منها، وليس هذا من القلب المستكره، ومثله في الشعر كثير، قال الشاعر:

وَمَهْمَةٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ ... كأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَماؤُهُ

قوله «كأن لون أرضه سماؤه» أي: كأنَّ لون سمائه من غبرتها لونُ أرضه وليس الأمر في ذلك بواجب؛ لأن أرضه وسماءه مضافان جميعا إلى الهاء، وهي كناية عن المهمه؛ فأيهما يشبَّه بصاحبه كانا فيه سواء، وإنما تغبر آفاق السماء من الجدْب واحتباس القطر، وقال الحطيئة:

فَلَمَّا خشِيتُ الْهونَ وَالْعير مُمْسكٌ ... عَلَى رَغْمِهِ ما أَمْسَكَ الْحَبْلَ حَافِرُهْ

قال: وكان الوجه أن يقول: ما أمسك الحافر حبله، وكلاهما متقاربان؛ لأن الحبل إذا أمسك الحافر فإن الحافر أيضا قد شغل الحبل.

فهذا كله سائغ حسن، ولكن القلب القبيح لا يجوز في الشعر، ولا في القرآن، وهو ما جاء في كلامهم على سبيل الغلط، نحو قول خِداش بن زُهَير:

وَتَرْكَبُ خَيْلًا لا هَوادَةَ بَيْنَهَا ... وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الْحمْرِ(1)

وإنما الضياطرة هي التي تشقى بالرماح، وكقول الآخر:

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ(2)

وإنما الرجم فريضة الزناء، وكقول الفرزدق يصف ذئبًا:

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كانَ صَاحِبًا ... رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي

وإنما أراد رفعها للذئب، وأنشده المبرد، وقال: القلب جائز للاختصار، إذا لم يدخل الكلام لَبْسٌ، كأنه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتأخرين، وما علمت أحدًا قال «للاختصار» غيره، فلو قال لإِصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره كان ذلك أشبه.

---

(1) أنشده الجوهري (ض ط ر) منسوبا لخداش أيضا، عن الأخفش، وقال: «أراد وتشقى الضياطرة بالرماح، فقلبه» والضياطرة: جمع ضيطر، وهو الرجل الضخم الذي لا غناء عنده. وكان في الأصول «وتعصي الرماح» والتصويب عن الجوهري.

(2) نسبه في اللسان (ز ن ا) للجعدي.

ويجوز أن يكون الفرزدق في البيت سها أواضطر لإِصلاح الوزن، وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يُسَوِّغون مثل هذا، لأنه القلب المستكره .

فإن قيل: إِنه لم يُرِد القلب، وإنما أراد وكفى على رزئي بمحمود أمر الطلل شهيدا.

قيل: وأيَّ شيء استشهد؟ وأين شهيده؟

20 – ومن خطائه قوله في باب الفراق:

دَعَا شَوْقُهُ يا ناصِرَ الشوقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهْ[1]

أراد أن الشوقَ دعا ناصرًا ينصره فلبّاه الدمع، بمعنى أنه يخفّف لاعجَ الشوق ويطفئ حرارته. وهذا إنما هو نُصْرَة للمشتاق على الشوق، والدمع إنما هو حَرْبٌ للشوق؛ لأنه يَثْلمه ويتخوّنه[2] ويكسر منه حَدَّه[3]، كما قال البحتري:

وبُكاءُ الدِّيارِ ممّا يَرُدُّ الشَّوْقَ ذِكْرًا والْحُبَّ نِضْوًا ضَئِيلا[4].

قوله «يرد الشوق ذكرا» أي: يخففه ويثلمه حتى يصير ذِكْرًا لا يُقلق ولا يُزعج كإقلاق الشوق، وقوله «والحب نضوا» أي يصغره ويمحقه، كما قال جرير:

فَلَمَّا الْتَقَى الْحُبَّانِ أُلْقِيَتِ الْعَصى وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

فلو كان الدمع ناصرا للشوق لكان يُقَوّيه ويزيد فيه، ألا ترى أنك تقول: قد ذبحني الشوق إِليك، فالشوق عَدُوُّ المشتاق وحَرْبه، والدمع سلم لتخفيفه عنه وهو حرب للشوق، وليس بهذا الخطأ خفاء.

وقد تَبِعه البحتريُّ في هذا الخطأ فقال ينعي الديار التي وقف عليها:

نَصَرْتُ لَها الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمُعٍ تَلاحَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا[5]

(1) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم (الديوان 230).

(2) يتخونه: يتنقصه تقول: فلان يتخونني حق، إذا أردت أنه يتنقصه، وقال ذو الرمة:

لا، بل هو الشوق من دار تخونها مرا سحاب ومرا بارح ترب

(3) كذا، وأحسب أن الأصل «ويكسر من حدته»

(4) من غزل قصيدة له يمدح فيها محمد بن علي بن عيسى القمي (الديوان: 2 – 211) وقبله:

عل ماء الدموع يخمد نارا من جوى الحب أو يبل غليلا

(5) من غزل قصيدة له يمدح فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر (الديوان: 2 – 247).

21 – ومن خطائه في معنى الشوق قوله:

يَكْفِيكَ شَوْقٌ قَدْ يُطِيلُ ظَمَاءَهُ فَإِذا سَقاه سَقاهُ سُمَّ الأَسْـوِدِ[1]

فقوله «شوق يطيل ظلماءه» غلط؛ لأن الشوق هو الظمأ نفسه، ألا ترى أنك تقول: أنا عطشان إلى رؤيتك، وظمآن، ومشتاق، بمعنى واحد، فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمأ؟ وكيف يكون هو الساقي والمحبوب هو الذي يظمئ ويسقي، أو البعد أو الهجر! لا الشوق، فكيف يكون الشوق يطيل شوقه؟

22 – ومن خطائه قوله:

أَمَرَ التَّجلُّدَ بِالتَّلَدُّدِ حُرْقَةٌ أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُوم[2]

جعل الحرقَةَ آمرةَ التجلد بالتلدُّد، والحرقة التي يكون معناها التلدد تُسقط التجلد ألبتة وتذهب به، فأما أن يجعله متلددا فإن هذا من أحمق المعاني وأوْلاها بالاستحالة. وأيضا فأيُّ لفظ أسخف من أن يجعل الحرقة آمرة، وإنما العادة في مثل هذا أن تكون باعثةً أو جالبة أو نحو هذا، وأما الأمر فليس هذا موضعه، ولو قال بعثت أو جلبت لكان له وجه.

23 – ومن خطائه قوله:

مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْها فُرْقَةٌ أَسَرَتْ قَلْبًا وَمِنْ عَذَلٍ في نَحْرِهِ غَزَلُ[3]

---

(1) هو ثاني بيت من قصيدة يمدح فيها المأمون، أو المعتصم (انظر الديوان 111) وفيه «يكفيكه شوق يطيل» والبيت الذي قبله هو قوله:

كشف الغطاء فأوقدي أو أخمدي لم تكمدي فظننت إن لم تكمدي

و«كشف الغطاء» معناه ظهر ما كان مستورا وبدا عليه ما كان خافيا، وأوقدى أصل معناه أشعلي النار وأججيها، وأراد اعذليه إن شئت فيلتاع فؤاده وتذكو نار حبه. وأخمدي: أصل معناه أطفئى النار، وأراد هنا كفي عن العذل ولا تلوميه على هواه. و «لم تكمدي» لم تحزني. يقول: إنه لا فائدة بعد أن ظهر هواه، فسواء لديه أعذلته أم كففت، والأسود: الحية.

(2) هو بيت من غزل قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 305) وفيه «أغرى التجلد بالتبلد) وسجوم الدمع: سيلانه وتسكابه.

(3) هو بيت من غزل قصيدة له في مدح أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان 227) وفيه «ومن غزل في نحره عذل».

قوله «أطلقتها فرقة» أي ثَوَّرتها وأظهرتها، وإنما قال «أطلقتها» من أجل قوله «أسرت» ليطابق بين الإِطلاق والأسر، وقوله «أسرت قلبًا» يعني الفرقة، وهو معنى رديء، لأن القلب إنما يأسره ويملكه شدةُ الحب، لا الفراق، فإن لم يكن مأسورًا قبل الفراق فما كان هناك حب، فلِمَ حَضَر للتوديع؟ وما كان وجه البكاءِ والاستهلاكِ والوَجَل الذي ذكره قبل البيت، والقصة الفظيعة التي وصف الحال فيها عند مفارقتهم؟ وما علم أن للفراق لوعةً صعبة عند وروده وفجأته فلا يسمى ذلك أسرا ولا علاقة! وإنما يسمى محنة تطرأ على أسير الحب[1] وربما قتلته كما يقتل الأسير، والفراقُ إنما له لَوْعَة ثم تبرد نارهُ، وتخمد وقتًا وقتًا، حتى يَدْرس الحب؛ فالفراق يفكّ أسر الحب، ويُنْسي الخليلَ خليلَه إذا امتد به زمان، ألا ترى إلى قول زُهَير الكَلْبي:

إذا ما شِئْتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيبًا ... فأكْثِرْ دُونَـه عَـدَّ اللَّيالِي

فَمَا أنْسَى خَلِيلَكَ مِثْلُ نأيٍ ... ومَا أبْلَى جَدِيدَكَ كابْتِذَالِ

وقول الآخر:

يُنْسِي الْخَلِيلَيْنِ طُولُ النَّأيِ بَيْنَهُمَا ... وَتَلْتَقِي طُـرُقٌ شَتَّى فَيَأتَلِفُ

هذا هو المعنى الصحيح المعروف، وإن كان قد تقدم أبا تمام في هذا المعنى من تبعه، وحذا على حذوه، والرديء لا يُؤْتَمُّ به، ولعله سمع معنى سائغا حسنا فأفسده لسوء عبارته، وكثيرا ما يفعل هذا، وكان ينبغي أن يقول: من حرقة بعثتها فرقة، أو أظهرتها فرقة جرحت قلبا حتى يكون أسير الهوى قتيل الفراق.

فإن قيل: فلم لا يكون أسرت قلبه الحرقة للفراق؟

قيل: لا يكون ذلك؛ لأن الأسر إذا قَبُح أن يكون فعلا للفرقة قبح أيضا أن يكون فعلا للحرقة؛ لأن الفرقة هي التي جلبت الحرقة، فشأنها كشأنها.

24 – ومن خطائه قوله:

(1) في الأصول «وإنما يسمى محنة نظر على أسير الحب» وأحسب أن الصواب ما أثبته.

ما لِامْرِئٍ خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرٌ
إِلَّا وَلِلْبَيْنِ فِيهِ السهل والجلَدُ[1]

وهذا عندي خطأ إن كان أراد بالعمر مدةَ الحياة؛ لأنه اسم واحد للمدة بأسرها؛ فهو لا يتبعَّض فيقال: لكل جزء منه عمر، كما لا يقال: ما لزيد رأس إلّا وفيه شَجَّة أو ضربة، وما له لسان إلا وهو ذَرِب[2] أو فصيح، وكذلك لا يقال: ما له عمر إلا وهو قصير، وإنما يسوغ هذا فيما فوق الواحد، مثل أن تقول: ما له ضلع إلا مكسورة، وما له يد إلا وفيها أثر، ولا رِجْل إِلا وفيها حَنَف[3]، وليس قولهم «ما له عيش إلا مُنَغَّص ولا حياة إلا كَدِرة» مثل قولك:

ما له عمر إلا قصير، ولو قلته؛ لأن عيش الإنسان ليس له مدة حياته بأسرها؛ لأنك قد تقول: كان عيشي بالعراق طيبا، وكانت حياتي بمكة لذيذة، وكان عيشي بالحجاز أطيب من عيشي باليمن، ولا تقول: كان عمري؛ لأن العمر هو المدة بأسرها، والعيش والحياة ليسا كذلك؛ لأنهما يتبعَّضان.

فإن قيل: فأنت تقول: ما لزيد رأس حسن، ولا أنف أشمّ، ولا لسان ذَرِب

قيل: يصلح هذا من أجل النفي؛ لأنك إنما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة، ولا لسان من الألْسُن الذَّرِبة، وإذا دخَلت «إلا» ههنا فقد جعلت المنفي موجَبًا، وحقيقة، وإذا قلت «ليس لزيد رأس إلا حسن» فقد أوجبت له عدَّةَ رؤوس، وهذا خطأ، وكذاك سبيل العُمر، وإن كان أراد بالعمر منزله الذي يوطنه ويعمره، فذلك هو المعمر، وما علمت أن أحدًا سماه عمرا إلا أن يكون دَيْر النَّصارى فإنهم يسمونه عمرا، وما كان يمنعه أن يقول «وطن» مكان عمر؛ لأن لفظهما ومعناهما واحد، وقد

(1) هو بيت من غزل قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 97) وفيه «خاض من بحر الهوى» و «للبين منه» والبين: الفرق والبعد.

(2) الذرب –بفتح الذال وكسر الراء– الحاد من كل شيء تقول: سيف ذرب، ولسان ذرب. وفيه ذرابة: أي حدة.

(3) الحنف – بفتح الحاء والنون جميعا – اعوجاج في الرجل، وهو أن تقبل إحدى إبهامي رجلي الإنسان على الأخرى. وقال ابن الأعرابي: الحنف أن يمشي الإنسان على ظهر قدمه من شقها الذي يلي خنصرها.

يكون للإنسان عدة أوطان توطّنها. وقد ذكر للعمر في موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحياة؛ فقال:

إذا مارِقٌ بِالْغَدْرِ جَاوَرَ عُمْرُهُ فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تَئِيمَ حَلَائِلُهْ[1]

أراد أنه إن جاور عمره – أي قاربه – بالغدر فقد عرّضه للزوال والنفاد، وهذا من عَويص ألفاظه، وما أراد بالبيت الأول إلا مدة الحياة، لأن ما قبل البيت وما بعده عليه يدل.

25 – وقال في علي بن الجهم[2]:

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صاحِبٍ لَكَ ماجِدِ فَغَدًا إِذَابَـةُ كُلِّ دَمْـعٍ جَامِدِ[3]
فَافْزَعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤُونِ وَعُذْ بِهِ فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ[4]
وَإِذا فَقَدْتَ أَخًا فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلا صَبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

قوله «يذهب بعض جهد الجاهد» أي: بعض جهد الحزن الجاهد، أي: الحزن الذي جَهَدك فهو الجاهد لك، ولو كان استقام له «بعض جهد المجهود» لكان أحسن وأليق وهذا أغرب وأظرف، وقد جاء أيضا فاعل بمعنى مفعول؛ قالوا «عِيشَةٌ راضية» بمعنى مَرْضِيَّة، و «لمح باصر» وإنما هو مُبْصَر فيه، وأشباه هذا كثيرة معروفة، ولكن ليس في

(1) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان 231) وفيه «إذا مارق بالغدر حاول غدرة» والمارق: الخارج على الجماعة وحري: خليق وجدير ولائق. وتئيم حلائله: تبقى بلا أزواج، والحلائل: جمع حليلة، وهي الزوجة، وكنى بذلك عن موته.

(2) كان علي بن الجهم صديقا لأبي تمام، وقد أراد سفرا، فقال أبو تمام كلمة في توديعه أولها هذه الأبيات (الديوان 86).

(3) ماجد: شريف، والإذابة: مصدر أذاب، وأصله في الجامدات، ويقال من المجاز: ذاب دمع فلان، وله دموع ذوائب، والمعنى جرى دمعه، ويقال : نحن لا نجمد في الحق ولا نذوب في الباطل، ويقال أيضا: ذابت الشمس، إذا اشتد حرها.

(4) افزع: الجأ، والشؤون في الأصل: مجاري الدموع، وأراد ههنا الدموع نفسها، وذخرها: ما ادخرته منها لوقت الحاجة، وعذ به: أمر من عاذ يعوذ. ووقع في الأصول «وغربة» وهو تحريف شنيع. وفي الديوان «فالدمع يذهب بعد جهد الجاهد» وهو خلاف ما يتكلم عنه المؤلف.

كل حال يقال، وإنما ينبغي أن يُنْتَهى في اللغة إلى حيث انتَهَوْا ولا يتعدى إلى غيره؛ فإن اللغة لا يقاس عليها.

وقوله «فلم تفقد له دمعًا ولا صبرا» من أفحش الخطأ؛ لأن الصابر لا يكون باكيًا، والباكي لا يكون صابرا، فقد نَسَقَ بلفظة على لفظة وهما نعتان متضادان، ولا يجوز أن يكونا مجتمعين، ومعناه أنك إذا فقدت أخًا فأدام البكاء عليك فلست بفاقد ودّه ولا أخوته، وهو محصّل لك غير مفقود وإن كان غائبا عنك، وإلى هذا ذهب، إلا أنه أفسده بذكر الصبر مع البكاء، وذلك خطأ ظاهر، ولو كان قال «فلم تفقد له دمعا ولا جزعا» أو «دمعا ولا شوقا ولا قلقا» لكان المعنى مستقيما، وظننته قال غير هذا وأن غَلَطًا وقع في كتابة البيت عند النقل حتى رجعت إلى أصل أبي سعيد السكري وغيره من الأصول القديمة فلم أجد إلا «دمعا ولا صبرا» وذلك غفلة منه عجيبة، وقد لاح لي معنًى أظنه والله أعلم إليه قصد، وهو أن يكون أراد إذا فقدت أخا فلم تفقد له دمعا- أي يواصل البكاء عليك - فلست بفاقده، على ما ذكره: أي فقد حصل لك وصار ذخرا من ذخائرك وإن غاب عنك وغبت عنه، وإن لم تفقد له صبرا - أي وإن صَبَر عنك - فلست بفاقد؛ لأنه إن صَبَر وسلاك فليس ذاك بأخ يُعَوَّل عليه، فلست أيضا بفاقده؛ لأنك لا تعتدُّ به موجودا ولا مفقودا، ولكن ذهب على أبي تمام أن هذا غير جائز؛ لأنه وصف رجلا واحدا بالوصفَين جميعا، وهما متضادان، ولو كان جعلهما وصفين لرجلين فقال:

وَإذا فَقَدْتَ أَخًا لِفَقْدِكَ بَاكِيًا ... أَوْ صَابِرًا جَلْدًا فَلَسْتَ بِفاقِدِ

أي: لست بفاقد هذا لأنه محصل لك، أو لست بفاقد هذا لأنه غيرُ ناسٍ مودّتك - لكان المعنى سائغا حسنا واضحا، أولو جعله شخصا واحدا وجعل له أحد الوصفين فقال:

وَإذا فَقَدْتَ أَخًا فَأَسْبَلَ دَمْعَهُ ... أَوْ ظَلَّ مُصْطَبِرًا فَلَسْتَ بِفاقِدِ

لكان أيضا سائغا على هذا المذهب، أو كان استوى له في ذلك اللفظ بعينه أن يقول «فلم تفقد له دمعا أو صبرا» حتى لا يجعل له إلا أحدهما لساغ ذلك، لكنه نسق بالصبر

على الدمع فجعلهما جميعا له ففسد المعنى؛ فهذا وأشباهه الذي قاله الشيوخ فيه: إنه يريد البديع فيخرج إلى المحال.

26 - وقال أبو تمام[1]:

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَانْصَرَمَتْ
أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إِلَّا كاظِمًا وَجِمَا[2]

رَأَيْتُ أَحْسَنَ مَرْئِيٍّ وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمَعَيْنِ لِيَ التَّوْدِيعَ وَالْعَنَمَا[3]

العنم: شجر له أغصان لطيفة غَضَّة كأَنها بَنَان جارية، الواحدة عَنَمَة، كأنه استحسن أصبعها واستقبح إشارتها إليه بالوداع، وهذا خطأ في المعنى؛ أتراه ما سمع قول جرير:

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقِيَ الْبَشَامُ[4]

فدعا للبشام بالسُّقْيا لأنها ودَّعته به فسرَّ بتوديعها، وأبو تمام استحسن أصبعها واستقبح إشارتها، ولعمري إن منظَر الفراق منظر قبيح، ولكن إشارة المحبوبة بالوداع لايستقبحه إلا أجهل الناس بالحب، وأقلهم معرفة بالغزل، وأغلظهم طبعا، وأبعدهم فَهْمًا.

27 - وقال[5]:

فَلَوَيْتَ بِالْمَعْرُوفِ أَعْنَاقَ الْمُنَى وَحَطَمْتَ بِالْإِنْجَازِ ظَهْرَ الْمَوْعِدِ[6]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 302).

(2) استحر: اشتد، والمحض: الخالص. وانصرمت: تقطعت، والكاظم: الذي يكتم الغيظ. والوجم: الذي يسكت حزنا.

(3) «رأيت» هو جواب «لما» في البيت السابق، و «التوديع والعنما» بدل من قوله «أحسن مرئي وأقبحه» وأراد بأحسن مرئي التوديع، وبأقبح مرئي العنم. وهو الذي اعترض عليه المؤلف.

(4) يروي هذا البيت:

أتذكر يوم تصقل عارضيها بعود بشامة سقى البشام

(5) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم، ويقال: المأمون (الديوان 113).

(6) وقع في الأصول «أعناق الورى» وتصويبه الذي ذكرناه عن الديوان. وحطمت: كسرت. والإنجاز: الوفاء بالوعد، ومنه قولهم: أنجز حر ما وعد.

حَطْم ظهر الوعدِ بالإِنجاز: استعارة قبيحة جدا، والمعنى أيضا في غاية الرداءة: لأن إنجاز الموعد هو تصحيحه وتحقيقه، وبذلك جرت العادة أن يقال: قد صَحّ وعدُ فلانٍ، وتحقق ما قال، وذلك إذا أنجز، فجعل أبو تمام في موضع صحة الوعد حَطْم ظهره، وهذا إنما يكون إذا أخلف الوعد وكذب، ألا تراهم يقولون: قد مَرَّض فلانٌ وعْدَه، وعلَّله، ووعَدَ وَعْدًا مريضا، وإذا أخلف وعده فقد أماته، فالإخلاف هو الذي يَحْطم ظهرَ الموعد، لا الإِنجاز، ولا خَفَاء بفساد ما ذهب إليه، وكان ينبغي أن يقول: وحطمت بالإِنجاز ظهر المال، لا الموعد، وحينئذ فالموعد كان يصح ويسلم ويتلف المالُ.

28 – وقال:

إذا وَعْـدٌ انْهَلَّتْ يَـداهُ فَأهْدَتَا ... لَكَ النُّجحَ مَحْمُولًا عَلَى كاهِلِ الْوَعْدِ[1]

وكاهلُ الوعد إِذا حمل النُّجْح من سبيله أن يكون صحيحا مسلما، لا أن يكون محطوما كما قال في البيت الأول؛ فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت، وإن كان «كاهل الوعد» قبيحا.

29 – ومثل هذا البيت الأول في الفساد أو قريب منه قولُه:

إذا مَا رَحًى دَارَتْ أَدَرَّتْ سَماحَةً ... رَحى كُلِّ إنْجَازٍ عَلَى كُلِّ مَوْعِدِ[2]

وهذا إتلافُ الموعد وإبطاله؛ لأنه جعله مطحونا بالرحَى، وإنما ذهب إلى أن الإِنجاز إذا وقع بطل الوعد، وليس الأمر كذلك؛ لأن الموعد ليس بضد للإنجاز؛ فإذا صحَّ هذا بطل ذلك، بل الوعدُ الصادقُ طرفٌ من الإِنجاز، وسبب من أسبابه؛ فإذا وقع الإِنجاز فهو تمام الوعد، وتصحيح له وتحقيق وتصديق، فهو في هذه الاستعارة غالط، والمعنى الصحيح قوله:

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 128) وانهلت يداه: انسكبتا بالماء، والنجح: الظفر والفوز، والكاهل: ما بين الكتفين، جعل للوعد يدين وكاهلا، وجعل يديه تنهمران بالعطاء كما تنهمر السحائب بالمطر.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 104) الرحى: طاحون معروفة، وأدرت: أصله أنزلت الدر، وهو اللبن.

أَبـلُّـهُـمُ رِيـقًـا وَكَـفًّـا لِسَائِلٍ وَأَنْضَرُهُمْ وَعْدًا إذا صَوَّحَ الْوَعْدُ[1]

فتصويح الوعد هو أن يُخْلفه الواعد فيبطل، ولا يصح؛ لأنه من صَوَّح النبت إِذا جف، ومثله في الصحة قولُه:

تَزْكُو مَـوَاعِـدُهُ إذا وَعَـدَ امْـرَأً أَنْسَاكَ أَحْلامَ الْكَرَى الْأَضْغَاثَا[2]

فهذا هو المعنى الصحيح: أن يكون الوعد يزكو، لا أن يبطل ويذهب، ولله در أبي إسحق إبراهيم بن هَرْمَةَ إذ يقول:

يَسْبِقُ بِالْفِعْلِ ظَنَّ سَائِلِهِ وَيَقْتُلُ الرَّيْثَ عِنْدَهُ الْعَجَلُ

فهذه الاستعارة الصحيحة أن يَقْتلَ العجلُ الإِبطاء، لا أن يقتل الإنجاز الوعد، فأما قوله:

نَـؤُمُّ أَبَا الْحُسَيْنِ، وَكَـانَ قِدْمًا فَتًى أَعْمَارُ مَـوْعِـدِهِ قِصَارُ[3]

وقولُ البحتري:

وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ قَوْلِكَ قَاصِرًا عُمْرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ الْمَوْعِدِ[4]

فإن عمر الموعد مدةُ وقته، فإذا أُنجز صار مالا، فنفاد وقته ليس بمبطل له، بل ذلك نَقْله من حال إلى حال أخرى، ألا ترى إلى البحتري كيف كَشَف عن هذا المعنى، وجاء بالأمر من فَصِّه، فقال:

يُولِيكَ صَدْرَ الْيَوْمِ ما فِيهِ الْغِنَى بِمَوَاهِبٍ قَدْ كُنَّ أَمْسِ مَوَاعِدَا[5]

(1) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 122) وأنضرهم: أحسنهم وأرطبهم. وصوح: جف ويبس.

(2) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان 65) والكرى: النوم، وأضغاث الأحلام: ما التبس منها واختلط.

(3) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 141) وقبله قوله:

يـقـول الـحـاسـدون إذا انصرفنا لـقـد قـطـعـوا طـريـقـا أو أغـاروا

(4) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبي (الديوان: 1 - 171) وكان في الأصل «ناصرا عمر العدو» وهو تحريف تصويبه عن الديوان.

(5) هذا البيت والذي بعده من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان: 1 - 164) وفيه في هذا «قاصية الغنى بعوائد» وفيه في أول الثاني «سوم السحائب».

فبطلانُ الموعد هو بطلان الشيء الذي الموعد واقعٌ به، وصحته هو صحة ذلك الشيء، ثم أتبع البحتري هذا البيت بأن قال:

شِيَمُ السَّحائِبِ مَا بَدأْنَ بَوَارِقًا ... في عارض إلَّا انْثَنَيْنَ رَوَاعِـدَا

فجعل البوارق مثالا للمواعيد، وجعل الرواعد هي البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة مثالا للغيث الذي هو العطايا؛ فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق، بل هي هي؛ لأن تلك نور يحدثه ازدحام السحاب، والرعد صوت ذلك الازدحام؛ فالبرق يرى أولا، والرعد يسمع آخرا، وهو هو، وذلك أن العين أسبق إلى الإبصار من الأذن للاستماع؛ لأن العين ترى الشيء في موضعه، والأذن لا تسمع الصوت إلا إذا وصل إليها، فشبهها بالمواعد التي تجر المواهب، وهذا أحسن ما يكون من التمثيل وأصحه، وإنما أقام الرواعد مُقَام المواهب لأنه قد يكون بَرْقٌ ولا مطر فيه، ولا يكاد يكون رعد إلا ومعه مطر، ثم إن التشبيه صح بأن صار الرعد بعد البرق، وما أحسن ما قال خلف ابن خليفة الأقطع:

مَوَاعِدُهُمْ فِعْلٌ إذا ما تكَلَّمُوا ... فَتِلْكَ الَّتِي إنْ سُمِّيَتْ وَجَبَ الْفِعْلُ

يعني قول «نعم» فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه، وقد مثل البحتري أيضا الموعد وكيف تحول عطاء تمْثيلا آخر حَسَنًا فقال[1].

وَشَكَرْتُ مِنْكَ مَوَاهِبًا مشْكُورَةً ... لَوْ سِرْنَ فِي فَلَكٍ لَكُنَّ نَجُومَا
وَمَـوَاعِـدًا لَوْ كُنَّ شَيْئًا ظَاهِرًا ... تُفْضِي إلَيْهِ الْعَيْنُ كُنَّ غُيُومَا

وذلك لأن الْغَيم يصير مَطَرا، كما أن الموعد يصير عطاء، وأبو تمام – فيما يذهب إليه – غالط؛ لأنه وضع الاستعارات في غير موضعها.

30 – ومن خطائه قوله:

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ ... وَأُلْـقِـيَ عَنْ مَنَاكِبِهِ الـدِّثَـارُ[2]

(1) البيتان من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان: 2 – 244) وفيه في أولهما «مواهبا مشهورة» ووقع صدر ثانيهما في الأصول «ومواعدا لو أن شيئا ظاهرا» وما أثرناه عن الديوان.

(2) من قصيدة يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 141) وفيه في صدر الثاني «لعدل قسمة الأيام» وما هنا أنسب، والسنات – بكسر السين – جمع سنة، وهي النوم، أو أوائله، وأراد هنا الغفلات، والمناكب: جمع منكب، وهو مجتمع العضد والكتف، والدثار – بزنة الكتاب – ما يلبس فوق الشعار.

لَـعَـدَّلَ قِسْمَةَ الأرْزَاقِ فِينَا وَلـكِـنْ دَهْـرُنـا هـذا حِـمَـارُ

قوله «وألقي عن مناكبه الدثار» لفظ رديء، وليس من المعنى الذي قصده في شيء، وصَدْر البيت لائق بالمعنى، فلو كان أتبعه بما يكون مثله في معناه بأن يقول: فلو ذهبت سناتُ الدهر عنه لاستيقظ من رقدته وانتبه من نومته وانكشف الغطاء عن وجهه؛ لكان المعنى معنى مستقيما، لأن مَنْ كان في سِنَةٍ أو نَوْم أو مغطًّى على وجهه أو عينيه فإنه لا يبصر الرشد ولا يكاد يهتدي لصواب، وإنما هذه كلها استعارات، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفَهْمه، وقد جَرَت العادة باستعارتها في هذا المعنى، فأما دِثَار المناكب فليس من هذا الباب في شيء؛ إذ قد يُبْصر الإِنسان رُشْدَه ويهتدي لصواب أمره وعلى مناكبه دِثَارٌ وعلى ظهره أيضا حِمْل، ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين؛ لأنه إنما يراد نوم القلب والتغطية عليه؛ لأن الإِنسان إنما يقال له «قد عمى قلبك» و «قد عميت عن الصواب عيـنُك» و «قد غطى على فهمك» ولا يقال: قد غُطِّيت بالدثار عن الصواب مناكبك ولا ظهرك، ولفظة الدِّثار أيضا إنما تستعمل لمنع الهواء والبرد، لا لمنع الفهم والرشد.

31 – ومن خطائه قوله:[1]

وَأَرَى الأُمُورَ الْمُشْكِلاتِ تَمَزَّقَتْ ظلماتُهَا عَنْ رأيـكَ الْمُتَوَقِّدِ
عَنْ مِثْلِ نَصْلِ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ مُذْ سُلَّ أَوَّلَ سَلَّةٍ لَمْ يُغْمَدِ[2]
فَبَسَطْتَ أَزْهَرَهَا بِوَجْهٍ أَزْهَـرٍ وَقَبَضْتَ أَرْبَدَهَا بِوَجْهٍ أَرْبَدِ[3]

فقال «الأمور المشكلات» وجعل لها ظلمات، فكيف يقول: فبسطت أزهرَها، والزُّهْر هي النَّيرات، والمشكلات لا يكون شيء منها نيرًا، وكأنه يريد أن الأمور المشكلة منها جيد قد أشكل الطريق إليه، ومنها رديء قد جهلت أيضا حاله؛ فهي كلها مظلمة، فيمزق ظلماتها برأيه، ويكشف عن الجيد منها ويبسطه: أي يستعمله،

(1) ثلاثة الأبيات من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله، ويقال: المأمون (الديوان: 113).
(2) سلّ: أخرج من غمده، ولم يغمد: أي لم يرجع إلى الغمد.
(3) الأزهر في الأصل: الأبيض، والأربد في الأصل أيضا: المغبر.

ويكشف عن رديئها ويَقْبضه: أي يكفّه ويطرحه، ولكن ما كان ينبغي له أن يقول «بوجه أزهر» و «بوجه أربد»؛ لأنه لا صُنْع ههنا للوجه ولا تأثير؛ لأن الصنع إنما هو للرأي وللعقل؛ فإذا رأى ذو الرأي أمرا اسْتَبان منه الأشياء المظلمة، وانفتحت المغلقة، أو رأى أن يُغْلق أمرا مفتوحا إذا كان الصواب موجبا ذاك عنده؛ فالرأي على الأحوال كلها أزهر مُسفْر، والوجه على الأحوال كلها أبيض، وليس يريد أبيض في لونه. والعاجز إذا ورد عليه الأمر يَبْهظه تَبيَّنت الكآبة في وجهه؛ ولله در منصور النمري حيث يقول:

تَرَى سَاكِنَ الأَوْصَالِ باسط وَجْهِهِ يُرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالأُمُورُ تَطِيرُ

فقال «ساكن الأوصال باسط وجهه» فدلّ على قلة اكتراثه بالأمور التي ترد عليه، وقول أبي تمام «بوجه أر بد» لا معنى له؛ لأنه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه، وهو عندي في ذلك غالط، وفي ذلك مسيء.

32 – ومن خطائه قولُه:

كالأَرْحَبِيِّ المذكّى سَيْرُهُ الْمَرَطَى وَالْوَخْدُ وَالْمَلْعُ والتَّقرِيبُ وَالْخَبَبُ[1]

فالأرحَبِيُّ من الإِبل: منسوب إلى أرْحَب، حيٌّ من هَمْدان تنسب إِليهم النجائب، والمذكى: الذي قد انتهى في سنه وقوته، والمرطى: من عَدْو الخيل فوق التَّقْريب ودون الإِهذاب، والوَخْد: الاهتزاز في السير مثل وَخْد النعام، والملع: من سير الإبل السريع، والتقريب: من عَدْو الخيل معروف، والْخَبَبُ: دونه، وليس التقريب من عَدْو الإِبل، وهو في هذا الوصف مخطئ، وقد يكون التقريب لأَجْنَاسٍ من الحيوان، ولا يكون للإِبل، وإنّا ما رأينا بعيرًا قطُّ يقرب تقريب الفرس، والْمَرَطى أيضا: من عَدْو الخيل لم أره في أوصاف الإِبل ولا سيرها.

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات (الديوان 48) وقد فسر المؤلف غريب هذا البيت.

33 – ومن خطائه قوله:[1]

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مُنْقَطِعٌ صَالِيهِ أوْ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ[2]

جَلَيْتَ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ وَقَدْ تَفَرْعَنَ فِي أفْعالِهِ الأجَلُ[3]

وقوله «بين حكم الذل» لو كان حكم الذل أشياء متفرقة لصحت فيها «بين» غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة، وكذلك حكم العز والعز، فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال هذا؛ لأن «بين» إنما هي وَسط بين شيئين.

فإن قال: إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومَنْ يصْلاها؛ فكأنه ذهب بقوله «بين» إلى معنى وسط: أي ومشهد وسط حكم الذل.

قيل: وَسط لا يحلّ محل بَيْن، وبين لا يحل محل وسط؛ لأنك تقول: البئرُ وسط الدار، ولا تقول: البر بين الدار، وتقول: المال بيننا نصفين، ولا تقول: المال وسطنا، والمعنى الذي بنى أبو تمام البيتَ عليه سياقَةُ لفظه أن يقول: ومشهدٍ بين حكم الذل وحكم العز: أي ومشهد بين الذل والعز، محجمٌ من يصلاه –وهو الذليل– أو مقدم– وهو العزيز – جلّيته وكشفته، يعني الممدوح؛ فحذف أحد القسمين الذي لا يصلح «بين» إلا به مع القسم الآخر، وجعل قوله «منقطع» في موضع مُحْجِم، و «متصل» في موضع مُقْدم، وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع، وقد أغراه الله بوضع الألفاظ في غير مواضعها مِن أجل الطِّباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به، وقوله «وقد تفرعن في أفعاله الأجل» معنى في غاية الركاكة والسخافة، وهو من ألفاظ العامة، وما زال الناس يعيبونه به، ويقولون: اشتقَّ للأجل الذي هو مُطِلٌّ على كل النفوس فعلًا من اسم فِرْعَوْن، وقد أتى الأجل على نفس فِرْعَوْنَ وعلى نفس كل فرعونٍ كان في الدنيا.

(1) البيتان من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان 228) وبين البيتين بيتان آخران في وصف المشهد وبيان ما فيه من الهول .

(2) صاليه: اسم الفاعل من قولك: صلى النار صلاها، كرضي يرضى، إذا وقع فيها، أو تدفأ بها.

(3) صفحة الوجه: جانبه، وحر الوجه: ما ظهر منه، وتفرعن: طغى، وأصله أشبه فرعون في طغيانه.

34 – ومن خطائه قولُه:

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ الشَّرَفَ اقْتِسارًا ... وَلَوْلا السَّعْيُ لَمْ تَكُنِ الْمَساعِي[1]

قوله «سعى فاشترك الشرف اقتسارا» ليس بالمعنى الجيد، بل هو عندي هجاء مصرح؛ لأنه إذا استنزل الشرفَ فقد صار غير شريف، وذلك أنك إذا ذَمَمْتَ رجلا شريفا شريف الآباء كان أبلغَ ما تذمُّه به أن تقول: قد حَطَطْت شرفَك، ووضَعْت من شرفك، وقد وكّده بقوله «اقتسارًا» وقوله «ولولا السعي لم تكن المساعي» فبئس السعي والله سَعَى؛ لأن الشرفَ لا يُحَطّ إلا بألأم ما يكون من الأفعال، وكأنه إنما أراد سعى فحَوَى الشرف نفسه، فأفسد المعنى بذكر استنزاله إياه، كأنه لو لم يستنزله ما كان يكون حاويًا له، فهلا قال: تَرَقَّى إلى الشرف الأعلى فحَواه، أو بلغ النجم، أو علا على الشمس، كما قال الآخر:

لَوْ كانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ ... قَوْمٌ بِسُؤْدَدِهِمْ أَوْ مجْدِهِمْ قَعَدُوا

35 – ومن خطائه قولُه:

يَقِظٌ وَهْـوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إغْضَا ... ءً عَلَى نائِلٍ لَـهُ مَـسْـرُوقِ[2]

قوله «على نائل له مسروق» خطأ؛ لأن نائله هو ما يُنيله، فكيف يكون مسروقا منه؟ وهل يكون الهجو إلا هكذا: أن يُجْعَل نائله مأخوذا منه على طريق السرقة، وإنما اعتمد المطابقة: لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه؛ إذ كان من شأن المتيقظ أن لا يغفل حتى يستتم عليه السرق، وقد كان يصح هذا المعنى لو قال: على مال له مسروق، حتى يكون يعطى ماله اختيارا بجوده ويُغْضى إذا سرق منه لكرمه.

36 – ومن خطائه قولُه:

لَوْ يَعْلَمِ الْعافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى ... مِنْ لَـذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ[3]

(1) من قصيدة له يمدح فيها ابن أصرم (الديوان 194) والاقتسار: القهر والغلبة.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 220) والنائل: العطاء.

(3) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله، ويقال: المأمون (الديوان 113) وفيه «لم تخمد»، وقد تقدم ذكر هذا البيت.

ويروي «من لذة» و «من فرجة» أي: من لذة وافتراج: أي ابتداع واستخراج. وهذا عندي غلط؛ لأن هذا الوصف الذي وصفه داعيةٌ أن يَتَناهى الحامدُ له في الحمد، ويجتهد في الثناء بأن لا يدعَ حَمْده، وإنما ذهب إلى أن الإِنسان إِنما يحمد على الشيء الذي يتكلّفه ويتجشمّه ويتحمل المشقة فيه، لا على الشيء الذي له بواعث شهوة من نفسه وشدة صبابة إليه ومحبة لفعله، ومَنْ كان غرامُه بالجود هذا الغرام، فعلى ذلك يجب أن يحمد ويمدح؛ فأما قول البحتري[1]:

وَلَقَدْ أَبَدْتَ الْحَمْدَ حَتَّى لَوْ بَنَتْ كَفَّاكَ مَجْدًا ثانِيًا لَـمْ تُحْمَدِ

فمذهب صحيح، يريد أنك قد أفنيت الأوصاف والمحامد؛ فإن جئت بنوع من المكارم تَبْنِي به محدًا آخر لم يَقْدر مَن يحمدك ويثني عليك على أكثر مما تقدم.

37 - ومن خطائه قولُه:

تَناوَل الْفَوْتَ أَيْدِي الْمَوْتِ قادِرَةً إِذا تَناوَلَ سَيْفَا مِنْهُمْ بَطَلُ[2]

قوله «تناول الفوت أيدي الموت» عويص من عويصاته، وهذا أيضا محال، وإِنما سمع قول سَعْد بن مالك:

هَيْهَاتَ حالَ الْمَوْتُ دُو نَ الْفَوْتِ وَانْتُضِيَ السِّلاحُ

والْفَوْت: هو النجاة، أي: حال الموت دون النجاة، وهذا صحيح مستقيم، فقال هو «تناول الفوت أيدي الموت» وهذا محال؛ لأن النجاة لا تتناولها يدُ الموت ولا تصل إليه، وإلَّا لم تكن نجاة، وهذا من تعقيده الذي يخرجه إلى الخطأ وإنما قَصَد إلى ازدواج الكلام في الفوت والموت، ولم يتأمل المعنى، والوجهُ الصحيح قولُ البحتري:

(1) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبي (الديوان: 1 - 171) وفيه «فلقد بنيت المجد حتى لو بنت» وأظنه تحريف ما هنا.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان 229) وتناول: مضارع حذفت منه إحدى التاءين، وأصله تتناول، وفاعله «أيدي الموت» يريد إذا تناول بطل من أتباع الممدوح سيفا فإن أيدي الموت تتناول النجاة والهرب، وهذا كناية عن أنهم يقتلون أعداءهم ولا يمكنونهم من الهرب.

تَتَدَانَى الْآجَـالُ ضَرْبًا وَطَعْنًا حِينَ يَدْنُو فَيَشْهَدُ الْهَيْجَاءَ[1]

38 - ومن خطائه قولُه:[2]

وَاكْتَسَتْ ضُمَّرُ الْجِيَادِ الْمَذَاكِي مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَا دَمًا وَحَمِيمَا[3]

فِي مَكَرٍّ تَلُوكُها الْحَرْبُ فِيهِ وَهْيَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشَّكِيما[4]

فهذا معنى قبيح جدا: أنْ جَعَل الحربَ تلوك الخيل من أجل قوله «تلوك الشكيما». و«تلوك الشكيما» أيضا ههنا خطأ؛ لأن الخيل لا تلوك الشكيم في المكر وحومة الحرب، وإنما تفعل ذلك واقفةً لا مكرّ لها.

فإن قيل: إنما أراد أن الحرب تلوكها كما تلوك هي الشكيم

قيل: هذا تشبيه، وليس في لفظ البيت عليه دليل، وألفاظ التشبيه معروفة، وإنما طرح أبا تمام في هذا قلةُ خبرهِ بأمر الخيل، ألا ترى إلى قول النابغة:

خَيْلٌ صيامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجُما

والصيام ههنا القيام: أي خيل واقفة مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهي واقفة، وخيل تحت العجاج في الحرب، وخيل تعلك اللجما قد أسرجت وألجمت وأعدت للحرب. والشاعر الحصيني[5] كان أحذق من أبي تمام وأعلم بأمر الخيل، قال:

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان: 1 - 2).

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد وكان قد قدم من مكة (الديوان 293).

(3) الضمر: جمع ضامر، وهو الخفيف اللحم، والمذاكي: الخيل المسنة، والهيجا- بالقصر هنا، ويمد- الحرب. والحميم: الماء الحار، وأراد به العرق.

(4) المكرّ: المكان الذي يكر الأبطال فيه بعضهم على بعض، والمقورة: الضامرة. ووقع في الأصول «فهي بكر» مكان «في مكر» وهو تحريف تصويبه عن الديوان، ويؤيد ما أثبتناه اعتراض المؤلف الآتي.

(5) نسبه العباسي في معاهد التنصيص (240 بولاق) إلى يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان، وذكر قبله قوله:

عـودتـه فـيـمـا أزور حـبـائـبي إهـمـالـه، وكـذلـك كـل مخاطر

وَإذا احتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنانِهِ   عَلَكَ الشَّكيمَ إلى انْصِرَافِ الزَّائِرِ[1]

وإلا فمتى رأى فرسًا يجري وهو يلوك شكيمه؟ فأما قول أنس بن الريان[2].

أَقُـودُ الجِيَادَ إلى عَامِرٍ   عَوَالِكَ لُجم تَمُجُّ الدِّمَاءَ

فإن القود قد يكون في خلاله تلبُّثٌ وتوقّف تلوك فيه الخيلُ لجمها، والمَكَرُّ لايستقيم ذلك فيه، فأما قول أبي حزابة التميمي[3].

خاض الردى في العدى قد ماعنصله (؟)   وَالْخَيْلُ تَعْلُكُ ثِنَّ الْمَوتِ بِاللُّجُمِ

فإنما جعل ثن الموت مثلا، والثن: حطام النبات اليابس، ولم يرد أن الخيل تعلك اللجم على الحقيقة.

39 – ومن خطائه قوله:[4]

وَالْحَربُ تَرْكَبُ رَأْسَهَا في مَشْهَدٍ   عُـدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حلِيمِ
في سَاعَةٍ لَـوْ أَنَّ لُقْمَانًا بِهَا   وَهُوَ الْحَكِيمُ لَكانَ غَيْرَ حَكيمِ
جَثَمَتْ طُيورُ الْمَوْتِ في أَوْكارِهَا   فتَرَكْنَ طَيْرَ الْعَقْلِ غَيْرَ جُثُومِ

فالبيتان الأولان جيدان، وقوله «جثمت طيور الموت في أوكارها» بيت رديء في القسمة، رديء في المعنى؛ لأنه جَعل طير الموت في أوكارها جاثمةً: أي ساكنة لاينفّرها شيء، وطيرَ العقل غير جثوم، يعني أنها نفرت فطارت، يريد طيران عقولهم

(1) القربوس – بفتح القاف والراء جميعا– حنو السرج، وللسرج قربوسان والعنان –بكسر العين– سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والشكيم: الحديدة المعترضة في فم الفرس، ويقال لها شكيمة أيضا.

(2) لم أقف على صحة هذا الاسم، وذكر في المؤتلف والمختلف (55) شاعرين اسم كل منهما أنس، أما أحدهما فأنس بن أبي أناس الكناني، أحد بني بكر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، وأما الآخر فأنس بن نواس المحاربي.

(3) وقع في أصول هذا الكتاب «أبى حزانة التميمي» بالنون، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه بالباء، وأبو حزابة هو الوليد بن حنيفة، أحد بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية، ولم يستقم لنا صدر بيته.

(4) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 307 – 308) وفيه في أول الثالث «جثمت طيور الهلك».

من شدة الرَّوْع، وما كان ينبغي أن يجعل طير الموت جثوما في أوكارها، وإنما كان الوجه أن يجعلها جاثمة على رؤوسهم، أو واقعة عليهم، فأما أن تكون جاثمة في أو كارها فإنها في السلم أو في الأمن جاثمة في أوكارها أيضا: وطير العقل ليست بضدٍّ لطير الموت، وإنما هي ضد لطير الجهل ، وطير الحياة هي الضد لطير الموت، ولو كان قال:

جَثَمَتْ طُيُورُ الْمَوتِ في أَوْ كارِهَا فَتَرَكْنَ أَطْيَارَ الْحَيَاةِ تَحُومُ

لكان أشبه وأليق، أو لو قال:

سَقَطَتْ طُيُورُ الْمَوتِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ فَتَرَكْنَ أَطْيَارَ الْعُقُولِ تَحُومُ

لكان أيضا قريبا من الصواب؛ لأنهم يقولون: طار عقله من الرَّوْع، فإذا ثاب إليه عقله وسكن قيل: قد أَفْرَخَ روعه، وهذا مَثَل وذلك أن الطائر إذا أفرخ لزم عُشّه وفراخَه، وقد يجوز أن يكون «أفرخ روعه» أي: ذهب؛ لأن الطائر إذا أفرخ فطارت فراخه انتقل عن ذلك العش، وقولهم «جثم الطائر» إنما هو أن يلصق جُثْمانه بالأرض، يذهبُ إلى أن طيور الموت ساكنة، وطيور العقل منزعجة طائرة، وقوله «غير جثوم» لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة؛ لأن الطائر قد يكون جاثمًا وقد يكون قائمًا على رجليه ساكنا مطمئنا، وهذه حاله في أكثر أوقاته؛ فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ولا يؤدي التأدية الصحيحة عنه.

40 – ومن خطائه قوله في وصف الفرس[1]:

مَا مُقْرِبٌ يَخْتَالُ في أَشْطَانِهِ مَلآن مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلْهُوقِ[2]

(1) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان 211) وكان في الأصول «وتلهوف» بالفاء، وهو تصحيف صوابه عن الديوان.

(2) المقرب: أراد به الفرس، ويختال: يمشي الخيلاء. يريد يتبختر. والأشطان: جمع شطن – بفتح الشين والطاء – وهو الحبل، والصلف: الكبر، والتلهوق: التحسن بما ليس فيه. وهو أيضا أن تظهر شيئا وباطنك على خلافه، وقال الكميت يمدح مخلد بن يزيد بن المهلب.

أجزيهم يد مخلد، وجزاؤها عندي بلا صلف ولا بتهلوق

قوله «ملآن من صَلف» يريد التِّيهَ والكبر، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة، فأما العرب فإنها لاتستعملها على هذا المعنى، وإنما تقول: قد صَلِفَتِ المرأة عند زوجها، إذا لم تَحْظَ عنده، وصَلِفَ الرجلُ كذلك؛ إذا كانت زوجته تكرهه. وقال جرير:

إِنِّي أُوَاصِـلُ مَنْ أَرَدْتُ وِصَالَهُ ... بِحِبَالِ لا صَلِفٍ وَلا كَـوَّامِ

والصَّلِف: الذي لاخير عنده، وَمَثَل يضرب «رُبَّ صَلف تَحْتَ الرَّاعِدَة» يعنون الرعد بغير مطر؛ فهذا معنى الصلف في كلامهم، وعلى هذا قد ذم أبو تمام الفرسَ من حيث أراد أن يمدحه، والتلهوق: هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة، ومنه قولُ الأغلب الْعِجْلي يصف مدارَاةَ رجل له امرأةً نال منها:

فَلَمْ يَزَلْ بِالْحَلفِ النَّجيِّ ... لَهَا وَ بِالتَّلَهُوقِ الخَفِيِّ

أنْ قَدْ خَلَوْنا بِفَضاءٍ قِيٍّ ... وَغابَ كُلُّ نَفَسٍ مَخْشِيِّ[1]

وقد ذكر أبو عبيدة القاسمُ في الغريب المصنَّف في أول نوادر الأسماء التلهوقَ، وقال: وهو مثل التملُّق، وما أرى أبا تمام في وَضْع هاتين اللفظتين إلا غالطًا .

41 – وقال أبو تمام[2]:

عَطَفُواالْخُدُورَعَلَىالْبُدُورِووَكَّلُوا ... ظُلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ خُرَّدِ[3]

وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صِيانَةً ... وَشْيَ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ[4]

البيت الأول حَسَن حُلْو، وأخذ قوله «وثنوا على وشي الخدود صيانة وشي البرود» من قول الكُمَيْت:

(1) القي – بكسر القاف وتشديد الياء – القفر.

(2) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله. ويقال: مدح بها المأمون (الديوان 111) وفيه «بنور حور فهد» وقد تقدم ذكر ثاني البيتين في سرقات أبي تمام.

(3) عطفوا: أراد به غطوا والخدور: جمع خدر –بكسر فسكون– وهي حجلة العروس، وتطلق على البيت مادام فيه نساء، والظلم – بضم ففتح– جمع ظلمة. والحور – بضم الحاء – جمع حوراء، وهي المرأة الشديدة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها، والخرد: جمع خربدة، وأصلها الدرة التي لم تثقب، تشبه بها المرأة. والنهد – في الرواية الأخرى – جمع ناهد، وهي البارزة النهدين.

(4) سبق مشروحا (85 من هذا الكتاب).

وَأَرْخَيْنَ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ ... يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالْأَسِيلِ[1]

وقوله «بمسْجَفٍ وممهد» فالمسجَف يريد سِتر بابِ الْحَجَلةِ، وكلُّ باب مشقوق فكلُّ سترٍ منها سِجفٌ، وكذلك سجف الخِباء، والمسجّف: المرخى، والسجيف: إرخاء السجفين، وقوله «بمسجف» أي من مسجف وممهد فجعل الباء في موضع «من» كما قال عنترة:

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ ... زَوْراءَ تَنْفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ[2]

أي: من ماء الدحرضين، والممهَّد: الوطاء الذي يُوَطّأ تحت المرأة، فكيف يكون ذلك مشرفًا على السجف الذي ذكر أنهم ثَنَوْه على وشي الخدود؟ والممهَّد ليس هذه حاله فيعطفه عليه.

فإن قيل: كيف لا يكون محمولا على قول الشاعر:

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى ... مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمحًا[3]

والرُّمح لا يُتَقلد، وقول الآخر:

* وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونا[4]

والعيون لا تُزَجَّج، وإنما أراد ذلك متقلدا سيفا وحاملا رمحا، وأراد هذا وزجَّجن الحواجب وكحّلن العيونا.

---

(1) قد مضى مشروحا (ص 85 من هذا الكتاب أيضًا، وقد روي في صحاح الجوهري (ف د غ م) وفيه «وأدنين البرود».

(2) الدحرضان: ماءان من مياه العرب، واسم أحدهما دحرض، وهولآل الزبرقان بن بدر، واسم الآخر وسيع، وهو لبني أنف الناقة، فغلب في التثنية أحدهما على الآخر، والزوراء: المائلة، والديلم: يقال هو اسم ماء من مياه بني سعد، ويقال: اسم رجل من ضبة، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة، وهذا هو الصحيح ذكره صاحب اللسان وصححه.

(3) يروي النحاة صدر هذا اليت:

* يا ليت زوجك قد غدا *

(4) هذا عجز بيت للراعي النميري، وصدره قوله:

* إذا ما الغانيات برزن يوما *

قيل: متقلّد السيف هو حامله أيضا فحَسُن أن يعطف على السيف؛ لأنهما جميعا محمولان، وكذلك زججن وكحلن هما جميعا زينةٌ فحَسُن أن يعطف أحدهما على الآخر، والممهَّد لا يشرك الستر في شيء من تغطية الوجه ولا صيانته، ولا بنيت ألفاظ البيت إلا على ستر الخدود بالستور، ولا يتعلق الممهد بالمعنى بإضمار لفظ ولا غيره.

42 – ومن خطائه قوله[1]:

بِقَاعِيَّةٌ تَـجْـرِي عَلَيْنا كُؤُوسُها
فَتُبْدِي الَّذي نُخْفِي وَتُخْفِي الَّذِي نُبْدِي[2]

ذهب في هذا إلى أَن الخمر تُخفي الذي نُبديه في حال الصَّحو من الحِلْم والوقار والكف عن الهزل واللعب، و «تبدي الذي نخفي» أي: الذي نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله؛ لأنه في الطبيعة والغريزة، والذي كنا نُظهره إنما هو تصنُّع وتكلف، ويدخل في هذا ما يبوح به المحب من الحب الذي كان يكتمه في صَحْوه ويُظهر ضدَّه، أو ما يبوح به من بُغْض زيد وكان يظهر في صَحْوه مودَّته ومنافعه. وكذلك ما يظهر السكر من بُخْل البخيل ومَنْع ما كان يتحمله ببذله في الصحو، أو ما يظهر من السماحة التي كان لا يسمح بمثلها في صحوه خوفَ العاقبة، ونحو هذا، وما سقط من قول الحكماء «إن الشراب يثير كل ما وجد» أي: يظهر كل ما في النفس من خير وشر وحسن وقبيح؛ فكلُّ شيء يظهره الإنسان وليس في اعتقاده ولا نيته فإن الذي يضمره ويكتمه في نفسه فهو ضده، فاذا أظهر السكرُ اعتقاد المعتقد الذي هو الصحيح فإن ضدَّه مما كان يتجمل بإظهاره يَبْطل ويتلاشى؛ لأن الشراب يخفيه ويطويه في الضمير حتى يكون مكتومًا كما كانت الحقيقة مكتومة، هذا محال؛ لأن القلبَ هو مَحَلُّ المعتقدات؛ فلا يجوز أن يجتمع فيها الشيء وضده، والاعتقادات لا تكون باللسان؛ لأن اللسان

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان 115).

(2) بقاعية: منسوبة إلى البقاع، وهو مكان نعصر فيه الخمر، وأراد بكونها تبدي ما يخفيه أنها تجري لسانه وتحل عقدته فيبوح بأسراره ويفشي ما كان يتكتمه وأراد بأنها تخفي ما يبديه أنها تذهب عنه آثار الحزن والاهتمام بشواغله والتفكير فيما يحيط به من كرب الحياة وبأسائها. هذا ما يظهر لنا في توجيه هذا البيت.

يكذب، والقلب لا يتضمن إلا الحقيقة وقول أبي تمام «فتبدي الذي نخفي» قول صحيح، وقوله «وتخفي الذي نبدي» اللفظُ فاسد؛ لأن تخفي معناه تكتم وتستر، والذي قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته.

فإن قيل: ولم لا يكون هذا توسعا ومجازا؟

قيل: المجاز في مثل هذا لا يكون؛ لأن الشيء الذي تكتمه وتطويه إنما أنت خازنٌ له وحافظٌ؛ فهو ضد للشيء الذي تزيله وتبطله، والأضداد لا يستعمل أحدها في موضع الآخر إلا على سبيل المجاز.

43 - ومن خطائه قوله في وَصْف فَرَس[1]:

وَبِشُعْلَةٍ نَبْذٍ كَأَنَّ فَلِيلَها ... فِي صَهْوَتَيْهِ بَدْءُ شَيْبِ الْمَفْرِقِ[2]

قوله «فليلها» يريد ما تفرق منها في صهوتيه، والصَّهْوة: موضع اللبد، وهو مقعد الفارس من الفرس، وذلك الموضع أبدا ينحت شعره لغَمْز السرج إياه فينبت أبيض؛ لأن الجلد ههنا يرقّ وأنت تراه في الخيل كلها على اختلاف شِيَائها، وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل؛ فهذا خطأ من هذا الوجه، وهو خطأ من وجه آخر، وهو أن جعله شُعْلة، والشعلة لا تكون إلا في الناصية أو الذنب، وهو أن يبيضَّ عرضها وناحية منها، فيقال: فرس أشعل وشَعْلاء، وذلك عيب من عيوب الخيل؛ فإن كان ظهر الفرس أبيضَ خلقةً فهو أرحل، ولا يقال أشعل.

وقد أخذ البحتري قوله «بَدْءُ شَيْبِ المفرق» فجاء به حسنًا جدا، ثم سلم من العيب، فقال[3]

---

(1) من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان 212) وفيه «كأن فلولها».

(2) الشعلة: بياض في الفرس، ونبذ - بفتح النون وسكون الباء- أراد به مطروحة، من قولهم: نبذ الشيء ينبذه - من باب ضرب- إذا طرحه. والفلول جمع فل- بفتح الفاء وتشديد اللام- وأراد به متفرقها، والفليل - في الرواية الأخرى- بمعنى الفل، فعيل بمعنى مفعول والصهوة: مقعد الفارس من الفرس، والمفرق: الموضع الذي يفترق فيه الشعر من الرأس.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحراني ويصف فرسا (الديوان: 2 - 252) وفيه «في شعلة كالشيب» وقبل هذا البيت قوله:

وكأن فارسه وراء قذاله ... ردف، فلست تراه من قدامه

لانت معاطفه فخيل أنه ... للخيزران مناسب بعظامه

وَبِشُعْلَةٍ كالشَّيْبِ مَرَّ بِمَفْرِقَيْ غَـزِلٍ لَها عَـنْ شَيْبِهِ بِغَرَامِهِ

فقال: «بشعلة» ولم ينصَّ على موضعها، ومعلوم أنه أراد بياضا في الناصية، وقال «مر بمفرقَيْ غَزِلٍ» فأوضح أنه ذلك الموضِعَ أراد، وقال: «لها عن شيبه بغرامه» فأتى بشيء يفوق كل حُسْن، إلا أن البياض في الناصية من عيوب الخيل، وكذلك البياض في الذَّنَب، ليس بين الناس في ذلك اختلاف، ويقال لبياض الناصية أيضا السعف.

وأيضًا فإن البحتري وصف فرسًا أدهم فقال[1]:

جَـذْلانُ تَلْطِمُهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ جَاءَتْ مَجِيءَ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ

فأي حُسْن يكون لبياض ناصية على بياض غرة؟

ومن قبيح وَصْف شِيَاتِ الخيل قولُ أبي تمام في هذا الفرس أيضا:

مُسْوَدّ شَطْرٍ مِثْلَ ما اسْوَدَّ الدُّجى مُبْيَضُّ شَطْرٍ كابْيِضاضِ الْمُهْرَقِ[2]

شَطْر الشيء: جانبه وناحيته، قال الله عز وجل: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 150] أي ناحيته، وقد يُراد بالشَّطر نصفُ الشيء، يقال: قد شاطرتك مالي، أي: ناصفتك؛ فهذا هو الأكثر الأعمُّ فيما يستعملون، وذلك من أقبح شِيات الإبلق على ظاهر هذا المعنى، ولم يُرده أبو تمام، وإنما أراد بالشطر ههنا البعض أو الجزء أي مسودّ جزءٍ مبيضّ جزء؛ فجاء بالشطر لأنها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض في هذا الموضع.

والجيدُ النادر قولُ البحتريِّ:

أَوْ أَبْلَقٍ يَلْقَى الْعُيُونَ إِذا بَدَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِنَمُوذَجِ[3]

---

(1) من نفس القصيدة التي منها البيت السابق (الديوان: 2 - 251).

(2) المهرق: الصحيفة.

(3) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويصف فرسا وبغلا (الديوان: 1 - 102) وجملة «يلقى العيون» صفة لأبلق، و «بنموذج» يتعلق بيلقى، و «من كل لون معجب» أصله صفة لنموذج، وأصل نظام البيت: من كل فرس أبلق يلقى العيون وقت ظهوره بنموذج من كل لون معجب. وقبل هذا البيت قوله:

فـأعـن عـلـى غـزو الـعـدو بمنطو أحـشـاؤه طـي الـكـتـاب الـمـدرج=

وقد جعله أبو تمام في أول الأبيات أَشْعَلَ بقوله «بشعلة» ثم جعله هنا أبلق؛ فهذا الفرس هو الأشعل الإبلق على مذهبه في هذا التشبيه، ولا يُنْكر مثلُ هذا من ابتداعاته.

❋❋❋❋

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بنِ يَحْيى الآمِديُّ:

قد ذكرتُ في الجزء الثاني الموازنَةَ بين شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وشعر أبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري، وخَطَأَ أبي تمام في الألفاظ والمعاني، وبيَّضْت آخرَ الجزء لألحِقَ به ما يمر من ذلك في شعره، وأستدركه من بعدُ في قصائده.

وأنا أذكر في هذا الجزء الرَّذْلَ من ألفاظه، والساقطَ من معانيه، والقبيحَ من استعاراته، والمستكْرَهَ المتعقَّد من نَسْجه ونظمه، على ما رأيت المتأخرين يتذاكرونه، وينعَوْنَه عليه ويعيبونه، وعلى أني وجدتُ لبعض ذلك نظائر في أشعار المتقدمين فعلمتُ أنه بذلك اغترَّ، وعليه في العذر اعتمد. طَلَبًا منه للإغراق والإبداع، ومَيْلا إلى وَحْشِيِّ المعاني والألفاظ، وإنما كان يندر من هذه الأنواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيتُ أو البيتان يُتَجاوز له عن ذلك؛ لأن الأعرابي لا يقول إلا على قريحته، ولا يعتصم إلا بخاطره، ولا يستقي إلا من قلبه، وأما المتأخِّر الذي يَطْبع على قوالب، ويحذو على أمثلة، ويتعلم الشعر تعلما، ويأخذه تلقنا؛ فمن شأنه أن يتجنّب المذموم، ولا يتبع من تقدَّمه إلا فيما استُحْسِن منهم، واستُجيد لهم، واخْتِير من كلامهم، أو في المتوسط السالم إذا لم يقدر على الجيد البارع، ولا يوقع

=إما بأشقر ساطع أغشى الوغى ... منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طلت أعطافه ... بدم؛ فما تلقاه غير مضرج
أو أدهم صافي السواد كأنه ... تحت الكمي مظهر بير ندج
ضرم يهيج السوط من شؤبوبه ... هيج الجنائب من حريق العرفج
خفت مواقع وطئه؛ فلوانه ... يجري ببرمة عالج لم يرهج
أوأشهب يقق يضيء وراءه ... متن كمتن اللجة المترجرج
تخفي الحجول ولو بلغن لبانه ... في أبيض متألق كالدملج
أوفى بعرف أسود متغرب ... فيما يليه وحافر فيروزجي

الاحتطاب والاستكثار مما جاء عنهم نادرا ومن معانيهم شاذا ويجعله حجة له وعذرا؛ فإن الشاعر قد يُعاب أشدَّ العيب إذا قصد بالصنعة سائرَ شعره، وبالإبداع جميعَ فنونه، فإنَّ مُجَاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرِجةٌ سهلَ التأليف إلى سوء التكلفِ وشِدَّةِ التعمُّل، كما عيب صالحُ بن عبد القُدوس وغيرُه ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره؛ لأن لكل شيء حدًّا إذا تجاوزه المتجاوزُ سمي مُفْرِطا، وما وقع الإِفراط في شيء إلا شانَه وأعاد إلى الفساد صحتَه، وإلى القبح حسنَه وبهاءه، فكيف إِذا تتبَّع الشاعرُ ما لاطائل فيه: من لفظة شنيعة لمتقدم، أو معنًى وَحْشِيٍّ فجعله إمامًا، واستكثر من أشباهه، ووشَّح شعره بنظائره، إنَّ هذا لعينُ الخطأ، وغايةٌ في سوء الاختيار.

❊❊❊❊

باب

ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات*

1 – فمن مَرْذول ألفاظه وقبيح استعاراته قوله:

يا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعيْك فَقَدْ   أَضْجَجْتَ هذا الْأَنامَ مِنْ خُرُقِكْ(1)

2 – وقال:

سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللّيتِ الرَّخِيَّ   وَلِينَ أَخَـادِعِ الدَّهْرِ الْأَبِـيِّ(3)

3 – وقال:

فَضَرَبْتُ الشِّتاءَ في أَخْدَعَيْهِ   ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَـوْدًا رَكُوبَا(4)

4 – وقال:

تَـرُوحُ عَلَيْنا كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي   خُطُوبٌ كأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ(5)

(*) قد ذكر أبو هلال العسكري في الصناعتين (235) جملة من شعر أبي تمام الذي أبعد فيه الاستعارة، وقد اشترك مع المؤلف في بعض ماذكره هنا، وانفرد كل منهما بشيء، وقال أبو هلال قبل أن يذكر ما ذكره من شعر أبي تمام: «وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس، اغترارًا بما سبق منه في كلام القدماء، فأسرف، فنعى عليه ذلك، وعيب به، وتلك عاقبة الإسراف» اهـ. وقال بعد أن أنشد ما جاء به من الأبيات: «وقد جنى أبو تمام على نفسه بالإكثار من هذه الاستعارات وأطلق لسان عائبه، وأكد له الحجة على نفسه. واختيارات الناس مختلفة يحسب اختلاف صورهم وألوانهم» اهـ.

(1) هذا البيت من أبيات يمدح فيها محمد بن الهيثم ويهنئه ببرئه (الديوان 210)، وهو أول ماذكره أبو هلال أيضا في الصناعتين (235).

(2) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 344) وفيه «أخادع الزمن الأبي» وكان في الأصول «فرجة اللبب» وما أثبتناه عن الديوان. والفرجة: السعة. والليت: صفحة العنق. والأخادع: جمع أخدع، وهو عرق في العنق. والأبي: المتكبر، وانظر الصناعتين (236).

(4) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان 27) وفيه «قودار كوبا» وفي الصناعتين (236) كما هنا. والقود – ومثله العود – البعير المسن، وأراد طيعا منقادا. وتقول: ضربت فلانا في أخدعيه، تريد أنك أذهبت كبره.

(5) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان 190) والصناعتين (236) والخطوب: جمع خطب –بفتح فسكون – وهو النازلة من نوازل الدهر.

5 – وقال:

أَلَا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّئٍ إِلَى مُجْتَدِي نَصْرٍ فَيُقْطَعَ لِلزَّنْدِ(1)

6 – وقال:

وَالدَّهْرُ أَلْأَمُ مَنْ شَرِقْتَ بِلُؤْمِهِ إِلَّا إِذا أَشْرَقْتَهُ بِكَرِيمِ(2)

7 – وقال:

تَحَمَّلْتُ ما لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا أَيُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ(3)

8 – وقوله يَصِفُ قصيدة(4)

تَحُلُّ يَفَاعَ الْمَجْدِ حَتَّى كَأَنَّها عَلَى كُلِّ رَأسٍ مِنْ يَدِ الْمَجْدِ مِغْفَرُ
لَها بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِرٌ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تَنْفُخْ وَلا هِيَ تَزْمُرُ

9 – وقوله:(5)

بِهِ أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بِالشَّام بَعْدَمَا ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خالِدٌ وهْوَ مُرْتَدُّ
أَمَا وَأَبِي أَحْداثِهِ إِنَّ حادِثًا حَدَابِيَ عَنْكَ الْعِيسَ لَلْحادِثُ الْوَغْدُ

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصوربن بسام (الديوان 115) وكان في الأصول «كفًّا لسيئ» و «فتقطع من الزند» وتصويبهما عن الديوان، وفي الصناعتين (236) «تقطع من الزند» وليس بشيء أيضا؛ إذ من شرط جزم المضارع بعد النهي أن يصح أن تضع قبله أداة شرط مقترنة بلا النافية ويصح المعنى، وأنت لو قلت «إلا يمد كفه تقطع من الزند» لم يكن الكلام صحيح المعنى.

(2) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 308) والصناعتين (236) والشرق: الغصص بالماء.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائى (الديوان 245) والصناعتين (236) والشطر: النصف. والعبء: الحمل.

(4) من أبيات يمدح فيها جعفرا الخياط (الديوان 160) والصناعتين (236) وفيهما «تحل بقاع المجد» والمغفر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة.

(5) من قصيدة يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 121) وثانيهما فيه قبل أولهما بأربعة عشر بيتا وأنشد أولهما في الصناعتين (236) وأسلم: انقاد وخضع، أو صار مسلما، وثانيهما أتم مقابلة لقوله «وهو مرتد» في آخر البيت. وثوى: أقام في مكانه ولم يبرحه. وأودى: هلك. وأراد بخالد: خالد بن يحيى البرمكي. والمرتد: الخارج عن دينه. وحدا: من الحداء – بضم الحاء – وهو الغناء للإبل، وأراد صرفني عنك. والوغد: اللئيم.

10 – وقوله[1]

جَذَبْتُ نَدَاهُ غَدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةَ ... فَخَرَّ صريعًا بَيْن أَيْدِي الْقَصَائِدِ

11 –وقوله[2]:

لَوْ لَمْ تَفُتَّ مِسَنَّ الْمَجْدِ مُذْ زَمَنٍ ... بِالْجُودِ وَالْبَأسِ كانَ الْجُودُ قَدْ خَرِفَا

12 – وقوله[3]:

لَدَى مَلِكٍ مِنْ أَيْكَةِ الْجُودِ لَمْ يَزَلْ ... عَلَى كبِدِ الْمَعْرُوفِ مِنْ فِعْلِهِ بَرْدُ

13 – وقوله[4]:

فِي غُلَّةٍ أَوْقَـدَتْ عَلَى كَبِدِ الـ ... ـنَّائِلِ نَـارًا أَخْنَتْ عَلَى كَبدِه

14 – وقوله[5]:

حَتَّى إذا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا ... فِيهِ فَـغُـودِرَ وَهْـوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

15 – وقوله[6]:

إِيثَارَ شَزْرِ الْقُوَى رَأَى جَسَدَ الْـ ... ـمَعرُوفِ أَوْلَى بِالطِّبِّ مِنْ جَسَدِهْ

16 – وقوله[7]:

---

(1) من قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 95) والندى: المعروف والكرم. والصريع: الطريح.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 204) وأنشد آخره في الصناعتين (236) وفيهما «كان المجد قد حرفا» وتفت: تدق، والبأس: الشدة.

(3) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 121) والصناعتين (237) وفيه «إلى ملك» و «من نيله يرد» وأصل الأيكة: الشجرة.

(4) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 95) والصناعتين (237) وكان في الأصول «في علة» بالعين المهملة، وإعجامها عنهما. والغلة –بضم الغين المعجمة– حرارة الجوف وأخنت: أهلكت.

(5) من قصيدة له يهجو فيها عتبة بن أبي عاصم (الديوان 500) وفيه «بيض إذا اسود الزمان» وورد في الصناعتين (237) كما هنا.

(6) من مدحته في خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 95) والإيثار: التفضيل والشزر: الشديد، والقوى: جمع قوة، والطب: العلاج.

(7) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 297) وفيه «فما ذكر الدهر».

وَمَا ذُكِـرَ الدَّهْرُ الْعَبُوسُ بِأَنَّهُ   لَهُ ابْنٌ كَيَوْمِ السَّبْتِ إِلَّاتَبَسَّمَا

17 – وقوله[1]:

وكَمْ أَحْـرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ قَدِّها
صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ

18 – وقوله يصف الأرض[2]:

إذا الْغَيْثُ غَادَى نَسْجَها خِلْتَ أَنَّهُ   مَضَتْ حِقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وَهْوَ حائِكُ

19 – وقوله[3]:

وَلَاجْتُذِبَتْ فُرُشٌ مِنَ الأمْنِ تَحْتَكُمْ
هِـيَ المثل فِي لِينٍ بِهَا وَالأرَائِـكُ

20 – وقوله[4]:

إذًا لَلَبسْتُمْ عـارَ دَهْـرٍ كأَنَّما   لَيالِيهِ مِنْ بَيْنِ اللَّيالِي عَـوارِكُ

(1) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقي ويعتذر إليه (الديوان 127) والصناعتين (237) وفيه «وكم ملكت منا على قبح قدها» و «صروف الردى» وأحرزت وملكت بمعنى، والقد: القوام، وصروف النوى: تصرفات البعد، والمرهف: الرقيق.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان 224) والصناعتين (237) وفيهما «إذا الغيث غادى نسجه» والغيث: المطر، وغادى: أتاه غدوة، وخلت: ظننت، والضمير في «أنه» يعود إلى الغيث والحقبة: المدة. وتقول: مضى على فلان حرس من الدهر، ومضت عليه أحراس منه، وأراد هنا حقبة مديدة كامتداد الدهر.

(3) من مدحته في أبي سعيد (الديوان 225) وفيه «ولاستلبت فرش من الأمن» وقبل هذا البيت قوله:

ولـولا تـقـاه عـاد بـيـضا مفلقا   بـأدحـيـة بيض الـخـدور الترائك
ولاصطفيت شـول فظلت شـواردا   قـروم عـشـار مـا لـهـن مـبارك
إذا للبستم عــار دهــر كأنما   لياليه مـن بـيـن الـلـيـالي عـوارك

والأدحية: المكان تبيض فيه النعام في الرمل، وبيض الخدور: أراد به النساء الحسان، والترائك: التي تركت بغير أزواج. واصطفيت: اختيرت وانتجبت، والشول: الخفيفة اللبن المرتفعة الثدي، والقروم: الفحول، والعوارك: الحائضات.

(4) هو البيت الذي قبل البيت السابق في المدحة، وانظر الهامشة السابقة.

21 – وقوله يرثي غالبًا[1]:

أَنْزَلَتْهُ الأَيَّـامُ عَنْ ظَهْرِها مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ في الرِّكابِ

22 – وقوله[2]:

كأَنَّنِي حِينَ جَـرَّدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ غَضًا صَبَبْتُ لَها مَاءً عَلَى الزَّمَنِ

23 – وقوله يصف فرسًا[3]:

فَكأَنَّ فَـارِسَـهُ يُصَرِّفُ إِذْ بَدَا فِي مَتْنِهِ ابْنًا لِلصَّباحِ الأَبْلَقِ

وأشباه هذا مما إذا تتبَّعته في شعره [وجدته]؛ فجعل كما ترى– مع غثاثة هذه الألفاظ– للدهر أخْدَعا، ويَدًا تقطع من الزند، وكأنه يُصْرَع، ويحل، ويشرق بالكرام، ويتبسم، وأن الأيام تنزله، والزمان أبلق، وجعل للمدح يدا، ولقصائده مزامر إلا أنها لا تنفخ ولا تزمر، وجعل المعروف مُسْلما تارةً ومرتدًّا أخرى، والحادثَ وَغْدا، وجَذَب ندى الممدوح بزعمه جذبةً حتى خر صريعًا بين يدي قصائده، وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف، وأن له جسدًا وكبدا، وجعل لصروف النوى قَدَّان وللأمن فرشا، وظن أن الغيث كان دهرا حائكا، وجعل للأيام ظهرا يركب، والليالي كأنها عوارك، والزمن كأنه صب عليه ماء، والفرس كأنه ابن الزمان الإبلق، وهذه استعارات في غاية القباحة والهجانة والبعد من الصواب.

(1) من قصيدة له يرثي فيها محمد بن الفضل الحميري وليس – كما قال المؤلف – يرثي فيها غالبا، وله قصيدة تقع في ترتيب الديوان قبل هذه يرثي فيها غالبا الصفدي (الديوان 345) والصناعتين (237).

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (الديوان 334) وقد ورد فيه البيت هكذا:

كأَنَّنِي حِـينَ جَـرَّدْتُ الـرَّجَـاءَ لَـهُ غَضًّا أَخَـذْتُ بِـهِ سَيْفًا مِـنَ الزَّمَنِ

وما أرى ما في الأصل إلا محرفا عن هذا.

(3) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان 212) وفي الصناعتين (237):

وكـــأن فـــارســه يــصــرف إذ غـدا

وإنما استعارت العربُ المعنى لما ليس له إذ كان يقاربه، أو يدانيه، أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سببًا من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه، نحو قول امرئ القيس[1]:

فقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ ... وَأَرْدَفَ أعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى مَنْ لم يعرف موضوعات المعاني ولا المجازات، وهو في غاية الحسن والجودة والصحة، وهو إنما قَصَد وصف أجزاء الليل الطويل: فذكر امتداد وَسَطه، وتثاقُلَ صدره للذهاب والانبعاث، وترادفَ أعجازه وأواخره شيئًا فشيئًا، وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته، وذلك أشد ما يكون على مَنْ يُراعيه ويترقَّب تَصَرُّمه، فلما جعل له وَسَطا يمتد وأعجازا رادفة للوسط وصدرا متثاقلا في نهوضه حَسُن أن يستعير للوسط اسم الصُّلْب، وجعله متمطِّيًا من أجل امتداده؛ لأن تمطَّى وتمدَّد بمنزلة واحدة، وصلح أن يستعير للصدر اسم الكَلْكَل من أجل نهوضه، وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة، وأشد ملاءَمَةً لمعناها لما استعيرت له

وكذلك قول زهير[2]:

وعُــرِّيَ أفْــرَاسُ الـصِّـبَـا و رَوَاحِـلُـهْ

لما كان من شأن ذي الصِّبا أن يوصف أبدا بأن يقال: رِكِب هَوَاه، وجرى في ميدانه، وجَمَحَ في عنانه، ونحو هذا، حسُن أن يُستعار للصبا اسم الأفراس، وأن يجعل النزوع عنه أن تُعَرَّى أفراسُه ورواحله، وكانت هذه الاستعارة أيضا من أليق شيء بما استعيرت له.

---

(1) سبق هذا البيت، وانظر الصناعتين (217) وذكره قدامة في نقد الشعر، عند الكلام على المعاظلة على أنه من الاستعارة التي لا شناعة فيها.

(2) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

* صــاح القلب عــن سلمى وأقــصــر باطله *

وقد سبق ذكره كاملا، وانظر الصناعتين (217) وانظره في نقد الشعر (105).

ونحو ذلك قول طُفَيل الْغَنَوي[1]:

وَجَعَلْتُ كُـورِى فَـوْقَ نَاجِيةٍ   يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ

لما كان شحم السنام من الأشياء التي تُقْتَات، وكان الرحْلُ أبدا يتخوفه، ويتنقص منه، ويذيبه- كان جعلُه إياه قوتًا للرحل من أحسن الاستعارات وأليقها بالمعنى.

وكذلك قول عمرو بن كلثوم[2]:

أَلا أَبْلغِ النُّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً   فَمَجْدُكَ حَوْلِيٌّ وَلُؤْمُكَ قَارِحُ

لما جعل مجدَه حديثًا غيرَ قديم حَسُن أن يقول «حَوْلي» لأن العرب إذا نسبت الشيء إلى الصغر وقصَر المدة قالوا حولي؛ لأن أقل عدد الأحوال - وهي السنون- حول واحد، ولهذا قال حسان:

لَوْ يَـدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَـدِ الْـ   ـذَّرِّ عَلَيْها لأَنْدَبَتْها الْكُلُومُ[3]

لم يرد بالحوليّ من ولد الذَّرِّ ما أتى عليه الحول، ولكنه أراد بالحولي أصْغَرَ ما يكون من الذر، وإنما أخذ ذلك من قول امرئ القيس:

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ

مِنَ الـذَّرِّ فَـوْقَ الإِتْـبِ مِنْها لأَثَّـرَا[4]

---

(1) أنشده قدامة في نقد الشعر (106) وفيه «وحملت كورى» وأبو هلال في الصناعتين (218) والكور: الرحل، ويقال: هو الرحل بأداته، والناجية السريعة، وأراد بها الناقة.

(2) أنشده في الصناعتين (219) وفي نقد الشعر (106) والقارح من ذي الحافر: بمنزلة البازل من البعير، وأراد أن مجده حديث ولؤمه قديم مسن.

(3) أندبتها: جرحتها. والكلوم: جمع كلم - بفتح الكاف وسكون اللام - وهو الجرح، وانظره مع كلمة هو منها في سيرة ابن هشام (3 - 121).

(4) أنشده الجوهري في الصحاح (ح و ل) وأبو هلال في الصناعتين (283) والإتب - بكسر الهمزة وسكون التاء - ثوب يشق من وسطه فتلقيه المرأة في عنقها من غير كم ولا جيب. وائتتبت الجارية: لبست الأتب، قال الكميت:

وقد لقيت ظباء الأنس غادية   من كل أحور بالمكي مؤتتب

ومما يدل على صحة هذا المعنى وأنَّ الحولي إنما يراد به الصغر دون معنى الحول قولُ الراجز[1].

واستَبَقَتْ تَخْذِفُ حَوْلِيَّ الْحَصَى

فأراد بحوليّ الحصى أصْغَره، وقولُ الآخر أنشده ثعلب:

تلقّط حَوْليَّ الْحَصَى في مَنازِلٍ   مِنَ الْحَيِّ أَضْحَتْ بِاللّحيَّيْنِ بَلْقَعَا[2]

ولما جعل لؤمه قديما حسن أن يقول «قارح».

ونحو ذلك قول أبي ذؤيب:

وَإذا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظْفَارَهَا   أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ[3]

لما كانت المنية – إذا نَزَلت بالإِنسان وخالطته – صحَّ أن يقال: نشبت فيه، وصح أن يستعار لها اسم الأظفار؛ لأن النشوب قد يكون بالظفر. وعلى هذا جاءت الاستعارات في كتاب الله تعالى اسمه، نحو قوله عز وجل: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[4] لما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئًا فشيئًا حتى يحيله إلى غير حالِهِ الأولى كالنار التي تشتعل في الجسم من الأجسام فتُحيله إلى النقصان والاحتراق، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾[5] لما كان انسلاخ الشيء وهو أن يتبرأ منه ويتزيل منه حالا فحالا كالجلد من اللحم وما شاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيئًا فشيئًا حتى يتكامل الظلام انسلاخا، وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ [سورة الفجر: 13] لما كان الضرب بالسَّوْط من العذاب استعير للعذاب سوط.

---

(1) في أصول الكتاب «واستبقت تخذب» وهو تحريف. وتقول: هذه دابة سريعة تخذف بالحصى، وهذه كناية عن شدة سيرها.

(2) حول الحصى: صغاره، كما قال المؤلف. واللحيين: موضع. والبلقع: الخالي الذي لا أنيس به.

(3) من مرثيته في بنيه وانظره في الجمهرة (128 بولاق) وفي المفضليات (2 – 222) وأنشبت أظفارها: أعلقها، والتميمة: التعويذة، وانظر الصناعتين (219) فقد أورد صدره.

(4) من الآية 4 من سورة مريم.

(5) من الآية 37 من سورة يس.

فهذا مجرى الاستعارات في كلام العرب.

وأما قول أبي تمام «ولين أخادع الزمن الأبي» فأي حاجة إلى الأخادع حتى يستعيرها للزمن؟ وكان يمكنه أن يقول: ولين معاطف الدهر الأبي، أو لين جوانب الدهر، أو خلائق الدهر، كما تقول: فلان سهل الخلائق، ولين الجوانب، ومُوَطأ الأكناف، ولأن الدهر قد يكون سَهْلا وحَزْنًا ولينا وصعبا على قدر تصرُّف الأحوال فيه؛ لأن هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال في هذا الموضع، وكانت تنوب عن المعنى الذي قَصَده ويتخلّص من قبح الأخادع، فإن في الكلام مُتَّسعا، ألا ترى إلى قوله: ما أحسنه وما أوضْحَه[1].

لَيَالِيَ نَحْنُ في وَسَنَاتِ عَيْشٍ كَـأَنَّ الـدَّهْـرَ عَـنَّـا في وَثَـاقِ
وأَيَّـامًـا لَـنَـا وَلَـهُ لِـدَانًـا غَنِينَا في حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ

فاستعار للأيام الحواشي، وقوله:[2]

أَيَّـامُـنـا مَـصْـقُـولَـةٌ أَطْـرَافُـهَـا بِـكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ

وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف وأشبه بكلام العرب قوله:[3]

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلا يَدٌ مَذْمُومَةٌ لِلْحَادِثَاتِ وَلا سَـوَامٌ تُذْعَرُ

فقد تراه كيف يَخْلط الحسنَ بالقبيح؛ والجيدَ بالردي، وإنما قبح الأخادع[4] لمَّا جاء به مستعارا للدهر، ولو جاء في غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ووضعه في موضعه ما قبح، نحو قول البحتري:

(1) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 215) والصناعتين (222) وصدر الأول فيهما «سنبكي بعده غفلات عيش» وكان صدر الثاني في الأصول «وأيام لنا وله لدان» وتصويبه عن الديوان.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 148)، وفيه «مصقولة إسرافها» ومصقولة: مجلوة.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان 158) والسوام: جمع السائمة، وهي المواشي الراعية، وتذعر - بالبناء للمجهول - تخوف.

(4) في الأصول «وإنما قرب الأخادع» والمقام يقتضي ما أثبتناه.

* وَأَعْـتَـقْـتَ مِـنْ ذُلِّ المَطَامِعِ أَخْـدَعـي[1]

ونحو قوله:

* ولا مَـالَـتْ بِـأَخْـدَعِـكَ الـضِّـيَـاعُ[2]

وما يزيد على [كل] جيِّد قولُ الفرزدق:

وَكُنَّا إِذا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرَبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمُ الأَخَادِع

فأما قوله «فضربت الشتاء في أخدعيه[3]» فإن ذكر الأخدعين – على قبحهما – أسوغ؛ لأنه قال «ضربةً غادرته عَوْدًا رَكوبا» وذلك أن العوْدَ المسِن من الإِبل يُضْرَب على صفحتي عنقه فيذل؛ فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلا، ومن القبيح في هذا قوله:[4]

يَادَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

أيُّ ضرورةٍ دعته إلى الأخدعين؟ وكان يمكنه أن يقول «من اعوجاجك» أو «قوم ما تعوج من صنعك» أي: يادهر أحْسِنْ بنا الصنيع؛ لأن الأخرق هو الذي لا يحسن العمل، وضده الصَّنَعُ، وكذلك قوله:[5]

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْـرًا أَيُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ

---

(1) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

* وإنـــي – وإن أبـلـغـتـني شـــرف الـعـلى*

وهذا بيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان: 2 – 80) وفيه «رق المطامع» وبعد هذا البيت قوله:

فما أنا بالمغضوض عما أتيته إلي، ولا الموضوع في غير موضعي

(2) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

* فـمـا رفـع الـتـصـفـح مـنـك طـرفـا*

وهذا آخر بيت من كلمة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان: 2 – 83).

(3) ارجع إلى ص 187 من هذا الكتاب.

(4) ارجع إلى ص 187 من هذا الكتاب.

(5) ارجع إلى ص 188 من هذا الكتاب.

فجعل للدهر عقلا، وجعله مفكرا في أي العبأين أثقل، وما معنًى أبعد من الصواب من هذه الاستعارة، وكان الأشبه والأليق بهذا المعنى لما قال «تحملت ما حمل الدهر شطره» أن يقول: لتضعضع، أو لانهدَّ، أو لأمن الناس صروفه ونوازله، ونحو هذا مما يعتمده أهل المعاني في البلاغة والإفراط، وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقةً في أشعار القدماء كما عرفتك لاتنتهي في البعد إلى هذه المنزلة، فاحتذاها، وأحب الإِبداع، وأغرق في إِيراد أمثالها، واحتطب، واستكثر منها، فمن ذلك قول ذي الرمة:

تَيَمَّمْنَ يَافُوخَ الدُّجى فَصَدَعْنَهُ ... وَجَوْزَ الْفلاصَدْعَ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ

فجعل للدجى يافوخا، وقول تأبط شرا:

نَـحُـزُّ رقـابَـهُـمْ حَـتَّـى نَزَعْنَا ... وَأَنْـفُ المَوْتِ مَنْخِرُهُ رَثِيمُ

فجعل للموت أنفا، وقول ذي الرمة:

يُعِزُّ ضِعَافَ الْقَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ ... وَيَقْطَعُ أنْفَ الْكِبْرِيَاءِ عَنِ الْكِبْرِ

فجعل للكبرياء أنفا، وقال معقل بن خويلد الهذلي[1]، أو غيرُه:

تُخَاصِمُ قَوْمًا لا تَلَقَّى جَوَابَهُمْ ... وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفِ لِحْيَتِكَ الْيَدُ

فجعل للحية أنفا: أي قبضت يدك على طرف لحيتك كما يفعل النادم أو المهموم، وما أظن ذا الرمة أراد بالأنف إلا أول الشيء والمتقدم منه، كما قال يصف الحمار:

إِذَا شَمَّ أَنف الضَّيْفِ ألحق بَطْنَهُ ... مِرَاس الأَوَاسِي وَامْتِحَان الكَرَائِم

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب سرقات الشعراء: وهذا البيت غر الطائي حتى أتى بما أتى به، وإنما أراد ذو الرمة بقوله «أنف الضيف» كقولهم أنف النهار: أي أوله، قال امرؤ القيس:

قَـدْ غَـدَا يَحْمِلني في أَنْـفِـهِ ... لاحِقُ الإِطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرّ[2]

(1) نسبه في اللسان (أ ن ف) عن ابن سيده، إلى أبي خراش الهذلي.

(2) انظره في العقد الثمين (75) وكان في الأصول «لا حق الأصلين».

وقوله «في أنفه» أي في أول جريه وأشده، ويقال «في أنفه» في أنف الغيث الذي ذكره في أوله، يقول: لم يطأ هذا الغيث أحد قبلي، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس، وكذلك قول أعرابي يصف البرق:

إذا شَمَّ أنفَ اللَّيْلِ أوْمَضَ وَسْطه سَنًا كابْتِسَامِ الْعَامِرِيَّةِ شَاغِفُ

إنما أراد إذا اشتم أول الليل، وقال آخر أنشدَنَاه الأخفش عن ثعلب يذم رجلا:

مَازَالَ مَذْمُومًا عَلَى اسْتِ الدَّهْرِ ذَا حَسَدٍ يَنْمِي وَعَقْلٍ يَجْرِي

فجعل للدهر استا، وقول شاتم الدهر وهو أحد شعراء عبد القيس:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَعْرًا سَبِيلُهُ وَأَبْـدَى لَنَا ظَهْرًا أَجَبَّ مُسَلَّعَا

وَمَعْرِفَةً حَصَّاءَ غَيْرَ مُفَاضَةٍ عَلَيْهِ ولَوْنًا ذا عَثَانِينَ أَجْمَعَا

وَجَبْهَةَ قِـرْدٍ كالشِّرَاكِ ضَئِيلَةً وَصَعَّر خَدَّيْهِ وَأَنْـفًا مُجَدَّعَا

فجعل للدهر ظهرا أجبّ، ومعرفة حَصَّاء، ولونا ذا عثانين، وشبه جبهته بجبهة قرد، وجعل أنفه أنفا مجدعا، وهذا الأعرابي إنما ملّح بهذه الاستعارات في هجائه للدهر، وجاء بها هازئا، ومثل هذا في كلامهم قليل جدا ليس مما يعتمد ويجعل أصلا يحتذى عليه ويستكثر منه.

24 – ومن رديء استعاراته وقبيحها وفاسدها قولُه:

لَمْ تُسْقَ بَعْدَ الْهَوَى مَاء أَقَلَّ قَذًى مِنْ مَاء قَافِيَةٍ يَسقِيكَهُ فَهِمُ[1]

فجعل للقافية ماء على الاستعارة، فلو أراد الرونَقَ لصلح، ولكنه قال «يسقيكه» فبئس معنى الرونق؛ لأنك إذا قلت «هذا ثوب له ماء» لم تجعل الماء مشروبا فتقول: ما شربت ماء أعذب من ماء ثوب شربته عند فلان، ورأيته على فلان الملك، وكذلك لاتقول: ما شربت ماء أعذب من ماء «قِفا نَبْك»، أو أعذب من ماء كذا؛ لأن للاستعارة حدا تصلح فيه، فإذا جاوزته فسدت وقبحت، فأما قولهم «فلان حلو الكلام» و «عذب المنطق» أو «كأن ألفاظه فُتَات السكّر» فهذا كلام الناس على هذه السياقة، وليس يريدون حلاوة على اللسان، ولا عذوبة في الفم، وإنما يريدون عذبا في النفوس، وحُلْوًا في القلوب، كما قال:

(1) لا يوجد هذا البيت في ديوان أبي تمام المطبوع.

يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نسِيمُهَا　　أَرَجًا وَتُؤكَلُ بالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ[1]

وكذلك قولهم «حلو المنظر» إنما يريدون حلاوة في العين، ولا تقول: ما ذقت أحلى من كلام فلان، ولا شربت أعذب من ألفاظ عمرو، لأن هذا القول صيغة الحقيقة، لا الاستعارة، ولكن يقال: هذا كلام يصلح أن يُتَنقَّل به، وزيد يُشْرَب مع الماء لحسن أخلاقه وحلاوته، وعمرو يؤكل ويشرب لرقة طبعه، ولا تقول: ما شربت أعذب من عمرو، ولا ما أكلت أحلى من عبد الله، فاعلمْ هذا؛ فإن حدود الاستعارة معلومة.

فأما قوله:

لَمَكاسِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ　　وَأَمَرُّ فِي حَنَكِ الْحَسُودِ وَأعْذَبُ

فالمكاسر: الأخلاق، وإنما أراد أمرّ في حنك العدو إذا نطق بها، أو أمر في حنكه أن يذكرها، أو يخبر بها، وأعذب في حنك وليه ووَدِيدِه إذا سترها، وكما قال زُهَير[2]:

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيها أَنِيضٌ　　أَصَلَّتْ فَهْيَ تَحْتَ الْكَشْحِ داءُ

لأنه أراد كلمةً فصلح أن يقول أنيض: أي لم ينضج، وأصلَّت تغيرت وأنتَنَتْ، وكذلك لما جعلها مضغة أي لقمة في فيه، فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح ويفسد فتفهمه فإنه واضح.

وأما قوله:

لا تَسْقِنِي مـاءَ الْمَلامِ فَإِنَّنِي　　صَبٌّ قدِ اسْتَعْذَبْتُ ماءَ بُكائِي[3]

---

(1) هذا رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه له (الديوان 39) والأبيات التي قبله هي قوله:

لمكاسر الحسن بن وهب أطيب　　وأمر في حنك الحسود وأعذب

وله- إذا خلق التخلق أو نبا-　　خلق كروض الحزن أو هو أخصب

ضربت به أفق الثناء ضرائب　　كالمسك يفتق بالندى ويطيب

وسيتكلم المؤلف على البيت الأول من هذه الأبيات قريبا.

(2) من قصيدة طويلة يقولها في شأن رجل من بني عبد الله بن غطفان (انظر العقد الثمين 30).

(3) هذا ثاني بيت من قصيدة له يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان 2) والبيت الذي قبله قوله:

قدك اتئب أربيت في الغلواء　　كم تعذلون وأنتم سجرائي

فقد عيب، وليس بعيب عندي؛ لأنه لما أراد أن يقول «قد استعذبت ماء بكائي» جعل للملام ماء، ليقابل ما أراد وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة، كما قال الله عز وجل ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: 40] ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة، وإنما هي جزاء عن السيئة، وكذلك: ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ [هود: 38] والفعل الثاني ليس بسخرية، ومثل هذا في الشعر والكلام كثير مستعمل، فلما كان مجرى العادة أن يقول قائل: أغلظت لفلان القول، وجرَّعته منه كأسًا مرة، وسقيته منه أمرَّ من العلقم، وكان الملام مما يستعمل فيه التجرع على الاستعارة - جعل له ماء على الاستعارة، ومثل هذا كثير موجود.

وقد احتج محتج لأبي تمام في هذا بقول ذي الرمة:

أَدَارًا بِحُزْوَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً   فَمَاءُ الهَوَى يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرَقُ

وقول الآخر:

وكأس سَبَاها التَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بابلٍ
كَرِقَّةِ مَاءِ الْعَيْنِ في الأَعْيُنِ النُّجْلِ

وهذا لا يشبه ماء الملام؛ لأن ماء الملام استعارة، وماء الهوى ليس باستعارة لأن الهوى يُبكي؛ فتلك الدموع هي ماء الهوى على الحقيقة، وكذلك البين يبكي؛ فتلك الدموع هي ماء البين على الحقيقة.

فإن قيل: فإن أبا تمام أبكاه الملام، والملام قد يبكي على الحقيقة؛ فتلك الدموع هي ماء الملام على الحقيقة.

قيل: لو أراد أبو تمام ذلك لما قال «قد استعذبت ماء بكائي» لأنه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكاء أيضًا، ولو يكن يستعفى منه.

25 - ومن رديء استعاراتِهِ وقبيحها قولُه:

مُقَصِّرُ خُطُوَاتِ الْبَثِّ فِي بَدَنِي   عِلْمًا بِأَنِّيَ مَا قَصَّرْتُ فِي الطَّلَبِ[1]

(1) من قصيدة له في الفخر (الديوان 471) وفيه «مقصر خطرات الهم» وكان في الأصول «مقصرا خطوات» بالنصب، وتصويبه عن الديوان.

فجعل للبث – وهو أشد الحزن– خطوات في بدنه، وأنه قد قصرها؛ لأنه ما قصر في الطلب، وهذا من وساوسه المحكمة، وإنما أراد به قد سهل أمر الحزن عليه أنه ما قصر في الطلب؛ لأنه لو قصر كان يأسف ويشتد جزعه، فجعل للحزن خُطى في بدنه قصيرة لما جعله سهلًا خفيفا، وهذا ضد المعنى الذي أراد؛ لأن الخطى إذا طالت يجوز أن يقع قلبه وكبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسها من البث – وهو الحزن– قليل ولا كثير.

فإن قيل: إنما أراد أن الحزن هو في قلبه خاصة، وأن قوله «في بدني» أي في قلبي؛ لأن قلبه في بدنه.

قيل: الأمر واحد في أن الخطى إذا طالت على الشيء – قلبه كان أو ما سواه – أخذت منه أقل مما تأخذ إذا قصرت.

فإن قيل: أراد بطول الخطَى الكثرةَ وبقصرها القلة.

قيل: هذا غلط من التأويل، وليس العمل على إرادته، وإنما العمل على توجيه معاني ألفاظه، وبعد؛ فإن من أعجب العجب خطوات البث في البدن.

26 – ومن رديء استعاراته وقبيحها قوله:

جَارَى إلَيْهِ الْبيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ ... مَاشَتْ إليه الْمَطْلَ مَشْيَ الأ كْبَدِ[1]

الهاء في «إليه» راجعةٌ إلى المحب، يريد أن البين ووَصْل الخريدة تجاريا إليه، فكأنه أراد أن يقول: إن البين حال بينه وبين وصلها، واقتطعها عن أن تصله، وأشباه هذا من اللفظ المستعمل الجاري، فعدل إلى أن جعل البين والوصل تجاريا إليه، وأن الوصل في تقديره جرى إليه يريده، فجرى البين ليمنعه، فجعلهما متجاريين، ثم أتى بالمصراع الثاني بنحو من هذا التخليط، فقال: ماشت إليه المطلَ مشي الأكبَدِ، فالهاء هنا راجعة إلى الوصل: أي لما عزَمتْ على أن تصله عزمَتْ عزم متثاقل مُمَاطل فجعل

(1) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم – وقيل: يمدح فيها المأمون – وقبله قوله:

عذلت غروب دموعه عذاله ... بسواكب فندن كل مفند

أتت النوى دون الهوى فأتى الأسى ... دون الأسى بحرارة لم تبرد

الديوان (111)

عزمها مشيًا، وجعل المطل مماشيا لها، فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية: خبرونا كَيْفَ يجارِي البينُ وصلَها؟ وكيف تماشي هي مطلها؟ ألا تسمعون؟ ألا تضحكون؟

وأنشد أبو العباس بن المعتز في كتاب سرقات الشعراء لسَلْم الخاسر يَعيبه برديء الاستعارة في قوله يرثي موسى الهادي:

لَوْلا الْمقَابِرُ مَا حَطّ الزَّمَانُ بِهِ ... لا بَلْ تَوَلَّى بِأَنْفٍ كَلْمُهُ دامِي

وقال: هذا رديء كأنه من شعر أبي تمام الطائي، ولو لم يكن لأبي تمام من رديء الاستعارة إلا مثل استعارة سلم هذه أو نحوها، ونعوذ بالله من حرمان التوفيق.

****

ماجاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس

ورأى أبو تمام أيضا المجانس من الألفاظ شرفًا في أشعار الأوائل، وهو ما اشتق بعضهُ من بعض، نحو قول امرئ القيس:

لَقدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِـهِ مَا تَلَبَّسَا[1]

وقوله أيضًا:

ولكِنَّنِي أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي[2]

وقول القطامي:

وَلَمَّا رَدَّهَا فِي الشَّوْلِ شَالَتْ ... بِذَيَّالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا[3]

وقول ذي الرمة:

(1) سبق ذكره، وانظر العقد الثمين (84) والصناعتين (253).

(2) من قصيدة له طويلة أولها قوله:

ألا عـم صباحا أيها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

(3) سبق ذكره أيضا، وانظر الصناعتين (255) ونقد الشعر (98).

كأَنَّ الْبُرَى وَالْعاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ		عَلَى عُشَر نهبيٍ بهِ السَّيْل أَبْطَح[1]

وقول رجل من عبس:

وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ		وَأَنَّ أَنْفَكُمْ لا يَعْرِفُ الأَنَفَا[2]

وقول مسكين الدارمي:

وَأَقْـطَـعُ الْـخَـرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً
إِذا الكَوَاكِبُ كانَتْ فِي الدُّجى سُرُجَا[3]

وقول حَيَّان بن ربيعة الطائي:

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي		لَهُمْ حَدٌّ إِذا لُبِسَ الْحَدِيدُ[4]

وقول النعمان بن بشير لمعاوية:

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سُيُوفُنَا		وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ[5]

وقول جرير:

فَمَا زَالَ مَعْقُولًا عقَالٌ عَنِ النَّدَى		وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حابِسُ[6]

وقول الفرزدق:

خفَافٌ أَخَفَّ اللّهُ عَنْهُ سَحابَهُ		وَأَوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سافٍ وَحَاصِبِ[7]

(1) سبق ذكره، وانظر الصناعتين (256).

(2) ذكره مع بيت سابق عليه في الصناعتين (255) وفيه «وذا كم أن ذل» وفيه «وأن آنفكم لا تعرف» ورواه في نقد الشعر (98) «إن ذل جاركم بالكره حالفكم» والأنف – بفتح الهمزة والنون جميعا – الأنفة.

(3) الخرق – بفتح فسكون – الأرض البعيدة، والفلاة الواسعة: والخرقاء: الناقة التي لا تتعهد مواضع قوائمها، وأنشده في نقد الشعر (98) وأنشد صدره في الصناعتين (253).

(4) أنشده في الصناعتين (256) وفي نقد الشعر (97).

(5) أنشده في الصناعتين (255) وفي نقد الشعر (98).

(6) سبق ذكر هذا البيت، وانظر الصناعتين (256).

(7) سبق ذكر هذا البيت أيضا، وانظره في الصناعتين (253) ونقد الشعر (97).

وكأن هذين الشاعرين في تجنيس ما جَنَّسا من هذه الألفاظ وحاجهما إليه يشبه قول النبي صلى الله عليه وسلم «عصَيَّةُ عَصَتِ الله، وغفار غَفَرَ الله لَهَا، وأَسْلَمُ سَالمها الله»

ونحو هذا مما تعمَّد الشعراء لتجنيسه قول جَنْدل بن الراعي:

فَمَا عمرَتْ عَمْرٌو وَقَدْ جَدَّ سَعْيُها   وَما سَعِدَتْ يَوْمَ الْتَقَيْنا بَنُو سَعْدِ(1)

ومن ألطف ما جاء من التجنيس وأحسنه في كلام العرب قولُ القَطامي:

كنية الحي من ذي الغبطة احتملوا   مستحقبين فؤادًا ما له فادي(2)

ومثل هذا في أشعار الأوائل موجود، لكن إنما يأتي منه في القصيدة البيتُ الواحد والبيتان، على حسب ما يتفق للشاعر، ويحضر في خاطره، وفي الأكثر لا يعتمده، وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه؛ فلا تُرى فيه لفظة واحدة.

فاعتمده الطائي، وجعله غرضه، وبنى أكثر شعره عليه، فلو كان قَلَّل منه واقتصر على مثل قوله:

*** يا رَبْعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومِ**(3)

وقوله:

(1) تقول: عمر الرجل يعمر عمرا - كفرح يفرح فرحا - وعمارة - كصداقة - وعمر يعمر - كنصر ينصر - وعمر يعمر - كضرب يضرب، ومعناه عاش زمانا طويلا، قال جرير:

لئن عمرت تيم زمانا بغرة   لقد حديت تيم حداء عصبصبا

(2) سبق ذكر هذا البيت (ص 8 من هذا الكتاب) وروى هناك «كنية الحي من ذي القيظ فاحتملوا» وورد هذا البيت في ديوان القطامي (8 طبع ليدن) هكذا:

كنية الحي من ذي الغضبة احتملوا   مستحقبين أسيار ماله فاد

وذكر في رواياته أنه يروي «من ذي الغطبة» ويروي «من ذي اليقظة» ويروي «من ذي القيظ» ويروي «من ذي الغبطة» ونحسب كل ذلك من تصحيفات النساخ.

(3) هذا صدر بيت، وعجزه قوله:

*** مستسلم لجوى الفراق سقيم ***

وهذا مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 305) وربعوا: وقفوا، والهموم: جمع هم، والجوى- بفتح الجيم والواو، بزنة الفتى - الحزن.

* أَرَامَـــةَ كُـنْـتِ مَــأْلَـفَ كُـلِّ رِيـــمِ[1] *

وقوله:

* يـا بُـعْـدَ غـايَـةِ الْـعَـيْـنِ إِنْ بَــعُــدُوا[2] *

وأشباه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى - لكان قد أتى بالغَرَض، وتخلص من الهُجْنة والعيب، فأما أن يقول:

قَرَّتْ بِقَرَّانَ عَيْنُ الدِّينِ وَانْشَتَرَتْ بالأَشْتَرَيْنِ عُيُونُ الشِّرْكِ فَاصْطُلِمَا[3]

فانشتار عيون الشرك في غاية الْغَثَاثة والقباحة، وأيضا فإن انشتار العين ليس بموجب للاصطلام، وقوله:

إِنَّ مَـنْ عَـقَّ وَالِـدَيْـهِ لَمَلْعُو نٌ وَمَـنْ عَقَّ مَنْزِلًا بِالْعَقِيقْ[4]

وقوله:

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّماحَةُ فَالْتَوَتْ فيهِ الظُّنُونُ أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ[5]

---

(1) هذا صدر بيت، وعجزه قوله:

* لـــو اسـتـمـتـعـت بـــالأنـس الـمـقـيـم *

وهذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها بعض بني عبد الكريم الطائيين (الديوان 287) ورامة: اسم موضع، والريم: مخفف الرئم، وهو ولد الغزال، والأنس - بفتح الهمزة والنون جميعا - الحي.

(2) هذا صدر مطلع قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 96) وعجزه قوله:

* هـي الـصـبـابـة طـول الـدهـر والـسـهـد*

وانظره في الصناعتين (262).

(3) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان 302) وقرت عينه: نعمت وهدأت. وقران: اسم موضع. وانشترت: انشقت، ووقع في الديوان «واشتترت» وهو أقرب في الاشتقاق من «الأشترين» الذي قصد إلى المجانسة معه، واصطلم - بالبناء للمجهول - قطع من أصله، وانظره فيما عيب من التجنيس في الصناعتين (262).

(4) هذا رابع بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 215) والعقيق: موضع، وانظره في الصناعتين (262) أيضا.

(5) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان 39) والمذهب- بفتح الميم- الطريقة، والمذهب- بضم الميم- فسره الصولى بالجنون. يقول: لقد غلبت عليه السماحة وامتلكت كل شمائله فصار يسرف في البذل ويغرق في العطاء، حتى لقد احتارت الظنون في تفسير ذلك وتعليله وقالت على سبيل الشك: أهذه طريقة له يسلكها دون الناس أم هو جنون بالبذل.

وقوله:

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنِ[1]

فهذا كله تجنيسٌ في غاية الشناعة والركاكة والهجانة، ولا يزيد زيادة على قبح قوله:

فَاسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ الآفَاتِ مَا سَلِمَتْ
سِلامُ سَلْمى وَمَهْما أَوْرَقَ السَّلَمُ[2]

فإن هذا من كلام الْمُبَرْسَمِين، وقد عابه أبو العباس عبدُ الله بن المعتز ببعض هذه الأبيات في كتاب البديع، جاء بها في قبح التجنيس.

وفي أشعار العرب ما يُستكره، نحو قول امرئ القيس:

* وَسِنًّا كَسُنَّيْقِ سَنَاءً وَسُنَّمًا[3] *

ولم يعرف الأصمعي هذا، وقال أبو عمرو: وهو بيت مَسْجِدِيّ: أي من عمل أهل المسجد، وقال الأصمعي: السن: الثور ولم يعرف سنيقا، ولا سنما، ويقال: سنيق جبل، ويقال: أكمَة، وسنم ههنا: البقرة الوحشية، سناء: أي ارتفاعا، ويروي «سناما» أي ارتفاعا أيضا، من سَنَمْتُ الجبَل: علوته. وقول الأعشى:

* شَاوٍ شَلُولٌ مِشَلٌّ شُلْشُلٌ شَوِلُ[4]

(1) هذا صدر بيت هو مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم (الديوان 321) وعجز البيت قوله

* وأنجح فيك قول العاذلين *

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع، والسلام - بكسر السين - الحجارة وسلمى: أحد جبلى طيئ، والآخر أجأ، والسلم - بفتح السين واللام - شجر .

(3) هذا صدر بيت، وانظره في الصناعتين (262) وهو مع عجزه في رواية العقد الثمين (88) هكذا.

وسن كسنيق سناء وسنم ذعرت بمدلاج الهجير نهوض

ورواه في اللسان (س ن ق) بجر «سن» ونصب «سنما» والسن: الثور الوحشي. والسنيق: جبل، ولم يفسره أبو عمرو، ويروي «سناما وسنما» والسنم: البقرة، وهذا التفسير يقتضي عطفه على «سن».

(4) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

* وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني *

وقد مضى ذكر هذا البيت في مآخذ العلماء على الشعراء (ص 35 من هذا الكتاب) وانظره في الصناعتين (262).

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعر، وقرأ هذه القصيدة علي أبي الحسن على بن سليمان النحوي قارئ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن: صُرِع والله الرجلُ

وما زلت أراهم يستكرهون قول ذي الرمة:

* عَصَا قَسٍّ قوسٍ لِينُها وَاعْتِدَالُها[1]

ويروي «[عَصَا] عَسَّطُوسٍ» وقد قيل: إنه الخيزران

وهذا إنما جاء عن هؤلاء مُقَلَّلا نادرا؛ لأنك لو اجتهدت أن ترى لواحدٍ منهم حرفا واحدا ما وجدته، والطائيُّ استفرغ وُسْعه في هذا الباب، وجَدَّ في طلبه، واستكثر منه، وجعله غرضه؛ فكانت إساءته فيه أكثَرَ من إحسانه، وصوابُه أقلَّ من خطائه.

ما يستكره للطائي من المطابق

ورأى الطائي الطِّبَاقَ في أشعار العرب، وهو أكثر وأوجد في كلامها من التجنيس، وهو: مقابلة الحرف بضدِّه أو ما يقارب الضد، وإنما قيل «مطابق» لمساواة أحد القسمين صاحبه، وإن تضادَّا أو اختلفا في المعنى، ألا ترى إلى قولهم في أحد المعنيين- إذا لم يشاكل صاحبه- ليس هذا طبق هذا[2]، وقولهم في المثل «وَافَقَ

(1) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

* عَلَى أَمْرِ مُنْقَدِّ العِفَاءِ كأَنَّهُ *

ورواه في اللسان (ع س ط س) كما ذكره المؤلف ثانية منسوبا إلى ذي الرمة وقال في شرحه: «أي وردت الحمر على أمر حمار منقد عفاؤه: أي متطاير، والعفاء: جمع عفو «بكسر فسكون) وهو الوبر الذي على الحمار، قال ابن بري والمشهور في شعره: عصا قس قوس، والقس: القسيس، والقوس: صومعته، قال ابن الأعرابي: هو الخيزران» اهـ وقال في تفسير العسطوس قبل ذلك: «هو رأس النصارى، رومية، وقيل: هو شجر يشبه الخيزران، وقيل: هو الخيزران، وقيل: شجرة تكون بالجزيرة لينة الأغصان» ا هـ. والعسطوس بفتح العين، وسينه مفتوحة مخففة أو مشددة.

(2) طبق كل شيء - بفتح الطاء والباء جميعا- ما ساواه، ويجمع على أطباق، وقول الراجز.

وليلة ذات جهام أطباق

معناه أن بعضه مساو لبعض، وجمع أطباقا مع أن الجهام مفرد لأنه عني الجنس.

شَنٌّ طَبقَه[1]» والطبق للشيء إنما قيل له طبق لمساواته إياه في المقدار، إذا جُعِل عليه، أو غُطِّي به، وإن اختلف الجنسان، قال الله عز وجل ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19] أي: حالا بعد حال، ولم يرد تساويهما في تمثيل المعنى، وإنما أراد جلّ وعز - وهو أعلم - تساويَهما فيكم، وتغييرهما إياكم؛ بمرورهما عليكم، ومنه قول العباس بن عبد المطلب: «إذا انْقضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَق[2] أي: جاءت حال أخرى تتلو الحالَ الأولى، ومنه طِباق الخيل، يقال: طابَقَ الفرسُ، إذا وقَعَت قوائمُ رجليه في موضع قوائم يديه في المشى أو الْعَدو، وكذلك مشي الكلاب، قال الجعْديُّ:

*طِبـاقَ الْـكِـلابِ يَـطَـأنَ الْـهَـرَاسـا[3]

فهذا حقيقة الطباق، إنما هو مقابلة الشيء لمثله الذي هو على قدره، فسَمَّوْا المتضادين - إذا تقابلا- مطابقين، ومنه قول زهير[4]:

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطادُ الرِّجالَ إذا ... مَا الَّليْثُ كذَّبَ عَنْ أقْرَانِه صَدَقَا

فطابق بين قوله «كذب» وبين قوله «صدقا»، وقول طفيل الغنوي يصف فرسا:[5]

---

(1) يروي هذا المثل على وجهين «وافق شن طبقه» بهاء الضمير أضيف إليها طبق، وهذه رواية الأصمعي، وأصلها أن قوما كان لهم وعاء من أدم (جلد) فتشنن (تخرق) فجعلوا له طبقا فوافقه، فقالوا ذلك. وهذه الرواية هي التي يتم عليها استدلال المؤلف. والأخرى «وافق شن طبقة» بتاء التأنيث وشن في هذه الرواية اسم رجل، واختلفوا في طبقة. فقيل: اسم امرأة، وقيل: قبيلة من إياد (انظر مجمع الأمثال للميداني أول حرف الواو: 2 - 211 الخيرية).

(2) هذا من كلام للعباس بن المطلب رضي الله عنه يقوله في ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأراد إذا مضى قرن ظهر قرن آخر، وإنما قيل للقرن طبقة لأنهم طبق للأرض ثم ينقرضون ويأتي طبق آخر للأرض، وكذلك طبقات الناس: كل طبقة طبقت زمانها وساوته.

(3) هذا عجز بيت، وصدره قوله:

* وَخَـيْـلٍ تُـطـابِـقُ بِـالـدَّارِعِـيـنَ *

وانظره في اللسان (ط ب ق) وفي الصناعتين (238).

(4) قد مضى ذكر هذا البيت، وانظر العقد الثمين (38) والصناعتين (241).

(5) هذا عجز بيت وصدره قوله:

* بـسـاهـم الـوجـه لـم تـقـطـع أبـاجـلـه *

وقد مضى ذكره، وانظره في الصناعتين (242).

* يُـصَــانُ وَهْــوَ لِـيَــوْمِ الــرَّوْعِ مَـبْـذُولُ *

فطابق بين قوله «يصان» وبين قوله «مبذول»، وقول طرفة بن العبد[1]:

* بَـطِـيءٍ عَـنِ الْجُلَّى سَـرِيـعٍ إِلَـى الْخَنا *

فطابق بين «بطيءٍ» و «سريع» فلواقتصر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلو الألفاظ وصحيح المعنى نحو قوله:

* نَـشَـرَتْ فَـرِيـدَ مَـدَامِـعٍ لَـمْ تُـنْـظَـمِ[2] *

ونحو قوله:

* جُفُوفَ الْبِلَى أسْرعْتَ في الْغُصُنِ الرَّطْبِ[3] *

ونحو قوله:

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالبلْوَى وَإنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بِالنِّعَمِ[4]

وأشباهِ هذا من جيد أبياته، وتجَنَّبَ مثلَ قوله:

قَدْ لَانَ أَكْثَرُ مَا تُرِيدُ وَبَعْضُهُ خَشِنٌ وَإِنِّي بِالنَّجَاحِ لَوَاثِقُ[5]

وقوله:

---

(1) هذا صدر بيت من طويلته المعلقة، وعجزه قوله:

* ذلـيـل بـأجـمـاع الـرجـال مـلـهـد *

وانظر العقد الثمين (8) وشرح القصائد العشر (96).

(2) هذا صدر مطلع قصيدة لأبي تمام يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 312)، وانظر مع ذلك (ص 155 من هذا الكتاب).

(3) هذا صدر مطلع قصيدة له يرثي فيها امرأة محمد بن سهل. وهي أخت مروان بن محمد (الديوان 356) وعجزه قوله:

* وخطب الـردى والموت أبرحت من خطب *

(4) سبق ذكر هذا البيت فيما عده المؤلف من سرقات أبي تمام، وانظر الصناعتين (171) أيضا.

(5) هذا البيت ثالث أبيات كلمة له يمدح فيها أبا زيد كاتب عبد الله بن ظاهر ويشكر له سعيه (الديوان 222).

لَعَمْرِي لَقَدْ حُرِّرْتَ يَوْمَ لَقِيتَهُ   لَوَ انَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدِ[1]

وقوله:

وَإِنْ خفَرَتْ أَمْوَالَ قَوْمٍ أَكُفُّهُمْ   مِنَ النَّيلِ وَالْجَدْوَى فَكَفَّاهُ مِقْطَعُ[2]

ونحو هذا مما يكثر، إن ذكرته ذهب عظيم شعره وسقط، وأكثر ما عيب عليه منه، وهذا باب -أعني المطابق- لقّبه أبو الفرج قُدامة بن جعفر في كتابه المؤلف في نقد الشعر المتكافئ، وسمى ضربا من المجانس المطابق، وهو أن تأتي الكلمة مثل الكلمة سواء في تأليفها واتفاق حروفها، ويكون معناها مخالفا نحو قول الأفوه الأودي:

وَأَقْطَعُ الْهَوْجَلَ مُسْتَأْنِسًا   بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيسْ[3]

والهوجل الأول: الأرض البعيدة، والهوجل الثاني: الناقة العظيمة الخلق الموثّقة، وقول أبي دُوَاد الإِيادي:

عَهِدْتُ لَها مَنْزِلًا دارِسًا   وَآلا عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلْنَ آلا[4]

فالآل الأول: أعْمِدةُ الخيامِ، والآل الثاني: ما يرفع الشخوص

وقال زياد الأعجم:

نُبِّئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكاهِلٍ   وَلِلُّؤْمِ فِيهِ كَاهِلٌ وَسَنَامُ[5]

وما علمت أن أحدًا فَعلَ هذا غير أبي الفرج؛ فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الألفاظ غير محظورة فإني لم أكن أحبُّ له أن يخالف مَنْ

(1) هذا بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد الطائي (الديوان 101) و «لم يبرد» من قولهم: برد فلان، إذا مات أو وقع أسيرا أو ضعف أو نحو ذلك، وطابق به قوله «حررت» بمعنى صرت حارا من شدة الغيظ.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 191) وخفرت هنا بمعنى حرست، والنيل: العطاء، ومثله الجدوى، والمقطع -بكسر الميم - آلة القطع، يريد أنه يجود ويفنى ماله ويذهبه في العطاء في حين أن كثيرا من الناس يقبضون أيديهم ويجعلون أنفسهم حراسا على أموالهم وخزانا لها.

(3) انظره في نقد الشعر لقدامة بن جعفر (97).

(4) ورد في نقد الشعر (97) أيضا.

(5) ورد في نقد الشعر (97) أيضا، وفي الصناعتين (238) وأشار أبو هلال إلى مخالفة قدامة لإجماع الناس قاطبة في هذا الموضوع.

تقدَّمه، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألَّف فيها؛ إذ قد سبقوه إلى اللقب، وكَفَوْه المؤونة.

وقد رأيت قومًا من البغداديين يسمُّون هذا النوع المجانس المماثل، ويلحقون به الكلمة إذا تكررت وتردَّدت، نحو قول جرير:

تَــزَوَّدْ مِـثْـلَ زَادِ أَبِـيـكَ فِينَا فَنِعْمَ الـزَّادُ زادُ أَبِيكَ زَادا[1]

وبابه قليل.

*****

(1) هذا بيت من قصيدة لجرير بن عطية يمدح فيها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الأموي، وأولها قوله:

*أبــت عــيــنــاك بــالــحــســن الــرقـــادا *

والبيت مما يستشهد به النحاة على جواز الجمع في كلام واحد بين فاعل «نعم» والتمييز، ولهم فيه تخريجات لا محل لذكرها ههنا.

وهذا باب

في سوء نظمه، وتعقيد ألفاظ نَسْجه، ووحشيِّ ألفاظه

وأكثر ما تراه من ذلك في شعره، وتجده – أظنه– سمع ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير بن أبي سُلْمى لما قال: «كان لا يُعاظِلُ بين الكلام، ولا يتتبع حُوشِيَّه، ولا يمدح رجلا إلا بما في الرجال»؛ فلم يرتض هذا لشعره، وأَحَبَّ أن يستكثر مما ذَمَّه وعابه.

وقد فسر أهلُ العلم هذا من قول عمر، وذكروا معنى المعاظلة، وهي: مُداخلة الكلام بعضه في بعض، وركوب بعضه لبعض، كقولك: تعاظَلَ الجراد، وتعاظلت الكلاب، ونحوها مما يتعلق بعضه ببعض عند السِّفاد، وأكثر ما يستعمل في هذين النوعين وكذلك فسروا حُوشيَّ الكلام، وهو: الذي لا يتكرر في كلام العرب كثيرا، فإذا ورد ورد مستهجَنًا وقالوا في معنى قوله «وكان لا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال» أراد أنه لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك، ولا يمدح التجار وأصحابَ الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح؛ فإن الشاعر إِذا فعل ذلك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه، فذكروا هذه الجمل، ثم مثلوا لها أمثلة تزيد ما قاله عمر رضي الله عنه وضوحا وبيانا، إلا أبو الفرج قدامة بن جعفر فإنه ذكر ذلك في كتابه المؤلَّف في نقد الشعر ومثل له أمثلة فغلط في أمثلة المعاظلة غلطا قبيحا، وقد ذكرت ذلك في كتاب بَيَّنْتُ فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه.

وأنا أذكر ههنا ما إليه قصدت من سائر ما في شعر أبي تمام من هذه الأنواع فإنها كثيرة، وأورد من كل نوع قليلا، فيستدل به على الكثير؛ فأقول:

إن من المعاظلة التي قد لخصت معناها في الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض، وأن يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها، وإن اختلَّ المعنى بعضَ الاختلال.

وذلك كقول أبي تمام:

خَانَ الصَّفَاءَ أَخٌ خانَ الزَّمانُ أَخًا عَنْهُ فَلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الْكَمَدُ[1]

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت، وهي سبع كلمات آخرها قوله «عنه» ما أشد تشبثَ بعضها ببعض، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظٍ في البيت من أجل ما يشبهها، وهو «خان» و «خان» و «يتخون» وقوله «أخ» و «أخا» فإذا تأملت المعنى - مع ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة، ولا فيه كبير فائدة؛ لأنه يريد خان الصفاء أخٌ خان الزمان أخًا من أجله إذ لم يتخوَّن جسمَه الكمد

وكذلك قوله:

يا يَـوْم شَـرَّدَ يَـوْمَ لَهْوِي لَهْوُهُ بِصَبابَتِي وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِي[2]

فهذه الألفاظ إلى قوله «بصباتي» كأنها سلسلة في شدة تعلق بعضها ببعض، وقد كان أيضا استغنى عن ذكر اليوم في قوله «يوم لهوي»؛ لأن التشريد إنما هو واقع بلهوه، فلو قال «يا يوم شرد لهوي» لكان أصحَّ في المعنى من قوله «يا يوم شرد يوم لهوي» وأقربَ في اللفظ؛ فجاء باليوم الثاني من أجل اليوم الأول، وباللهو الثاني من أجل اللهو قبله، ولهوُ اليوم أيضا بصبابته هو أيضا من وَسَاوسه وخطائه، ولا لفظ أوْلى بالمعاظلة من هذه الألفاظ.

ونحو قوله أيضا:

يَوْمٌ أَفَاضَ جَوًى أَغَاضَ تَعَزِّيًا خاضَ الْهَوَى بَحْرَيْ حِجاهُ الْمُزْبِدِ[3]

فجعل اليوم أفاض جوًى، والجوى أغاض تعزِّيا، والتعزِّي موصولا به «خاض الهوى» إلى آخر البيت؛ وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه، مع أن «أفاض»

(1) البيت ثاني أبيات قصيدة له يرثي فيها بني حميد (الديوان 366) «وفيه خان الزمان له * أخا فلم» والذي قبله قوله:

لو صحح الدمع لي أو ناصح الكمد لفل ما صحباني الـروح والجسد

ويتخون: يتنقص، وانظره في الصناعتين (21).

(2) من غزل قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله، ويقال: المأمون (الديوان 111).

(3) هو من أبيات القصيدة التي منها البيت السابق (الديوان 111) والجوى الحزن، وأغاض: نقص، والتعزي: التصبر والتجلد والتسلي، والحجى: العقل والمزبد: الذي يقذف بالزبد، وذلك لكثرة هيجه واضطرابه، وقد جعل للحجى بحرين، وجعله- مع ذلك- مزبدا، وانظره في الصناعتين (21).

و«أغاض» و«خاض» ألفاظ أوقعها في غير موضعها، وأفعال غير لاثقه بفاعلها وإن كانت مستعارة؛ لأن المستعمل في هذا أن يقال: قد عُلم ما بفلان من جَوًى، وظَهر ما يكتمه من هَوًى، وبانَ عنه العزاء، وذهب عنه العزاء والتعزي، فأما أن يقال: فاض الجوى، أو أفيض، أو غاض، أو غِيضَ؛ فإنه – وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة– قبيحٌ جدا، وكذلك خَوْضُ الهوى بحرَ التعزي معنًى في غاية البعد والْهَجانة، ثم اضطر إلى أن قال «بَحْرَىْ حجاه المزبد» فوحَّد المزبد، وخفضه، وكان وجهه أن يقول «المزبدين» صفة للبحرين، فجعله صفة للحجى، ويقال: إنه أراد ببَحْرَيْ حِجاه المزبد قلبه ودماغه لأنهما موطنان للعقل، وذلك محتمل، إلا أنه جعل المزبد وصفا للحجى، ولا يوصف العقل بالإِزباد، وإنما يوصف به البحر، وهذا وإن كان يُتَجَاوز في مثله فإنه إلى الوجه الأردأ عدل به، وجنب الطريق عن الوجه الأوضح.

فإذا تأملت شعره وجدت أكثره مبنيا على مثل هذا وأشباهه، وقد ذكرت من هذه الأمثلة من شعره ما دلَّ على سواها.

فإن قال قائل: إن هذا الذي أنكرته وذَممته في الأبيات المتقدمة وفي هذا البيت: من تشَبُّث الكلام بعضه ببعض، وتعلُّق كل لفظةٍ بما يليها، وإدخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها – هو المحمود من الكلام، وليس من المعاظلة في شيء، ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لمَّا وصَفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا: هذا كلام يدلُّ بعضُه على بعض، وآخذ بعضه برقاب بعض.

قيل: هذا صحيح من قولهم، ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم، ولا قصدوا هذا النوع من التأليف، وإنما أرادوا المعاني إذا وقعت ألفاظها في مواقعها، وجاءت الكلمة مع أختها المشاكِلة لها التي تقتضي أن تجاورها لمعناها: إما على الاتفاق، أو التضاد، حسبما تُوجبُه قسمة الكلام، وأكثر الشعر الجيد هذه سبيله، ونحوُ ذلك قولُ زهير بن أبي سُلْمَى:

سَئِمْتُ تكاليفَ الْحياةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمانِينَ حَوْلًا لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ(1)

لما قال «ومن يعش ثمانين حولا» وقدم في أول البيت «سئمت» اقتضى أن يكون في آخره «يسأم» وكذلك قوله أيضًا:

السِّتْرُ دُونَ الْفاحِشاتِ وَمَا يَلْقاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ(2)

الستر الأول اقتضى الستر الثاني، وكذلك قوله:

وَمَـنْ لا يُقَدِّمْ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً فَيُثْبِتَها في مُسْتَوَى الأَرْضِ تَزْلَقِ(3)

لما قال «ومن لا يقدم رجله مطمئنة» اقتضى أن يأتي في آخر البيت «يزلق» وكذلك قولُ امرئ القيس:

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قُنْوَةً وَبَعْدَ الْمَشيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا(4)

اقتضى «العدم» في البيت أن يأتي بعده «قنوة» و كذلك اقتضى قوله «وبعد المشيب طول عمر وملبسا» وكذلك قوله:

فَـإِنْ تَكْتُمُوا الـدَّاءَ لا نُخْفِهِ وإِنْ تَقْصِدُوا لِـدَمٍ نَقْصِدِ(5)

كل لفظة تقتضي ما بعدها.

---

(1) هو بيت من طويلته المعلقة (انظر شرح القصائد العشر للتبريزى 122) ولا يوجد في العقد الثمين. وتكاليف الحياة: مشقاتها، يريد سئمت ما يعاودني في هذه الحياة من الجد والمشقة، واللام في قوله «لا أبا لك» زائدة بين المضاف والمضاف إليه، ولذلك ثبتت الألف في «أبا» ولولا الزيادة لقال: لا أب لك.

(2) من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان (العقد الثمين 35) وفيه «والستر دون الفاحشات».

(3) لا يوجد هذا البيت فيما روي من شعره في العقد الثمين.

(4) آخر أبيات كلمة له أولها قوله:

تـأوبـني دائـي الـقـديـم فغلسا أحـاذر أن يـرتـد دائـي فأنكسا

والعدم – بضم فسكون– الفقر، وأراد من القنوة الغنى، وهي أن يمتلك الإنسان ما يعد للاقتناء، وفي القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾، وانظر العقد الثمين (83 و 84).

(5) هذا البيت ملفق من بيتين، وهما برواية العقد الثمين (72) هكذا:

فـإن تـدفـنـوا الـداء لا نخفه وإن تـبـعـثـوا الـحـرب لا نقعد
وإن تـقـتـلـونـا نـقـتـلـكـم وإن تـقـصـدوا لـدم نقصد

فهذا هو الكلام الذي يدلُّ بعضه على بعض، ويأخذ بعضه برقاب بعض؛ إذا أنشدت صدر البيت علمت ما يأتي في عَجُزه؛ فالشعر الجيد - أو أكثره- على هذا مبنيّ، وليست بنا حاجة إلى الزيادة في التمثيل على هذه الأبيات.

وأما قول عمر رضي الله عنه في زهير «إنه كان لا يَتَتَبَّعُ حوُشِيَّ الكلام» فإن أبا تمام كان لَعَمْرِي يتتبعه، ويتطلبه، ويتعمد إدخاله في شعره؛ فمِنْ ذلك قولُه:

أَهْلَسُ أَلْيَسُ لَجَّاءٌ إِلَى هِمَمٍ تُغَرِّقُ الْأُسْدَ في آذِيِّهَا اللِّيسَا(1)

ويروي «أهيس أليس» والأهيس: الجَاد، وهذه الرواية أجود، وهي مثل:

*** إحْدَى لَيالِيكِ فَهِيسِي هِيسِي(2) ***

والهلاس: السلال من الهزال؛ فكأن قوله «أهلس» يريد خفيف اللحم، والأليس: الشجاع البطل الغاية في الشجاعة، وهو الذي لا يكاد يبرح موضعه في الحرب حتى يظفر أو يهلك؛ فهاتان لفظتان مستكرهتان إذا اجتمعتا، لم يقنع بأهلس أليس ثم قال في آخر البيت «الليسا» يريد جمع أليس، وقوله:

وَإِنْ بُجَيْرِيَّةٌ نابَتْ جَأَرْتُ لَها إِلَى ذُرَى جَلَدِي فَاسْتُؤْهِلَ الْجَلَدُ(3)

فقال «بجيرية» و «جأرت لها» وهذه الألفاظ وإن كانت معرُوفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت استقبحت وثقلت، وكذلك قوله:

(1) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة (الديوان 172) وأراد بالأهيس وبالأليس الشجاع، وقد بينهما المؤلف. والهمم: جمع همة، وهي العزيمة، وجملة «تغرق الأسد في آذيها» صفة للهمم، والآذي: الموج، والليس جمع أليس، وهو - على ماعرفت - الشجاع، والليسا: صفة للأسد، وقد وقع في أصول الكتاب «تعرف الغيس» وهو تحريف غاية في الشناعة، وصوابه عن نسخ الديوان.

(2) رواه في اللسان (هـ ى س) وروى معه بيتا آخر، وهو قوله:

*** لا تنعمي الليلة بالتعريس ***

ووقع في الأصول «فهيسي ميسي» والتصويب عن اللسان. وتقول: هاس يهيس هيسا، إذا سار، أي سير كان، والتعريس: النزول ليلا، يريد أديمي السير ولا تنزلي رحالك للراحة.

(3) من قصيدة له يرثي فيها بني حميد (الديوان 367) والبجيرية: الداهية، ونابت: أصابت، وجأرت: رفعت صوتي، والذرى: الأعالي، واحدها ذروة، واستؤهل: استحق واستوجب، وحرفيته وجد أهلالأن يعاذبه ويلجأ إليه، والجلد: الصبر: وورد في الصناعتين (22) وفيه «فاستوهك الجلد».

* هُـــنَّ الْـــبُـــجَـــارِيُّ يَـــا بُـــجَـــيْـــرُ[1]

والبجاري: جمع بُجْرِيَّة، وهي الداهية، وقوله:

بِنَدَاكَ يُوسَى كُلُّ جرْحٍ يَعْتَلِي رَأْبَ الأُسَاةِ بِدرْدَبِيسٍ قَنْطَرِ[2]

الدردبيس والقنطر: من أسماء الدواهي، وقوله:

* قَــدْكَ اتَّـئِـبْ أرْبَـيْـتَ فِـي الْـغُـلَـوَاءِ[3]

ومثل هذه الألفاظ هجنة [لا يكون] في ابتداء القصيدة، وقوله:

لَقَدْ طَلَعَتْ فِي وَجْهِ مِصْرَ بِوَجْهِهِ بِلا طائِرٍ سَعْدٍ وَلا طائِرٍ كَهْلِ[4]

وإنما سمع قول بعض الهذليين[5]:

فَلَوْ كانَ سَلْمى جارَهُ أَوْ أجارَهُ رِيَاحُ بْنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طائِرٌ كَهْلُ[6]

(1) سبق ذكر هذه الجملة شطر بيت في ص 24 من هذا الكتاب.

(2) من قصيدة له في عتاب عياش بن لهيعة (الديوان 396) والندى: الكرم والعطاء، ويؤسي: يداوي، والرأب: الإصلاح، والأساة: جمع آس، وهو الطبيب، والدردبيس والقنطر: من أسماء الداهية كما قال المؤلف، وجملة «يعتلى رأب الأساة» صفة لجرح، وقوله «بدردبيس» يتعلق بيعتلي، يريد أن كرمك يداوي به الجرح الذي يشق على الأساة علاجه.

(3) قد مضى ذكر هذا الشطر مشروحا في هذا الكتاب.

(4) هو بيت من قصيدة له يصف تقتير الرزق عليه في مصر (الديوان 421) وفيه «ولا طائر سهل» وفاعل «طلعت» في البيت الذي بعده، وهو قوله:

وساوس آمال ومذهب همة مخيمة بين المطية والرحل

(5) نسبه في اللسان (ك هـ ل) إلى أبي خراش الهذلي، وفيه «رماح بن سعد» وهو في ديوان أبي خراش (72) ثامن تسعة أبيات.

(6) وقعت رواية هذا البيت في أصول هذا الكتاب هكذا

فلو كان سلمى حازه وأحازه رياح بن سعد رده طائر كهل

وهو تصحيف شنيع في عدة مواضع، وما أثبتناه عن اللسان وعن ديوان أبي خراش الهذلي (72) قال في اللسان: «قال ابن سيده: لم يفسره أحد، قال: وقد يمكن أن يكون جعله كهلا مبالغة به في الشدة، الأزهري: يقال: طار لفلان طائر كهل، إذا كان له جد وحظ في الدنيا» اهـ. وأراد الشاعر بسلمى سلمى ابن معقل أحد بني صاهلة، وأراد برياح رياح بن سعد أحد بني زليفة، قال السكري: «وقوله طائر كهل أراد رجلا كهلا عظيم الشأن» وكان قد أقبل غلام من بني تميم ثم أحد بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة، حتى نزل في بني حريث بن سعد بن هذيل، على رجل يقال له عاسل بن قميئة، فقتله، ففي ذلك يقول أبو خراش الأبيات التي منها هذا البيت.

ووجدت في تفسير أشعار هذيل أن الأصمعي لم يعرف قوله «طائر كهل» وقال بعضهم: كهل ضخم، وما أظن أحدًا قال «طائر كهل» غير هذا الهذلي، فاستغرب أبو تمام معنى الكلمة فأتى بها، وأحب أن لا تفوته. فمثل هذه الألفاظ لا يستعملها شاعر إلا أن يأتي في جملة شعره منها اللفظة واللفظتان، وهي في شعر أبي تمام كثيرةٌ فاشية، وقد أنكر الرواةُ على زهير - مع ما قاله عمر رضي الله عنه «إنه كان لا يتتبع حوشي الكلام» - قولَه:

نَقِيٌّ تَقِيٌّ لَـمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَةِ ذِي قُرْبى وَلا بِحَقَلَّدِ[1]

واستشنعوا «بحقلد» وهي السيئ الخلق، ولا يُعْرف في شعره لفظة هي أنكر منها، وليس مجيئه بهذه اللفظة الواحدة قادحا فيما وصفه به عمر رضي الله عنه، وأكثر ما ترى هذه الألفاظ الْوَحْشية في أراجيز الأعراب، نحو قول بعضهم[2]:

*** فشَحا جَحافِلَهُ جُرافٌ هِبْلَعُ[3] ***

أنشده أبو تمام، وقول آخر:

عربًا حرورا وجلالا حرحر[4]

وأنشد الأصمعي:

وأجد طعم للسقاء سامط وخاثِرٌ عُجَالِطٌ عُكالِطُ[5]

إذا ذهب عن اللبن حلاوةُ الحليب ولم يتغير فهو سامط، وإذا خَثَرَ اللبن جدًّا حتى ثخن فهو عُكالط، وقال آخر أنشده الأصمعي[6]:

---

(1) هو بيت من قصيدة له يمدح فيها هرم بن سنان المري (العقد الثمين 33) وانظره في الصناعتين (22)

(2) نسبه في اللسان (هـ ب ل ع - ج ر ف) إلى جرير.

(3) هذا أعجز ببيت، وصدره قوله:

*** وُضِعَ الْخَزِيرُ فَقِيلَ أينَ مُجاشِعٌ ***

ووقع في الأصول «حراب هبلع» وهو تحريف، وتصويبه عن اللسان، والجراف - بزنة الغراب - الأكول الذي لا يبقى على شيء. والهبلع - بزنة الدرهم - الأكول العظيم اللقم الواسع الحنجور.

(4) مع طول البحث فيما بين يدي من كتب اللغة ومجاميع الشعر لم يتيسر لي العثور على تحقيق هذا الشاهد فأثبته كما هو في أصول الكتاب غير محتمل تبعته.

(5) ولم يكن حظي في تحقيق صدر هذا البيت خيرا من حظي في تحقيق الشاهد السابق، ولا كان بحثي عن هذا دون البحث عن ذاك.

(6) أنشده في اللسان (ح م ص - ق ر ص) وذكر معه في الثانية عدة أبيات.

وَرَبْـــــــــرَبِ خِـمَــــاصِ   يَـــأْكُــلْـــنَ مِـــنْ قُـــرَّاص[1]

وَحَـمَـصِيصِ وَاصِ[2]

واص: نبتٌ متصل بعضه ببعض

وإذا كان هذا [لا] يُسْتَحْسن من الأعرابي القُحّ الذي لا يتعمَّل له ولا يطلبه، وإنما يأتي به على عادته وطبعه؛ فهو من المحدَثِ الذي ليس هو من لغته ولا من ألفاظه ولا من كلامه الذي تجري عادتُه به أحْرَى أن يُسْتَهجن، ولهذا أنكر الناسُ على رؤبة استعمالَه الغريب الوَحْشِيَّ، وذلك لتأخره وقرب عهده، حتى زهد كثير من الرواة في رواية شعره إلا أصحاب اللغة.

وقد ذكر أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء ومعانيهم، عن العنزي، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمي الزراع، قال: حدثني ابن أبي عائشة، قال: قال أبو العتاهية لابن مناذر: إن كنت أردتَ بشعرك شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئًا؛ وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا، أرأيت قولك:

* وَمَـــنْ عَـــادَاكَ يَـلْـقَـى الـمَـرْمَـرِيـسَـا*

أيُّ شيء في المرمريس أعجبك؟

ووجدت أبا عبيدة ذكر في كتاب الخيل في باب ما يُسْتدل به على جَوْدة الفرس وهو يحضر «وبيضة مرمر يس، وهي الضخمة» وأراد ابنُ مناذر الداهيةَ، وقد جاء أبو تمام بالدَّرْدَبيس، وهي أخت المرمريس، فقال:

بِنَدَاكَ يُوسَى كُلُّ جَرْحٍ يَعْتَلِي   رَأبَ الْأَسَاةِ بِدَرْدَبِيسِ قَنْطَرِ[3]

وهي: الداهية أيضا، وكذا القَنْطر.

---

(1) الربرب: القطيع من بقر الوحش، هذا أصله، وقد يطلقونه على جماعة النساء. والخماص - بكسر الخاء المعجمة - جمع خمصانة، وهي الضامرة البطن. والقراص: جمع قارص، وهو الحامض من ألبان الإبل خاصة. ووقع في الأصول «حماص» بالمهملة محرفا.

(2) الحمصيص - بفتح الحاء والميم جميعا - بقلة طيبة الطعم من أحرار البقول تنبت في الرمل. وقال أبو حنيفة الدينوري: بقلة الحمصيص حامضة تجعل في الأقط تأكله الناس والإبل والغنم.

(3) انظر (ص 217 من هذا الكتاب).

باب
ما كثر في شعره من الزِّحاف واضطراب الوزن

وذلك هو ما قاله دِعبِلُ بن علي الْخُزاعي وغيره من المطبوعينَ: إن شعر أبي تمام بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالكلام المنظوم.

فمن ذلك قوله:

وَأَنْـتَ بمِصْرٍ غايَتِي وَقَرَابَتِي بِهَا وَبَنُو أَبِيكَ فِيها بَنُو أَبِي[1]

وهذا من أبيات النوع الثاني من الطويل، ووزنه «فَعُولُنْ مَفَاعِيلُن» وعروضه وضَرْبه مَفاعِلُنْ؛ فحذف نون فَعُولُنْ من الأجزاء الثلاثة الأوَل، وحذف الياء من مفاعيلن التي هي المصراع الثاني، وذلك كله يسمى مقبوضا؛ لأنه حذف خامسه.

وكذلك قوله من هذا النوع:

كَساكَ مِنَ الأنْوَارِ أَبْيَضُ ناصِعُ وَأصْفَرُ فَاقِعٌ وَأَحْمَرُ سِاطِعُ[2]

فحذف النون من آخر «فعولن» كلها، وهي أربعة، وحذف الياء من «مفاعيلن» التي هي المصراع الثاني أيضا، كما فعل في البيت قبله.

ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضا:

يَقُولُ فَيَسْمَعُ وَيَمْشِي فَيُسْرِعُ وَيَضْرِبُ في ذَاتِ الْإِلهِ فيُوجِعُ[3]

فحذف النون من «فعولن» الأول، والياء من «مفاعيلن» التي تليها، ومن «فعولن» التي هي أول المصراع الثاني، وذلك كله يسمى مقبوضا، وهي من الزحاف الحسن الجائز، إلا أنه إذا جاء على التوالي والكثرة قبح جدا.

وقال:

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة الحضرمي (الديوان 25).

(2) من قصيدة له في الفخر بقومه (الديوان 478) والأنوار: جمع نور -بفتح النون وسكون الواو- والناصع: الخالص البياض، والفاقع: الشديد الصفرة، وأراد بالساطع الشديد الحمرة.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 191).

لَمْ تَنْتَقِضْ عُـرْوَةٌ مِنْهُ وَلا قُوَّةٌ   لكِنَّ أَمْرَ بَنِي الآمالِ يَنْتَقِضُ[1]

وهذا من النوع الأول من البسيط، ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ، وعروضه وضربه فَعِلن، فزاد في عروضه حرفا فصار فاعلن؛ لأنه قال «قُوَّة» فشدد، وذلك إنما يُحسب له في أصل الدائرة لا في هذا الموضع، فإن خفَّفَها حتى تصير على وزن فَعِلن فيتزن البيت كان مخطئا من ثم حين نقص فاعلن الأول من المصراع الألف فصار فعلن وهذا يسمى مخبونا لأنه حذف ثانيه.

وقال:

يَقُولُ فَيَسْمَعُ وَيَمْشِي فَيُسْرِعُ   وَيَضْرِبُ في ذَاتِ الْإِله فَيُوجِعُ

فحذف النون من «فعولن» الأول، والياء من «مفاعيلن» التي تليها، ومن «فعولن» التي هي أول المصراع الثاني، وذلك كله يسمى مقبوضا، وهي من الزحاف الحسن الجائز، إلا أنه إذا جاء على التوالي والكثرة قبح جدا.

وقال:

إلى المُفَدَّى أَبي يَزِيدَ الَّذِي   يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ في ثَمَدِهِ[2]

وهذا من النوع الأول من المنسرح، ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُن، فحذف السين من مستفعلن التي هي المصراع فبقي متفعلن، وهذا يُنْقل إلى مفاعلن، ويسمى مخبونا؛ لأنه حذف ثانيه وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فبقي مستعلن فنقل إلى مُفْتعلن، ويقال له مطوي؛ لأنه ذهب رابعه، وحذف الواو من مَفْعُولات الأولى والثانية، فصار فاعلات، ويقال له أيضا مطوي؛ فأفسد البيت بكثرة الزحاف. وتقطيعُهُ:

إِلَلْمُفَدْ * دَا أَبي يَ* زِيدَ الَّذِي * يَضِلْلُغَمْ * رُلْمُلوكِ * فِيثَمَدِهِ. مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفاعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُفْتَعِلُنْ. ثم قال في هذه القصيدة:

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، ويهجو رجلا فاخره في المجلس (الديوان 181) وفيه «عروة منه ولا سبب» ولا اعتراض على هذه الرواية.

(2) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 92) والغمر -بفتح الغين وسكون الميم- الماء الكثير، والثمد = بفتح الثاء والميم جميعا - الماء القليل.

ثم قال في هذه القصيدة:

جِـلَّـةُ أَنْـمَـارِهِ وهَـمْـدَانِـهِ وَالشُّمُّ مِنْ أَزْدِهِ وَ مِنْ أُدَدِهْ[1]

فحذف الفاء من مستفعلن الأولى، فعادت إلى مفتعلن، وحذف الواو من مفعولات الأولى فصارت فَاعِلاتُ، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيره فصارت مفتعلن.

وتقطيعه:

جِلْلَتأَنْ * مارِ هِيوَ * هَمْدَانِهِي * وَشْشُمْمُمِنْ * أَزْدِهِي وَ * مِنْأَدَدِهْ. مُفْتَعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَاعِلاتُ * مُفْتَعِلُنْ.

وهذه الزحافات جائزة في الشعر غير منكرة إذا قَلَّت. وإذا جاءت في بيت واحد في أكثر أجزائه فإن هذا في نهاية القبح، ويكون بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون.

ومن هذا النوع من المنسرح قوله:

وَلَمْ يغَيِّرْ وَجْهي عَنِ الصِّبْغَةِ الْ أُوْلى بِمَسْفُوعِ اللَّوْنِ مُلْتَمِعِهْ[2]

وتقطيعه:

وَلَمْ يُغَىْ * يِرْوَجْهِيعَ * نِصْصِبْغَتِلْ * أُوْلى بِمَسْ * فُوعِلَوْنِ* مُلْتَمِعِهْ. مَفاعِلُنْ * مَفْعُولات * مُسْتَفعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولاتُ * مُفْتَعِلُنْ.

فحذف السين من مستفعلن الأولى فصارت مفاعلن، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن.

ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا أنت تَتَبَّعته، ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئًا.

* * * *

ثم السفر الثاني من الموازنة على ما جزأه مؤلفه رحمه الله تعالى

والحمد الله رب العالمين

(1) الجلة: العظماء، واحدهم جليل، والشم: جمع أشم، وأصله وصف من الشمم، وهو ارتفاع قصبة الأنف، وذلك عندهم من ملامح العظماء، ثم أطلقوه على العلية والسادة. وأنمار، وهمدان، والأزد، وأدد: كلهن أسماء قبائل.

(2) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب وأنفذ إليه حلة وهو بالموصل (الديوان 196) وفيه «ولم تغير وجهي» وكان في الأصول «عن الصنيعة الأولى» وهو تحريف أثبتنا تصحيحه عن الديوان، ويؤيده تقطيع المؤلف البيت على الوجه الذي يأتي.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال أبو القاسمِ الحسنُ بن بشرٍ الآمِدِيُّ:

لما كنت خَرَّجت مساويَ أبي تمام وابتدأت بسرقاته وجب أن أبتدئ من مساوي البحتري بسرقاته؛ فإنه أخذ من معاني مَنْ تَقَدَّم من الشعراء، وممن تأخر أخذا كثيرا، وحكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه أن ابن أبي طاهر أعلمه أنه أخرج للبحتري ستمائة بيتٍ مسروق، منها ما أخذه من أبي تمام خاصة مائة بيت، فكان ينبغي أن لا أذكر السرقات فيما أخرِّجه من مساوي هذين الشاعرين؛ لأنني قَدَّمت القولَ في أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يَرَوْنَ سرقات المعاني من كبير مساوي الشعراء وخاصة المتأخرين، إذ كان هذا بابًا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر، ولكن أصحاب أبي تمام ادعوا أنه أول سابق، وأنه أصل في الابتداع والاختراع فوجب إخراج ما استعاره من معاني الناس؛ فوجب من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحتري أيضا من معاني الشعراء، ولم أستقص بابَ البحتري، ولا قصدت الاهتمام إلى تتبعه؛ لأن أصحاب البحتري ما ادعوا ما ادعاه أصحاب أبي تمام، بل استقصيت ما أخذه من أبي تمام خاصة؛ إذ كان من أقبح المساوي أن يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحتري من أبي تمام، ولو كان عشرة أبيات، فكيف والذي أخذه منه يزيد على مائة بيت؟. فأما مساوي البحتري – من غير السرقات– فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بشيء يكون بإزاء ما أخرجته من مساوي أبي تمام في سائر الأنواع التي ذكرتها، فلم أجد في شعره – لشدَّة تحرزه، وجَوْدة طبعه، وتهذيب ألفاظه – من ذلك إلا أبياتا يسيرة أنا أذكرها عند الفراغ من سرقاته، فإن مرَّ بي شيء منها ألحقته به، إن شاء الله تعالى.

سرقات البحتري

1 – قال:

يُخْفِي الزُّجاجَةَ لَوْنُها فَكَأَنَّها فِي الْكأْسِ قائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنـاءِ[1]

أخذه من قول على بن جبلة حيث يقول:

كـأَنَّ يَـدَ النَّدِيمِ تُـدِيرُ مِنْها شُعاعًا لا يُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ[2]

2 – وقال البحتري:

كالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الأَصْيَدِ[3]

أخذه من قول بَشَّار[4]:

خَلَفُوا قَـادَةً فَكانُوا سَـوَاءَ كَكُعُوبِ الْقَناةِ تَحْتَ السِّنانِ

[و] أخذه أبو تمام فقال:

جَمَعْتَ عُرَى أَعْمالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كما ضَمَّ الأنابيبَ عامِلُ[5]

---

(1) قدتقدم ذكر هذا البيت، وللمؤلف احتجاج طويل في تصحيح معناه (انظر ص 25 ومابعدها من هذا الكتاب.

(2) ارجع إلى (ص 30 من هذا الكتاب).

(3) البيت من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبي (الديوان: 1 – 171) وفيه «خلف السنان الأصيد» وقبل هذا البيت – مما يوضح معناه – قوله:

مـزقـت أنـفـسـهـم بـقـلـب واحـد جمعت قـواصـيـه وسـيـف أوحـد

فـي فـتـيـة طـلـبـوا غـبـارك؛ إنـه كـرم تـرفـع مـن طـريـق الـسـؤدد

والفقرة – بكسر فسكون – في الأصل: حلية تصاغ على شكل فقار الظهر، شبه كعوب قناة الرمح به، ويقال: هذا الرمح كعب واحد، إذا كان مستوي الكعوب. وسنان الرمح – بزنة الكتاب – طرفه، يريد أن هؤلاء الفتية ينقادون لأمره ويخضعون لإرادته، فهو منهم بمنزلة السنان من الكعوب.

(4) ذكر في الصناعتين (148) أن أبا تمام أخذ بيته من قول الحبال الربعى:

أولـئـك إخـوان الـصـفـاء رزئتهم فـمـا الـكـف إلا إصـبـع ثـم إصبع

(5) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان 257) وفيه «جمعت عرى آماله» والأنابيب: جمع أنبوبة، وهي الكعب من كعاب القناة، والعامل من الرمح: ما يلي السنان، وهو دون الثعلب. وانظره في الصناعتين (148).

3 – وقال البحتري:

أَعْطَيْتَنِى حَتَّى حَسِبْتُ جَزِيلَ مَا أَعْطَيْتَنِيهِ وَدِيعَةً لَمْ تُوهَبِ[1]

أخذه من قول الفرزق:

أَعْطانِيَ الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي أَوْ قُلْتُ أُعْطِيتُ مالا قَدْ رَآهُ لَنا

وبيت البحتري أجود

4 – وقال البحتري[2]:

أُرَدُّ دُونَــكِ يَقْظانًا وَيَــأْذَنُ لِي

عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنانا

أخذه من قول قَيْس بن الْخَطِيم:

مَا تَمْنَعِي يَقْظى فَقَدْ تُؤتِينَهُ في النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ[3]

5 – وقال البحتري:

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّماحَ مَخَاصِرًا إذا زَعْزَعُوهَا والدُّرُوعَ غَلائِلا[4]

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الْفَقْعَسِيّ، ولعله منه أخذه:

وَلَا لاقيا كَعْبَ بْنَ عَمْرٍو يَقُودهُمْ أَبُو دهشم نسجَ الْحَدِيدَ ثِيَابَا

6 – وقال البحتري:

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان: 1 – 20).

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع بمصر، يريد أنه يرى حبيبته ويتمتع بها في الأحلام والرؤى وسيذكره المؤلف في أثناء الكلام على ما أخطأ فيه البحتري من المعاني.

(3) في قصيدة لقيس أولها قوله:

أنـى سـربـت وكـنـت غـيـر سـروب وتـقـرب الأحـلام غـيـر قـريـب

وانظر ديوانه (ص 5 المطبوع في ليبزج 1914م) والمصرد: القليل.

(4) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 2 – 213) وكان في الأصول «محاصرا» بالحاء مهملة، وهو تحريف. والمخاصر: جمع مخصرة – بكسر الميم وسكون الخاء– وهي السوط وكل ما أمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها، وزعزعوها: حركوها، والغلائل: جمع غلالة، وهي شعار يلبس تحت الثوب. والمراد أنهم لا يتركون الحرب؛ فكأن أداة الحرب ولبوسها من كثرة ما اعتادوها أشياء من مألوف اللباس والحلي.

كوعول الهضَابِ رُحْنَ وَمَا يَمْـ ـلِكْنَ إِلَّا صُمَّ الرِّمَاح قُرُونا[1]

وهذا من نوادر المعاني، وما عُرف مثله إلا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمي، ولعله منه أخذه:

تَرَى غَايَةَ الْخَطِّيِّ فَوْقَ بُيُوتِهِمْ كماأَشْرَفَتْفَوْقَالصِّوَارِقُرُونُها[2]

7 - وقال البحتري:

يَنالُ الْفَتَى ما لَمْ يُؤَمِّلْ وَرُبَّمَا أَتَاحَتْ لَهُ الأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَاذِرِ[3]

أخذه من قول الآخر، وأنشده ثَعْلَبٌ:

وَحَـذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِي لَمْ يَلْقَنِي، وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَحْذَرِ

8 - وقال البحتري:

وَإِذا الأَنْفُسُ اخْتَلَفْنَ فَمَا يُغْـ ـنِي اتِّفَاقُ الأَسْمَاءِ وَالأَلْقَابِ[4]

أخذه من قول الفرزدق:

وَقَدْ تَلْتَقِي الأَسْمَاءُ في النَّاسِ وَالْكُنَى
كَثِيرًا وَلكِنْ فُـرِّقُـوا فِـي الْخَلائِقِ

9 - وقال البحتري:

لَمْ تَخْطُ بَابَ الدِّهْلِيزِ مُنْصَرِفًا إِلَّا وَخَلْخَالُها مَعَ الشَّنَفِ[5]

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان: 2 - 283) وهو في وصف الفرسان والخيل، والوعول: جمع وعل، وهو تيس الجبل.

(2) الغاية: الراية، قال أبو عبيد: نقول: غييت غاية، وأغييت، إذا نصبتها، والخطى: المنسوب إلى الخط، والمراد به الرمح، وأشرفت: أراد به ظهرت ونجمت، والصوار -بكسر الصاد، بزنة الكتاب - القطيع من بقر الوحش، وقال الشاعر:

إذا لاح الصـوار ذكـرت ليلى وأذكـرهـا إذا نـفـح الـصـوار

(3) هو من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الله بن طاهر، ويرثي طاهر بن عبد الله بن طاهر والحسين بن طاهر عم محمد بن عبد الله بن طاهر الممدوح (الديوان: 2 - 17) وأتاحت: هيأت، والأقدار: جمع قدر، يعني يأتيه الخوف من حيث لا يرتقب، وهو كقولهم: الحين قد يسبق جهد الحريص.

(4) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان: 1 - 72) وفيه «وإن الأنفس».

(5) من قصيدة له يهجوفيها ابن أبي قماش (الديوان: 2 - 118) والشنف: القرط إذا كان في أعلى الأذن، وأصله بفتح الشين وسكون النون، فحرك نونه لإقامة الوزن، وأراد أن رجليها تصير إلى جانب أذنيها، وهي كناية.

أخذه من قول أبي نُوَاس:

* قَــدْ جَــمَــعُــوا آذانَـــــهُ وَعَـــقْــبَــهُ *

10 – وقال البحتري:

وَلَسْتُ أعْجَبُ مِنْ عِصْيانِ قَلْبك لِي
عَمْدًا إذا كانَ قَلْبِي فِيكِ يَعْصِينِي[1]

أخذه من قول حُسَين بن الضحاك الخليعِ:

وَتَطْمَعُ أنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سُعْدَى وَتَزْعُمُ أنَّ قَلْبكَ قَدْ عَصَاكا

وبيت البحتري أجود.

11 – وقال محمد بن وهيب:

هَلِ الدَّهْرُ إلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي وَشِيكا وَإلَّا ضِيقَةٌ تَتَفَرَّجُ

أخذه البحتري فقال:

هَلِ الدَّهْرُ إلَّا غَمْرَةٌ وَانْجلاؤهَا وَشِيكًا وَإلَّا ضِيقَةٌ وَانْفِرَاجُهَا[2]

12 – وقال في وصف الذئب:

فأَتْبَعْتُها أُخْرَى وَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ[3]

وقال في هذا المعنى:

قَوْمٌ تَرَى أرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِتْمَانِ[4]

---

(1) من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله بن حمدون ويعاتبه (الديوان 2 -- 295) وكان في أصول الكتاب «عصيان قلبك لي عمرا» وهو تحريف صوابه عن الديوان.

(2) من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان: 1 – 103).

(3) الديوان (1 – 186) وفيه «فأضللت» وقبله – مما يتضح به المعنى – قوله:

عـوى ثـم أقعى فـارتـجـزت فهجته فأقبل مثل الـبـرق يتبعه الرعد
فـأوجـرتـه خـرقـاء تحسب ريشها على كوكب ينقض والليل مسود
فـمـا ازداد إلا جـرأة وصـرامـة وأيـقـنـت أن الأمـر منه هـو الجد

(4) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع.

أخذه من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ[1]

إلا أن قول عمرو «والطاعنين مجامع الأضغان» في غاية الجودة والإصابة؛ لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب.

13 - وقال البحتري:

إِلَى فَتًى يُتْبِعُ النُّعْمى نَظائِرَهَا كالْبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجًا بِأَمْوَاجِ[2]

أخذه من قول أبي دَهْبل الجمحي:

وَلَيْلَةٍ ذاتِ أَجْـرَاسٍ وَأَرْوِقَـةٍ كالْبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجًا بِأَمْوَاجِ

وهذا إنما أراد قول امرئ القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِـأَنْـوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

14 - وقال البحتري:

مُـحَـرِّكًـا رَأسَـــه تَـوَهُّـمُـهُ مِنْ عَطْسَةٍ قائِمًا عَلَى شَرَفِ[3]

يشبه قول الآخر:

كــأَنَّ أبــا الشميّ إذا تَغَنَّى يُحاكِي عَاطِسًا فِي عَيْنِ شَمْسِ

15 - وقال البحتري:

سَقَمٌ دُونَ أعْيُنٍ ذاتِ سُقْمِ وَعَذابٌ دُونَ الثَّنايَا الْعِذَابِ[4]

---

(1) انظره في معاهد التنصيص (260 بولاق)، وفيه «أبيض مخذم».

(2) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن كنداج (الديوان : 1 - 104).

(3) من قصيدته في هجاء ابن أبي قماش التي قريبا بعض أبياتها (281) ورواية البيت في الديوان (2 - 119) هكذا:

مــحــرك رأســـه تــوهــمــه قــد قــام مــن عطسة عــلـى شـرف

(4) هو ثالث بيت من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان 1 - 70) واللذان قبله قوله:

ما على الركب من وقـوف الركاب فـي مغاني الصبا ورسـم التصابي

أيـن أهـل الـقـبـاب بـالأجـرع الفر د؟ تـولـوا؟ لا أيـن أهـل القباب!

أخذه من قول بشار:

ذات الثَّنايا الْـعِـذَابِ مِـــنْ دُونِـــهِـــنَّ عَـــذَابُ

16 - وقال البحتري:

وَكـــأَنَّ فـي جِـسْـمي الَّــذِي فى نـاظِـرَيْـكَ مِـنَ الـسَّـقَـمْ[1]

أخذه من قول منصور بن الفرج:

حَــلَّ في جِسْمِيَ مَــا كا نَ بِــعَــيْــنَــيْــكِ مُقِيما

17 - وقال البحتري:

تَجِدْ بَدْرَ الدُّجَى يَدْنُو بِشَمْسٍ إلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ الْخُسْرُوَانِي[2]

أخذه من قول الخليع:

قَـمَـرٌ يَـحْـمِـلُ شَمْسًا مِنْ رَحِيقِ الْخُسْرُوَانِي

18 - وقال البحتري:

كـأَنَّ سُهَيْلًا شَخْصُ ظَمْآنَ جانحٍ
مَعَ الْأُفْقِ في نِهْيٍ مِنَ الأرْضِ يَكْرَعُ[3]

أخذه من قول محمد بن يزيد الحصني السلمي يصف النجوم:

حَتَّى إِذا مَا الْحُوتُ فِي حَــوضٍ مِنَ الـدَّلْـوِ كَـرَعْ

---

(1) من غزل قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان 2 - 224) وأولها قوله:

عـــن أي ثـــغـــر تـبـتـسـم وبـــأي طـــرف تـحـتـكـم

(2) من قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوي (الديوان: 2 - 278) وقبله - مما يوضح المعنى - قوله:

أغـادى أرجـوان الـراح صرفا عـلـى تـفـاح خـد أرجـوانـي
إذا مـالـت يـدي بـالـكـأس ردت بـكـف خـضـيـب أطـراف الـبـنـان
تـأمـل مـن خـلال الـشـك فانظر بعينك مـا شـربـت ومـن سقاني

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا عيسى بن صاعد (الديوان: 2 - 89) وكان في الأصول «شخص ظمآن جامع» وما أثبتناه عن الديوان.

19 - وقال البحتري:

قَوْمٌ إذا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَيَّرُوا كُمَمَ الرِّمَاحِ جَمَاجِمَ الأقْرَانِ[1]

أخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول:

يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ
وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِيجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ[2]

وأخذه مسلم من قول جرير:

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا
غَدَاةَ الْوَغَى تيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا[3]

20 - وقال البحتري[4]:

وَلِم لا أُغالِي بِالضِّياعِ وَقَدْ دَنَا عَلَيَّ مَدَاهَا وَاسْتَقامَ اعْوجاجُها[5]
إذا كانَ لِي تَرْبِيعُهَا وَاغْتِلالُها وكانَ عَلَيْكُمْ عُشْرُهَا وَخَراجُها[6]

أظنه - والله أعلم- حذا على قول شبيب بن البرصاء:

تَرَى إبل الْجَارِ الْغَرِيب كأَنَّمَا بمَكَّةَ بَيْنَ الأخْشَبَيْنِ مَرَادُهَا[7]
يَكُونُ عَلَيْهِ نَقْصُها وَضمَانُها وللجارِ، إِنْ كانَتْ تَزِيدُ، ازْدِيادُها

(1) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع بمصر، والكمم: جمع كمة -بضم الكاف- وهي قلنسوة لاطئة بالرأس على مقداره، و «كمم الرماح» مفعول ثان لصيروا.

(2) تقدم ذكر هذا البيت في سرقات أبي تمام.

(3) انظر هذا البيت في (62 من هذا الكتاب) أيضا.

(4) البيتان آخر قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان: 1 - 103).

(5) الضياع: جمع ضيعة - على مثال جفنة وجفان - والضيعة: الأرض التي لها غلة.

(6) تربيعها: تصييرها ذات ربع، أو أخذ ربعها، وكان في الأصول «توسيعها» وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الديوان، واغتلالها: أخذ غلتها، والعشر والخراج: ضريبة الأرض في الاصطلاح الحديث.

(7) الأخشبان: جبلان يكتنفان مكة، والمراد - بفتح الميم والراء- المصدر الميمي لقولك: راد يرود، إذا جاء وذهب، وأراد ترددها للرعي.

21 - وقال أبو صَخْر الهذلي:

أغَــرُّ أسـيـديٌّ تَــــرَاهُ كـأنَّــهُ ... إذا جَدَّ يُعْطِي مَالَهُ وَهْوَ لاعِبُ

أخذه البحتري فقال:

وَادِعٌ يَـلْـعَـبُ بِـالـدَّهْـرِ إِذا ... جَدَّ في أُكْرُومَةٍ قُلْتَ هَـزَلْ[1]

22 - وقال عبد الصمد بن المعذَّل:

ظَـبْـيٌ كـــأَنَّ بِـخَـصْـرِهِ ... مِـنْ رِقَّــةٍ ظَمَأً وَجُـوعَـا[2]

إنِّـي عَـلِـقْـتُ لِشِقْوَتي ... يَـا قَــوْمِ مَمْنُوعًا مَنِيعَا

أخذه البحتري فقال:

مِنْ غـادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَها ... وَلَوَ انَّهَا بُذِلَتْ لَنا لَمْ تَبْذُلِ[3]

فزاد على عبد الصمد بقوله «[لو] بذلت لنا لم تبذل».

23 - وقال البحتري:

سُلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ ... مُحْمَرَّةً فَكأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا[4]

وهذا مثل قول[5] الحسف بن السجف الضبى (؟) ويجوز أن يكون أخذه منه:

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر الطائي (الديوان: 2 - 182) وقبله - مما يتصل به معناه- قوله:

أتــصــدى لــلــتـفـاريـق، ولـو ... أبـت قـومـي لتصدت لـي الجمل

كـبـنـى مـخـلـد الـغـر الألـى ... رد مـعـروفـهـم الـنـاس خـول

أو أبــي جـعـفـر الـطـائـي إذ ... يـتـمـادى مـعـطـيـا حـتـى يمل

(2) روى أولهما في ديوان المعاني (1 - 251) ولم ينسبه إلى قائل.

(3) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع بمصر.

(4) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان: 1 - 63) والبيت من أبيات يصف فيها الخرمية والإيقاع بهم، وقبله - مما يوضح معناه - قوله:

نـاهـضـتـهـم والـبـارقـات كأنها ... شـعـل عـلـى أيـديـهـم تتلهب

ووقـفـت مشهور الـمـقـام كريمه ... والبيض تطفو في الغبار وترسب

مـا إن تـرى إلا تـوقـد كـوكـب ... فـي قـونـس قـد غـار فيـه كوكب

فـمـجـدل ومـرمـل ومـوسـد ... ومـضـرج ومـضـمـخ ومـخـضـب

(5) لم يتم لنا - مع كثير المراجعة - تحقيق هذا الاسم، ولا صدر البيت المنسوب إليه.

ففرقت بين أنثى هميم (؟) بطَعْنَةٍ لَها عانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إزارا

قوله «لها عاند» يريد الدم

24 - وقال عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي:

وإنِّي لَيَدْعُونِي لِأنْ أَسْتَزِيدَها فُؤَادِي وَأَخْشَى سُخْطَها وَأَهَابُها

ونحوه قول البحتري، ويجوز أن يكون أخذه منه:

وَعَتَبْتِ مِنْ حُبِّيكِ حَتَّى إِنَّنِي أَخْشَى مَلامَكِ أَنْ أَبُثَّكِ مَا بِي[1]

25 - وقال أبو نُوَاس:

بُحَّ صَوْتُ الْمالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

أخذه البحتري فقال:

فَكَمْ لَكَ في الأمْوَالِ مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ
طَويلٍ مِنَ الأهْوَالِ فِيهِ عَويلُها[2]

26 - وقال جابر بن السليك الهمداني:

أرْمِي بِهَا اللَّيْلَ قُدَّامِي فَيَهْشِمُ بي إذ الْكَوَاكِبُ مِثْلُ الأعْيُنِ الْحُولِ

أخذه البحتري فقال:

وَخَدَانُ الْقِلَاصِ حُولًا إذا قا بَلْنَ حُولًا مِنْ أَنْجُمِ الأسْحَارِ[3]

27 - وقال عُرْوة بن الْوَرْد:

مُطِلًّا عَلَى أعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بساحاتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ[4]
فَإِنْ بَعُدُوا لا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الغائِبِ الْمُتَنَظَّرِ

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا الخطاب الطائي (الديوان: 1 - 16).

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع بمصر.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد، ويستوهبه غلاما (الديوان: 2 - 24).

(4) انظر ديوان عروة (ص 78 وما بعدها، طبع الجزائر) والمطل: المشرف، يريد أنه يغزوهم أبدا، ويزجرونه: يصيحون به، والمنيح: قدح من قداح الميسر، يستعار فيضرب به ثم يرد إلى صاحبه، وقد تقدم ذكر ثاني هذين البيتين (انظر ص 66 من هذا الكتاب).

ألَم به البحتري فقال:

فتَرَى الأعَادِيَ ما لَهُمْ شُغُلٌ إلّا تَوَهُّمُ مَوْقِعٍ يَقمُهْ[1]

28 - وقال البحتري:

عَلَيَّ نَحتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِها وَما عَلَيَّ إذا لَمْ تَفْهَمِ الْبَقَرُ[2]

ذكر على بن يحيى المنجّم أن البيت للمجثم الراسبى، وكان شاعرا اتصل بمحمد ابن منصور بن زياد فكسب معه ألف درهم، فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكي فأساء صحبته، فهجاه، فقال:

شَتَّانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ حَيٌّ أَمَاتَ وَمَيِّتٌ أحْيانِي

فَصَحِبْتُ حَيًّا فِي عَطايا مَيِّتٍ وَبَقِيتُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْخُسْرَانِ

❋❋❋

فهذا ما مر بي من سرقة البحتري من أشعار الناس على غير تَتَبُّع فخرَّجتها، ولعلِّي لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات أبي تمام وتزيد عليها، وعلى أنني قد بيضت في آخر الكتاب، فمهما مرَّ بى شيء ألحقته به، إن شاء الله تعالى.

❋❋❋

وهذا ما أخذه البحتري من معاني أبي تمام خاصة[3]

مما نقلته من صحيح ما خَرَّجه [أبو] الضياء بشر بن تميم[4] الكاتب؛ لأنه استقصى ذلك استقصاءً بالَغَ فيه حتى تجاوز إلى ما ليس بمسروق، فكفانا مؤونة الطلب.

1 - قال أبو تمام:

فَسَوَاءٌ إجابَتِي غَيْرَ داعٍ وَدُعائِي بِالْقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ[5]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا عامر الخضر بن أحمد (الديوان: 2 - 83).

(2) من قصيدة له يمدح فيها علي بن مر الأرمني (الديوان : 2 - 43) وروايته فيه هكذا:

على نحت القوافي عن مقاطعها وما علي لهم أن تفهم البقر

(3) في أخبار أبي تمام (76 وما بعدها) جملة من سرقات البحتري من أبي تمام.

(4) وقع في الأصول هنا «الضياء بشر بن تمام» وقد مر ذكره.

(5) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن وهب (الديوان 36).

فقال البحتري:

وَسَأَلْتَ ما لا يَسْتَجِيبُ وَكُنْتَ فِي اسـ ـتِخْبَارِهِ كَمُجِيبِ مَنْ لا يَسْأَلُ[1]

2 – وقال أبو تمام:

فكادَ بأنْ يُـرَى لِلشَّرْقِ شَرْقًا وَكادَ بأَنْ يُرَى لِلْغَرْبِ غَرْبَا[2]

فقال البحتري:

فأكُون طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْـ ـأَقْصى وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ[3]

3 – قال أبو تمام:

وَإِذَا أَرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَها لِسانَ حَسُودِ[4]

فقال البحتري:

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إذا أنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْها بحَاسِدِ[5]

4 – وقال أبو تمام[6]:

فإنْ تكُنْ وَقْعَةٌ قاسَيْتَ سَوْرَتَها فالْوِرْدُ حِلْفٌ لِلَيْثِ الْغابَةِ الأَضِمِ[7]

إنَّ الرِّيَاحَ إذا ما أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عِيدانَ نَجْدٍ وَلَمْ يَعْبَأْنَ بِالرَّتَمِ[8]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 2 – 158) وفيه «وسألت من لا يستجيب» وما هنا أدق، وقبله – مما يؤيد ذاك – قوله:

أصـابـة بـرسـوم رامـة بـعـد ما عـرفـت معالمها الصبا والشمأل

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع.

(3) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان: 1 – 20) وقبله مما يتضح به المعنى قوله:

مـالـي ولـلأيـام صـرف صرفها حـالـي، وأكـثـر فـي الـبـلاد تقلبي

أمـسـى زمـيـلا لـلـظـلام، وأغـتـدي ردفـا على كفل الصباح الأشهب

(4) سبق ذكر هذا البيت (انظر ص 106 من هذا الكتاب).

(5) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان وابنه (الديوان: 1 – 136)

(6) من أبيات يقولها في مرض إلياس بن أسد (الديوان 315) وفيه «فإن يكن وصب عانيت سورته».

(7) الوصب: المرض، وسورته: شدته، والورد – بكسر الواو وسكون الراء – الحمى، وحلف– بكسر فسكون– حليف، والليث: الأسد، والأضم الغضبان، ووقع في الأصول محرفا «الأجم» يريد أن الحمى ملازمة للأسد.

(8) أعصفت: اشتدت، ونجد: شجر، والرتم: نبات.

فقال البحتري[1]:

فَلَسْتَ تَرَى شَوْكَ الْقَتادَةِ خائِفًا سَمُومَ الرِّياحِ الآخِذاتِ مِنَ الرُّنْدِ[2]
وَلا الْكَلْبَ مَحْمُومًا وَإِنْ طالَ عُمْرُهُ أَلَا إِنَّمَا الحميَّ عَلَى الأَسَدِ الْوَرْدِ[3]

5 – وقا أبو تمام:

رَأَيْتُ رَجائِي فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ[4]

فقال البحتري:

ثَنَى أَمَلِي فَاحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ وَالآمالُ فِيهِمْ مَطامِعُ[5]

6 – وَقال أبو تمام:

بِمُحَمَّدٍ وَمُسَوَّدٍ وَمُحَسَّدٍ وَمُكَفَّرٍ ومُمَدَّحٍ وَمُعَذَّلِ[6]

فقال البحتري:

ذاكَ الْمُحَمَّدُ وَالْمُسَوَّ دُ وَالْمُكَرَّمُ وَالْمُحَسَّدْ[7]

7 – وقال أبو تمام:

---

(1) أول البيتين لا يوجد في ديوانه المطبوع بمصر، وبوجد ثانيهما خامس خمسة أبيات (الديوان: 1 – 208) وفيه «وما الكلب محموما» وقبله في الديوان قوله:

ظللنا نعود المجد من وعكك الذي وجدت، وقلنا: اعتل عضو من المجد
ولـم ننصف الليث اقتسمنا نواله ولم نقتسم حماه إذ أقبلت تردى

(2) الرند – بضم فسكون – شجر طيب الرائحة من شجر البادية، ووقع في الأصول «الزند» وهو تحريف.

(3) الورد – بفتح فسكون– الأسد الذي لونه لون الورد الذي يشم.

(4) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان: 192).

(5) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان: 2 – 76).

(6) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 236) وهو بروايته مع بيت سابق عليه هكذا:

حـتـى تـقـر عـيـونـنـا وقـلـوبـنـا بـالـمـاجـد المستقبل المتقبل
بـمـحـمـد ومـكـنـد ومـحـسـد ومـسـود ومـمـدح ومـعـذل

(7) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان: 1 – 143) وروايته فيه هكذا:

ذاك الـمـرجـى والـمـبـجـ ـل والـمـؤمـل والـمـحـسـد

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجاؤُهُ   وَسَهَّلَتِ الأَرْضَ الْعَزَازَ رَكائِبُهْ(1)

فقال البحتري:

أَدارَ رَجاهُ فاغْتَدَى جَنْدَلُ الفَلا   تُرَابًا، وَقَدْ كانَ التُّرَابُ جَنادِلا(2)

8 – وقال أبو تمام:

رَافِـعٌ كَفَّهُ لِسَبْرِي فَما أَحْـ   ـسَبُهُ جاءَنِى لِغَيْرِ اللِّطامِ(3)

فقال البحتري:

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسِ انْـ   ـقباضِهِمُ أَوَعْـدٌ أَمْ وَعِيدُ(4)

9 – وقال أبو تمام:

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَـدْوَاهُ أَحْلَى   عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ(5)

فقال البحتري:

نَشْوَان مِنَ طَرَبِ السُّوالِ كَأَنَّما   غَنَّاءُ مَالِكُ طَيِّئٍ أَوْ مَعْبَدُ(6)

10 – وقال أبو تمام:

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ   فـإذا لَقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْـمَـارُ(7)

فقال البحتري:

مَلِكٌ لَـهُ فِي كُـلِّ يَـوْمِ كَرِيهَةٍ   إِقْـدَامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مُجَرِّبِ(8)

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان 45)، وفيه «وسهلت الأرض العرار كتائبه» تصحيف «العرار». والعزاز –بفتح العين المهملة والزاى، بزنة السحاب – الأرض الصلبة.

(2) من قصيدة له يمدح فيه محمد بن يوسف (الديوان: 2 – 213) والجندل ههنا: الصخر.

(3) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن نصر (الديوان 283) وفيه «رافعا كفه» والسبر – بفتح السين وسكون الباء – الاختبار، واللطام – بكسر اللام– المضاربة على الخد.

(4) من كلمة يقولها لرجل من أهل نصيبين (الديوان: 1 – 172).

(5) من قصيدة له يمدح فيها ابن أصرم (الديوان 194) وفيه «ونغمة معتف يرجوه» والمعتفي: السائل.

(6) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب (الديوان : 1 – 176) وفيه «نشوان يطرب للسؤال».

(7) من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 148) وقد تقدم ذكر هذا البيت.

(8) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان: 1 – 20) وفيه «إقدام ليث» وليس بشيء.

11 – وقال أبو تمام:

لا الْمَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزْكُو في مَقاوِمِهِ يَوْمًا ولا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ[1]

فقال البحتري:

إنْ أَغْفَلُوا حُجَّةً لم يُلْفَ مُستَرِقًا لَهَا وإِنْ يَهِمُوا في القَوْلِ لَمْ يَهِمِ[2]

12 –وقال أبو تمام:

مَجْدٌ رَعَى تَلَعاتِ الدَّهْرِ وَهْوَ فَتَى حَتَّى غَدا الدَّهْرُ يمْشِي مِشْيَةَ الْهَرِمِ[3]

فقال البحتري:

صَحِبُوا الزَّمَانَ الفَرْطَ إلّا أَنَّهُ هَرِمَ الزَّمَانُ وعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمِ[4]

13 – وقال أبو تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالْوَرَى مَعِي وإذا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي[5]

فقال البحتري:

أَأَشْكُو نَداهُ بَعْدَ أنْ وَسِعَ الْوَرَى ومَنْ ذا يَذُمُّ الغَيْثَ الّا مُذَمَّمُ[6]

14 – وقال أبو تمام:

الْبِيدُ وَالعِيسُ واللَّيْلُ مَعًا ثَلاثَةٌ أبدًا يُقْرَنّ فِي قَرَنِ[7]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات (الديوان 49) وفيه «ولا حجة الملهوب» ويزكو: يروج، والمقاوم: جمع مقام، والملهوب: المتهيج.

(2) من قصيدة يمدح فيها عبد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان: 2 – 265) ويهموا: مضارع وهم، إذا اعتراه الوهم، وأراد به ههنا الخطأ.

(3) من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان 269) والتلعات: جمع تلعة، وهي المجرى من أعلى الأرض إلى بطن الوادي، ويقال: هي ما ارتفع من الأرض وما انخفض أيضا؛ فهي من الأضداد.

(4) من قصيدة يمدح فيها الهيثم الغنوي (الديوان: 2 – 232)

(5) من قصيدة له يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقى ويعتذر إليه (الديوان 129) وانظر أيضا في معاهد التنصيص في شواهد المقدمة.

(6) آخر قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان: 2 – 227).

(7) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن على بن مرة (الديوان 334) وقد تقدم ذكر هذا البيت.

فقال البحتري:

أُطْـلـبـا ثـالِـثًـا سِـــوايَ فـإِنِّـي   رَابِعُ العِيسِ والدُّجى والبِيدِ[1]

15 – وقال أبو تمام:

وما نَفْعُ مَنْ قَدْ باتَ بالأمْسِ صَادِيًا   إِذا مَا السَّماءُ اليَوْمَ طالَ انْهِمَارُهَا[2]

فقال البحتري:

واعْلَمْ بأنَّ الغَيْثَ لَيْسَ بِنافعٍ   لِلنَّاسِ ما لَمْ يَأتِ في إبَّانِهِ[3]

16 – وقال أبو تمام:

تكادُ مَغانيهِ تَهَشُّ عِراصُها   فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبِ[4]

فقال البحتري:

وَلَوَ انَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ ما   فِي وُسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمنبَرُ[5]

17 – وقال أبو تمام:

وكَيْفَ احْتمالِي لِلسَّحابِ صَنِيعَةً   بِإسْقَائِهَا قَبْرًا وفي لَحْدِهِ البحْرُ[6]

فقال البحتري:

مَـلْآنُ مِـنْ كَـرَمٍ فَلَيْسَ يَضُرُّهُ   مَرُّ السَّحَابِ عَلَيْهِ وهْوَ جَهامُ[7]

---

(1) من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان: 1 – 205) وقد تقدم ذكر هذا البيت مع بيت سابق عليه (انظر ص 64 من هذا الكتاب).

(2) من كلمة له يعاتب فيها ابن أبي دؤاد (الديوان 399) ووقع في أصول الكتاب «وما نفع من قد مات بالأمس» وتصويبه عن الديوان، وفيه «إذا ما سماء اليوم».

(3) من قصيدة له يعاتب فيها الحسن بن وهب (الديوان: 2 – 315).

(4) من قصيدة له يمدح فيها أبادلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 41) والمغاني: جمع مغنى، وهو المنزل، وتهش: تظهر السرور، والعراص –بكسر العين– جمع عرصة، وهي فناء الدار.

(5) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله ويذكر خروجه ليوم الفطر (الديوان: 1 – 212).

(6) من قصيدة له يرثي فيها بني حميد (الديوان 370) وقد تقدم ذكر البيت في سرقات أبي تمام.

(7) من قصيدة له يرثي فيها أبا سعيد (الديوان: 2 – 257) وقبله – مما يتصل به المعنى – قوله:

يا صاحب الحدث المقيم بمنزل   ما للأنيس بحجرتيه مقام

ولقد تكسر فوقه سمر القنا   من لوعة وتشقق الأعلام

18 – وقال أبو تمام:

فَلْيَشْكُرُوا جنْحَ الظَّلامِ وَدروزًا   فَهُمُ لـدروزَ والظَّلامِ مَوَالِي[1]

فقال البحتري:

نَجاوَهْوَمَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُفَضْلهَا   عَلَيْهِ ومَنْ يُول الصَّنِيعَةَ يَشْكُرِ[2]

19 – وقال أبو تمام:

أَنْتَ الْمُقِيمُ فَمَا تعْدُو رَوَاحِلُهُ   وَعَزْمُهُ أبدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرِ[3]

فقال البحتري:

مُـسـافِـرٌ وَمَـطـايـاهُ مُحَلَّلَةٌ   غُرُوضُها وَمُقِيمٌ وَهْوَ مُرْتَحِلُ[4]

20 – وقال أبو تمام:

وَتُشَرِّفُ الْعَلْيا، وَهَلْ بِكَ مَذْهَبٌ   عَنْها وَأَنْتَ عَلَى الْمَكارِمِ قَيِّمُ؟[5]

فقال البحتري:

مُتَقَلْقِل الْعَزَماتِ في طَلَبِ الْعُلا   حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْمَكارِمِ قَيِّمَا[6]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم ويذكر أخذه لبابك الخرمي (الديوان 262) وقبله – مما يتصل بالمعنى – قوله

لـولا الـظـلام وقـلـة عـلـقـوا بها   بـاتـت رقـابـهـم بـغـيـر قـلال

والقلة: أعلى الجبل كالقنة، والقلال: جمع قلة، وأراد بها رءوسهم، ودروز: اسم رجل، وموالي: عبيد

(2) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن دينار بن عبد الله ويصف مركبا كان اتخذه وهو والي البحر وغزا فيه بلاد الروم (الديوان: 2 – 24) وفيه «مضى وهو مولى» وقبله – مما يتصل بمعناه – قوله:

وكنت ابن كسرى قبل ذاك، وبعده   مليا بـأن تـوهـى صـفـاة ابـن قيصر

جدحت له الموت الـذعـاف فعافه   وطـار على ألـواح شطب مسمر

(3) آخر كلمة له يعاتب فيها الحسن بن وهب بسبب غلامه (الديوان 400) وفيه «فما تغدو رواحله» و «وفعله أبدا».

(4) من قصيدة له يمدح فيها محمد يوسف (الديوان: 2 – 216).

(5) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق حين عزل من الجزيرة (الديوان 275) والقيم على الشيء: الذي يتولى شؤونه.

(6) من قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابني المدبر (الديوان: 2 – 240) وقبله – مما يتصل به معناه – قوله:

إنـي وجـدت لأحـمـد بـن محمد   خلقا إذا خـنـس الـجـبـان تقدما

21 – وقال أبو تمام:

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَـرْقٌ وَغَـرْبٌ لِقاصِدِ
وَلا الْمَجْدُ في كَفِّ امْرِئٍ وَالدَّرَاهِمُ[1]

فقال البحتري:

لِيَفِرْ وَفْـرُكَ الْـمُـوَفَّـى وَإِنْ أعْوَزَ أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهْ[2]

22 – وقال أبو تمام:

فوقَّرْتَ يَافُوخَ الْجَبَانِ عَلَى الرَّدَى
وَزِدْتَ غَدَاةَ الرَّوْعِ في نَجْدَةِ النَّجْدِ[3]

فقال البحتري:

وَيَـغْـدُو وَنَـجْـدَتُـهُ في الْوَغَى تُـــدَرِّبُ نَـجْـدَاتِ فُـرْسـانِـهِ[4]

23 – وقال أبو تمام:

ما زالَ وَسْوَاسِي لِعَقْلِي خادِعًا حَتَّى رَجا مَطَرًا وَلَيْسَ سَحَابُ[5]

فقال البحتري:

وَعَجِيبٌ أَنَّ الْغُيُومَ يُرَجِّيهِنَّ مَـنْ لا يَـرَى مَكانَ الْغُيُومِ[6]

(1) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 286) وقبله قوله:

جـزى الـلـه كفا ملئها مـن سعادة سعت في هـلاك المال والمال تائم

(2) من قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان: 2 – 31) وفيه «ليفر وفرك الملتقى».

(3) من قصيدة له يمدح فيها حفص بن عمر الأزدى (الديوان 132) وكان في الأصول «ووفرت يافوخ الجبال» وهو تحريف تصويبه عن نسخ الديوان. ووقرت: ثبت، واليافوخ: ما بين عظم الجبهة والجدارين من الرأس، والمراد بهذه العبارة أنه شجع الجبان على اقتحام الأهوال، والردى: الهلاك، والنجد: الشجاع ، يعني أنه كان مثيرا للجبان حتى شجع ومعينا للشجاع ليزداد في إقدامه.

(4) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن سليمان بن أخت أبي الصقر (الديوان 2 – 305) والوغى: الحرب.

(5) من قصيدة له يهجو فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 488).

(6) من قصيدة له يمدح فيها يونس الكاتب. كاتب أحمد بن إبراهيم (الديوان: 2 – 269).

24 – وقال أبو تمام:

بِكُلِّ صَعْبِ الذُّرَى مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظٍ
أَقَـامَ مُـتَّـئِـدًا أمْ سَـارَ مُـعْـتَـزِمَـا(1)

فقال البحتري:

لا يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوْفِي صَرِيمَتَهُ أَقَـامَ مُتَّئِدًا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمَا(2)

25 – وقال أبو تمام:

لَـرَدَدْتُ تُحْفَتَهُ عَلَيْهِ وإِنْ عَلَتْ عَنْ ذاكَ وَاسْتَهْدَيْتُ بَعْضَ خِصَالِهِ(3)

وقال أبو تمام أيضا:

وَانْفَحْ لَنا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً إِنْ كانَتِ الأَخْلاقُ مِمَّا تُؤهَبُ(4)

فقال: البحتري:

لا تَسَلْ رَبَّـكَ الْكَثِيرَ وَسَلْهُ خَصْلَةً تَسْتَفِيدُهَا مِنْ خَصَالِهْ(5)

26 – وقال أبو تمام:

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبي (الديوان – 302) وفيه «إن حل متئدا» وقبله – مما يتصل بالمعنى – قوله:

ويـوم خـيـزج والألـبـاب طـائـرة لو لم تكن حامي الإسلام ما سلما
أضحكت منهم ضباع القاع ضاحية بعد العبوس وأبكيت السيوف دما

والألباب: جمع لب، وهو العقل، والقاع: الأرض السهلة اللينة، وضاحية: بارزة للشمس. والذرى: جمع ذروة، وهي أعلى الشيء، ومتئدا: متمهلا متأنيا، والمعتزم: الذي صحت عزيمته.

(2) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان : 2 – 259) وفيه «يستوفي عزيمته» و «أو سار».

(3) من كلمة له يمدح فيها عبد الحميد بن غالب (الديوان 239) وروايته مع بيت سابق عليه هكذا:

لـو كـان يـهـدي لامـرئ مـا لا يرى يـهـدي لـعـظـم فـراقـه وزيـالـه
لـــرددت تـحـفـتـه عـلـيـه معجلا إذ ذاك واستهديت بعض خصاله

(4) البيت آخر بيت في قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 40) وانفح – بالحاء المهملة، ووقع في الأصول بالخاء المعجمة محرقا – أي أعط، والنفحة: العطية، والخيم –بكسر الخاء – الطبيعة والسجية، وأراد بها هنا الأخلاق.

(5) من قصيدة له يمدح فيها بعض بني حميد (الديوان: 2 – 201) وفيه «لا تسل ربك الخطير».

غَرِيبَةٌ تُؤْنِسُ الْآدابَ وَحْشَتُها فَمَا تَحُلُّ عَلَى قَوْمٍ وَتَرْتَحِلُ[1]

فقال البحتري:

ضَوَارِبَ في الآفاقِ لَيْسَ بِنَازِحٍ بِهَا مِنْ محل أَوْطَنَتْهُ ارْتِحَالُها[2]

27 - وقال أبو تمام:

كأنما خامَرَهُ أَوْلَقٌ أَوْ غازَلَتْ هامَتَهُ الْخَنْدَرِيسْ[3]

فقال البحتري:

وَتَخَالُ رَيْعانَ الشَّبابِ يَرُوعُهُ مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ[4]

28 - وقال أبو تمام:

حَمْدٌ حُبِيتَ بِهِ وَأَجْرٌ حلَّقَتْ مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مغْرِبُ[5]

فقال البحتري:

فأَنْتَ تُصِيبُ الْحَمْدَ حَيْثُ تَلَأْلَأَتْ
كَوَاكِبُهُ إنْ أَنْتَ لَمْ تُصِبِ الأَجْرا[6]

---

(1) البيت آخر بيت في قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان 229) وفيه «فترتحل» وهو في وصف قصيدته وشعره، وقبله - مما يتضح به معناه - قوله:

قد جاء من وصفك التفسير معتذرا بالعجز إن لم يغثنى الله والجمل
لقد لبست أمير المؤمنين بها حليا نظاماه بيت سار أو مثل

(2) من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم المدبر (الديوان: 2 - 175) وهو في وصف شعره، وقبله- مما يوضح معناه -قوله:

ونبئتك استبطأت شكري لأنعم تتابع عندي سيبها ونوالها
فكيف وقد سارت غرائب لم يزل يفوت فعال المنعمين مقالها

ورواية البيت في الديوان «ضوارب في الآفاق ليس ببارح».

(3) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء ويطلب منه فرسا (الديوان 179) وخامره: خالطه، والأولق: شبه الجنون، وهامته: رأسه، والخندريس: الخمر.

(4) لم أجد هذا البيت في ديوانه المطبوع بمصر.

(5) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان 42) وحبيت: أعطيته، والعنقاء: حيوان لا وجود له.

(6) من كلمة له كتبها إلى محمد بن علي القمي (الديوان: 2 - 35) وكان محمد قد كتب إلى البحتري ببيت، وهو:

هجرت كأن الوصل أعقب هجرة وما خلت وصلا قبلها يعقب الهجرا

29 –وقال أبو تمام:

تُدْعَى عَطاياهُ وَفْرًا وَهْيَ إِنْ شُهِرَتْ　　　كانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَعْفُوهُ مُؤْتَنِفَا(1)

فقال البحتري:

وإذا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ　　　يَهَبُ الْعُلى في سَيْبِهِ الْمَوْهُوبِ(2)

30 – وقال أبو تمام:

وَتَلْبَسُ أَخْلاقًا كِرَامًا كَأَنَّهَا
عَلَى الْعِرْضِ مِنْ فَرْطِ الْحَصَانَةِ أَدْرُعُ(3)

فقال البحتري:

قَوْمٌ إذا لَبِسُوا الدُّرُوعَ لِمَوْقِفِ　　　لَبِسُوا مِنَ الأحْسَابِ فِيهِ دُرُوعَا(4)

31 – وقال أبو تمام:

لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحَتْ　　　تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهْيَ شُهُودِي(5)

فقال البحتري:

وَمُعْتَرِضُونَ إِنْ حاوَلْتُ أَمْرًا　　　بِهِمْ شَهِدُوا عَلَيَّ وهُمْ شُهُودِي(6)

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 201) والوفر: الكثير، ويعفوه: يسأله ويطلب رفده، ومؤتنفا: معيدا، يريد أن السائل ليست هذه أولى استمناحاته منه.

(2) من قصيدة له يمدح فيها يعقوب بن إسحاق النوبختي (الديوان: 1 – 57) وفيه «يهب العلي في نيله» وسيبه: عطاؤه، ومثله في المعنى «نيله» واجتداه: طلب جدواه، وهي العطاء.

(3) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 2 – 85) وروايته في الديوان هكذا:

قوم إذا لبسوا الدروع لموقف　　　لبستهم الأعراض فيه دروعا

وأحسبه أدل على الأخذ من معنى أبي تمام مما حكاه المؤلف.

(4) من قصيدة له يرثي فيها بني حميد (الديوان 373) وقبله – مما يتصل بمعناه – قوله:

ألم تك ترعانا من الدهر إن سطا　　　وتحفظ من أموالنا ما يضيع

(5) من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 84) وبعده – مما يتصل بالمعنى – قوله:

من بعد ما ظنوا بأن سيكون لي　　　يوم ببغيهم كيوم عبيد
أمنية ما صادفوا شيطانها　　　فيها بعفريت ولا بمريد
نزعوا بسهم قطيعة يهفو به　　　ريش العقوق فكان غير سديد
وإذا أراد الله نشر فضيلة　　　طويت أتاح لها لسان حسود

(6) من قصيدة له يعاتب فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان: 1 – 198) وفيه «ومعترضين إن عظمت أمرا».

32 – وقال أبو تمام:

أَنْضَرَتْ أَيْكَتِي عَطاياكَ حَتَّى　　صارَ ساقًا عُودِي وكانَ قضِيبَا[1]

فقال البحتري:

حَتَّى يعُودَ الذِّئْبُ لَيْثًا ضيْغَمًا　　والْغُصْنُ سَاقًا والْقَرَارَةُ نِيقَا[2]

33 – وقال أبو تمام:

* فَـمَـا تَـصْـطَـادُ غَـيْـرَ الـصـيـد[3]

فقال البحتري:

* وتـصـطـاد الـفـوارس صـيـدهـا[4]*

34 – وقال أبو تمام:

الْآنَ حِينَ غَرَسْتُ فِي كَرْمِ النَّدَى　　تِلْكَ الْمُنَى وَبَنَيْتُ فَوْقَ أساسِ[5]

فقال البحتري:

غُفْلُ الرِّجالِ بَنَوْا عَلَى جَدَدِ الثَّرَى　　لمَّا بَنَوْا وَبنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ[6]

35 – وقال أبو تمام:

فَعَلامَ الصُّدُودُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ　　والصُّدُودُ الْفِراقُ قَبْلَ الْفِراقِ[7]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان 28) والأيكة: الشجرة، وأنضرتها: جعلتها ناضرة شديدة الخضرة، والساق: جذع الشجرة الخضراء، والقضيب: الغصن الذي قطع فيبس.

(2) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 2 – 147) والليث: الأسد، وأراد بالضيغم المفترش، والساق والغصن: تقدم شرحهما في بيت أبي تمام. والقرارة: القاع المستدير، وهو المستوي من الأرض، والنيق: أعلى مكان في الجبل.

(3) كذا في الأصول بغير تمام البيت، ولأبي تمام في هذا المعنى قوله من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد ابن يوسف (الديوان 109):

رجـا صـيـدا فـردتـه الـمـنـايـا　　إلـى أنـيـاب مـقـتـنـص الأسـود

(4) كذا وقع في أصول الكتاب بغير تكملة.

(5) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم أمير المؤمنين (الديوان 175) وفيه «غرست في كرم الثرى»

(6) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك (الديوان 2 – 60) وروايته فيه هكذا:

فـإذا بني غفل الـرجـال بني على　　جـد بنيت عـلـى ذرى وأسـاس

(7) هو رابع أربعة أبيات له في الغزل (الديوان 453) والصدود: الهجر.

فقال البحتري:

عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى ... لَدَيَّ وَعِرْفَانَ الْمَشِيبِ هُوَ الْعَذْلُ[1]

36 – وقال أبو تمام:

وَفتًى إذا جَنَفَ الزَّمَانُ فَمَا يُرَى ... إِلَّا إِلى عَزَمَاتِهِ يَتَظَلَّمُ[2]

فقال البحتري:

وَلَوْ أَنْصَفَتْنِي سُرَّ مَرَّاءُ لَمْ أَكُنْ ... إلى الْعِيس مِنْ قُطَّانِهَا أَتَظَلَّمُ[3]

37 – وقال أبو تمام:

مِنْ دَوْحَةِ الْكَلِمِ الَّذِي لَمْ يَنْفَكِكْ ... وَقْفًا عَلَيْكَ رَصِينُهُ مَحْبُوسا[4]

فقال البحتري:

وَلَكَ السَّلامَةُ والسَّلامُ فَإِنَّنِي ... غادٍ وَهُنَّ عَلَى عُلاكَ حَبائِسُ[5]

38 – وقال أبو تمام:

وكَـذَاكَ لَمْ تُفْرِطْ كآبَة عاطِلٍ ... حَتَّى يُجاوِرَها الزَّمَانُ بِحَالِ[6]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله أمير المؤمنين ويذكر فيها حرب ربيعة وعفو المتوكل عنهم بواسطته (الديوان: 2 – 163) وفيه «هو النوى المشت وعرفان».

(2) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن حسان الضبي (الديوان 284) وفيه «وفتى إذا ظلم الزمان» وجنف: ظلم ومال.

(3) من كلمة له يقولها لعلي بن يحيى المنجم (الديوان: 2 – 59).

(4) هو ثاني بيت من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان 2 – 226) ووقع في الأصول محرقا «إلى العيش من أوطانها» والعيس –بكسر العين وآخره سين مهملة– جمع أعيس وهو الكريم من الابل وأراد بها الرجال الكرام.

(5) من كلمة له يقولها لعلي بن يحيى المنجم (الديوان: 2 – 59)

(6) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله ويذكر أخذه بابكا الحرمي (الديوان 260) وقبله– مما يتضح به المعنى– قوله:

فلأذربيجان اختيال بعد ما ... كانت معرس عبرة ونكال

سمجت، ونبهنا على استسماجها ... ما حولها من نضرة وجمال

والاختيال: الكبر، والمعرس: المنزل، والعبرة: الاعتبار، والنكال: العذاب وسمجت: قبحت، والنضرة: الحسن. وتفرط: تزيد وتكثر، والكآبة: الحزن، والعاطل: الخالي من المحاسن، والحالى: المتحلى، وهو مقابل العاطل.

فقال البحتري:

وَقَدْ زادَها إِفْرَاطَ حُسْنٍ جِوارها   خَلائِقَ أَصْفارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيَّبِ(1)

39 - وقال أبو تمام:

وما الْعُرْفُ بالتَّسْويفِ إِلَّا كَخُلَّةٍ   تَسَلَّيْتَ عَنْها حِينَ شَطَّ مَزارُها(2)

فقال البحتري:

وكُنْتُ وَقَدْ أَمَّلْتُ مُرًّا لِحَاجَتِي   كَطالِبِ جَدْوَى خُلَّةٍ لا تُواصِلُ(3)

40 - وقال أبو تمام:

آسادُ مَوْتٍ مُخْدِرَاتٌ ما لَها   إِلَّا الصَّوارِمَ وَالْقَنا آجامُ(4)

فقال البحتري:

حُشِدَتْ حَوْلَها سِباعُ الْمَوالِي   وَالْعَوالِي غابٌ لِتِلْكَ السِّباعِ(5)

41 - وقال أبو تمام:

ولاذَتْ بِحقْوَيْهِ الْخِلافَةُ والْتَقَتْ   عَلَى خِدْرِها أَرْماحُهُ ومَناصِلُهْ(6)

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان: 1 - 50) ووقع في الأصول «من المجد خلب» وما أثبتناه عن الديوان، وقبل البيت- مما يتضح به المعنى - قوله:

فماذا يغر الحائنين وقد رأوا   ضرائب ذلك المشرفي المجرب
غرائب أخلاق هي الروض جاده   ملث العزالى ذو رباب وهيدب
فكم عجبت من ناظر متأمل   وكم حيرت من سامع متعجب

والأصفار: جمع صفر، وهو الخالي، والخيب: جمع خائب، يريد أن أخلاق هذا الممدوح قد زادت وضوحا وتبين حسنها لمجاورتها لأخلاق قوم لا صلة بينهم وبين المجد.

(2) من كلمة له يعاتب فيها ابن أبي دؤاد (الديوان 399) وفيه «وما النفع بالتسويف» والتسويف: المطل، والمحلة هنها: الصديقة، ويقال بلفظ واحد للرجل والمرأة.

(3) من كلمة له يهجو فيها مر بن علي بن مر (الديوان: 2 - 209)

(4) من قصيدة له يمدح فيها المأمون (الديوان: 281) والمخدرات: الداخلات المخدور، وأصل الخدر المسكن الذي تحبس فيه النساء، واستعير هنا للأسد، ويقال: ليث خادر، ومخدر، والآجام: جمع أجمة، وهي الحظيرة من القصب، وأراد هنا الغابات.

(5) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتز بالله (الديوان: 2 - 81).

(6) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم بالله (الديوان 231) فيه «فالتقت» والحقو -بكسر فسكون - الإزار.

فقال البحتري:

لاذَتْ بِحِقْوَيْهِ الْخِلافَةُ؛ إنَّها قسمٌ لأفْضَلِ هاشِمٍ فالأفْضَلِ(1)

42 – وقال أبو تمام:

قَدْ جاءَنا الرَّشَأُ الَّذي أَهْدَيْتَهُ خِرْقًا وَلَوْ شِئْنا لَقُلْنا المَرْكَبُ(2)

فقال البحتري:

حَمَلْتُ عَلَيْهِ في سَبيلِ فُتُوَّةٍ
هِيَ الثَّغْرُ خَلْفَ الْمَجْدِ بَلْ تَفْضُلُ الثَّغْرَا(3)

43 – وقال أبو تمام:

وَقَدْ تَأْلَفُ الْعَيْنُ الدُّجى وَهْوَ قَيْدُها وَيُرْجى شِفَاءُ السُّمِّ والسُّمُّ قاتِلُ(4)

فقال البحتري:

وَيَحْسُنُ دلّها والْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ(5)

44 – وقال أبو تمام:

أَوْرَقْتَ لِي وَعْدًا وَثِقْتُ بِنُجْحِهِ بِالأَمْسِ إلَّا أَنّهُ لَمْ يُثْمِرِ(6)

فقال البحتري:

والْوَعْدُ كالْوَرَقِ الْجَنِيِّ تَأَوَّدَتْ مِنْهُ الغُصُونُ وَنُجْحُهُ أَنْ يُثْمِرَا(7)

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل (الديوان: 2 – 156) وفيه «عاذت بحقويك».

(2) من قصيدة له يمدح فيه الحسن بن وهب ويصف غلاما أهداه إليه (الديوان 40) والرشأ: الغزال، والخرق –بكسر فسكون– الفتى الحسن الكريم الخلقة، وقال الصولي: هو الذي دهش وتحير.

(3) من كلمة أرسل بها إلى محمد بن علي القمي جوابا على بيت من الشعر أرسله إليه (الديوان: 2 – 35).

(4) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان 259). والدجى: الليل.

(5) لم أجد هذا البيت في ديوانه المطبوع بمصر.

(6) لا يوجد هذا البيت في ديوانه بهذه الصيغة، وله في هذا المعنى بيت من قصيدة له يعاتب فيها عياش بن لهيعة (الديوان 397) وهو قوله:

أفديك مورق موعد لم يفدني من قول باغ إنه لم يثمر

وبيت آخر من قصيدة يقولها فيه أيضا (الديوان 399) وهو قوله.

وأعوذ باسمك أن تكون كعارض لايرتجي وكنابت لم يثمر

(7) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن كنداج عندما توج وقلد السيفين (الديوان: 2 – 21) وفيه «كالورق النضير» و «نجحها أن يثمرا».

45 - وقال أبو تمام:

إنَّ الْـهِـلالَ إِذا رَأيْــتَ نُمُوَّهُ　　أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكونُ بَدْرًا كامِلا[1]

فقال البحتري:

مِثْلُ الْهِلَالِ بدَا فَلَمْ يَبْرَحْ بِهِ　　صَوْغُ اللَّيالِي فِيهِ حَتَّى أقْمَرَا[2]

46 - وقال أبو تمام:

تَـرْمِـي بِأَشْباحِنا إلـى مَلِكٍ　　تَأْخُذُ مِـنْ مالِهِ ومِـنْ أَدَبِـهْ[3]

فقال البحتري:

نَغْدُو فَإِمَّا اسْتَمَحْنا مِنْ مَوَاهِبِهِ　　فَضْلًا وَإِمَّا اسْتَفَدْنا مِنْهُ آدابَا[4]

47 - وقال أبو تمام:

وَمَا خَيْرُ بَرْقٍ لاحَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ　　وَوَادٍ غَـدَا مَـلآنَ قَبْلَ أَوَانِـهِ[5]

فقال البحتري:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الغَيْثَ لَيْسَ بِنافِعٍ　　لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَّانِهِ[6]

---

(1) من قصيدة له يرثي فيها ابنين لعبد الله بن طاهر ماتا صغيرين (الديوان 380) وقد تقدم ذكر هذا البيت في سرقات أبي تمام.

(2) من مدحته في إسحاق بن كنداج التي منها البيت السابق (الديوان 2 - 22).

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي (الديوان 52).

(4) لم أعثر على هذا البيت في ديوانه المطبوع في مصر.

(5) من قصيدة له يمدح فيها الحسن وسليمان ابني وهب (الديوان 320) وقبله قوله:

رأيتكما من ريب دهري هضبة　　وما زلتما - لا زلتما - من رعانه

فأصبح لي تحت الجران فريسة　　ولولا كما أصبحت تحت جرانه

وملكتماني صعبة وخشاشها　　وأمكنتما من طامح وعنانه

لئن رمت أمرا ساءني عند بكره　　لقد سرني فعلا كما في عوانه

ريب الدهر: حوادثه، والهضبة: الجبل المنبسط، والرعان: الجبال الطويلة، والجران: مقدم عنق البعير.

(6) من قصيدة له يعاتب فيها الحسن بن وهب (الديوان: 2 - 315) وإبان الشيء: وقته.

48 – وقال أبو تمام:

لا يَكْرُمُ السَّائِلُ الْمُعْطَى وَإِنْ أَخَذَتْ
مِنْهُ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ(1)

فقال البحتري:

عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَ الشَّرِيفَ، وَإِنَّمَا ... كُنْتُ الْوَضِيعَ مِنَ اتِّضَاعِ مَطَالِبِي(2)

49 – وقال أبو تمام:

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ ... نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا(3)

فقال البحتري:

رَاحَتْ لِأَرْبُعِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَةً ... وأَصَابَ مَغْنَاكَ الْغَمَامُ الصَّيِّبُ(4)

50 – وقال أبو تمام:

الْـوُدُّ لِلْقُرْبَى ولَـكِـنْ رِفْـدُهُ ... لِلْأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ(5)

فقال البحتري:

بَلْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِن سَيْبِهِ سَبَبًا ... مَنْ كَانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمَا(6)

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات (الديوان 48) وفيه «لا يكرم الظفر» وفيه «أخذت به الرغائب».

(2) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان: 1 – 67) وفيه «وربما كنت الوضيع» وهي أحسن.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف ويعرض بوال ولي الثغر بعده (الديوان 206) وقد سبق ذكر هذا البيت. وأرسى: ثبت وأقام، والعرصة: ساحة الدار، والندى: الكرم. والعقوة: الساحة أيضا.

(4) من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان: 1 – 62) وفيه «الرياح مريضة» والأربع : جمع ربع.

(5) من قصيدة له يمدح فيها عمر بن طوق التغلبي (الديوان 14) وفيه «ولكن عرفه» وقد تقدم ذكر هذا البيت. والرفد – بكسر فسكون – العطاء، والعرف –بضم فسكون– المعروف.

(6) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان: 2 – 260) وقد تقدم ذكر هذا البيت. والجذم – بكسر الجيم وسكون الذال – الأصل، والسيب: العطاء.

51 – وقال أبو تمام:

شَرْخٌ مِنَ الشَّرَفِ الْمُنِيفِ يَهُزُّهُ هَزَّ الصَّفِيحَةِ شَرْخُ غَمْرٍ مُبْقِلِ(1)

فقال البحتري:

أَدْرَكْتَ ما فات الْكُهُولَ منَ الْحِجَى
في عُنْفُوَانِ شَبابِكَ الْمُسْتَقْبَلِ(2)

52 – وقال أبو تمام:

بَعَثْنَ الْهَوَى فِي قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِمًا
فَقُلْ في فُـؤَادٍ رُعْنَهُ وَهْـوَ هائِمُ(3)

فقال البحتري:

فَبَعَثْنَ وَجْدًا لِلْخَليِّ وَزِدْنَ فِي بُرَحاءِ وَجْدِ الْهَائِمِ الْمُسْتَهْتِرِ(4)

53 – وقال أبو تمام:

غُرَّةٌ بَهْمَةٌ أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أغَرَّ أَيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا(5)

(1) من قصيدة يمدح فيها أبا الوليد أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 237) ووقع في الأصول «شرخ عمر مقبل» والتصحيح عن الديوان. والشرخ: العرق، والمنيف: العالي، والصفيحة: السيف العريض، والشرخ الثاني: أول الشباب، والغمر – بالغين معجمة – الكريم، والمبقل: الذي نبت شعر وجهه.

(2) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن صالح الهاشمي (الديوان: 2 – 218) وعنفوان الشباب: أوله، أو أول بهجته. ووقع في الأصول «مافات الكهول من الدجى» وهو تحريف صوابه عن الديوان.

(3) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 285) ورعنه: أخفنه، تقول: راعه يروعه، إذا أخافه.

(4) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 1 – 213) وفيه «العاشق المستهتر» والوجد: الشوق، والخلي: الفارغ من الحب والبرحاء – بضم الباء وفتح الراء – الشدة والمشقة، تقول: أخذته برحاء الشوق وقد برح به الهوى، والمستهتر بالشيء: المولع به.

(5) من قصيدة له يمدح فيها أبا سيعد محمد بن يوسف (الديوان 291) والغرة –بضم الغين – والبهمة – بفتح الباء – الشديدة السواد، والأغر: الأبيض، والبهيم: الأسود، يريد أنه كان مرضيا مقبولا أيام كان شابا أسود الشعر، وقبل البيت – مما يتضح به المعنى – قوله:

أصبحت روضـة الشباب هشيما ودت ريـحـه الـبـلـيـل سمـومـا
شعلة فـي الـمـفـارق استودعتني فـي صميم الـفـؤاد ثكلا صميما
تستثير الـهـمـوم مـا اكـتـن منها صـعـدا وهــي تستثير الهموما

فقال البحتري:

عَجِبْتُ لِتَفْوِيفِ الْقَذَالِ وَإِنَّمَا ... تَفْوِيفُهُ لَوْ كانَ غَيْرَ مُفَوَّفِ[1]

54 – وقال أبو تمام:

وَما زالَتْ تُجِدّ أَسًى وَشَوْقًا ... لَهُ وَعَلَيْهِ أَخْلاقُ الرُّسُومِ[2]

فقال البحتري:

فَهَيَّجَ وَجْدِي رَبْعُها وَهْوَ سَاكِنٌ ... وَجَدَّدَشَوْقِي رَسْمُهاوهْوَمُخْلِقُ[3]

55 – وَقال أبو تمام:

تَـرَاهُ يَـذُبُّ عَنْ حَـرَمِ الْمَعالِي ... فَتَحْسَبُهُ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ[4]

فقال البحتري:

حامَى عَنِ الْمَكْرُماتِ مُجْتَهِدًا ... ذَبَّ الْمُحَامِي عَنْ مَالِهِ وَدَمِهْ[5]

56 – وقال أبو تمام:

تَنَصَّلَ رَبُّـهـا مِـنْ غيرِ جُـرْمٍ ... إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالْوِدادِ[6]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان: 2 – 120) وأصل التفويف من الفوف – بضم الفاء – وهو نقط بياض في أظفار الأحداث، وأراد هنا ابيضاضه، والقذال: جماع مؤخر الرأس، يقول: عجبت من بياض شعري.

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع، والأخلاق: جمع خلق، وهو البالي.

(3) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن علي القمي (الديوان: 2 – 138) وفيه «فحرك بثى» والبث: الحزن، ومخلق : بالي.

(4) من قصيدة له يمدح فيها بعض بني عبد الكريم الطائيين (الديوان 288) ويذب: يدافع، وحرم المعالي: كناية عما تستدعيه من كريم الصفات، وحريم الرجل: حرمه الذي يجب أن يدفع عنه.

(5) من قصيدة له يمدح فيها ابن ثوابة (الديوان: 2 – 239) وفيه «جهد المحامي» والذب: الدفع.

(6) من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 81) وتنصل: تبرأ، وربها: صاحبها، والجرم – بضم الجيم – الخطيئة والذنب، والبيت في وصف قصيدته، وقبله قوله:

إلـيـك بـعـثـت أبـكـار الـمـعـانـي ... يـلـيـهـا سـائـق عـجـل وحـاد

جـوائـز عـن ذنـابـي الـقـوم حيرى ... هـوادي للجماجم والـهـوادي

شـداد الأسـر سـالـمـة الـنـواحـي ... مـن الاقــواء فـيـهـا والـسـنـاد

يـذلـلـهـا بـذكـرك قـرن فكر ... إذا حـزنـت فتسلس في القياد

لها في الهاجس القدح المعلى ... وفـي نـظـم الـقـوافـي والـعـمـاد

مـنـزهـة عـن الـسـرق الـمـورى ... مـكـرمـة عـن الـمـعـنـى الـمـعـاد

فقال البحتري:

أُقِــرُّ بِمَا لَــمْ أجْـنِـهِ مُتَنَصِّلا   إلَيْكَ عَلَى أنِّي إخَالُكَ ألْوَمَا[1]

57 – وقال أبو تمام:

وَتَندُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إلَّا عُلًى   جُعِلَتْ لَها مُرُرُ الْقَصِيدِ قُيُودَا[2]

فقال البحتري:

وَالْمَجْدُ قَــدْ يَأبِقُ عَــنْ أهْلِهِ   لَوْلا عُرَى الشِّعْرِ الَّذِي قَيَّدَهْ[3]

58 – وقال أبو تمام:

شَكَّ حَشاهَا بِخُطْبَةٍ عَنَنٍ   كأَنَّها مِنْهُ طَعْنَةٌ خَلْسُ[4]

فقال البحتري:

فَرَّجْتَ جونتها بِخُطْبَةِ فَيْصَلٍ   مِثْلٌ لَها في الرَّوْعِ طَعْنَةُ فَيْصَلِ[5]

59 – وقال أبو تمام:

جَمُّ التَّوَاضُعِ والدُّنْيَا بِسُؤْدَدِهِ   تَكادُ تَهْتَزّ مِنْ أَقْطارِهَا صَلَفَا[6]

فقال البحتري:

أَبْـدَى التَّوَاضُعَ لما نَالَهَا رِعَةً   عَنْها فَنَالَتْهُ فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيها[7]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه (الديوان: 2 – 228).

(2) من قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 90) وتند : تشذ وتنفر، والمرر: جمع مرير، وهو الحبل المحكم فتله.

(3) من قصيدة له يمدح فيها عبدون بن مخلد (الديوان: 1 – 160) وفيه «يأبق من أهله».

(4) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان: 168) وقبله قوله:

وحــومــة لــلـخـطـاب فـرجـهـا   والـقـوم عـجـم فـي مثلها خـرس

وخطبة عنن: ظاهرة المعاني، أو معترضة خطب القوم، وطعنة خلس: سريعة نافذة.

(5) لم أجد هذا البيت في ديوانه المطبوع بمصر.

(6) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 201) وفيه «والدنيا لسؤدده» والصلف: الكبر.

(7) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل ويصف البركة (الديوان 2 – 320) وفيه «نالها دعة» وما هنا هو الصواب، والرعة – بكسر الراء– الورع، تقول: ورع الرجل يرع – من باب ضرب – وورع يورع – من باب علم – ورعا ورعة، كوصف وصفة، والرعة: مفعول لأجله عامله «أبدى التواضع»

60 – وقال أبو تمام:

إِذَا أَطْلَقُوهُ عَنْ جَوَامِعِ غُلِّهِ تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَنَّ أَيْضًا جَوَامِعُ[1]

فقال البحتري:

وَفِـي عَـفْـوِهِ لَـوْ يَعْلَمُونَ عُقُوبَةٌ

تُقَعْقِعُ فِي الأَعْرَاضِ إِنْ لَمْ يُعَاقِبِ[2]

61 – وقال أبو تمام:

قَصِّرْ بِبَذْلِكَ عُمْرَ وَعْدِكَ تَحْوِلِي شُكْرًا يُعَمَّرُ عُمْرَ سَبْعَةِ أَنْسُرِ[3]

فقال البحتري:

وَجَعَلْتَ نَيْلَكَ تِلْوَ وَعْدِكَ قَاصِرًا عُمْرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ الْمَوْعِدِ[4]

62 – وقال أبو تمام:

دَعَا شَوْقُهُ يا ناصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهْ[5]

فقال البحتري:

نَصَرْتُ لَهُ الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِعَبْرَةٍ تَوَاصَلُ في أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا[6]

---

(1) من قصيدة له يصف فيها قومه ويفتخر بهم (الديوان 480) وفيه «إذا أطلقوا عنه جوامع» وكان في الأصول «علة» بالعين المهملة وآخره تاء، وتصويبه عن الديوان، والجوامع: جمع جامعة، وهي ضرب من الحلي يجمع اليدين إلى العنق، والغل – بالضم– الفيد، والمن: ذكر المنعم نعمته بما يكدرها على المنعم عليه.

(2) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان : 1 – 74 وفيه «لو تعلمون».

(3) من قصيدة له يعاتب فيها عياش بن لهيعة (الديوان 97) وفيه «عمر مطلك تحولى حمدا» ووقع في الأصول «قصر بذلك» وتصويبه عن الديوان والبذل: العطاء، وتحوى: تشمل.

(4) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبي (الديوان: 1 – 171) وفيه «وجعلت فعل تلوقولك»

(5) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان 230) وقد تقدم ذكر هذا البيت.

(6) من قصيدة له يمدح فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر (الديوان: 2 – 247) وروايته فيه:

نصرت لها الشوق اللجوج بأدمع تلاحقن في أعقاب وصل تصرما

63 – وقال أبو تمام:

مِنْ لَيْلَةٍ فِي وَبْلِهَا لَيْلاءَ   فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءَ[1]

فقال البحتري:

أَشْرَقْنَ حَتَّى كادَ يَقْتَبِسُ الدُّجى   وَرَطبْنَ حَتَّى كادَ يَجْرِي الْجَنْدَلُ[2]

64 –وقال أبو تمام:

بِـرٌّ بَـدأْتَ بِـهِ وَدَارٌ بابُها   لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ وَوَجْهٌ مُقْفَلُ[3]

فقال البحتري:

إلَامَ بابُكَ مَعْقُودٌ عَلَى خُلُقٍ   وَرَاءَهُ مِثْلَ مَدِّ النَّيلِ مَحْلُولِ[4]

هذا ما أخذه البحتري من أبي تمام.

---

(1) هذا بيت من الرجز يصف فيه الأمطار (الديوان: 413) وترتيبه فيه على عكس ما هنا، وروايته تختلف بعض الاختلاف، وهاك البيت مع ما قبله وما بعده برواية الديوان:

ألا ترى ما أصدق الأنواء   قد أفنت الحجرة واللأواء
فلو عصرت الصخر صار ماء   من ليلة بتنا بها ليلاء
إن هي عادت ليلة عداء   أصبحت الأرض إذن سماء

والأنواء: جمع نوء، وهو النجم الذي يظهر المطر عند ظهوره، والحجرة: السنة المجدبة، واللأواء: الشدة، وليلة ليلاء: طويلة شديدة الظلمة، وهو تأكيد كليل أليل ويوم أيوم، وأراد بقوله «إن هي عادت ليلة عداء» إن هي عادت مرة أخرى، وأصل العداء الطلق الواحد.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 2 – 158) وقبله قوله:

فكأنما الدنيا هنالك روضة   راحت جوانبها تراح وتوبل
أو ما ترى حسن الزمان وما بدا   وأعاد في أيامه المتوكل

(3) هو ثاني بيت من سبعة أبيات يمدح فيها أبادلف ويعاتبه (الديوان 240) والذي قبله قوله:

عجب، لعمرى، أن وجهك معرض   عني، وأنت بوجه نفعك مقبل

(4) هو أول ستة أبيات يعاتب فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان 2 – 180) وفيه «وراءه مثل ماء المزن» ومحلول: صفة لحلق، وبعد البيت قوله:

إذا أتيتك إجلالا وتكرمة   رجعت أحمل براغير مقبول
فاليوم أكسب نفسي نية قذقا   عن اعتلال على بالأباطيل
فإن أردتك عرضت الرسول لما   أخشى من الرد واستأذنت من ميل

ولعل قائلا يقول: قد تجاوزت في هذا الباب، وقَصَّرت، ولم تَسْتَقص جميعَ ما خرجه أبو الضياء بشر بن تميم من المسروق، وليس الأمر كذلك، بل قد استوفيت جميعه، فأوضحت، وسامحت بأنْ ذكرتُ ما لعلّه لا يكون مسروقا، وإن اتفق المعنيان أو تقاربا، غير أني اطَّرحت سائر ما ذكره أبو الضياء بعد ذلك؛ لأنه لم يقنع بالمسروق الذي يشهد التأمل الصحيح بصحّته حتى تعدى ذلك إلى التكثير، وإلى أن أدخل في الباب ما ليس منه، بعد أن قَدَّم مقدمة افتتح بها كلامه، وقال: ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب أن لا يَعْجَل بأن يقول: ما هذا مأخوذ من هذا، حتى يتأمل المعنى دون اللفظ، ويُعْمل الفكر فيما خفي، وإنما السَّرق في الشعر ما نُقل معناه دون لفظه، وأبعد آخذه في أخذه، قال: ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطَرَفة حين لم يختلفا إِلا في القافية، فقال أحدهما «وتحمل» وقال الآخر «وتجلد»[1]

قال: وفي الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليل من اللفظ مع المعنى، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر، وهم قليل؛ فجعل هذه المقدمة توطئة لما اعتمده من الإِطالة والْحَشْد، وأن يُقْبل منه كل ما يورده، ولم يستعمل - مما وصّى به من التأمل وإِعمال الفكر - شيئًا، ولو فعل ذلك لرجوتُ أن يُوفّق لطريق الصواب؛ فيعلم أن السرق إِنما هو في البديع المخترع الذي يختصّ به الشاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظّنة فيه عن الذي يورده أن يقال: أخذه من غيره.

غير أن أبا الضياء استكثر من هذا الباب، وخلط به ما ليس من السرق في شيء، ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب، وأتى بضَرْب آخر ادّعى فيه أيضًا السرق والمعاني مختلفة، وليس فيه إلا اتِّفاق ألفاظ ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر؛

(1) قال امرؤ القيس في طويلته المعلقة:

وقوفا بها صحبى على مطيهم ... يقولون: لا تهلك بها أسى وتحمل

وقال طرفة بن العبد البكري في طويلته المعلقة:

وقوفا بها صحبي على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

إذ كانت الألفاظ مُباحة غير محظورة، فبلغ غرضه في توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب.

وأنا أذكر من هذه الأبواب أمثلة تدل على صحة ما ذكرناه، ونجعلها قياسًا على ما لم نذكره، فإن في البعض غنى عن الإطالة بذكر الكل

1 - فمما أورده أبو الضياء من المعاني المستعملة الجارية مجاري الأمثال وذكر أن البحتري أخذه من أبي تمام قولُ أبي تمام:

جَرَى الْجُودُ مَجْرَى النَّوْمِ مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ
بِغَيْرِ سَمَاحٍ أَوْ طِعانٍ بحَالِمِ[1]

وقول البحتري:

وَيَبِيتُ يَحْلُمُ بِالْمَكارِمِ وَالْعُلى   حَتَّى يَكُونَ الْمَجْدُ جُلَّ مَنَامِهِ[2]

وهذا الكلام موجود في عادات الناس، ومعروف في معاني كلامهم، وجار كالمثل على ألسنتهم، بأن يقولوا لمن أحب شيئًا أو استكثر منه: فلان لا يَحْلُم إلا بالطعام، وفلان لا يحلم إلا بفلانة من شدة وَجْده بها، وهذا الزَّنْجي ما حُلْمه إلا بالتمر، ولا يقال لمن كانت هذه سبيله: سَرَق، وإنما يقال له: اتفاق، فإن كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر فاحْتذاه فإنما ذكر معنًى قد عرفه واستعمله، لا أنه أخذه أخْذَ سرقة.

2 - وأنشد لأبي تمام:

إِذَا القَصَائدُ كانَتْ مِنْ مَدَائحهم   يَوْمًا فَأَنْتَ لَعَمْرِي مِنْ مَدائِحِها[3]

(1) من قصيدة له يرثي فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي (الديوان 385) وفيه «جرى المجد» والباء في قوله «بحالم»زائدة في خبر يكن المنفي مثل قول الشاعر الشنفرى:

وإنْ مُدت الأ يدي إلى الزاد لم أكن   بأعجلهم؛ إذ أجشع القوم أعجل

(2) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحراني ويصف فرسا (الديوان : 2 - 251).

(3) من قصيدة له يمدح فيها الفضل بن صالح الهاشمي (الديوان 74) وقبله قوله:

لئن قليبك جاشت بالسماحة لي   لقد وصلت بشكري حبل مائحها
وهل رأتني قريش ساحبا رسنى   إليك عن طلقها وجها وكالحها

فذكر أن البحتري أخذه فقال:

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِرًا بِالشِّعْرِ يُذْكَرُ فِي ... أَضْعَافِهِ فَبِكَ الأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ[1]

وهذا غلط على البحتري؛ لأن الناس لا يزالون يقولون: فلان يَزِينُ الثياب ولا تزينه، ويجمّل الولاية ولا تجمله، وفلانة تزيدُ في حسن الحلي ولا يزيد في حسنها، وفلان تفتخر به الأنساب ولا يفخر بها، وهذا ليس من المعاني التي يجوز أن يدعي أحد من الناس أنه أبدعها واخترعها أو سبق إليها، ولا يجوز أن يكون مثل هذا – إذا اتفق فيه خطيبان، أو شاعران – أن يقال: إن أحدهما أخذه من الآخر.

3 – وأنشد لأبي تمام:

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السِّنُونَ وَأَهْلُها ... فَكأَنَّها وَكَأَنَّهُمْ أَحْلامُ[2]

وذكر أن البحتري أخذه فقال:

وأَيَّامُنَا فِيكَ اللَّوَاتِي تَصَرَّمَتْ ... مَعَ الْوَصْلِ أَضْغَاثٌ وَأَحْلامُ نائِمِ[3]

وكأنه ما سمع الناس يقولون: ما كان الشاب إلا حلما، وما كانت أيامه إلا نومة نائم، وما أشبه ذلك من اللفظ، فكيف يجوز أن يكون ذلك مسروقا؟

4 – وذكر أن من ذلك قول أبي تمام:

***قَدْ يُقْدِمُ الْعَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَى الأَسَدِ**[4]

وقول البحتري:

فَجَاءَ مَجِيءَ الْعَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ ... إِلَى أَهْرَتِ الشَّدْقَيْنِ تَدْمَى أظافِرُهْ[5]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها علي بن مر الأرمني (الديوان: 2 – 44) وفيه «يمدح في أضعافه» وأضعاف الشيء: أثناؤه.

(2) من قصيدة له يمدح فيها المعتصم – ويقال: المأمون – (الديوان 279).

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم بن حميد (الديوان: 2 – 252) ورواية عجزه فيه «مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم».

(4) هو عجز بيت من كلمة له يهجو فيها محمد بن يزيد (الديوان 495) وصدره قوله:

*** أطلت روعك حتى صرت لي غرضا ***

(5) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 2 – 12) والعير – بفتح العين وسكون الياء – الحمار، وتقول: أسد أهرت، وأسود هرت، إذا كان واسع الشدقين، وتدمي أظافره: كناية عن افتراسه الفريسة فدمها عالق بأظافره.

أوَ لم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن الْعَير إذا رأى السبعَ أقبل إليه من شدة خوفه منه، حتى صار مثلا يُتمثل به، كما يُتَمثل بالفَراشة إِذا تهافَتَتْ في النار، وفي ذلك أمثال وأشعار كثيرة، فما أظن علمَها سَقَط عن البحتري.

5 – ومن ذلك قول أبي تمام:

هَيْهاتَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ثَوَى ... بِالصِّينِ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصِّينُ(1)

وقول البحتري:

يُضْحِي مُطِلًّا عَلَى الأعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا
في الصِّينِ مِنْ بُعْدِهَا ما اسْتَبْعَدَ الصِّينَا(2)

وهذا جار على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل في البعد بالصين، وأن يوقعوا التهديد به فيقولوا: لو أنك بالصين لما بعدت عليّ، فكيف لا يهتدي البحتري إلى مثل هذا؟

6 – ومن ذلك قول أبي تمام:

كَأَنَّ بَنِي نَبْهانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ ... نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها الْبَدْرُ(3)

وقول البحتري:

فَإِذا لَقِيتَهُمْ فَمَوْكِبُ أَنْجُمٍ ... زُهْرٍ وَعَبْدُ اللهِ بَدْرُ الْمَوْكِبِ(4)

وهذا معنى متقدِّم مبتذَل: جاء به النابغة وغيره، وكثر على الألسن حتى صار أشهر من كل مشتهر، وبيت أبي تمام خاصة فإِنما سَرَقه على سياقه من مريم بنت طارق ترثي أخاها:

كُنَّا كأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَها قَمَرٌ ... يَجْلُو الدُّجى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ(5)

(1) من قصيدة له يمدح فيها الأفشين (الديوان 328) وثوى: أقام، والحديث عن بابك الخرمي.

(2) لم أعثر على هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر، وأحسب أن الأصل «في الصين مع بعدها».

(3) من قصيدة له يرثي فيها بني حميد الطوسي (الديوان 369) وقد تقدم ذكر هذا البيت في سرقات أبي تمام.

(4) من قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن يزدان (الديوان: 1 – 60).

(5) قد سبق ذكر هذا البيت (انظر ص 55 من هذا الكتاب).

7 – ومن ذلك قول أبي تمام:

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ[1]

وقول البحتري:

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قَائِمٍ في كُلِّ نَائِبَةٍ وَجَدٍّ قَاعِدِ[2]

وهذان المعنيان جنسهما واحد، ولفظهما مختلف، وهما شائعان في الكلام، وجاريان في الأمثال، يقال: فلان عالي الهمة، وهمته في الثريا وحاله في الحضيض، وفلان سامٍ بهمته ولكن قَعَدَ به حَظّه، ونحو هذا من اللفظ؛ فليس يجوز أن يعتور هذا المعنى شاعران فيقال: أحدهما أخذه من الآخر

8 – ومن ذلك قول أبي تمام:

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إلا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ[3]

وقول البحتري:

مَا لِشَيْءٍ بَشَاشَةٌ بَعْدَ شَيْءٍ كَتَلَاقٍ مُوَاشِكٍ بَيْنَ بُعْدِ[4]

وهذا معنى مستفيض معروف، ومنه قول الحجاج بن يوسف: لولا فَرْحَة الأوبات لما عرفتهم إلا بالأسفار، وغرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم إلا مَنْ شَجَاهُ وأحزنه التوديع، وأراد البحتري أنه ليس شيء من المسرة والجذَل إذا جاء في أثر شيء ما كالتلاقي بعد التفرق؛ فليس – وإن كان جنس المعنيين واحدا – يصح أن يقال إن أحدهما أخذ من الآخر؛ لأن هذا قد صار جاريًا في العادات، وكثيرًا على الألسن، فالتهمة ترتفع عن أن يأخذ أحد عن أحد.

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 181) وقد تقدم ذكر هذا البيت.

(2) من قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبي (الديوان : 1 – 169) وفيه «في كل نازلة».

(3) من غزلي قصيدة له يمدح فيها ابن أصرم (الديوان 193) والأوبات: جمع أوبة، وهي العودة والرجعة، تقول: آب المسافر يؤوب أوبا وأوبة ومآبا وإيابا، والترح: الحزن.

(4) لم أعثر على هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

9 – ومن ذلك قول أبي تمام:

لَهُمْ نَشَبٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سَماحٌ وَأجْسَامٌ وَلَيْسَ لَهُمْ قُلُوبُ[1]

وقول البحتري:

خَلْقٌ ممَثَّلَةٌ بِغَيْرِ خَلائِقٍ تُرْجى وَأَجْسَامٌ بِلا أَرْوَاحِ[2]

وهذا الكلام أيضًا هو أعرف في كلامهم وأشهر من أن يحتاج شاعرٌ أن يأخذه من الآخر، وهم دائما يقولون: ما فلان إلا شبح من الأشباح، وما هو إلا صورة في حائط، أو جسد فارغ، ونحو هذا من القول الشائع المشتهر.

10 – ومن ذلك قول أبي تمام:

لا تَدْعُوَنْ نُوحَ بْنَ عَمْرو دَعْوَةً لِلْخَطْبِ إلَّا أَنْ يَكُونَ جَلِيلا[3]

وقول البحتري:

يا أَبا جَعْفَرٍ وَمَا أَنْتَ بالْمَدْ عُوِّ إِلَّا لِكُلِّ أمْر كُبارِ[4]

ونسي قول الناس: اختر لعظيم الحوائج العظيمَ من الناس، ولكبير الأمور كبيرهم، وقال رجل لابن عباس: إن لي إليك حاجة صغيرة، فقال: اطلب لها رجلا صغيرا.

11 – ومن ذلك قول أبي تمام:

بِيضٌ فَهُنَّ إذا رُمِقنَ سَوَافِرًا صُوَرٌ وَهُنَّ إذا رَمَقْنَ صِوَارُ[5]

---

(1) لا يوجد هذا البيت في ديوان أبي تمام المطبوع في بيروت وفي مصر.

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(3) من قصيدة له يمدح فيها نوح بن عمرو السكسكي من كندة (الديوان 244) ووقع في الأصول «إلا أن يكون جليله» وهو تحريف صوابه عن الديوان. والخطب: الأمر والشأن، والجليل: العظيم.

(4) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان 2 – 25) والكبار – بضم الكاف بزنة غراب– الكبير.

(5) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان: 145) والبيض: جمع بيضاء، ورمقن – بالبناء للمجهول – أديم النظر إليهن، وسوافر: جمع سافرة، وهي التي لم تضع على وجهها نقابا، والصور: جمع صورة، وأراد بها الدمية، ومن عاداتهم أن يشبهوا النساء بالدمى لافتنان الصناع في تجميلها. والصوار – بكسر الصاد، بزنة الكتاب – القطيع من بقر الوحش تشبه به النساء في سعة عيونهن.

وقول البحتري:

أَنَّى لَحَظْتِ فَأنتِ جُؤْذَرُ رَمْلَةٍ وَإذا صَدَدْتِ فَأَنْت ظَبْيُ كِنَاسِ[1]

وهذا تشبيه أعين النساء بأعين البقر، وتمثيلهن بالصِّوَار، وبالظباء. وجلّ كلام العرب عليه يجري، فلا تكون الشعراء فيه إلا متفقين.

12 - ومن ذلك قول أبي تمام:

وَلَقَدْ جَهَدْتُمْ أنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ فَإذا أبَانٌ قَدْ رَسَا وَيَلَمْلَمُ[2]

وقول البحتري:

وَلَنْ يَنْقُلَ الْحُسَّادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا تَمَكَّنَ رَضْوَى وَاطْمَأَنَّ مَتَالِعُ[3]

وهذا المعنى أيضا شائع من معانيهم وكثير من أشعارهم، ومنه قول الفرزدق:

وَارْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنا ثَهْلانَ ذا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ[4]

وقوله يخاطب جريرًا أيضا:

* فَرُمْ حَضَنًا فَانْظُرْ مَتَى أَنْتَ ناقِلُهْ[5]

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن بن عبد الملك (الديوان: 2 - 59) وفيه «إما لحظت» ولحظت: نظرت، والجؤذر: ولد البقرة الوحشية، وتشبه به الحسان في سعة العين، وصددت: هجرت، والكناس- بزنة الكتاب- بيت الظباء في الغابة، وتقول: ظبي كانس، وظباء كوانس، وكنست الظباء واكتنست، وتكنست.

(2) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق حين عزل عن الجزيرة (الديوان: 274) وأبان ويلملم: جبلان.

(3) من قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان 2 - 77) ورضوى ومتالع : جبلان.

(4) أنشده في اللسان (ح ل ل) وفيه في آخره «ما يتحلحل» ووقع في الأصول «فادفع بكفك إن أردت بقاءنا» وهو تحريف صوابه عن اللسان. وثهلان: جبل، ويتحلحل: يتحرك ويذهب عن موضعه، وفي ثهلان يقول امرؤ القيس:

* عُقَابُ تَدَلَّتْ مِنْ شَمَارِيخِ ثَهْلانِ*

(5) حضن - بفتح الحاء والضاد جميعا - جبل معروف بنجد، وأراد بقوله «فرم حضنا» فحاول أن تنقل حضنا عن مكانه، والغرض أن هجاءه فيهم لن يؤثر في كرامتهم على الناس إلا بمقدار تأثيره هو في حضن إذا حاول نقله عن مكانه، يريد أنه من أمحل المحالات.

أفترى البحتري ما سمع هذا من قول الفرزدق ولا من قول غيرِهِ حتى سمعه أبو تمام فنقله؟

13 – ومن ذلك قول أبي تمام:

وَفِي شرَفِ الْحَدِيث دَلِيلُ صِدْقٍ لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ القَدِيمِ[1]

وقول البحتري:

عَلَى أَنَّا نُوَكَّلُ بِالْأَدَانِي وتُخْبِرُنا الْفُرُوعُ عَنِ الأصُولِ[2]

وهذا معنى شائع في الكلام أيضًا، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا: إن العروق عليها ينبت الشجر، ومن أشبه أباه فما ظلم، والعَصى من العُصَيَّة، والغصن من الشجرة، ودلت على الأم السَّخْلة، ومثل هذا لا يكون مأخوذا مستعارا.

14 – ومن ذلك قول أبي تمام:

ولِذَاكَ قِيلَ: مِنَ الظُّنُونِ جَلِيةٌ صِدْقٌ، وَفي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ[3]

وقول البحتري:

وَإِذَا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْمًا فسواء ظَنُّ امْرِئٍ وَعِيانُهْ[4]

وهذا أيضًا من الأمثال المشهورة المبذولة السائرة، وهو قولهم: ظَنٌّ كيقين، ومن ذلك قول أَوْس بن حَجَر:

الْأَلْمَعِيّ الَّذِى يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا[5]

(1) من قصيدة له يمدح فيها بعض بني عبد الكريم الطائيين (الديوان 289) وقوله «لمختبر» يتعلق بمحذوف صفة لدليل و «على شرف القديم» مثله أو يتعلق بدليل إذا نظرت إلى أنه في الأصل مشتق.

(2) لم أعثر على هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(3) من قصيدة له يمدح فيها الواثق بالله (الديوان 329).

(4) من قصيدة له يمدح فيها عبدون بن مخلد (الديوان: 2 – 287).

(5) من قصيدة له يرثي فيها فضالة بن كلدة، وأولها قوله:

أيتها النفس، أجملى جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا
إن الذي جمع السماحة والـ ـنجدة والحزم والقوى جمعا
أودى، وهل تنفع الا شاحة من أمر لمن قد يحاول البدعا

15 – وقول أبي تمام:

لا نَجْمَ مِنْ مَعْشَرٍ إِلَّا وَهِمَّتُهُ عَلَيْكَ دائِـرَةٌ يأَيُّها الْقُطُبُ[1]

بقي بيت البحتري لم يذكره، وهو هذا:

وَدارَتْ بَنُو سَاسَانَ طُرًّا عَلَيْهِمُ مَدارَ النُّجُومِ السَّائِرَاتِ عَلَى الْقُطْبِ[2]

وكأنه ما سمع قول الناس: فلان قُطْبُ هذا الأمر، وعلى فلان مَدار القصة، ونحو هذا من القول الذي يستغني الإنسان بما جَرَى منه في عادته أن يستعيره من غيره.

16 – ومن ذلك قول أبي تمام:

وأَقلّ الأشْيَاءِ مَحْصُولَ نَفْعٍ صِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفَعالُ مَرِيضُ[3]

وقول البحتري:

وَمَا لِمِثْلِي فِي الْقَوْلِ مِنْكَ رِضًى وَالْقَوْلُ فِي الْمَجْدِ غَيْرُ مَحْسُوبِ[4]

وأبو تمام زعم أن رَوْنَق القول بالمواعيد لا يتحصّل منه نفع إذا لم يكن فعال، وجعل الصحة في القول والمرض في الأفعال مثلين في الاستعارة، والبحتري إنما ذكر أنه لا يرضى بالقول؛ لأن القول لا يُحْتسب به للماجد بغير فعل؛ فالغرضان مختلفان، والمعنى معنى واحد شائع جارٍ في عادات الناس أن يقولوا: إنما زيد كلام، وإنما عمرو قول بلا فعل، ومثل هذا – مع كثرته على الألسن– لا يقال: إنه مسروق.

17 – ومن ذلك قول أبي تمام:

سَتَرَ الصَّنِيعَةَ وَاسْتَمَرَّ مُلَعَّنًا يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ الْمَظْلُومُ[5]

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات (الديوان 50).

(2) من قصيدة له يمدح فيها عبد الله بن دينار بن عبد الله (الديوان: 1 – 53).

(3) هذا البيت آخر أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 183).

(4) من قصيدة له يمدح فيها عبد الرحمن بن نهيك (الديوان: 1 – 60) وفيه «ولا لمثلى» وقبله قوله:

لست على غرة بمشتمل ولا إلى مطمع بمنسوب

(5) من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 301) وفيه «سرق الصنيعة فاستمر بلعنة» ووقع في الأصول «واستحر» وهو تحريف الذي أثبتناه. والنائل: العطاء.

وقول البحتري:

أَكَـافِـرٌ مِـنْـكَ فَـضْـلَ نُعْمى وَسَتْرُ نُعْمى الكَرِيم كُفْرُ[1]

فذكر أبو تمام رجلا ذمَّه بسَتْر الصنيعة، وجعله مُلَعَّنا يدعو عليه النائل المظلوم، على الاستعارة، والبحتري ذكر أن سَتْر النُّعمى كفر، وكلا اللفظين مستعملان شائعان على الألسن؛ فلا يقال لمن تكلم بأحد اللفظين: إنه استعارةُ من الآخر.

18 – ومن ذلك قول أبي تمام:

شَهِدْتُ جسيمات العُلَى وَهْوَ غَائِبٌ وَلَو كانَ أَيْضًا شاهِدًا كانَ غائِبَا[2]

وقول البحتري:

بَشِيرًا لَكُمْ فِيها نَذِيرًا لِغَيْرِكُمْ لَهُ شاهِدٌ عَنْ مَوْضِعِ الفَهْمِ غائِبُ[3]

وهذا المعنى أيضًا جارٍ على الأفواه، ومستعمل في الكلام، تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة، وذلك قولهم: فلان شاهد كغائب، وحاضر كمَنْ لم يحضر، وفلان سَوَاء والعدم.

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 1 – 217) وهو – مع ما قبله الذي يتضح به معناه – برواية الديوان هكذا.

إنـي – وإن كـنـت ذا وفـاء لا يـتـخـطـى إلـى غـدر-
لـذاكـر مـنـك فـضـل نـعـمـى وسـتـر نـعـمـى الـكـريـم كفر

(2) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن سهل (الديوان 17) وقبله قوله:

ومـلآن مـن ضـغـن كـواه توقلي إلـى الهمة القعسا سناما وغاربا

والضغن: الحقد، وتوقلي: صعودي، وأراد به استشرافه وتطلعه للمعالي والهمة القعساء: الثابتة المنيعة، وأصل السنام: المرتفع من ظهر الإبل، والغارب: ما بين السنام والعنق، ويعبر بهما عن أعالي الأشياء.

(3) البيت على هذه الصورة غير موجود في الديوان، وله من قصيدة بمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 1 – 74) في هذا المعنى قوله:

نصحتكم لـو كـان للنصح موضع لدى سامع عن موضع النصح غائب
نـذيـرا لكم مـنـه، بشيرا لكم به، ومـا لـي فـي هـاتـيـن قـولـة كـاذب

وأكبر الظن أن ما في الأصل محرف عن هذا.

19 - ومن ذلك قول أبي تمام:

دَعِينِي عَلَى أخْلاقِيَ الصُّمِّ للَّتِي هِيَ الوَفْرُ أوْ سِرْبٌ تَرِنُّ نَوَادِيُهْ[1]

وقول البحتري:

وَخْدُ القِلاصِ يَرُدُّنِي لَكِ بِالغِنَى فِي بَعْضِ ذَا التَّطْوَافِ أوْ يُرْدِينِي[2]

وهذان المعنيان أصلهما واحد، وهو قول امرئ القيس:

* نُـحَـاوِلُ مُلكا أوْ نـمُـوتَ فَـنُـعْـذِرَا[3] *

وشهرته وكثرة استعمال الناس إياه يغني البحتري عن أن يقال: إنه استعاره أو أخذه.

20 - ومن ذلك قول أبي تمام:

كُحِلتُ بَقُبْحِ صُورَتِهِ فأمْسى لَها إنْسَانُ عَيْنِي في السِّياقِ[4]

وقول البحتري:

شَكَوْتُ قَذًى بِعَيْنِكَ باتَ يَدْمَى كأنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إلى طمَاسِ[5]

وهذا أيضًا من المعاني التي تمنع شهرتُها وابتذالُ العامة والخاصة لها من أن يقال: إنها مسروقة، وإن واحدا ائتم فيها بآخر.

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (الديوان 44) ووقع في أصول هذا الكتاب وفي بعض نسخ الديوان رواية البيت هكذا:

دعيني على أخلاقي الصمل التي هي الوفر أو سرب ترن نوادبه

والتي أثبتناها أظهر وأوضح معنى، يقول: إني معتزم عزما لا تردد معه على أن أرتحل، فإما أن تهيئ لي أخلاقى الصم تمولا وإما أن تسلمني إلى الموت فيقوم على سرب من النساء يندبنني.

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(3) هذ عجز بيت، وصدره قوله:

فقلت له لا تبك عينك إنما

وانظر العقد الثمين (79).

(4) من أبيات له يهجو فيها ابن الأعمش (الديوان 501) وبعده قوله:

مساو لو قسمن على الغواني لما جهزن إلا بالطلاق

قبحت وزدت فوق القبح حتى كأنك قد خلقت من الفراق

(5) هو ثاني بيت من أبيات يهجو فيها من اسمه «طماس» (الديوان 2 - 64) وقبله قوله:

أقول لصاحب من سر عبس أرى وردي برؤيته وآسي

21 – ومما جاء به أبو الضياء على أنه مسروق، والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب، قولُ أبي تمام:

فاقْسِمِ اللَّحظَ بَيْنَنا إنَّ فِي اللّحْـ ... ـظِ لَعُنْوَانَ ما يُجِنُّ الضَّميرُ[1]

وقال البحتري:

سَـلامٌ وَإنْ كانَ السَّلامُ تَحِيَّةً ... فَوَجْهُكَ دُونَ الرَّدِّ يَكفِي المُسَلِّمَا[2]

وأبو تمام سأل مَنْ يُخَاطبه أن يُقْبل عليه، ويجعل له قِسْطًا من النظر؛ فإن إدامة النظر تدلُّ على المودة، كما أن الإِعراضَ يدل على البغض. والبحتريُّ إنما سلم على الهيثم الغنوي، وذكر أن السلام تحية، وأن وجهه لجماله وطلاقته يكفي المسلِّم قبل رَدِّه، والمعنيان مختلفان، وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ما ينسب أحدهما أنه محذو على الآخر أو مسروق منه.

22 – ومن ذلك قول أبي تمام:

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَانَّ الأرْضَ وَاسِعَةٌ ... كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ[3]

وقول البحتري:

---

(1) من أبيات له في العتاب (الديوان 398) وقبله قوله:

ليس يـدري إلا اللطيف الخبير ... أي شـيء تـطوى عليه الـصدور
ويـقـولـون: إنـك الـمـرء بالغيـ ... ـب محـام عـن الـصديق نصور
فـإذا جئـت زائـرا ججبت وجـ ... ـهك عـنـي كـآبـة وبـسـور
فـتـطـلـق مـع الـعـنـايـة إن الـ ... ـبشر فـي أكـثـر الأمـور بشير
إنـمـا الـبـشـر روضـة فـإذا كا ... ن بـبـذل فـروضـة وغـديـر

والكآبة: الغم، والبسور: العبوس، وتطلق: مأخوذ من الطلاقة وهي البشر وانفراج أسارير الوجه، والبذل: العطاء ويجن: يستر ويكن .

(2) من قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوي (الديوان: 2 – 234).

(3) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي (الديوان 97) وقد تقدم ذكر هذا البيت في بيان أخطاء أبي تمام .

مَفَازَةَ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ   لِيَسْلُكَها فَرْدًا سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ[1]

وأبو تمام ذكر أن رَحْبَ صدرِ الممدوح وسَعَته تزيد على سعة الأرض، فأسرف، وأخطأ في المعنى بما قد ذكرته في باب خطائه في المعاني، والبحتريُّ ذكر سَعَة صدر الممدوح، وجعل له مفازة على الاستعارة، وذكر أنه لو تطرق لم يكن ليسلكها سُلَيكٌ الذي لم يكن ليكبر عليه سلوكُ الأرض وإِن عَرُضت وطالت، وإنما أرادا جميعا سعةَ صدر الممدوح، كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح، فأفرطا، ولكن سَلَكَ كل واحد منهما معنًى غير معنى صاحبه كما ترى.

23 - ومن ذلك قول أبي تمام:

إِنَّمَا الْبِشْرُ رَوْضَـةٌ فإِذَا ما   كانَ بِرٌّ فَرَوْضَةٌ وَغَدِيرُ[2]

وقول البحتري:

فَإِنَّ الْعَطاء الْجَزْلَ ما لَمْ تُحَلِّهِ   بِبِشْرِكَ مِثْلُ الرَّوْضِ غَيْرَ مُنَوِّرِ[3]

فأراد أبو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير، وأراد البحتري أن العطاء ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور؛ فليس بين المعنيين اتفاق إلا في ذكر البشر والروض، والألفاظ غير محظورة على واحد.

24 - ومن ذلك قول أبي تمام:

وَإِنِّيَ مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى   وَلَكِنَّمَا حُورِفْتُمُ فِي الْمَكارِمِ[4]

وقول البحتري:

---

(1) من أبيات له في العتاب، وقد مضى ذكر بيت منها وذكرنا معه بقية لأبيات ومنها هذا البيت (انظر الهامشة رقم 1 من ص 266 من هذا الكتاب).

(2) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 1 - 73) وقد سبق ذكر هذا البيت.

(3) من قصيدة له يقولها وقد كان له غلام اشتراه إبراهيم بن الحسن بن سهل فلم يزل به حتى رده إليه (الديوان: 2 - 16) وفيه «وكان العطاء الجزل» وقبل هذا البيت قوله:

وهبت الذي لو لم تهبه لما التوى   بك اللوم، إن العذر عند التعذر

وأعطيت ما أعطيت والبشر شاهد   على فرح بالبذل منك مبشر

(4) لا يوجد هذا البيت في ديوان أبي تمام، وقد تقدم ذكره في سرقات أبي تمام.

إِذَا ابْتَدَا بُخَلاءُ النَّاسِ عارِفَةً يَتْبَعُها الْمَنُّ فالْمَرْزُوقُ مَنْ حُرِمَا[1]

فأراد أبو تمام أنه ليس بمحْدود ولا مُحَارَف في ملتمساته ومطالبه، ولكن الذين أَمَّهم وطلب ما عندهم حُورِفوا في مكارمهم، فأحسن في المعنى واللفظ كلَّ الإِحسان. وأراد البحتري أن البخيلَ إذا امتنَّ بمعروفه فالمرزوق من حُرم ذلك المعروف؛ فهذا المعنى غير معنى أبي تمام، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب.

25 -ومن ذلك قول أبي تمام:

إذا شَبَّ نارًا أَقْعَدَتْ كُلَّ قائِمٍ وَقامَ لَها مِنْ خَوْفِهِ كُلُّ قاعِدِ[2]

وقول البحتري:

وَمُبَجَّل وَسَطَ الرِّجالِ خُفُوفُهُمْ لِقِيامِهِ وَقِيامُهُمْ لِقُعُودِهِ[3]

وليس أحد المعنيين من الآخر في شيء؛ لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شبَّ نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته: أي تُزْعج كلَّ واحد خوفًا وفَرَقا، وذلك مأخوذ من قول الفرزدق:

أتاني وَرَحْلي بِالْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ لِآلِ تَميم أقْـعَـدَتْ كلَّ قائِمِ

وقوله «وقام لها من خوفه كل قاعد» أي: زال عن الطمأنينة والقرار فقام، وإنما يريد انزعاج الخائف؛ فجعل ذلك قيامًا له، والبحتري إنما ذكر أن الرجال إنما يخفُّون لقيام ممدوحه، أي: يُسْرِعون بين يديه إذا قام، فإذا قعد قاموا إجلالا وهيبة، وأن من شأنه أن لا يجلس أحد بجلوسه، وأن يكون الناس كلهم قيامًا إذا جلس، والمعنيان مختلفان، وليس بينهما اتفاق إلا في ذكر القيام والقعود، والألفاظ مباحة.

(1) من قصيدة له يمدح فيها رافع بن هرثمة (الديوان: 2 - 259) وفيه «إذا بدا بخلاء الناس» والعارفة: الصنيعة.

(2) من قصيدة له يرثي فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (الديوان 366) وشب النار يشبها: أوقدها وأججها، وأراد -كما قال المؤلف- نار الحرب.

(3) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

26 - ومن ذلك قول أبي تمام:

وَرُبَّ يَـوْمٍ كـأَيَّـامٍ تَـرَكْـتَ بِهِ ... مَتْنَ الْقَناةِ وَمَتْنَ الْقِرْنِ مُنْقَصِفَا[1]

وقول البحتري:

فِي مَعْركٍ ضَنْكٍ تَخَالُ بِهِ الْقَنا ... بَيْنَ الضُّلُوعِ إذا انْثَنَيْنَ ضُلُوعا[2]

وليس بين المعنيين اتفاق إلا في أن الشاعرين وصفا حالَ الطعن بالقنا كيف يقع؛ فذكر ذلك أن ممدوحه يَقْصِفُ مَتْنَ الْقِرْن ومتن القناة، وشَبَّه هذا انطواء الرماح واعوجاجَها- إذا وقعت بضلوع القوم - باعوجاج ضلوعهم، وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة، وهو المعنى الذي استغربه واستحسنه أبو تمام على ما يرويه الشاميون.

27 - ومن ذلك قول أبي تمام:

بَيَّنَ الْبَيْنُ فَقْدَها، قَلَّما يُعْـ ... ـرَفُ فَقْدٌ لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا[3]

وقول البحتري:

فَاضَلَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ عُسْرِي وَفِي ... ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَفَاضَلَتْ شُهُبُهْ[4]

وليس بين المعنيين تناسب، لأن أبا تمام ذكر أن موضع فقدها بَانَ، وأنه قلّما يُعرف فقد الشمس إلا بعد غروبها، وهذا جارٍ في عادات الناس واستعمالهم: أن يقولوا: لا يُعْرف فضل الإنسان حتى يفقد، ولا يعرف فضل العافية إلا عند البلية، وقَدْرُ الدراهم إلا عند الحاجة، والبحتري أراد أن عُسْرَه بَيَّنَ له عن مراتب إخوانه، وفضل بعضهم

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 203) وفيه «ومتن القرن متصفا» وهو تحريف عما هنا. ومتن القناة: وسطها، ومتن الإنسان: ظهره، ومنقصفا: منكسرا.

(2) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 2 - 85) وفيه «إذا انحنين» وقد تقدم ذكر هذا البيت.

(3) من غزل قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري (الديوان 25) وفيه «قلما تعرف فقدا» وبين: أظهر، والبين: البعد والفراق.

(4) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس بن بسطام (الديوان: 1 - 33) وفيه «فاضل بين الأخوان عدمي» والعدم - بضم فسكون- الفقر.

على بعض، وأراد بالشهب الكواكب، وهذا معنى لطيف جدا ليس من معاني أبي تمام في شيء.

هذا، ومما ادعى أبو الضياء على البحتري فيه السرق والاتفاق في ذلك أكثر فإنما هو من الألفاظ التي ليست محظورة على أحد، وقد مضى فيما قبل من هذا الباب أبيات.

28 - فمن ذلك قول أبي تمام:

إِنَّ الصَّفَائحَ مِنْكَ قَدْ نُضِدَتْ عَلَى ... مَلْقَى عِظامٍ لَوْ عَلِمْتَ عِظَامِ[1]

وقول البحتري:

مَسَاعٍ عِظامٌ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا ... وَإِنْ بَلِيَتْ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظُمِ[2]

فأراد أبو تمام أن عِظام الرجل الذي رثاه عظيم القدر، وأراد البحتري أن مساعي القوم عظام لا يبلى جديدها وإن بليت عظامهم، وليس ههنا اتفاق إلا في لفظ العظام لا غير.

29 - ومن ذلك قول أبي تمام:

لا يدهمنك من دهمائهم عدد ... فإِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ جُلَّهُمْ بَقَرُ[3]

وقول البحتري:

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِها ... وَما عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ[4]

---

(1) من أوائل قصيدة يهنئ فيها أمير المؤمنين الواثق بالله بالخلافة ويعزيه عن وفاة أبيه المعتصم بالله (الديوان 275) وقبله - مما يتضح به معناه - قوله:

ما للدوع تروم كل مرام ... والجفن ثاكل هجعة ومنام

ياتربة المعصوم تربك مودع ... ماء الحياة وقاتل الاعدام

والثاكل: الفاقد، والهجعة: الهجوع والنوم، والصفائح: الحجارة العريضة التي يسد بها القبر، ونضدت: ركبت فوق بعضها، والعظام الثانية: جمع عظيم.

(2) من قصيدة له يرثي فيها بني حميد الطائيين ويخص من بينهم أبا مسلم (الديوان: 2 - 256).

(3) من قصيدة له يمدح فيها عمر بن عبد العزيز الطائي (الديوان 150) وفيه «فإن جلهم أو كلهم بقر» ويدهمنك: يفاجئك، والدهماء: العدد الكثير، وجلهم: معظمهم.

(4) من قصيدة له يمدح فيها علي بن مر الأرمني (الديوان: 2 - 43) وفيه «عن مقاطعها» وقد تقدم ذكر هذا البيت.

فأراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر إلى كثرة عددهم، فإن أكثرهم بقر، وذكر البحتري أن عليه أن يُجيد القول، وليس عليه أن تفهمه البقر، وما ههنا اتفاق إلا في لفظة البقر.

30 - ومن ذلك قول أبي تمام:

*** لَـهَـانَ عَـلَـيْـنَـا أَنْ نَـقُـولَ وَتَـفْـعَـلا**[1]

وقول البحتري:

إنَّ الْخَلِيفَةَ لَيْسَ يَرْقُبُ فِي الَّذِي … حاوَلْتُ إلَّا أَنْ نَقُولَ وَيَفْعَلا[2]

والاتفاق ههنا إنما هو في القول والفعل.

31 - ومن ذلك قول أبي تمام:

ومَا يَوْمُ زُرْتَ اللَّحْدَ يَوْمُكَ وَحْدَهُ … عَلَيْنا، وَلكِنْ يَوْمُ زَيْدٍ وَحاتِمِ[3]

وقول البحتري:

بأَبْيَضَ وَضَّـاحٍ كـأَنَّ قَمِيصَهُ … يُزَرُّ عَلَى الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحاتِمِ[4]

أفترى البحتري ما سمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطائي اللذين يَفْخَر بهما اليمن كلها فيشبه ممدوحه بهما إلا من بيت أبي تمام؟

32 - ومن ذلك قول أبي تمام:

لَعَمْرُكَ مَا كانُوا ثَلاثَةَ إِخْـوَةٍ … وَلكِنَّهُمْ كانُوا ثَلاثَ قَبائِلِ[5]

وقول البحتري:

---

(1) هذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان 252) وعجزه قوله:

*** ونـذكـر بـعـض الـفـضـل مـنـك فتفضلا***

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر، وفيه من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتز بالله (2 - 169) من هذا المعنى قوله:

قد قلت فافعل ما رأيت، وإن من … عـادات جـودك أن نـقـول وتفعلا

(3) من قصيدة له يرثي فيها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي (الديوان 386) وفيه «ولكن يوم عمرو وحاتم»

(4) من قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم بن حميد الطائي (الديوان: 2 - 253) وفيه «بأروع من طي».

(5) سادس ستة أبيات يرثي فيها بني حميد: أبا نصر، ومحمدا، وقحطبة (الديوان 381).

كانُوا ثَلاثَةَ أَبْحُرٍ أَفْضَى بِهِمْ　　　وَلَعُ الْمَنُونِ إِلَى ثَلاثَةِ أَقْبُرِ[1]

فجعلهم أبو تمام ثلاثة قبائل، وجعلهم البحتري ثلاثة أبحر؛ فليس ههنا اتفاق إلا في ذكر ثلاثة

33 – ومن ذلك قو أبي تمام:

كَساكَ مِنَ الأَنْوَارِ أَبْيَضُ ناصِعٌ　　　وأحمر قـانٍ وأَصْـفَـرُ فاقِعُ[2]

وقول البحتري:

مِنْ وَاضِـحٍ يَقَقٍ وَأَصْفَرَ فاقِعٍ　　　وَمُضَرَّج جَسَدٍ وَأَحْمَرَ قانِي[3]

أفترى البحتري لم يكن ليهتدي إِلى أصفر فاقع وأحمر قاني لو لا بيت أبي تمام؟

34 – ومن ذلك قول أبي تمام:

لَوْلا مُنَاشَدَةُ الْقُرْبَى لَغَادَرَكُمْ　　　فَرِيسَةَ الْمُرْهَفَيْنِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ[4]

وقول البحتري:

زِنْتَ الْخِلافَةَ إِشْرَافًا وَقَدْ حَبِطَتْ　　　وَذُدْتَ عَنْ حَقِّهَا بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ[5]

وكذلك أيضًا لم يكن البحتري يهتدي إِلى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما أبو تمام!

35 – ومن ذلك قول أبي تمام:

---

(1) من قصيدة له يرثي فيها قومه (الديوان 2 – 45) وفيه «أفضى بها» وإضافة «ولع» إلى «المنون» من إضافة المصدر إلى فاعله: أي شغفها بالعظام من الناس.

(2) من قصيدة له يفخر فيها بقومه (الديوان 478) وقد وقع في أصول هذا الكتاب «كتابا من الألوان» وهو تصحيف. وقد تقدم ذكر البيت على الصواب (انظر ص 220 من هذا الكتاب) وعجز البيت على ما هنا غير مستقيم الوزن.

(3) من قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان: 2 – 312) والجسد: الدم، وأراد كلون الدم.

(4) من قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان 270) وفيه «حصائد المرهفين» والمرهفين: المحددين الرقيقين.

(5) من قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان: 2 – 265) وفيه «سست الخلافة إشرافا»

أَبى لِيَ نَجْرُ الْغَوْثِ أنْ أَرْأَمَ الَّتِي   أُسَبُّ بِهَا وَالنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ[1]

وقول البحتري:

سَيِّد نَجْرُ الْمَعالِي نَجْرُهُ   يَمْلِكُ الْجُودُ عَلَيْهِ ما مَلكْ[2]

وقد كان ينبغي لأبي الضياء أن لا يُخَرِّج مثل هذا في السرق، ولا يَفْضَح نفسه.

36 – ومن ذلك قول أبي تمام:

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ فِي طَلَبِ الْعُلَى   وَالْمَجْدِ ثُمَّةَ تَسْتَوِي الأَقْدَامُ[3]

وقول البحتري:

حُزْتَ الْعُلَى سَبْقًا وَصَلَّى ثانِيًا   ثُمَّ اسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ الأَقْـدامُ[4]

37 – ومثله قول أبي تمام:

فِي غَـدَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كانَ فِيهَا   ناضِرُ الرَّوْضِ لِلسَّحَابِ نَدِيمَا[5]

وما يجعل مثل هذا مسروقا إلا من لا معرفة له بجليِّ المعاني فضلا عن خفيها.

38 – ومن ذلك قول أبي تمام يصف الفرس:

مِـنْ نَجْلِ كُـلِّ تَلِيدَةٍ أَعراقُهُ   طِرْفٍ مُعِمٍّ فِي السَّوَابِقِ مُخْوِلِ[6]

(1) من قصيدة له في الفخر (الديوان 475) والنجر – بفتح النون وسكون الجيم – الأصل، والغوث– بفتح الغين وسكون الواو – هو الغوث بن طيئ جده الأعلى، وأرأم: أحب.

(2) من قصيدة له يمدح فيها عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر (الديوان: 2 – 151).

(3) هذا البيت آخر أبيات قصيدة يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله – ويقال: المأمون – (الديوان 282).

(4) من قصيدة له يرثي فيها أبا سعيد (2 – 258) وقبله – مما يتضح معناه – قوله:

لا تبعدن وكيف يقرب نازل   بالغيب تفنى دونه الأعوام
ولقد كفاك المكرمات مهذب   يرضيك منه النقض والابرام

(5) من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 293) ووقع في الأصول «في غداة مهضومة» وتصويبه عن الديوان، والمهضوبة: الممطورة، مأخوذ من الهضبة وهي المطرة، والهضب –بفتح فسكون – حلبات القطر بعد القطر، هذا وقد سقط من أصول الكتاب بيت البحتري الذي يقال إنه أخذ معناه من هذا البيت.

(6) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 235) والنجل الولد، والتليدة: الأصيلة، والأعراق: الأصول، والطرف: الكريم، والمعم: الذي له عم، والمخول : الذي له خال.

وقول البحتري:

وَافِي الضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ   يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمّ مُخْوِلِ[1]

وما في «معمٍّ مخول» من الغرابة حتى يتلقنه البحتري من أبي تمام على كثرته على الألسن وقول الناس في مدح الفرس: كريم الآباء والأمهات، وشريف الأنساب؟

39 – ومن ذلك قول أبي تمام:

فأَذْرَتْ جُمَانًا مِنْ دُمُوعٍ نظامها   عَلَى الْخَدِّ إِلَّا صَائِغَها الشِّعْرُ[2]

وقول البحتري:

جَـرَى فِي نَحْرِهَا مِنْ مُقْلَتَيْها   جُمَانٌ يَسْتَهِلُّ عَلَى جُمَانِ[3]

فالاتفاق ههنا إنما هو في لفظ «جمان» وقول ذلك «نظامها على الخد» وقول هذا «جرى في نحرها» فلا يقتضي أن يكون أحدهما مأخوذا من الآخر؛ لأن الدمع على الخد جَرْيُه، وإلى النحر يَصِل، وهذه حال لا يجهلها أحد ممن وصف الدمع.

40 – ومن ذلك قول أبي تمام:

وَهَلْ لِلْقَرِيضِ الْغَضِّ أَوْمَنْ يَحُوكُهُ   عَلَى أحَدٍ – إِلَّا عَلَيْكَ – مُعَوَّلُ[4]

وقول البحتري:

وَعَلَيْكَ سُقْياهُمْ لَنا إِذْ لَمْ يَكُنْ   فِي نَوْبَةٍ إِلَّا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ[5]

فحَظَر على البحتري لفظة «معول» وحَرَّمَها عليه من أجل أن أبا تمام لَفَظَ بها.

(1) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(3) في أصول هذا الكتاب «إلا أن طالعها السفر» وتصويبه عن الديوان، وقبل هذا البيت – مما يتضح به معناه– قوله:

تصدت وحبل البين مستحصد شزر   وقد سهل التوديع ما أوعز الهجر

وقالت: أتنسى البدر؟ قلت تجلدا: إذا الشمس لم تغرب فلا طلع البدر

(4) من قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابني المدير (الديوان: 2 – 280)

(5) من قصيدة له يمدح فيها أبا المستهل محمد بن الطائي (الديوان 245) وفيه «فهل للقريض الغض أو من يصوغه» والقريض: الشعر، والغض: أصله الطري، وأراد به الطريف المبتدع.

41 – ومن ذلك قول أبي تمام:

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً ... مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّها مِنْ مَالِهِ[1]

وقول البحتري:

حَازَ حَمْدِي، وَلِلرِّياحِ اللَّوَاتِي ... تَجْلِبُ الْغَيْثَ مِثْلُ حَمْدِ الْغُيُومِ[2]

فمعنى أبي تمام مشترك بين الناس، وليس مخترعا، لأنك أبدًا تسمع قول القائل – إذا بلغ حاجته بشفاعة – أن يقول للشفيع: ما أعتدُّ هذه إلا من الله ومنك، فليس لأبي تمام فيه شيء أكثر من أن عَبَّر فيه بعبارة حسنة مكشوفة، فالبحتري لم يأخذ المعنى منه لأنه في العادات موجود، ولكنه أحسن في التمثيل، وأغرب وأبدع.

****

وهذا الآن ما أخطأ فيه البحتري من المعاني

1 – قال البحتري:

ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يذُبُّ عَنْ ... عُرْفٍ وَعُرْفٌ كالْقِناعِ الْمُسْبَلِ[3]

هذا خطأ من الوصف؛ لأن ذَنَب الْفَرَس – إذا مسَّ الأرض – كان عيبا، فكيف إذا سَحَبه، وإنما الممدوح من الأذناب ما قَرُبَ من الأرض ولم يمسَّها، كما قال امرؤ القيس:

(1) سادس ستة أبيات يمدح فيها إسحاق بن أبي ربعي كاتب أبي دلف ويسأله أن يشفع له (الديوان 240) والصنيعة: المكرمة.

(2) من أبيات له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحراني ويستعينه في قضاء حاجة (الديوان: 2 – 250) ووقع في الأصول «خان حمدى» وهو تحريف شنيع تصويبه عن الديوان، وقبله – مما يوضح معناه – قوله:

وكريم عدا فأعلق كفي ... مستميحا في نعمة من كريم

(3) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

* بِـضَـافٍ فُـوَيْـقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِـأَعْـزَلِ[1]

فقال «فويق الأرض» [أي: فوق الأرض] بقليل.

وقد عِيبَ على امرئ القيس قوله:

لَهَا ذَنَـبٌ مِثْلُ ذَيْـلِ الْعَرُوس تَسُدُّ بِـهِ فُرْجَها مِـنْ دُبُـرْ[2]

وما أرى العيب لحق امرأَ القيس في هذا؛ لأن العروس إذا كانت تسحب ذيلها، وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض فهو عيب؛ فليس ينكر أن يشبه الذنب به إن لم يبلغ أن يمس الأرض؛ لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قرب منه، أو دنا من معناه، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه، ولاق به، ولأن امرأ القيس لم يقصد طولَ الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط، وإنما أراد السبوغَ والكثرةَ والكثافة، ألا تراه قال «تسد به فرجها من دبر» وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفا، بل يكون رقيقا نَزْرَ الشعر خفيفا فلا يسد فرج الفرس، فلما قال «تسد به فرجها» علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول، فإنما أشبه الذنبُ الطويلُ ذيلَ العروس من هذه الجهة، وكان في الطول قريبا منه؛ فالتشبيه صحيح، وليس ذلك بموجب للعيب، ولا أن يكون ذنبُ الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضًا أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض، وإنما العيب في قول البحتري «ذَنَبٌ كما سُحب الرداء» فأفصح بأن الفرسَ يسحبُ ذنبه.

ومثلُ قول امرئ القيس قولُ خِداش بن زهير:

لَهَا ذَنَـبٌ مِثْلُ ذَيْـلِ الْـهَـدِيِّ إِلَـى جُـؤْجُـؤٍ أَيِّـدِ الـزَّافِـرِ

(1) هذا عجز بيت من طويلته المعلقة، وصدره قوله:

* ضـلـيـع إذا اسـتـدبـرتـه سـد فـرجـه*

والضليع: القوي المنتفخ الجنبين، وفرجه: ما بين رجليه، والضافي: السابغ وأراد به ذنب الفرس، و«ليس بأعزل» ليس ذنبه إلى جانب.

(2) قد تقدم ذكر ما بعد هذا البيت في مآخذ العلماء على الشعراء. وانظر العقد الثمين (86).

الهديّ: العروس التي تُهْدَى إلى زوجها، وأيّد: شديد، والزافر: الصدر؛ لأنها تزفر منه، فإنما أراد بذيل العروس طولَه وسبوغه، فشبه الذنبَ السابغ به، وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمسَّ الأرض.

ومما يصحح ذلك قولهم: فرسٌ ذَيَّال؛ إذا كان طويلا طويل الذنب، فاذا كان قصيرا طويل الذنب قالوا: ذائل، وإنما قالوا ذلك تشبيهًا للذنب بالذيل لا غير، قال النابغة:

بِكُلِّ مُدَجَّج كاللَّيْثِ يَسْمُو　　　إلى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

رفنّ ورفلّ واحد، وهو الطويل الذنب.

وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرئ القيس فيما بينته من سهو أبي العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرئ القيس من الغلط في كتابه الذي جمع فيه سرقات الشعراء.

2 - وقال البحتري:

هَجَرَتْنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى عَا　　　دَاتِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى[1]

وهذا عندي غلط؛ لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها، يقظى كانت أو وَسْنَى، والجيد قوله:

أُرَدُّ دُونَكِ يَقْظانًا وَيَأْذَنُ لِي
عَلَيْكِ سُكْرُ الكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْناتَا[2]

فصحح المعنى وأتى به على حقيقته

وكذلك قوله:

إذا مَا تَبَادَلْنا النَّفائِسَ خِلْتَنَا　　　مِنَ الجد أَيْقاظًا وَنَحْنُ نِيامُ[3]

---

(1) هو ثاني بيت في قصيدة له يمدح فيها ابن الفياض (الديوان 2 - 290) والبيت الذي قبله هو قوله:

ما تقضى لبانة عند لبنى　　　والمعنى بالغانيات معنى

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر، وقد تقدم ذكره في سرقات البحتري (انظر ص 225 من هذا الكتاب).

(3) من قصيدة له يعتذر فيها إلى يعقوب بن أحمد بن صالح (الديوان 2 - 249) وفيه «إذا ما تباذلنا» وقبله قوله:

وما نلتقي إلا على حلم هاجد　　　يحل لنا جدواك وهي حرام

وقوله:

* نُـعَـذَّبُ أَيْـقَـاظًـا وَنَـنْـعَـمُ هُـجَّـدَا[1]

جيد أيضا؛ لأنه حملها على أن حالها مع خياله إذا نامت كحاله مع خيالها إذا نام، وأن كل واحد منهما ينعَم مفردا مع خيال صاحبه؛ لأنهما ينعمان معا في حال واحدة إذا نام أحدهما فرأى خيال الآخر. وإنما أخذ معنى بيته الأول وعليه بني أكثر أوصافه للخيال من قول قيس بن الخطيم[2].

أَنَّى سَرَبْت وَكُنْت غَيْرَ سَرُوبِ ... وَتُـقَـرِّبُ الأَحْـلامُ غَيْرَ قَرِيبِ
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تُؤْتِينهُ ... فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

وما أظن أحدًا سبق قيسًا إلى هذا المعنى في وصف الخيال، وهو حسن جدا، ولكن فيه أيضا مقال لمعترض، وذلك هو الذي أوقع البحتري في الغلط؛ لأن قيسًا قال «ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم» فأراد أيضا أنها تؤتيه نائمةً وخيال المحبوب يتمثل في حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت، وكان الأجود لو قال: ما تمنعي في اليقظة فقد تؤتينه في النوم: أي ما تمنعينه في يقظتى فقد يؤتينه في حال نومي، حتى يكون النوم واليقظة معا منسوبة إليه، إلا أنه يتّسع من التأويل لقيس ما لا يتسع للبحتري؛ لأن قيسا قال: «فقد تؤتينه في النوم» فقد يجوز أن يُحمل على أنه أراد ما تمنعي يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه في نومي، ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري؛ لأن البحتري قال وَسْنى ولم يقل في الوسن.

---

(1) هذا عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله ويستشفعه إلى ابنه عبد الله (الديوان: 1 - 174) وصدره - مع بيتين قبله - قوله:

إذا ما الكرى أهدى إلي خياله ... شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
إذا انتزعته من يدي انتباهة ... عددت حبيبا راح مني أو غدا
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا ... نعذب أيقاظا وننعم هجدا

(2) قد مضى ذكر ثاني هذين البيتين في أصل هذا الكتاب (ص 225) وذكرنا أولهما في الهامشة (رقم 1) فارجع إليها.

3 – وقال البحتري في مدح المعتز بالله:

لا الْـعَـذْلُ يَـرْدَعُـهُ وَلا الـ ـتَّعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهْ[1]

وهذا عندي من أهجن ما مدح به خليفة وأقبحه، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفة أو يصده؟ إن هذا بالهجو أولى منه بالمدح.

4 – وقال البحتري:

تَشُقُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ كُـلَّ عَشِيَّةٍ جُيُوبَ الْغَمَامِ بَيْنَ بِكْرٍ وَأَيِّمِ[2]

وهذا أيضا غلط؛ لأنه ظن أن الأيم هي الثيب، وقد غلط في مثله أبو تمام، وذكرته في أغاليطه، وسها فيه أيضا بعضُ كبار الفقهاء، فظن البحتري أن الأيم هي الثيب، فجعلها في البيت ضدَّ البكر، والأيم: هي التي لازوج لها، بكرًا كانت أو ثيبا، قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ [النور: 32] أراد جل ثناؤه اللواتي لا أزواج لهن؛ فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الأيّم فتكون بكرا وتكون ثيبا، وتكون بكرا ومعنسا وكعابا، إلا أن لفظة «أيم» لا تزول عن شيء من هذه الأوصاف، وليست عبارة إلا عن التي لا زوج لها لا غير، وقد شرحت هذا المعنى شرحا شافيا في غلط أبي تمام.

5 – وقال البحتري:

شَرْطِيَ الإنْصَافُ إنْ قِيلَ اشْتَرِطْ وَصَدِيقِي مَنْ إذا قَالَ قَسَطْ[3]

وكان يجب أن يقول «أقسط» أي: عَدَلَ، وقسَط – بغير ألف – معناه جار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن: 15] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: 42]

(1) الديوان (1 – 162)

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(3) أول كلمة له يمدح فيها العلاء بن صاعد (الديوان: 2 – 332) وفيه «وخليلي من إذا صافى قسط».

6 – وقال البحتري:

صبغة الأفق بين آخر ليل ... مُنْقَضٍ شَأْنُهُ وأَوَّلِ فجْر[1]

يصف فرسا أشقر أو خلوقيا، والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر، وهو عندي في هذا غالط؛ لأن أول الفجر الزرقة، ثم البياض، ثم الحمرة عند بدوّ قرن الشمس، كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة، ثم البياض، ثم الزرقة وهي آخر الشفق؛ وقال البحتري:

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ ... وَأَوَّلُ الْغَيْثِ رَشٌّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ[2]

وقال آخر:

وأن يسجع القمري فيها إذا غدا ... بركبانه قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ أَزْرَقُ

وكأن البحتري أراد أن يقول بين آخر ليل منقض شأنه وأول نهار؛ فيكون قد قابل بين الليل والنهار، والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول النهار، كما تكون بين آخر النهار وأول الليل؛ فقال «وأول فجر»، والجيد في هذا قول أبي تمام يصف فرسًا أشقر:

كــأَنْ ... قَدْ كُسِفَتْ فِي أَدِيمِهِ الشَّمْسُ[3]

7 – وقال البحتري:

قِفِ الْعِيسَ قَدْ أدنى خُطاهَا كَلالُهَا ... وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[4]

(1) من قصيدة له يمدح فيها محمد بن بدر (الديوان: 2 – 20).

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب سليمان بن وهب (الديوان : 1 – 65) وروايته فيه

وأزرق الفجر يأتي قبل أبيضه ... وأول الغيث طل ثم ينسكب

(3) هذه قطعة من بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 168) وهو بتمامه هكذا:

ضمخ من لونه فجاء كأن ... قد كسفت في أديمه الشمس

وضمخ – بالبناء للمجهول – لطخ بالطيب ونحوه، والأديم : الجلد

(4) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان 2 – 179) والكلال – بزنة السحاب – التعب والإعياء.

هذا لفظ حسن، ومعنى ليس بالجيد؛ لأنه قال «قد أدنى خطاها كلالها» أي: قارب من خطوها الكلَال، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التي تَعَرَّض لأن يشفيه سؤالها، وإنما وقف لإعياء المطيِّ.

والجيد قولُ عنترة؛ لأنه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبه ناقته بالقَصْر، فقال:

فَوَقَفْتُ فِيها نَاقَتِي وَكَأَنَّها فَدَنٌ لِأَقْضِيَ حاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ[1]

قال ذلك ليعلم أنه لم يقف بها ليريحها

وقد كشف عن هذا المعنى ذو الرمة فأحسن وأجاد، فقال:

أَنَخْتُ بِهَا الْوَجْنَاءَ لَا مِنْ سَآمَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جَاءٍ وَذاهِبِ

يقول: أنخت بها لأصَلّي، لا من سآمة بها، وقوله «لثنتين» يريد اللتين يَقصُرهما المسافر «بين اثنين جاءٍ» يريد الليل «وذاهب» يريد النهار.

فإن قيل: فإنما قال «قد أدنى خطاها كلالها» ليعلم أنه قصد الدار من شُقَّة بعيدة.

قيل: العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها، وإنما تجتاز بها، فيقول الرجل لصاحبه أو صاحبيه: قِفْ وقِفَا، وإنما ذلك تعريج على الديار في مسيرها، وسأزيد في شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار.

8 – وقال البحتري[2]:

غَرِيبُ السَّجَايَا مَا تَزَالُ عُقُولُنَا مُدَلَّهَةً فِـي خَلَّةٍ مِـنْ خِلالِهِ

إذا مَعْشَرٌ صانُوا السَّماحَ تَعَسَّفَتْ بِـهِ هِمَّة مَجْنُونَة فِي ابْتِذَالِهِ

قوله «إذا معشر صانوا السماح» معنى رديء؛ لأن البخيل ليس من أهل السماح فيكون له سماح يصونه، وسواء عليه قال: صانوا السماح، أو صانوا السخاء، أو صانوا

(1) هو من طويلته المعلقة (انظر شرح القصائد العشر ص 173) والفدن –بفتح الفاء والدال جميعا– القصر، والمتلوم – بتشديد الواو مكسورة– المتمهل.

(2) من قصيدة له يمدح فيها على بن يحيى (الديوان: 2 – 173).

الجود، أو صانوا الكرم؛ فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئا، وهو منهم بعيد، فكيف يصونونه؟

فإن قيل: إنما أقام السماح مقام الشيء الذي يُسْمَح به، وفي مَجَازات العرب ما هو أبعد من هذا.

قيل: البحتري لا يُسَوِّغ مثل هذا، ولا يجوز له؛ لأنه متأخر، ولا سيما أن ليست ههنا ضرورة؛ لأنه قد كان يمكنه أن يقول: «صانوا الثراء» مكان «صانوا السماح».

وهـذا ما عِيبَ به البحتري وليس بعَيْبٍ

وإنما ذكرته لئلا يظن ظان أنه صحيح، وأني تخطيته؛ فمن ذلك ما نعاه عليه أصحاب أبي تمام، وهما بيتان، وقد ذكرت احتجاج أصحاب البحتري فيهما في الجزء الأول من هذا الكتاب، وأنا أعيد ذكرهما لزيادة عندي في الاحتجاج يحتاج إليها.

1 - أنكروا عليه قوله:

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكأَنَّهَا ... فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنـاءِ[1]

وقالوا: لو ملئ الإناء دِبسًا لكانت هذه حاله، والمعنى عندي صحيح: لا عيب فيه، ولا قَدْح، وذلك أن الرجل قد دَلّ بهذا الوصف على أن شُعَاع الشراب في غاية الرقة، فاعتمد أن وصف الإناء وما فيه وصف الهيئة على ما هي عليه، وإنما أخذ المعنى من قول علي بن جبلة:

كـأَنَّ يَـدَ النَّدِيمِ تُـديرُ مِنْهَا ... شُعَاعًا لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ[2]

ألا ترى أن هذا أيضًا قد دل على أن الكاس في غاية الرقة، ومثله قول الآخر:

إنــما نعجتنا مَـوْسُـومَـةٌ ... ضمنت حمراء تَرْمِي بِالزَّبَدْ[3]

وإذا مـا نـزلـت فـي كأسها ... فَهْيَ وَالْكأسُ مَعًا شَـيْءٌ أَحَدْ

(1) قد مضى ذكر هذا البيت (انظر ص 25 و 224 من هذا الكتاب).

(2) انظر (ص 25 و 224 من هذا الكتاب) أيضا.

(3) قد أنشد المؤلف ثاني هذين البيتين فيما مضى (27) عن أبي الحسن الأخفش، وفيه «وإذا ما مزجت».

وقد أنشد أبو العباس ثعلب بيت البحتري هذا في أماليه، وقال: إنه أخذ المعنى من قول الأعشى:

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِها وَهْيَ دُونَهُ ... إِذَا ذاقَهَا مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ[1]

قال أبو العباس: وهذا البيت أجود ما قيل في وصف الخمرة؛ لأنه جمع بين اللون والطعم، ونحوه قول الآخر، وهو الأخطل:

وَلَقَدْ تُباركُنِي عَلَى لَذَّاتِهَا ... صَهْباءُ عَارِيَةُ الْقَذَى خُرْطُومُ

يريد أنها صافية؛ فالقذى فيها لا يستتر، ولم يعب أبو العباس البحتري، ولا طعن في بيته، بل يدُلُّك إنشاده وذكرُهُ في موضع السرق على استجادته واستحسانه إياه.

2 - وأنكروا قوله:

ضَحِكاتٌ فِي إِثْرِهِنَّ الْعَطايَا ... وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ[2]

وقالوا: أقام الرعود مُقَام العطايا، وإنما كان ينبغي أن يقيم الغيوث مُقَام العطايا، وهذا جهل ممن قاله بمعاني كلام العرب، ومعنى التمثيل في البيت صحيح؛ لأن الرعد مقدِّمة الغيث، وقلَّ رعدٌ لا يتلوه المطر، وإذا كان هذا هكذا فقد صار المعنى كأنه أول له، وإنما أخذ البحتري المعنى من قول بشار:

وَعْدُ الْجَوَادِ يَحُثُّ نائِلَهُ ... كالْبَرْقِ ثم الرَّعد فِي أَثَرِهْ

وأظنهما جميعا أخذا المعنى من قول الأعشى:

وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْـ ... ـتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلا[3]

فأقام الرعد مقام الغيث. ونحوه قول بشار:

حَلَبْتُ بِشْعرِي رَاحَتَيْهِ فَدَرَّتَا ... سَمَاحًا كَما دَرَّ السَّحَابُ عَلَى الرَّعْدِ

وأنشد ابن الأعرابي في نوادره:

فَإِنْ لَمْ أُصَدِّقْ ظَنَّهُمْ بتَيقُّنِي ... فَلا سَقَتِ الْأَوْصالَ مِنِّي الرَّوَاعِدُ

(1) انظره في ديوان الأعشي (147) ويتمطَّق: يتلمظ.

(2) انظر (ص 25 من هذا الكتاب).

(3) قد سبق ذكره في (ص 30 من هذا الكتاب).

فجعل التي تسقي هي الرواعد، وقال الكميت:

وَأَنْــتَ فِي الشِّتْوَةِ الْجَمادِ إذا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدُها[1]

ومثل هذا كثير في كلامهم لا ينكره منكر، وقال أبو تمام:

وكَذا السَّحَائِبُ قَلَّما تَدْعُو إلَى مَعْرُوفِها الـرُّوَّادَ مَا لَمْ تُبْرِقِ[2]

فجعل البرق عند الرواد دليل الغيث، وقد يكون برق لا مطر معه كثيرا، وبرق الخلَّب هذه حاله؛ فالبحتري في أن أقام الرعد مقام الغيث أعذر من أبي تمام؛ لأنه قد يرتفع سحاب وبرق لا مطر فيه، فإذا أرعد لايكاد يخلف.

3 - ومن ذلك قول البحتري:

يا هِلالًا أَوْفَى بِأَعْلَى قَضِيبٍ وَقَضيبًا عَلَى كَثِيبٍ مَهِيل[3]

وقالوا: هذا خطأ؛ لأن الكثيب - إذا كان مهيلا- فإنه يذهب ولا يستمسك وذلك مذموم من الوصف، قالوا: والجيد قوله:

كالبدر غير محيل والغصن غيـ ـر مميل والدعص غير مهيل[4]

وقالوا: قد تراه هنا كيف شرط في الدِّعْصِ - لما مثل العجُزَ به - أن جعله غير مهيل، لأن العرب إِذا شبهت أعجاز النساء بكُثبان الرمل شَرَطت فيها أن تكون ندية، وأن تكون ممطورة، كأنها الكثبان غِبَّ سارية ناوية سمان، من النيِّ وهو الشحم، كقول الآخر:

*** مِـثْـلُ الْـكَـثِـيـبِ إذا مـا بَـلَّـهُ الْـمَـطَـرُ[5]**

---

(1) ومضى ذكر هذا أيضا في (ص 30 من هذا الكتاب).

(2) قد تكرر ذكر هذا البيت (انظر ص 73).

(3) من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب بن طوق (الديوان: 2 - 205).

(4) لا يوجد هذ البيت في ديوان البحتري المطبوع في مصر.

(5) الكثيب - بفتح الكاف - التل من الرمل، سمي بذلك لأنه انكثب أي انصب في مكان فاجتمع فيه، ويجمع على كثب كسرر، وعلى أكثبة كأرغفة وعلى كثبان، بضم الكاف.

وكما قال مِرْداس بن أبي عامر السلمي:

إذا هِيَ قَامَتْ في النِّسَاءِ حَسِبْتَ مَا ... فُوَيْقَ نِطَاقِ الْعِقْدِ صَعْدَةَ مأسم[1]

وَأَسْفَلُ مِنْهُ ظَهْرُ دِعْصٍ أَصَابهُ ... نجاءالسماك في الكثيبِ الْمُجَسَّمِ[2]

وقال الأخضر بن جابر الفزاري:

بكرتِ أَثْنَاءَ اللِّفَاعِ الأَتْحَمِي ... بِمِثْلِ دِعْص الرَّمْلَةِ الْمُدَيَّمِ[3]

أراد الذي قد بَلَّته الدِّيمَة، وهي السحابة، وقال جَنْدَل بن المثنى الطُّهَوِيُّ:

لا بَلْ كَدَعْصاءَ نَفَاهَا مُثْرِي ... عَفْرَاءُ حُفَّتْ بِرِمَال عُفْرِ[4]

وقال امرؤ القيس:

كَحِقْفِ النِّقا يَمْشي الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ

بما احْتَبَسَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وَتَسْهَالِ[5]

والحِقْف: المستدير من الرمل؛ لأن الريح تنحله وتجمعه، وقال «يمشي الوليدان فوقه» لأن الندى أصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة، وقد شبه امرؤ القيس أيضا كَفَلَ الفرس بالدِّعْصِ النَّدى فقال:

---

(1) الصعدة: القناة المستوية تنبت هكذا ولا تحتاج إلى تثقيف، وتجمع على صعاد كجفان، شبه عنقها في استوائه بها.

(2) الدعص - بكسر الدال وسكون العين - كثيب الرمل المجتمع، وجمعه أدعاص ودعصة.

(3) اللفاع: كل ما تجلل به المرأة جسدها، كساء كان أو غيره والأتحمي: ضرب من البرود، هذا أصله، وقد أشربه هنا معنى الوصف، كما اشتقوا منه فعلا فقالوا: تحمت الثوب، يريدون معنى وشيته، وذكر في اللسان أن الأتحمي من البرود هو الأحمر، فيكون قد استعمله هنا في الأحمر فجرده عن بعض معناه، والدعص: الكثيب، والمديم: الذي أصابته الديمة - بكسر الدال - وهي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، يكون أقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وقال ابن مقبل:

رَبِيبَةُ رَمْلٍ دَافَعَتْ فِي حُقُوفِهِ ... رَخَاخَ الثَّرَى وَالْأُقْحَوَانَ الْمُدَيَّمَا

ومن هنا تعرف أن تفسير المؤلف الديمة بالسحابة فيه قصور.

(4) أراد بالدعصاء القطعة من الدعص، ونفاها: أراد باللها ورشها، من قولك: نفت السحابة الماء نفيانا، إذا مجته، وقال الأزهري: نفيان السحاب ما نفاه السحاب من مائه فأساله، والمثرى، اسم الفاعل من قولك: أثرى المطر إذا بل الثرى، فكأنه قال كقطعة من الرمل رشها المطر بمائه.

(5) انظره في العقد الثمين (101) وقبله قوله:

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها ... تميل عليه هونة غير مجيال

لَهُ كَفَلٌ كالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدَى إلى كاهِلٍ مِثْلِ الرِّتَاجِ الْمُضَبَّبِ[1]

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

وَإنْ مَالَ الضَّجِيع بِهَا فَدِعْصٌ مِـنَ الْكُثْبَانِ مَلْتَبِدٌ مَطِيرُ[2]

قالوا: هذا الوصف المجوَّد، والمعنى الصحيح من معاني العرب، ولولا أن تشبيه أردافه بالكثيب المُنْهال خطأً لما قال البحتري في بيته الآخر «والدعص غير مهيل»

وهذا المذهب الذي ذهبوا إليه لعمري صحيحٌ من مذاهبهم، إلا أن الشعراء إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فإنما تقصد إلى تحرك أعجازهن عند المشي، كما قال رؤبة بن العجاج:

إذا وَصَـلْـنَ الْـعَـوْمَ بِالْهِرْكَلِّ رَجْرَجْنَ مِنْ أَعْجَازِهِنَّ الخُزْلِ[3]

* أَوْرَاكَ رَمْـــلٍ وَالــــجٍ فـــي رَمْـــلِ*

فقال «أوراك رمل والج في رمل» ووُلُوجه: تحرُّكه ودخول بعضه في بعض، وكما قال الأعشى[4]:

---

(1) انظره في العقد الثمين أيضا (66) وفيه «له حارك كالدعص» والكفل -بفتح الكاف والفاء جميعا- العجز أو الردف، والحارك: أعلى الكاهل، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق، والرتاج - بزنة الكتاب - الباب العظيم والمضبب: الذي جعلت له ضبة، وهي حديدة عريضة.

(2) ملتبد: لاصق بعضه ببعض حتى يصير كاللبد، وذلك من أثر الماء، ومطير: ممطور، فعيل بمعنى مفعول.

(3) أصل العوم السباحة في الماء، ويشبه بها المشي اللين الهادئ، والهركل - بكسر الهاء وسكون الراء وفتح الكاف وتشديد اللام - ضرب من المشي فيه اختيال وبطء، وقال الراجز:

قَـامَـتْ تَـهـادَى مَشْيُهَا الْـهِـرْكَـلا بَـيْـنَ فِـنَـاءِ الْـبَـيْـتِ وَالْـمُـصَـلَّـى

ورجرجن: حركن، والأعجاز: جمع عجز، والخزل: جمع أخزل، وهو كقول الأعشى:

* إذَا تَـأَتَّـى يَـكَـادُ الْـخَـصْـرُ يَـنْـخَـزِلُ*

(4) انظرهما في ديوان الأعشى (ص 266) وقبله قوله

يَـنُـوءُ بِهَا بُـوصٌ إذَا مَـا تَفَضَّلَتْ تَـوَعَّـبَ عَـرْضَ الشَّرْعَبِيِّ الْمُغَيَّلِ

وينوء بها: يثقلها، والبوص-بضم الباء- العجيزة، وتفضلت: لبست الثياب التي تبتذل للنوم، وتوعب: استوعب، والشرعبي: ضرب من البرود، والمغيل الذي صنع واسعا، والضمير المستتر في «توعب» يعود إلى البوص.

رَوَادِفُـهُ تَثْنى الـرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ إلى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيِّلِ[1]
نِيَافٌ كَغُصْنِ الْبَانِ تَرْتَجُّ إنْ مَشَتْ
دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ في كُلِّ مَنْهَلِ[2]

فدل بقوله «ترتج إن مشت» على أن قوله «إلى مثل دعْصِ الرَّمْلَةِ المُتَهَيِّل» إنما أراد تحرك عجزها في حال مشيها، وكذلك قول رؤبة:[3]

مَيَّالَة مِثْلُ الكَثيب الْمُنْهَالْ عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ مُعْطِي الأَسْهَالْ[4]
ضَـرْبُ الـسَّـوَاري مَـتْـنَـهُ بِـالـتَّـهْـتَـالْ[5]

التهتال والتهتان واحد، فقال: «مثل الكثيب المنهال» لمال قال «ميالة» أي: أنها تتثني في مشيتها وتتحرك روادفها، وشرط ائه «عزز منه ضرب السواري» أي شده ليمنع من سيلانه وذهابه، وإنما أراد حالا بين الحالين، ألا تراه قال «وهو معطي الأسهال ضرب السواري» وهو مع ذلك يتهيل. وقال ابن أخي سفيان الغامدي:

ذَاتَ شَوًى عَبْلٍ وَخَصْرٍ أَبْتَلِ وَكَفَلٍ مِثْلِ الكَثيبِ الأَهْيَل[6]

فأراد بالأهيل الذي يتدَحْرج عند المشي، وقال المقنع الكندي:

إذَا قَـامَـتْ تَـنُـوءُ بِمُرْجَحِنٍّ كَدِعْصِ الرَّمْلِ يَنْهَالُ انْهِيَالا[7]

(1) وقع في أصول هذ الكتاب «ورادفة» وهو تحريف أثبتنا صوابه عن الديوان، والضمير البارز المتصل في «روادفه» يعود إلى البوص.

(2) وقع في أصول الكتاب «فياف» وهو تحريف أثبتنا صوابه عن الديوان ونياف: خبر مبتدأ محذوف، يريد هي نياف، والنياف – بزنة الكتاب – التامة الطول والحسن.

(3) نسبه في اللسان (ه ت ل) إلى العجاج.

(4) عزز: قوي وصلب.

(5) وقع في الأصول «صوب السواري» وهو تحريف، وأراد بالسواري السحائب الممطرة.

(6) الشوى: اليدان والرجلان وأطراف الأصابع، وعبل: ضخم، وأبتل: منقطع، يريد أنه ناحل يكاد ينقطع، وباقي المفردات تقدم في شواهد هذه المسألة مشروحا.

(7) المرجحن: اسم الفاعل من قولك: ارجحن الشيء، إذا اهتز أو مال، وقال الشاعر:

وَشَـرَاب خُـسْـرُوَانِـي إذَا ذاقَـه الـشيخ تَـغَـنَّـى وارْجَـحَـنّ

وأراد بالمرجحن هنا عجزها.

فجاء بذكر الانهيال من أجل ذكره للقيام، ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفا.

وقال عبد الرحمن بن الحكم:

كأنَّ مَا بَيْنَ قُصْرَاهَا وَخِنْصَرِهَا مِنْهَا نقًا دَمِثٌ مَنْ عَالج هَارِ[1]

فقصراها: آخر الأضلاع، وهي القُصْرى والقُصَيْرَى، فدل بقوله «هار»على أنه أراد تحرك روادفها، فكذلك قول البحتري:

*** وقضيب على كثيب مهيل ***

إنما أراد تحرك أردافه، وقد دل على المشي بقوله:

*** يا هلالًا أوفي بأعلى قَضيبٍ***

فالمعنيان لا يتناقضان، لأن الشاعر إن ذكر الانهيال فإنه أراد الحركة عند المشي، وإن لم يذكر ذلك وشرط في الكثيب الندى وإصابة الغيث فإنما قصد أن ينص على اجتماعه واستمساكه كما قال رؤبة:

*** مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ المُنْهَال***

ثم قال:

عَزَّزَ منه وهو مُعْطِي الأسْهالْ ضربُ السَّواري مَتْنَه بالتَّهْتالْ

فانتظم الوجهان جميعا والذي شَرَح هذين المعنيين أتمَّ الشرح، وأبرَّ[2] في الوصف على كل محسن، تميمُ بن أبي بن مقبل في قوله يصف مشي النساء:

يَمْشِينَ هَيْل النَّقا مالَتْ جَوَانِبُهُ يَنْهالُ حِينًا وَيَنْهاهُ الثَّرَى حينًا[3]

إنما أراد بقوله «ينهال حينا» تحرك أعجازهنَّ إذا مَشَيْنَ كما يتحرَّك جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ماتحته من التراب والرمل الندي، وهذا لاشيء أوضح منه.

---

(1) القصرى -بضم فسكون - الضلع التي تلى الشاكلة بين الجنب والبطن والقصيرى - مصغرة- مثله، وأراد بما بين قصراها وخنصرها بطنها، وعالج: مكمان كثير الرمل، وهار: منهار.

(2) أبر: زاد.

(3) الهيل: الرمل الذي لا يثبت مكانه حتى يسقط.

4 – ومن ذلك قوله:

مَتَى أَرَدْنا وَجَدْنا مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَسْعاتِهِ وفَقَدْنا مَنْ يُدَانِيهِ[1]

وقالوا: ليس هذا بالجيد؛ لأنه وصفٌ يَشْرَك ممدوحَه فيه البقَّالُ والمراق وباعةُ الدواء ولُقَّاط النوى؛ لأن هؤلاء أيضا متى شِئنا وَجدْنا من يقصر عن مسعاتهم، وهو الحجام والكناس والنباش.

والبيت عندي صحيح، وغرض البحتري فيه معروف، ومثله قول الأعشى:

وَأَخُو النِّساءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ وَيَـعُـدْنَ أَعْـدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ[2]

وهو لا يشاء بذلك إنما أراد أنَّ ذلك سهلٌ موجود في النساء، وكذلك قول البحتري «متى أردنا وجدنا» أي: أن ذلك موجود سهل حاصل، وإن لم يكن هناك إرادة ولا طلب؛ لأن تلك حال قد عُلمت منه، وقد صَحَّح المعنى ووكَّد المدحَ بقوله «وفقدنا من يدانيه» والبقال والمراق وأمثالهما غير مفقود من يدانيهم؛ فجعل البحتريُّ أحَدَ القسمين في البيت معلقا بالآخر: أي ذلك كله سهل موجود، ولو اقتصر على النصف الأول كان لعمري فيه متعلَّق.

5 – ومن ذلك قوله:

تَهَاجُرٌ أَمَـمٌ لا وَصْـلَ يَخْلِطُهُ إِلَّا تَـزاوُرُ طَيْفَيْنا إِذا هجرَا[3]

قالوا: والطيفانِ لا يهجران، وإنما أراد إذا هجرنا، فقال «إذا هجرا» وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندي من الصواب، وهو أن قال: إنه أراد ألا تزاور نفسينا إذا

---

(1) من قصيدة له يمدح فيها أحمد بن ثوابة (الديوان: 2 – 322) وقبله قوله:

نغدو فإما استعرنا من محاسنه فضل وإما استمحنا من أياديه
برز في السبق حتى مل حاسده طول العناء وخلاه مجاريه

(2) انظر ديوان الأعشى ميمون (ص 98) وفيه «ويكن أعداء» ويروي «وأخو الغوان» و «يصرن أعداء» وهو من قصيدة له أولها قوله:

أجبير، هل لأسيركم من فاد؟ أم هل لطالب شقة من زاد؟

(3) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

هجرا، فأقام الطيف مقام النفس، وقال «هجرا» ولم يقل «هجرنا» للفظ الطيف وهو مذكر، وقال: إن النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42].

فقيل له: النفس لعمرى يطلق عليها النوم، فإذا نامت رأت خيالات الأشياء التي ترى حَقائقها في اليقظة؛ فالنفس غير الخيال، وقد تتمثل للنفس في حال يقظتها وإن لم ترها العين؛ فليس النفسُ من الخيال في شيء.

قال: فإذا كانت النفس والخيال يلتقيان في النوم فلِمَ لا أسميهما خَيالَيْنِ – وإن كان أحدهما خيالا والآخر نفسًا – على المجاز الذي تفعله العرب؟

وهذا عندي احتجاج صحيح، ويصح عليه معنى البيت

6 – ومما نسبو فيه البحتري إلى سوء التقسيم قوله:

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمُحَجَّبَ مَحْفِلٌ وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدُ(1)

وقالوا: إنه ليس في المصراع الثاني من الفائدة إلا ما في الأول؛ لأن مجلسه المحجب هي خلوته الخفية، قوله «محفل» كقوله «مشهد».

والمعنى عندي صحيح؛ لأن المجلس المحجّب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصُّهم، وفي الأكثر الأعم لا يسمى مجلسًا إلا وفيه قوم، ألا ترى إلى قول مُهَلْهِل:

*** وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ(2) ***

أي: أهل المجلس، على الاستعارة، فجعل البحتريُّ مجلسه الذي احتجَب فيه مع ما يخصه كالمحفل، والمحفل: هو المجمع الكثير، والخلوة الخفية قد يكون فيها منفردًا، وقد يكون معه محبوب فيها، وبين المجلس والمحفل فرق؛ فكأنه إذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده – ومن يشاهده يجوز أن يكون واحدًا اثنين – والمحفل لا يكون إلا عددًا كثيرًا، فهذا أيضا فرق صحيح، وإنما أراد البحتري أنه لا

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا ايوب ابن أخت أبيا لوزير (الديوان: 1 – 176) وقد تكفل المؤلف ببيان مفردات البيت.

(2) هذا عجز بيت من قصيدة له يرثي فيها أخاه كليب وائل، صدره قوله:

*** أُنْبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ ***

يفعل في مجلسه المحجَّب إلا ما يفعله في المحفل، ولا يفعل في خلوته الخفية إلا ما يفعله مع من يشاهده، ينسبه إلى شدة التصوُّن وكرم السريرة.

7 – ومثله قوله:

أَمِينَ اللهِ، دُمْتَ لَنا سَلِيما وَمُلِّيتَ السلامَةَ وَالدَّوَامَا[1]

قالوا وقوله «دمت لنا سليما» هو قوله «مُلِّيت السلامة والدواما» فإن هذا قبيح جدًا.

وليس الأمر عندي كذلك، بل القسمة صحيحة؛ لأنه لما تقدم ذكر السلامة والدوام في أول البيت، قال في عجزه: «ومليت السلامة» أي: أديمت لك تلك السلامة، والْمِلاوَة – بكسر السين وضمها وفتحها – ذكر ابن السكيت لها ثلاث لغات، وذلك الدوام، وليس بمنكر أن يقول «دام لك الدوام» كما يقول: طال طولك، وقر قرارك، وضل ضلالك، وزال زوالك، وذلك كلام مستعمل حسن، ومعنى «مُلِّيت» أُطِيلت [لك] وأديمت، مثل تَمَلَّيت، وهو مأخوذ من المَلاوة والمَلْوَةُ، وهما الدهر، والملوان: الليل والنهار. ومنه قولهم: وَقَفْتُ مَلِيًّا.

8 – وقال البحتري:

الْيَوْم أَطْلَعَ لِلْخِلافَةِ سَعْدَهَا وَأَضَـاءَ فينَا بَدْرُهَا الْمُتَهَلِّلُ[2]

لَبِسَتْ جَلالَةَ جَعْفَرٍ فَكأَنَّها سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهار الْمُقْبِلُ

وقالوا: هذا معنى فاسد؛ لأن السَّحر طُرَّة النهار وأوله وبدء ضيائه، والشيء في مثل هذا لايتجلل أوله؛ لأن التجلل هو أن يشتمل عليه ويغطيه، والسحر أمام النهار أبدا، فلا يجوز أن يتغشَّاه؛ لأنه المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها، فهل يدور حول كرة الأرض دائما على صورة واحدة لا يتغير.

(1) من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 2 – 225).

(2) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 2 – 158) وفيه في عجز الأول «وأضاء فيه بدرها».

وهذا عندي معارضة صحيحة، إلا أن هذا معنى يُتَجَاوز في مثله؛ لأن البحتري إنما أراد تجلله النهار في رأي أعيننا وما نشاهده؛ لأن زُرقة السحر لما استطار الضوءُ صار كأنه شيء عليها، وإن كانت حقيقتها أنها انقلبت إلى قطر آخر من الأرض.

9 - وقال البحتري:

لم أَرَ كالْهَجْرِ لَمْ يُرْحَمْ مَعَذَّبُهُ   وَالْوَصْلِ لم يَعْتَمِدْ مُعْطاهُ بِالْحَسَدِ[1]

وهذا بعضهم كان يراه سهوا، ويقول: إن المعذب بالهجر مرحوم، فأما الذي يواصله حبيبه فمغبوط أبدا ومحسود، وقد قيل في ذلك من الأشعار ما هو أشهر وأكثر؛ فمنها قولُ يزيد بن الطَّثْرية:

أَعُوذُ بخَدَّيْكِ الْكَرِيمَيْنِ أنْ يَرَى   لَنا حاسِدٌ فِي غُبَّرِ الْوَصْلِ مَطْمَعَا[2]

وقول أبي صخر الهذلي:

فَقَدْ تركَتْنِي أَحْسُدُ الطَّيْرَ أنْ أَرى   أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لَمْ يُرَوِّعْهُمَا النَّفْرُ[3]

وقول جرير:

وَيُحْسَدُ أَنْ يَزُورَكُمْ وَيَرْضَى   بِدُونِ الْبَذْلِ لَوْ عَلِمَ الْحَسُودُ

وقول جميل بن معمر :

لَوْلا الوُشاةُ لَزُرْتكُم بِبِلادِكُمْ   لكنْ أَخَافُ مَقَالَةَ الْحُسَّادِ

وقول عتبة بن مجر الحارثي (؟):

أَيَّامَ تَهْجُرُنِي لَيْلَى وَأُحْسَدُهَا   وَأَطْيَبُ الْعيْشِ عِنْدِي مُضغْةُ الْحَسَدِ

أي: هي تهجرني وأنا أحسدها: أي أُحْسَد عليها.

(1) هذا البيت ثاني أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا مسلم البصري (الديوان: 1 - 178) ووقع في الأصول في آخره «لم يعتمد معطاه بالجود» وهو تحريف صوابه عن الديوان، والذي قبله قوله:

عهد المشوق بوصل الأنس الخرد   يكاد يشرك نجم الليل في البعد

(2) غبر الوصل - بضم الغين وتشديد الباء مفتوحة - أعقابه.

(3) يروي - وهو المحفوظ- «أحسد الوحش» و «لا يروعهما النفر».

وليس الأمر عندي في هذا البيت ما تأوّله المتأول وظَنَّه، وذلك أن البحتري لم يرد بقوله «لم أر كالهجر لم يرحم مُعَذَّبه» حسن الهجر، ولا حسن الوصل، فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل، يقال: أَهْلَكَ الناسَ الدينارُ والدرهم، وإنما أراد «لم أر كالهجر لم يرحم معذبه» أي: كالهجر الذي هذه حاله، ولم يرد كل الرجال، وكيف يظن مثل هذا بالبحتري وهو يقول[1]:

وَنُحْسَدُ أَنْ يَسْرِي إِلَيْنَا مِنَ الْهَوَى عَقابيلُ يَعْتَادُ الْهَوَى بِاعْتِيادِهَا
فَكَمْ نَافَسُوا فِي حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ تَعَجَّبُ مِنْ أَنْفاسِنا وَامْتِدادِها

فقد ترى كيف يزعم أنه يُحْسَد على الجوى وعلى الحرق، فكيف على الوصل؟

10 – وقال البحتري:

أَيُّ لَيْلٍ يبهى بغَيْرِ نُجُومٍ وَسَحَابٍ يَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ[2]

عابَه بعضهم بهذا، وقالوا: قد يكون بَرْقٌ ولا غيث معه، وهو برقُ الخلّب، والرجل لم يقل لا برق إلا ومعه مطر، وإنما قال لا مطر إلا ومعه برق.

11 – وسمعت من يعيب قوله:

كالرَّوْضِ مُؤْتَلِقًا بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ وَبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ[3]

(1) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها المهتدي بالله (الديوان: 1 – 130) ووقع في الأصول في عجز أولهما «عقائل يعتاد الهوى» وهو تصحيف أثبتنا صوابه عن الديوان، وقبلهما قوله:

يكثر فينا الكاشحون وبيننا حواجز من سلمى و برك غمادها

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل (الديوان: 2 – 135) وفيه «أو سحاب تندى بغير بروق» وقبل هذا البيت قوله:

عذلتنا في عشقها أم عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيـ ـب فريعت من ظلمة في شروق
ولعمري لولا الأقاحي لأبصر ت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لو لم يحجر ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهباء بالماء أملى بصبوح مستحسن وغبوق

(3) من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 1 – 68) ووقع في الأصول «بحمرة لونه» وما أثبتناه عن الديوان وهو الذي يتطابق مع اعتراض المعترضين على هذا البيت.

ويقول: النَّور هو الأبيض، والزهر هو الأصفر بلا محالة، فإذا قلت «في هذا الروض أنوار مختلفةٌ» جاز ذلك، لأنك تضم إلى البياض غيره فيجري الرسم على الجميع، على سبيل المجاز، كما تقول «الْعُمَرَانِ» لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما و «الْقَمَرَانِ» للشمس والقمر، وما أشبه ذلك، وكذلك إذا قلت «فيها أزهار كثيرة» جاز ذلك وإن كان فيها أبيض وأحمر وما سواهما من الصفرة تَوَسُّعا ومجازا، فإذا فصلت مقيدا [اضطررت] لأن تخص كل جنس باسم كما فعل البحتري ولم يجز أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص؛فتقول حينئذ: يعجبني مِنْ هذا الموضع صفرةُ زَهْره، وبياضُ نَوْرِهِ، وحُمْرة شقائقه، ولا يجوز أن تقول: يعجبني حُمْرة نَوْره، ولا بياض زهره، كما قال البحتري؛ لأن ذلك خطأ في اللغة على ما استعملته العرب. ولعمري إن هذا هو الأشهر في كلامهم، والأغلب في المأثور عنهم، إلا أنهم قد جعلوا الزَّهَر نَوْرًا، والنَّوْرَ زَهَرًا، وجاء ذلك في الشعر، قال عدي بن زيد:

حتى تعاوَنَ مُسْتَك لَـهُ زَهَـرٌ ... مِنَ التَّنَاوِيرِ شَكْلَ الْعِهْنِ فِي اللُّؤَم[1]

اللُّؤم: جمع لَأْمة ولُؤْمَة، وهي مَتَاعُ الرجُل[2] من الْأَشِلَّة[3] والْوَ لايا[4] تكون مُوَشَّاة بالعِهْن والصوف المصبوغِ بالحمرة وغير ذلك من الألوان؛ فقال «زهر» ثم قال «من التناوير» وقال «شكل العهن» وقال زُهَير بن مسعود:

(1) أنشده في اللسان (هـ و ل - ل أ م) ووقع في الأصول «حتى تهول مستكا» وما أثبتناه عن اللسان في الموضعين، وأراد بالمستك روضا التفت أغصانه قال ابن منظور: «استك النبت : التف وانسد خصاصه، والأصمعي: استكت الرياض؛ إذا التفت، قال الطرماح يصف عبرا:

صُنْتُعُ الْحَاجِبَيْنِ خَرَّطَـهُ الْبَقْـ ... ـلُ بَدِيًّا قَبْلَ اسْتِكَاكِ الرِّيَاضِ

(2) في الأصول «وهى متلع الرجل» وهو تصحيف لا يقضي العجب منه.

(3) الأشلة: جمع شليل، وهو مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير من وراء جله، قال جميل بن معمر:

تئج أَجِيجَ الرَّحْلِ لَمَّا تَحَسَّرَتْ ... مَنَاكِبُها وَابْتُزَّ عَنْهَا شَلِيلُها

(4) الولايا: جمع ولية، وهي الرذعة.

مُـتَـنَـوِّرٌ غَــدِقُ النَّدى قُرْبانُهُ مثْلُ الْعُهُونِ مِنَ الخواطر مُقْمِرُ(1)

وقال أبو النجم:

فالرَّوْضُ قَدْ نَـوَّرَ فِي حُوّائِهِ مُخْتَلِف الألْـوَان فِي أَسْمَائِهِ(2)

نَوْرٌ تَحارُ الشَّمْسُ فِي حَمْرَائِهِ مُكَلَّلًا بِالنَّوْرِ مِـنْ صَفْرَائِهِ

فقال «بالنَّوْر من صَفْرائه». وقال حميد بن ثور:

كَـأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَـوْرَ حَنْوَةٍ إِذا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا(3)

يصف فرخ الحمامة وصُفْرة أشداقه، ويشبهها بصفرة نَوْرِ الْحَنْوَة؛ ولم يقل زهر حنوة، وقال الأعشى:

وَشَمُول تَحْسِبُ الْعَيْنُ - إِذَا صُفِّقَتْ - وُرْدَتَها نَوْرَ الذُّبَحْ(4)

والذُّبح: نبت، ونَوْره أحمر شديد الحمرة، ويقال له «الذِّبَح» وهذا كله دليل على أن هذه الأسماء تستعمل في هذه الألوان كما ترى على اختلافها.

(1) متنور : ذو نور، وغدق الندى: كثير الماء، والقريان: جمع قرى -بفتح القاف والراء جميعا- وهو مجرى الماء إلى الروض، وأراد بالخواطر الخطر وهي جمع خطرة، مثل سدرة وسدر، والخطرة: عشبة معروفة لها قضبة يجهدها المال ويغزر عليها.

(2) الحواء- بضم الحاء وتشديد الواو - نبت يشبه لونه لون الذئب، وقال أبو حنيفة: الحواءة بقلة لازقة بالأرض، وهي سهلية، ويسمو من وسطها قضيب عليه ورق أدق من ورق الأصل، وفي وسطه برعومة طويلة فيها بزرها.

(3) الحنوة - بفتح الحاء وسكون النون - نبات سهلي طيب الريح، قال النمر بن تولب يصف روضة:

وكـأَنَّ أنْـمَـاطَ الْـمَـدَائِـنِ حَولَهَا مِـنْ نَـوْرِ حَنْوَتها وَمِـنْ جَرْجارها

(4) انظر ديوان الأعشى (ص 162) وقد أنشده في اللسان (ذ ب ح) ببعض اختلاف، وما هنا كرواية الديوان، والوردة -بضم فسكون- اللون والذبح- بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة - الجزر البري، وله لون أحمر، وقيل: هو نبات يأكله النعام، قال ثعلب، «الذبحة والذبح (بضم ففتح فيهما) هو الذي يشبه الكمأة، ويقال له الذبحة والذبح (بضم ففتح فيهما) هو الذي يشبه الكمأة، ويقال له الذبحة والذبح (بكسر الذال فيهما) والضم أكثر، وهو ضرب من الكمأة بيض» اهـ. قلت: والذي يتناسب في بيت الأعشى تفسير الذبح بالجزر، فإن الخمر تشبه في لونها بما كان أحمر، ومنه قول الأعشى نفسه:

كـدم الـذبـيـح سـلـبـتـهـا جـريـالـهـا

ولم يذكروا في معاجم اللغة في الجزر اللغتين، ومنه تعلم ما في كلام المؤلف.

12 – وسمعت من يعيب قوله:

[فمُجَدَّلٌ ومُرَمَّلٌ وَمُوَسَّدٌ وَمُضَرَّجٌ وَمُضَمَّخٌ وَمُخَضَّبُ][1]

ويقولون: إن قوله «مضرج ومضمخ ومخضب» بمعنى واحد، ذكر أنه إن أراد رجلا واحدا أنه مُضَرَّج ومضمخ ومخضب جاز لأن لفظة تكون مؤكدة للأخرى، قال: ولكنه أراد منهم مضرَّج ومنهم مخضَّب، كما فهم في صدر البيت، ولعمري إن البحتري كذلك أراد، وليس بمنكر؛ لأن التضرُّج من التضريج وهي الحمرة المشرقة التي ليست بقانية، والمضمَّخ يريد غلظ الدم وأنه في متانة الطيب الذي يتضمخ به، والمخضب أراد أن الدم قد خَضّبه كما يخضّب بالحناء؛ ففي كل لفظة ما ليس في الأخرى، وإن كانت الحمرة قد شَمِلت الجميع؛ لأن المضرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم: أي منهم حديث عهد بالقتل، والمضمخ مَنْ قد خَثُر عليه الدم كأنَّ قتله قد تقدم قَبْل الآخر، والمخضَّب يجوز أن يكون مضى لقتله يوم وأكثر فقد اسودَّ عليه الدم، وهذه معانٍ كلها محتملة، وقد يجوز أن يريد بقوله «مضرج» سائر جسده، وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضَه وتحت لحيته، وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب، وأراد بالمخضَّب أن السيف أخذ في رأسه ويديه ورجليه، وذلك مواضع الْخِضاب، وقد يكون المضرَّج المقطع، يقال «ضَرَّجْته» إذا قطعته، وهذه معان لطيفة، وقد يجوز أن يعتدّ بها، والوجه القويُّ هو الأول.

13 – وسمعت قومًا ينكرون قوله في وصف الخمر:

وفواقع مِثْل الدُّمُوعِ تَـرَدَّدَتْ فِي صَحْنِ خَدِّ الْكاعِبِ الْحَسْنَاءِ[2]

---

(1) سقط هذا البيت من بعض أصول الكتاب، وأثبتناه عن بعضها الآخر، وعن الديوان وأخذا من اعتراض المعترضين عليه، وهذا البيت من قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان: 1 – 63).

(2) البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان: 1 – 4) وقبله قوله:

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الـ ـشوق الذي قد ضل في الأحشاء
يخفي الزجاجة لونها فكأنها في الكأس قائمة بغير إناء
ولها نسيم كالرياض تنفست في أوجه الأرواح والأنداء

ويقولون: إن الدموع لا تتردَّد في الخد كما يتردد الْحَباب في الكأس، وإنما الدمع يجري ويتتابع.

والمعنى صحيح، ولا عيب فيه؛ لأن التردُّد قد يكون الْجَوَلان، وقد يكون التتابع والتواتر، يقال: قد تَتَابعت كُتُبي إليك وتردَّدت، بمعنى، وتَوَاترت رُسُلي وتتابعت، والكتابُ الأول هو غير الثاني، وكذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثاني، وإنما حَسُن أن يقال تتابعت وتردَّدت لأن كل واحد من الرسل رسول؛ فلما ضَمَّهم اسم واحد حَسُن استعمالُ التتابع والتردد، وإن كانت أشخاصًا متباينة، وكل واحد غير الآخر؛ فكذلك الدمع حَسُن أن يقال: قد تَتابعت دموعُه على خده، وتردَّدت، وإن كانت كلُّ دمعة غير الأخرى، والْحَبابُ وإن جال في الْقَدَح حائرا فيه فإنه ربما جرى فيه على جهَةٍ واحدة، كما يجري الدمع على جهة واحدة، وهذا من أحسن التشبيه وأليقه، لأن الخمر قد يكون منها أحمر إلى التوريد الخفيف كحمرة الخد، وخاصة إذا أُرِقّت بالماء، كما قال الشاعر:

كمَيْت إذا فضت، وفي الكأس وَرْدَةٌ ... لها في عِظَام الشارِبينَ دَبِيبُ

فإذا شُبِّهت الخمرة بالخدّ وذكر الْحَبَاب فمن أليق ما شبه به وأحسنه وأصحّه الدمع؛ لأن الدمع قد يقف في الخد كوقوف الَحْبَاب في صحن الكأس، وباب اختلاف حركة الحَبَاب أو حركة الدمعة فليس كل شيء يُشَبَّه بشيء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيء، وقد يكون إنما شبه به ببعض ما فيه لا بكله.

14 - ورأيت مَنْ عاب قوله:

وَصَبَغْتُ أخلاقي برَوْنَقِ خُلْقِهِ ... حَتَّى عَدَلْتُ أُجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ[1]

وقالوا: إنما كان ينبغي لما ذكر الأُجاج والعذب أن يقول «فمزجت» لا أن يقول «وصبغت» أو لما قال «وصبغت» أن يقول «حتى عدلت ألوانهن بحسن لونه».

(1) البيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان: 1 - 68) وقبله - مما يتضح به معناه قوله- قوله:

كـاثـرتـه فـإذا الـمـروءة عـنـده ... تعدى المفاوض من أقاصي صحبه
ووجـدت في نفسي مخابيل سؤدد ... إن كنت يـومـا واحـدا مـن شربه

وليست هذه المعارضة بشيء، والمعنى صحيح، وذلك أنه ليس هناك صَبْغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافأ المعنيان، ولا مشروب عذبٌ ولا أجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج، وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض، ويقوم بعضها مقام بعض؛ لأنها ليست بحقائق فيما استعيرت له، ألا ترى أنك تقول: فلان قد شارك فلانا، وخالطه، ومازجه، وانصبغ به، بمعنى واحد وإن كان بعضها أوكد من بعض، ولا يكون هناك مُدَاخلة ولا ممازجة لجسم في جسم ولا مخالطة على الحقيقة.

15 - ومما عيب عليه من التعسُّف والتعقيد في اللفظ قوله:

فَتًى لَمْ يَمِلْ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ الْعُلى ... إلى غَيْرِهَا شَيْءٌ سِوَاهُ مميلُهَا[1]

وكان بعض الناس يرى أنه لاحن، ويقول: إنه إنما أراد فتىً لم يملْ بنفسه عن العلى شيءٌ مميلُ نفسٍ سواه، أي: ما يميل النفسَ عن المعالي [من] اللهو واللعب والدَّعة وحبِّ الراحة والضن بالمال، ونحو هذا من الأشياء الشاغلة عن السؤدد، فقدَّم «سِوَاه» ولكنى عن النفس بقوله «مميلها» بعد أن حَذَفها، قال: وذلك غير جائز؛ لأنك إذا قلت «لن يضرب هامة عمرٍو» فقلت: لن يضربَ هامةَ عمرو واحدٌ غير ضاربها، وجعلت الهاء في «ضاربها» كنايةً عن الهامة لتقدمها جاز؛ إلا أن البصريين من النحويين يقولون «هامة غير ضاربها هو» كما أنه قال «شيءٌ نفسُ سِوَاهُ مميلها هو» جاز، فان فصلت[2] الإضافة وأسقطت هامة وقدمت غير، فقلت «لن يضرب هامةَ عمرو واحدٌ غير ضاربها» لم يجز لإسقاطك الهامة التي كنايتها الهاء في قولك «ضاربها» ولا تجوز الكناية عن غير مذكور مثل هذا، فكذلك لا يجوز في البيت «شيء سواه مميلها» وهو يريد شيء نفس سواه مميلها؛ لأن الهاء في قوله «مميلها» كناية عن النفس؛ فلا يجوز إسقاط النفس وهذا لعمري إن كان البحتري أراده فهو غالط، غير أنه - والله أعلم- إنما أراد فتًى لا يميلُ بالنفسِ منه عن العلى إلى غيرها

(1) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(2) في هذه العبارة قلق واضطراب لا يتبين منهما المراد.

شيءٍ بخفض «شيء» على أن الممدوح هو الذي لم يمل بنفسه عن العلى إلى غيرها، ثم قال «سواه مميلها» على الابتداء والخبر: أي لكن سواه من الناس مميلها، فأضمر «لكن» وهذا سائغ، وأنشد سيبويه:

عَلَى الحَكَمِ الْمَأتِيِّ يَوْمًا إذَا قَضَى   قَضِيَّتَهُ أنْ لا يَجُورَ، وَيقْصِدُ[1]

قال: أراد ولكنه يقصد، فأضمر «لكن» فلذلك رفع «يقصد»، وعلى أنه مستعمل كثير فاشٍ في الكلام أن تقول: زيد لا يقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها، وأنا لا أجفوك إنما بكر الجافي لك، فيكون الكلام مستغنيا بنفسه، فلا يحتاج إلى إضمار.

فإن سلم البيت من عيب اللحن لم يَسْلم من عيب التعسف، ولست أعرف بيتا تعسف في نظمه غير هذا.

***

16 – ومن رديء التجنيس وقبيحه [قوله]:

أمِنَّا أنْ تُصَرَّعَ عَنْ سَماحٍ   وَلْلآمَال في يَدك اصْطِرَاعُ[2]

يقول: أَمنا أن يغلبك غالبٌ يَصْرعك عن السماح ويمنعك منه، وللآمال في يدك اصطراع: أي تنافسٌ وتغالب وازدحام، وقوله «في يدك» لأن العطاء إليها ينسب، وقد جاء بهذه اللفظة في موضع آخر فقال يصف أخلاق الممدوح:

يَتَصرَّعْنَ لِلرَّجَاءِ دُنُوَّ الْـ   ـمُزْنِ وَالْوَدْقُ خارِجٌ مِنْ خِلَالِهْ[3]

---

(1) البيت لعبد الرحمن بن أم الحكم، وأنشده سيبويه (1 – 431) وهو شاهد على أنه قطع «ويقصد» عما قبله.

(2) هذا البيت من كلمة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان: 2 – 82).

(3) من قصيدة له يمدح فيها بعض بني حميد (الديوان: 2 – 201) وفيه «يتصرعن للرجال» ولكل منهما وجه صحيح، وفيه أيضا «دنو الغيم» ووقع في الأصول «والودق خارج خلله، وهو تحريف، وقيل البيت – مما يتضح به المعنى – قوله:

كأخيك ابن جعفر بن حميد   في احتمال الجليل واستقلاله
موسر من خلائق تتراءى   من ضروب الربيع أو أشكاله

وهي ههنا أقل قبحا منها في البيت الأول، ولو قال «يتدانين للرجاءُ دُنُوَّ المزن» كان أحسن في اللفظ، وأوفق من أجل التجنيس، ولكن «يتصرعن» أوكد في المعنى؛ لأنه بمعنى يتساقطن ويتطرحن، يريد الإسراع إلى الرجاء من غير ترفق ولا توقٍّ للانحطاط والوقوع ليدل على الحرص والشهوة.

وقد جاء بهذه اللفظة في موضع آخر، وأوقعها موقع الذم، فقال:

مَـنْ يَتَصَرَّعْ في إِثْـرِ مَكْرُمَةٍ   فَـدَأْبُـهُ في اتِّباعَها دَأَبُـهْ[1]

يريد مَنْ تساقط في أثر مَكْرُمة إذا سَعَى لطلبها ولم يكن له نُهوضٌ فيها فدأب الممدوح دأبه المعروف المشهور منه، أي: جِدُّه ولحاقه، وحرك الدأب الثاني وسكن الأول، ومعناهما واحد، ويجوز أن يكون أراد فدَأبه في اتباعها: أي عادته في اتباعها دأبه، أي: سَعْيُه وحَرَكته، وهو أجود .

17 - ومن رديء التجنيس أيضًا قوله:

حيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ مِنْ مَعْهُودَةٍ   عَهْدِي غَدَتْ مَهْجُورَةً مَا تُعْهَدُ[2]

ويروي «سقيت من معمورة» يخاطب الدَّمَنَ، أي: عهدي بها معمورة معهودة، ومن روي «معهودة عهدي» أي: عهدي بها معهودة فغدت معهودة ما تعهد وقد يكون تعهد من التعهُّد، ويكون قوله «ما تعهد» أي: قد نُسِيَت، وهذه شبه تجنيسات أبي تمام.

❋❋❋❋

(1) من قصيدة له يمدح فيها أبا العباس بن بسطام (الديوان: 1 - 33) وفيه «فدأبه في ابتغائها دأبه».

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب ابن أخت أبي الوزير (الديوان: 1 - 176) وقبل هذا البيت - مما يتضح به المعنى- قوله:

أسـنـد صـدور الـيـعـمـلات بوقفة   فـى الـمـاثـلات كـأنـهـن المسند
دمـن تـقـاضـاهـن أعـلام البلى   هـوج الـريـاح الـباديـات الـعـود
حـتـى فـنـيـن، ومـا الـبـقـاء لـواقف   والـدهـر فـي أطـرافـه يـتـردد
هل مغرم يعطي الهوى حق الهوى   منكم فينفد دمـعـه أو مسعد؟

باب

في اضطراب الأوزان

وما رأيت شيئا مما عِيبَ به أبو تمام إلَّا وجدت في شعر البحتري مثلَهُ، إلا أنه في شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحتري قليل: من ذلك اضطراب الأوزان في شعر أبي تمام، وقد جاء في شعر البحتري بيتٌ هو عندي أقبح من كل ما عيب به أبو تمام في هذا الباب، وهو قوله[1]:

ولـمـاذا تَتَبَّعُ النَّفْسُ شَيْئًا جَعَلَ الله الْفِرْدوْسَ مِنْهُ بَوَاءَ

وكذلك وجدته في أكثر النسخ[2] وهذا خارج عن الوزن، والبيت من العروض هو البيت الأوَّلُ من الخفيفِ، سُداسِيٌّ.

فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ * فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ

وتقطيعه:

وَلِـمَـاذَا . تَتَبْبَعُنْ . نَفْسُشَيْئًا جَعَلَلْلاهُلْ . فِرْدَوْسَمِنْ . هُبْوَاءَ

فَعِلاتُنْ . مَفَاعِلُنْ . فَاعِلاتُنْ فَعِلاتُنْ . مُسْتَفْعِلُنْ . فعِلاتُنْ

(1) البيت من قصيدة له يعزى فيها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي عن ابنته (الديوان: 1 – 6) وفيه «يجعل الله الفردوس» ولا يزال – على هذه الرواية– في البيت زيارة السبب الخفيف على الوزن.

(2) قوله «وكذلك وجدته في أكثر النسخ» لا يلزم من وجدانه في أكثر النسخ أن تكون لفظة الفردوس في البيت من نظم البحتري، لاحتمال أنها من الكاتب الأول وقعت سهوا لأن البحتري أجل من أن يجهل أوزان الشعر؛ فلو كان الرواة رووا عنه هذا لأمكن التأويل باحتمال السهو منه حال الرواية، ثم قوله «وجدته في أكثر النسخ» مشكل، ومن أين له أن الذي وقف عليه من النسخ كان أكثر النسخ، فإن الأكثرية لا تعلم إلا إذا علم عدد النسخ جميعها الموجودة في ذلك الوقت، وهو أمر متعذر، وإن أراد بالنسخ النسخ التي وصلت إليه وأن أكثرها كان هكذا والأقل منها مستقيم فالاعتراض حينئذ لا محل له؛ لظهور أن الغلط من الكاتب الأول لبعض النسخ. هكذا كان في هامش نسخة خطية، فوضعها كل من نشر الكتاب في صلبه وأثبتنا هنا هذه الهامشة لندل على هذا الصنيع.

فحذف ألف «فاعلاتن» الأولى والثانية والأخيرة، فصارت فعِلاتن، وسين «مستفعلن» الأولى فصارت مفاعلن، وذلك كله زحاف جائز، وزاد في البيت سَبَبًا، وهو حرفان: الهاء من اسم الله عز وجل، واللام من لفظ الفردوس، وهو إكفاء، ولا أعرف مثل هذا البيت، وقد رأيت في بعض النسخ «جَعَلَ الله الْخُلْدَ مِنْهُ بَوَاء» فإن يكن هكذا قال فقد تخلّص من العيب ويكون تقطيع البيت:

*** جَـعَـلَـلْـلَا هُـلْـخُـلْـدَ مِــنْ هُــبَــوَاءَ ***

وقال البحتري[1]:

حَلأَتْنا عَنْ حاجَةٍ مَمْنُوعٍ مُبْتَغَاها وَحاجَةٍ مَمْطُولَهْ

وهذا من العروض هو البيت الأولُ من الخفيف، وتقطيعه:

حَلْلَأَتْنَا . عَنْحَا جَتِنْ . مَمْنُوعِنْ مُبْتَغَاها . وَحَاجَتِنْ . مَمْطُولَهْ

فَاعِلاتُنْ . مُسْتَفْعِلُنْ . مَفْعُولُن فَاعِلاتُنْ . مَفَاعِلُنْ . مَفْعُولُنْ

وكان يجب أن تكون عروض البيت - وهي مفعولن الأول - فاعلاتن، ولا يجوز فيها مفعولن، بل لو كان البيت مُصَرَّعا لجاز في عروضه مفعولن كما جاز في ضَرْبه- وهي القافية - وذلك قوله «ممطوله» وأما جَعْله مفاعلن في موضع مستفعلن الثانية في البيت فذلك جائز من الزحاف، وقد غير قوم هذه اللفظة في البيت - وهي ممنوع- فقالوا «بمنوع مبتغاها» أي: حلأتنا عن حاجة منع مبتغاها من عائق ووال عليها، ويكون «مبتغاها» في موضع نصب بمنوع. وهو محتمل.

****

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بن يَحْيى الآمِديُّ:

(1) البيت من غزل قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان: 2 - 192) وفيه «حلاتنا عن رفده من منام» وأظنه من تصحيح بعض القراء في النسخ المطبوع عنها، على أنه ليس فيه كبير فضل، فإن قوله «مبتغاها» بعيدة مما قبلها على هذا التصحيح، وحلاتنا: صدتنا ومنعتنا، ومبتغاها: ابتغاؤها وطلبها، وممطولة: قد سوف في قضائها.

وأنا أذكر بإذن الله الآن في هذا الجزء المعانيَ التي يَتَّفق فيها الطائيان؛ فأُوَازِن بين معنَى ومعنَى، وأقول: أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه، فلا تطلبني أن أتعدَّى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي على الإطلاق؛ فإني غير فاعل ذلك؛ لأنك إنْ قَلَّدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد، وإن طالبت بالعلل والأسباب التي أوجبت التفضيل فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمي مِنْ نَعْتِ مذهبيهما، وذكر مطلوبيهما في سرقة معاني الناس وانتحالها، وغلطهما في المعاني والألفاظ، وإساءة مَنْ أساء منهما في الطِّباق والتجنيس والاستعارة ورَدَاءة النظم واضطراب الوزن، وغير ذلك مما أوضحته في مواضعه وبينته، وما سيعود ذكره في الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة، وما ستراه من محاسنهما و بدائعهما وعجيب اختراعهما؛ فإني أوقع الكلامَ على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما في الأشعار التي أرتبها في الأبواب، وأنبّه على الجيد وأفضّله على الرديء، وأبيّن الردئ وأرذّله، وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التخليص، وتُحيط به العناية، ويبقى ما لم يكن إخراجه إلى البيان ولا إظهاره إلى الاحتجاج، وهي علة ما لا يُعْرف إِلا بالدّرْبَة ودائم التجربة وطول الملابسة، وبهذا يَفْضُل أهل الحذافة بكل علم وصناعة مَنْ سِواهم ممن نقصَت قريحته، وقلّت درْبَتُه، بعد أن يكون هناك طَبْع فيه تقبّل لتلك الطباع وامتراج، وإلا لا يتم ذلك، وأَكِلُكَ بعد ذلك إلى اختبارك، وما تقضي عليه فِطْنَتك وتمييزك. فينبغي أن تتم النظر فيما يرد عليك، ولن ينتفع بالنظر إلا من يُحسن أن يتأمل، ومن إذا تأمل علم، فيما ومن إذا علم أَنْصَف.

ثم إن العلم بالشعر خُصَّ بأن يَدَّعيه كلّ أحد، وأن يتعاطاه مَنْ ليس من أهله؛ فلم لا يدعي أحد هؤلاء المعرفة بالعين والْوَرِق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وأنواعه، ولعله قد لابس من أمر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك والرقيق واقتنائه والثياب ولبسها والطيب واستعماله أَكْثَرَ مما عاناه من أمر الشعر وروايته؛ فلا يتَّهم نفسَه في المعرفة بالشعر تُهَمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وتناوله، وما باله وقد ركب الخيلَ كثيرًا لمَّا راقه من الفرس ملاحةُ سَبِيبه، واستدارةُ كفَلِهِ، وبريقُ شعره، وحسن إشرافه وعنقه، وموضع نتاجه، وصحة قوائمه، وسلامة

أعضائه، وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة، وكذلك السيف لَمَّا بَهَره جلاؤه، وصِقَاله وصَفَاء حديده - لم يُمْض فيه اختياره على غيره من السيوف، حتى شاور مَنْ يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفِرِنْدَه ومضاءهُ، وكذلك لما أعجبه من ثوب الموشى حسنُ طَرْزِه، وكثرة صوره، وبديع نقوشه، واختلاط ألوانه - لم يبارد إلى إعْطاء ثمنه حتى رجع إِلى أهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجَوْدة رُقعته وصحة نساجته وخلاص إِبْرَيْسَمِه. فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسنُ وَزْنه وقوافيه، ودقيق معانيه، وما يشتمل عليه من مواعظ وأدب وحكم وأمثال؛ فلم يتوقَّف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بألفاظه، واستواء نظمه، وصحة سبكه، ووضع الكلام منه في مواضعه، وكثرة مائه ورَوْنقه؛ إِذ كان الشعر لا يُحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه. ألا ترى أنه قد يكون فَرَسَان سليمان من كل عيب موجودٌ فيهما سائرُ علامات العِتْق والجودة والنجابة، ويكون أحدهما أفضَلَ من الآخر بفَرْق لا يعلمه إلا أهلُ الخبرة والدربة الطويلة، وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال، والمتقاربتان في الوصف، السليمتان من كل عيب، قد يَفْرق بينهما العالمُ بأمر الرقيق، حتى يجعل في الثمن بينهما فضلا كبيرا، فإذا قيل له وللنخّاس: من أين فضلت أنت هذه الجارية على أختها؟ ومن أين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما، وإنما يعرفه كلٌّ واحد منهما بطبعه، وكثرة دربته، وطول ملابسته. فكذلك الشعر: قد يتقارب البيتان الجيّدان النادران، فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدًا أو أيهما أجود في معناه إن كان معناهما مختلفًا.

وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سَلّام الجمَحي وأبو علي دِعْبِل بن علي الخزاعي في كتابيهما.

وحكى إسحاق الموصلي قال: قال لي المعتصم: أخبرني عن معرفة النَّغَم وَبيِّنْهَا لي، فقلت: إن من الأشياء أشياء تُحيط بها المعرفة، ولا تؤديها الصفة.

قال: وسألنى محمد الأمين عن شعرين متقاربين، وقال: اختر أحدهما، فاخترت، فقال: من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان؟ فقلت: لو تَفَاوتا لأمكنني التبيين، ولكنهما تقاربا وفَضَل هذا بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عن اللسان.

وقد قيل لخلف الأحمر: إنك لا تزال تردُّ الشيء من الشعر، وتقول: هو رديء، والناس يستحسنونه! فقال: إذا قال لك الصَّيْرَفي إن هذا الدرهم زائفٌ فاجهد جَهْدَك أن تنفقه فلا ينفعك قولُ غيرِه: إنه جيد.

فمِنْ سبيل مَنْ عرف بكثرة النَّظَر في الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له أن يقضي له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه. وأن يسلّم له الحكم فيه، ويُقْبل منه ما يقوله، ويعمل على تمثاله، ولا ينازع في شيء من ذلك؛ إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل [كلِّ] صناعة صناعتهم، ولا يخاصمهم فيها، ولا ينازعهم إلا مَنْ كان مثلهم نظرا في الخبرة وطول الدربة والملابسة؛ فإنه ليس في وُسْع كل أحدٍ أن يجعلك أيها السائل المعنت والمسترشد المتعلم في العلم بصناعته كنفسه، ولا يجد إلى قذف ذلك في نفسك ولا في نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة، ولا حجة باهرة، وإن كان ما اعترضت فيه اعتراضًا صحيحًا، وما سألت عنه سؤالا مستقيما؛ لأن ما لايدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام لا يجوز أن تحيطَ به في ساعة من نهار.

ثم إن العلم الذي لا يُعْلم به في أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشاهدة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة، وقد قيل: ليس الخبر كالمعاينة، وعلة ذلك بينة واضحة، ومعلوم ظاهر، هي أنه لا يمكن أن يشاهد بك جميع المعلومات التي احتواها وعلم علمه بملابستها في السنين الطويلة، فمن المحال أن يقدر أن يصف لك عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر فيجعلك مشاهدا لذلك كله في لحظة واحدة ووقت واحد، ومُخْبرا لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة في كل نوع من ذلك وكل جنس في تلك الساعة، وهو إنما عَلِم ذلك على مرور الأيام وطول الزمان، وهذا مجال لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه إلا خالق الخلق وبارئ البشر.

وبعد؛ فلم لا تصدق نَفْسَك أيها المدعي، وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر، أمن أجل أن عندك خزانَةَ كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء وأنت ربما قلبت ذلك أو صحفته أو حفظت القصيدة والخمسين منه؟ فإن كان ذلك هو الذي قوَّى ظنك، ومَكّن ثقتك بمعرفتك، فلِمَ لا تدعي المعرفَةَ بثياب بدنك ورَحْل بيتك ونفَقَاتك؟ فإنك دَأَبًا تستعمل ذلك وتستمتع به، ولا تخلو من ملابسته كما تخلو في كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته وإنشاده، حتى إذا رمت تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدينار أو ابتياع ثوب أو شيءٍ من الآلة لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك، ولم لَمَّا خِفْتَ الغبينة في مالك فأذعنت وسلّمت وأقررت بقلّة المعرفة، ولم تخش الغبينة والوكس في عقلك فتسلّم العلم بالشعر إلى أهله؟ فإن الضرر في غَبَن العقل أعظم من الضرر في غبن المال.

فإن قلت: وما العلم بالخيل والْبَزّ والرقيق والذهب والفضة التي لم يُطْبع الإِنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طُبِع على الكلام؛ فكان كل أحد متكلّما، وليس كل أحد صيرفيا ولا بزازا ولا نَخَّاسا.

قيل: ولا كل أحد يكون شاعرا، ولا خطيبا، ولا مِنْطيقا بليغا، ولا بارعا ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحدا يتكلم فيُضْحَك منه، فالإِنسان المتكلم يعلم معاني ألفاظ لغته، ولا يعلم جيدها من رديئها، ومُتَخَيَّرَها من مرذولها، كما أنه يعلم أيضا أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق، ويميز بين أجناسها، ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه، وأَرْفَعَه من دونه، فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة، فكذلك المعرفة بكل جنس من أجناس الكلام والخطابة صناعة، فإذا رجعت في المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضا بهذه إلى أهلها.

وبعد؛ فإني أَدُلُّكَ على ما تنتهي إليه البصيرة والعلم بأمر نفسك في معرفتك بأمر هذه الصناعة أو الجهل بها، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة في علم الشعر من تفضيل بعضِ الشعراء على بعض، فإنْ عَرَفت علّة ذلك فقد علمت، وإن لم تعرفها فقد جهلت، وذلك بأن تتأمل شعر أَوْسِ بن حَجَر والنابغة الجعدي؛ فتنظر من أين

فضَّلوا أوسًا، وتنظر في شعر كُثَير بن [عبد الرحمن، و][1] بشر بن أبي خازم وتميم ابن أبي بن مقبل، فتنظر من أين فَضَّلو كثيرا، وأخبَرَني بعضُ الشيوخ عن أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضَّل أن سائلا سأله عن الراعي وذي الرمة أيهما أشعر، فصاح عليه صَيْحَةً منكرة: أي لا يقاس ذو الرمة بالراعي، وكذلك غير المفضل لا يقيسه به ولا يقارب بينهما، فتأمل أيضا شعري هذين فانظر من أين وقع التفضيل؛ فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك في العلم بالشعر ونقده. فإن علمت من ذلك ما علموه، ولاح لك الطريقُ التي بها قدموا من قدموه وأخروا من أخروه؛ نَثِقْ حينئذ بنفسك، واحكم يُسْتَمَعْ حكمك، وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم أنك بَمعْزِل عن الصناعة، ثم إن كنت شاعرا فلا تظهر شعرك واكتمه كما تكتم سرك، فإن قلت إنك قد انتهى بك التأملُ إلى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودليلَه من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والرديء.

ثم إني أقول بعد ذلك: لعلك - أكرمك الله - اغْتَرَرْت بأن شارفت شيئا من تقسيمات المنطق، وجُمَلا من الكلام والجدال، أو علمت أبوابًا من الحلال والحرام، أو حفظت صدرا من اللغة، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية، وأنك لما أخذت بطَرَف نوع من هذه الأنواع بمُعَاناة ومزاولة ومُتَّصِلِ عناية فتوحَّدْت فيه ومُيِّزت - ظننتَ أن كل ما لم تُلابسه من العلوم ولم تزاوله يجري ذلك المجرى، وأنك متى تعرَّضت له وأمْرَرْتَ قريحتك عليه نَفَذْت فيه، وكشفت عن معانيه، هيهات! لقد ظننت باطلا، ورُمْت عسيرا؛ لأن العلم - أيَّ نوع كان - لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه، والإكباب عليه، والجد فيه، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه، ثم قد يتأتي جنسٌ من العلوم لطالبه ويسهل، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر؛ لأن كل امرئ إنما يتيسر له ما في طبعه قبولُه، وما في طاقته تعلُّمه؛ فينبغي -أصلحك الله- أن تَقِفَ حيث وُقف بك، وتقنع بما قسم لك، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك.

(1) زيادة لا بد منها لتصحيح الكلام.

باب
فى فضل أبي تمام

وجدتُ أهل الْبَصْرة من أصحاب البحتري ومَنْ يُقَدّم مطبوعَ الشعر دون متكلّفِه لا يَدْفعون أبا تمام عن لَطيف المعاني ودقيقها، والإِبداع والإِغراب فيها، والاستنباط لها، ويقولون: إنه وإن اخْتَلَّ في بعض ما يورده فإن الذي يوجد فيها من النادر المستحسن أكثر مما يوجد من السخيف المسترذل، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه، على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة، وإنه إذا لاح له أخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف أو قويٍّ وهذا من أعدل كلام سمعته فيه، وإذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذي هو ضَالَّة الشعراء وطَلِبَتهم، وهو لطيف المعاني، وبهذه الخلة دون ما سواها فُضّل امرؤ القيس؛ لأن الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والإِسلام، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع وأنواع، ولولا لطيفُ المعاني واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره، ولَكان كسائر شعراء أهل زمانه؛ إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم، ولا لألفاظه من الْجَزالة والقوة ما ليس لألفاظهم، ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجُّوا في تقديمه بأن قالوا: هو أول من شَبّه الخيل بالعِصِى، وذكر الوحش والطير، وأول من قال «قَيْد الأوابد» وأول من قال كذا، وقال كذا، فهل هذا التقديم له إلا لأجل معانيه؟

وقالوا: وإذا كان قد اضطرب لفظُ أبي تمام واختلَّ في بعض المواضع فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو محدث؟ هذا الأعشى يُحيل لفظه كثيرا، ويُسَفْسِف دائمًا، ويرقّ ويضعف، ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة، وألفاظ النابغة في الغاية من البراعة والحسن، وعديلًا لزهير الذي صَرَف اهتمامه كلّه إلى تهذيب ألفاظه وتقويمها، وألحقوه بامرئ القيس الذي جمع الفضيلتين؛ فجعلوهم طبقةً،

وصار فصلُ كل واحد من غير الوجه الذي فَضّل منه صاحبه ولو أن أبا تمام حي يخلو من كل فضل جيد البتة أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية.

وَإذا أَرَادَ الله نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُويَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسانَ حَسُودِ[1]
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيما جاوَرَتْ مَا كانَ يُعْرَفُ فَضْلُ عَرْفِ العُودِ

أو قال:

هِيَ البَدْرُ يُغْنِيهَا تَـوَدُّدُ وَجْهِهَا إلى كلِّ مَنْ لاقَتْ وَإنْ لَمْ تَوَدَّدِ[2]

أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يفسره لنا مفسر بكلام عربي منثور، أما كان هذا يكون شاعرًا محسنًا باعثًا شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه؟ فكيف وبدائعُه مشهورة، ومحاسنه متداولة، ولم يأت إلا بأ بلغ لفظ وأحسن سَبْك؟

****

(1) سبق ذكر هذين البيتين فارجع إليهما في (ص 106 من هذا الكتاب).

(2) البيت من قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان 100) و «تودد» في آخر البيت أصله تتودد فحذفت منه إحدى التاءين، وهذا كثير في كلام العرب جار في الفصيح منه.

باب

في فضل البحتري

ووجدت أكثر أصحاب أبي تمام لا يَدْفَعُون البحتريَّ عن حُلْو اللفظ، وجَوْدة الوصف، وحُسن الديباجة، وكثرة الماء؛ فإنه أقربُ مأخذًا، وأسلم طريقا من أبي تمام، ويحكمون – مع هذا – بأن أبا تمام أَشْعَرُ منه، وقد شاهدتُ وخاطبت منهم على ذلك عددًا كثيرًا، وهذا رجلٌ ما يراعيه من أمر الشعر دقيق المعاني، ودقيق المعاني موجود في كلامه، وكل لغة، وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حُسْن التأتيّ، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووَضْع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرَّوْنَق إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة البحتري.

قالوا: وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر؛ لأن الشعر أجوده أبلغه، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإِدراك الغرض بألفاظ سَهْلة عَذْبة مستعملة سليمة من التكلّف، لا تبلغ الهَذَر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية، وذلك كما قال البحتري:

والشعر لمح تكْفي إشَارَتُه ... وَلَيْسَ بِالْهَذْر طُوِّلَتْ خُطَبُهْ(1)

وكما قال أيضا:

وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلتْها القَوَافي ... هَجَّنَتْ شِعْرَ جرْوَلٍ وَلَبِيدِ(2)

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكَلَامِ اخْتِيَارًا ... وَتجنبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

(1) البيت من قصيدة له يجيب فيها عبيد الله بن عبد الله عن قصيدة كان قد أرسلها إليه (الديوان: 1 – 38).

(2) ثلاثة الأبيات من قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان: 1 – 206) وجرول: هو الحطيئة.

وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْغَرِيبَ فَأَدْرَكْـ ـــنَ بِـهِ غَـايَـةَ الْـمـرَامِ البَعِيدِ

فإن اتفق – مع هذا– معنى لطيفٌ، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن؛ فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه، واستغنى عما سواه.

قالوا: وإذا كانت طريقةُ الشاعر غيرَ هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصرة عنها، ولسانه غير مدركٍ لما يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسَّفة ونَسْج مضطرب، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه قلنا له: قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيما، أو سميناك فيلسوفا، ولكن لا نسميك شاعرا، ولا ندعوك بليغا؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب، ولا على مذاهبهم، فإن سَمَّيناك بذلك لم نُلْحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء، وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورديء اللفظ يذهَب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه إلى تأمل، وهذا مذهب أبي تمام في عظم شعره، وحسنُ التأليف وبراعةُ اللفظ يزيد المعنى المكشوفَ بهاءً وحسنا ورَوْنَقًا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابه لم تكن، وزيادةً لم تعهد، وذلك مذهب البحتري، ولذلك قال الناس: لشعره ديباجة، ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام، وإذا جاء لطيف المعاني في غير غرابة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخَلْق، أو نفث العبير على خدّ الجارية القبيحة الوجه.

وأنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر: زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لاتجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء: جودة الآلة، وإصابة الغرض المقصود، وصحة التأليف، والانتهاء إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها.

وهذه الخِلالُ الأربع ليست في الصناعات وحدها، بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات.

ذكرتِ الأوائلُ أن كل مُحْدَث مصنوع محتاجٌ إلى أربعة أشياء: علة هيولانية وهي الأصل، وعلة صورية، وعلة فاعلة، وعلة تمامية، فأما الهَيُولي فإنهم يعنون الطينةَ التي يبتدعها الباري تباك وتعالى ويخترعها ليصور ما شاء تصويره من رجل أو فرس أو جمل أو غيرها من الحيوان، أو بُرَّة أو كَرْمَة أو نخلة أو سِدرة أو غيرها من سائر أنواع النبات، والعلة الفاعلة هي تأليف الباري جل جلاله لتلك الصورة، والعلة التمامية هو أن يُتِمَّهَا تعالى ذكره ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها، وكذلك الصانع المخلوق في مصنوعاته التي علّمه الله عز وجل إياها: لاتستقيم له وتَجُود إِلا بهذه الأربعة، وهي: آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار وفضة الصائغ وآجُرّ البناء وألفاظ الشاعر والخطيب، وهذه هي العلة الهيولانية التي قدموا ذكرها وجعلوها الأصل، ثم إصابة الغرض فيها بقصد الصانع صَنْعَتَه، وهي العلة الصورية التي ذكرتها، ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب، وهي العلة الفاعلة، ثم أن ينتهى الصانعُ إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها، وهي العلة التمامية؛ فهذا قولٌ جامع لكل الصناعات المخلوقات، فإن اتَّفق الآن لكل صانع بعدَ هذه الدعائم الأربع أن يُحْدِثَ في صنعته معنى لطيفا مستغربا كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حُسْن صنعته وجَوْدتها، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها.

وقد ذكر بُزرْجَمهر فضائلَ الكلام ورذائله، وبعض ذلك دليل في الشعر، فقال: إِن فضائل الكلام خَمْسٌ لو نَقَصَ منه فضيلة واحدة سَقَط فضلُ سائرها، وهو: أن يكون الكلام صدقا، وأن يوقع موقع الانتفاع به، وأن يتكلم به في حينه وأن يحسن تأليفه، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة. قال: ورذائله بالضد؛ فإنه إن كان صدقا ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه، وإن كان صدقا وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم في حينه ولم يحسن تأليفه لم يستقرّ في قلب مستمعه وبطل فضل الخلال الثلاث منه، وإِن كان صدقًا ووقع موقع الانتفاع به وتكلم به في حينه وأحسن تأليفه، ثم استعمل

منه فوق الحاجة خرج إلى الْهَذَر، أو نقص عن التمام صار مبتورا وسقط منه فضل الخلال كلها.

وهذا إنما أراد به بزرْجمهر الكلامَ المنثور الذي يخاطَبُ به الملوك، ويقدّمه المتكلم أمام حاجته، والشاعر لا يطالَبُ بأن يكون قوله صدقًا، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به؛ لأنه قد يقصد إلى أنه يوقعه موقع الضرر، ولا أن يجعل له وقتًا دون وقت، وَبَقِيَت الخلتان الأُخْرَيان واجبتان في شعر كل شاعر: أن يحسن تأليفه، ولا يزيد فيه شيئًا على قدر حاجته؛ فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعنى، وكلما كان أصحَّ تأليفًا كان أقوم بتلك الصناعة مما اضطرب تأليفه. والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

❊❊❊❊

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم]

وقد انتهيت الآن إلى الْمُوَازَنة، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقنا في الوزن والقافية وإعْراب القافية، ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي إليها المقصد، وهي المرمى والغرض، وبالله أستعين على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى، وتَرْك التحامل؛ فإنه جلّ اسمه حسبي ونعم الوكيل.

وأنا أبتدئ بإِذن الله من ذلك بما افتتحا به القول: من ذكر الوقوف على الديار والآثار، ووصف الدِّمَن والأطلال، والسلام عليها، وتَعْفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها، والدعاء بالسُّقيا لها، والبكاء فيها، وذكر استعجامها عن جواب سائلها، وما يَخْلُف قَطِينها الذين كانوا حُلُولًا بها من الوحش، وفي تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها، وأقدّم من ذلك ابتداءات قصائدهم في هذه المعاني، إن شاء الله.

الابتداءاتُ بذكر الوقوف على الديار

قال أبو تمام:

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ ... تَقْضِي حُقُوقَ الْأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ[1]

وهذا ابتداء جيد صالح، وقوله «الأدراس» جمع دارس، وقليلٌ ما يُجمع فاعل على أفعال، ومثله: شاهد وأشهاد، وماجد وأمجاد، وصاحب وأصحاب وقال أيضا:

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بالْمَعَاهِدِ ... وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ ناشِدِ[2]

أراد لنشدان الناشد الذي يقول: أين أهلك يا دار؟ كما ينشد الناشد الضالة إذا طلبها

(1) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المعتصم بالله (الديوان 172) وفيه «نقضي ذمام الأربع الأدراس» وسينشده المؤلف على هذا الوجه قريبا، والذمام: العهد، والأربع: جمع ربع، وهو الدار، والأدراس: جمع دارس، كما قال المؤلف - والدارس: العافي المتغير.

(2) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 116) والعهد: الموثق، والمعاهد: جمع معهد، وهو المنزل الذي كنت تعهده ورجعت إليه بعد ما فارقته.

وقال أيضًا:

قِفْ بِالطُّلُولِ الدّارسَاتِ عُلاثَا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينهِنَّ رِثَاثَا[1]

علاثة: اسم صاحبه، أراد قف يا علاثة، وهذان ابتداءان صالحان، وقال أيضًا:

قف نُؤَبِّنْ كِنَاسَ هذا الْغَزَالِ إنَّ فِيها لَمَسْرَحًا لِلْمَقَالِ[2]

التأبين: مَدْح الهالك، والكِناس هنا: الرَّبْع، وإنما يريد الْخَيْمة أو البيت من بيوتهم، سماه كناسا لأنه جَعَل المرأة غَزَالا: أي قِف بنا نَنْدبه فإن المقال يَتَّسع فيه، وهذا أيضًا بيتٌ جيد ومعنى حسن مستقيم.

وقال:

لَيْسَ الْوُقُوفُ يَكُفُّ سَوْقَكَ فَانْزِل وَابْلُلْ غَلِيلَكَ بِالْمَدامِعِ يُبْلَلِ[3]

وهذا معنى ظريف، وقد جاء مثله في الشعر، قال الأصم الباهلي - واسمه عبد الله ابن الحجاج - ولا أعرف غيره، وأظن أبا تمام عَثَر به واحتذى عليه؛ لأنه كان مُولعًا بغرائب الألفاظ والمعاني:

أَتَنْزِلُ الْيَوْمَ بِالْأَطْلالِ أمْ تَقِفُ لا بَلْ قِفِ الْعِيسَ حَتَّى يَمْضِيَ السَّلَفُ

السلف: المتقدمون، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المطيّ، ولايكادون يذكرون نزولًا. وأنشد منشد قول كثيرٍ، وكثيرٌ يسمع:

وَقَضيْنَ مَا قَضَّيْنَ ثم تَرَكْنَنِي بِفَيْفًا خُرَيْمٍ قَاعِدًا أَتَـلَـدَّدُ[4]

(1) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان 63) والطلول: جمع طلل، وهو ما بقي شاخصا من آثار الديار، والدارسات: جمع دارس، وقد تقدم شرحه في الهامشة رقم 1 في هذه الصحيفة، والقطين: الساكن، فعيل بمعنى فاعل، والرثاث: جمع رث، وهو البالي.

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوانه المطبوع.

(3) البيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 233) وفيه «وابلل غليلا بالدموع فيبلل» وما هنا أحسن. وكيف: يمنع، والغليل: العطش.

(4) هذا ثاني بيت من قصيدة له (انظر ديوان كثير: 1 - 114) وفيه «وأجمعن بينا عاجلا وتركنني» وفيه «قائما أتبلد» ووقع في الأصول «بفيفا جريما» وهو تصحيف شنيع، وخريم: ثنية بين جبلين بين المدينة والروحاء.

فقال كثير: أنا ما قلت كذا، أتراني قاعدا أصنع ماذا؟ قيل: فجالسًا؟ قال: ولا هذا! أجالسًا كنت أبُول، قيل: فما قلت؟ واقفًا، يريد واقفًا على مطيته، فهذا هو المعروف من عاداتهم.

وقد قال كثير:

خَلِيلَيَّ هذا رَبْعُ عَـزَّةَ فَاعْقِلا قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيا حَيْثُ حَلَّتِ[1]

والقلوص لا يَعْقلها راكبها إلا إذا نزل عنها، والعقل فوق الركبة.

****

وقال البحتري:

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وُقُـوفِ الرِّكابِ
فِي مَغَانِي الصِّبا وَرَسْـمِ التَّصَابِي[2]

التصابي: التفاعل من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاق، وإذا فعل فعل الصبي، وقال أيضًا:

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلا مُقْصِرًا عَنْ مَلامَتِي أَوْ مُطِيلا[3]

وهذان ابتداءان في غاية الجودة.

وقال:

قِفِ الْعِيس قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلَالُهَا
وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شفَاكَ سُؤَالُهَا[4]

(1) انظر ديوان كثير (ص 36 طبع الجزائر) واعقلا قلوصيكما: شداهما بالعقال، والقلوص: الناقة الشابة.

(2) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن إسماعيل بن شهاب (الديوان : 1 - 70) والركب: اسم جمع واحده راكب، ويقال: جمع راكب، وقد خصوه بركاب الإبل، والمغاني: المنازل، وواحدها مغنى.

(3) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن علي بن عيسى القمي (الديوان: 24 - 210) وفيه «مقصرا من صبابة أو مطيلا».

(4) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان: 2 - 179) وقد تقدم ذكره (ص 290 من هذا الكتاب).

وهذا لفظ حسن، ومعنى ليس بالجيد؛ لأنه قال «أدنى خطاها كلالها» أي: قارَبَ من خطوها الكلالُ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار التي تَعَرَّض لأن يشفيه، وإنما وقف لإِعياء المطي.

والجيد قولُ عنترة:

فَوَقَفْتُ فِيهَا ناقَتِي وَكأَنَّهَا فَـدَنٌ لِأَقْضِيَ الْمُتَلَوِّمِ[1]

فإنه لما أراد ذكر الوقوف احتاط بأن شبَّه ناقته بالفَدَن، وهو القَصْر، ليُعلم أنه لم يقفها ليريحها.

وقد كشف ذو الرمة هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد؛ فقال:

أَنَخْتُ بِهَا الْوَجْنَاءَ لا مِنْ سَآمَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جاءٍ وَذَاهِبِ[2]

يقول: أنختها لأن أصلي، لا من سآمة، هكذا فسروه، وقوله «لثنتين» يعني اللتين يقصرهما المسافر «بين اثنين جاءٍ» يريد الليل «وذاهب» يريد النهار. فإن قيل: إنما قال «أوفي خطاها كلالها» ليُعْلَم أنه قصد الدار من شقة بعيدة. قيل: العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها، وإنما تجتاز بها، فإن كانت على سَنَن الطريق قال الذي له أَرَبٌ في الوقوف لصاحبه أو أصحابه: قِفْ، وقِفَا، وقِفُوا، وإن لم تكن على سَنَن الطريق قال: عُوجَا، وعَرِّجَا، وعُوجُوا، وعَرِّجوا، كما قال امرؤ القيس:

عُوجا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامِ[3]

وإذا عَرَّجوا كان التعريج أشقَّ على الركب والركاب؛ لأن لها في الوقوف حيث انتهت راحة، والتعريج فيه زيادة في تَعَبها وكَلَالها، وإن قَلَّت المسافة، كما قال أبو تمام:

---

(1) قد تقدم ذكر هذا البيت مشروحا (انظر ص 290 من هذا الكتاب).

(2) وقد مضى ذكر هذا البيت أيضا (انظر ص 290 من هذا الكتاب).

(3) الطلل المحيل، ومثله المحول: الذي أتى عليه حول، وقال الكميت:

أَأَبْكَـاكَ بِالْعُـرُفِ الْمَـنْزِلُ وَمَـا أَنْـتَ وَالطَّـلَـلُ الْمُـحْـوِلُ

وقد اضطرب الرواة في ضبط «ابن حذام» فمنهم من يجعله بالحاء المهملة ومنهم من يجعله بالخاء المعجمة، ورواه في اللسان (خ ذ م) بالخاء والذال المعجمتين.

وَمَا بِكَ إِرْكَابِي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَبًا   أَلا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّكَائِبِ[1]

لأن هذا القول منه دلّ على التعريج والتردد في الرسوم، وأن أصحابه أرادوا أن يستمرَّ في السير ولا يترفق في الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر وإن أكسبها راحة ما في الوقوف؛ فقال له أبو تمام «إِنما حاولت رشد الركائب» لارشدي، فأما الأصمعي فإنه يرى التعريج أيضًا وقوفا لا عدولا، قال أبو حاتم: قلت له: ما معنى عرَّج؟ قال: وَقفَ، فقلت: يقال: عَرَّج إذا عَدَل، فقال: لا، وأنشد بيت ذي الرمة:

يا حَادِيَيْ بنت فضاض أَمَا لَكُمَا   -حَتَّى نكَلِّمَهَا - هَمٌّ بِتَعْرِيج

أي: هَمٌّ بوقوف، وهذا لا يمنع أن يكون هَمٌّ بعدول، ونفس الاشتقاق يدل على العدول، والله أعلم

وقال كثير يصف السَّيْلَ:

فَطَوْرًا يَسِيلُ عَلَى قَصْدِهِ   وَطَــوْرًا يُعَرِّجُ أَلَّا يَسِيلا

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم ومنهم وحده (؟) لما لاموه، ولاعنفوه على احتباسه وإِطالته، ولا استعجلوه وهو دائبًا يسألهم التلوُّم عليه والتوقف معه.

وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره، وتلك سبيل سائر المحدثين، وطريقة الطائِيَّيْنِ:

ما عدلا عنها، ولا خرجا إلى غيرها، ألا ترى إلى قول أبي تمام:

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ باسِ   نَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ[2]

كيف سأل صاحبه أن يقف ساعةً، ثم قال بعد بيت آخر:

لا يُسْعدُ الْمُشْتَاقَ وَسْنَانُ الْهَوَى   يَبِسُ الْمَدَامِعِ بَــارِدُ الْأَنْفاسِ

وقوله:

لا تَمْنَعَنِّي وَقْــفَــةً أَشْفِي بِهَا   دَاءَ الْـفِـرَاقِ فَإِنَّهَا مَــاعُــونُ[3]

(1) البيت خامس أبيات قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 41).

(2) قد مضى ذكر هذا البيت قريبا (انظر ص 317 من هذا الكتاب).

(3) البيت ثالث أبيات قصيدة يمدح فيها أبو تمام الواثق بالله (الديوان 328) والماعون: كل شيء ينتفع به. وهو يشير إلى قوله تعالى في ذم بعض الناس: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

وقال البحتري:

يَاوَهْبُ هَبْ لِأخِيكَ وَقْفَةَ مُسْعِدٍ يُعْطِي الْأُسَى مِنْ دَمْعِهِ الْمَبْذُولِ[1]

وقال أيضًا:

خَلِّيَاهُ وَوَقْفَةً فِي الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ الْمَكْتُومِ[2]

ثم إنَّا ما علمنا أحدًا قصَدَ دارًا عفَت من شُقَّة بعيدة، واحدا كان أو في جماعة، للتسليم عليها، والمسألة لها، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا، وإن هذا ما سُمِع به، ولا هو من أغراضها، وليس فيه جدوى، ولا يؤدِّي إلى فائدة؛ لأن المحبوب إن كان حيًّا موجودًا فقَصْد رِبَاعه ومَوَاطنه التي هو قاطنها والإلمامُ به فيها أولى وأحرى، وإن كان ميتًا فالإلمام بناحية الأرض التي فيها حُفْرته أولى وأحرى، وعلى أنهم لايكادون يَزُورون القبورَ، وإنما وقَفُوا على الديار، وعَرَّجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها؛ لأنهم تذكروا عند مُشَارفتها أوطارَهم فيها، فنازَعَتْهُم نفوسُهم إلى الوقوف عليها، والتلوُّم بها، ورأوا أن ذلك من كَرَم العهد وحُسْن الوفاء، ألا ترى إلى قول أبي تمام:

أَمَوَاطِنَ الفتيان نَطْوِي لَمْ نَزُرْ شَوْقًا وَلَمْ نَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدَا[3]

ويروي «لم نزر شَعَفًا» أي: كيف نطوي الرسوم والدمن التي هي مواقف أهل الفتوة، يريد الكرام، ولم نزر حَزْنا لها ولا سَهْلا؛ لأنه أراد بالشعف ما ارتفع من الأرض وعلا، وأراد بالصعيد ما اطمأنَّ من الأرض وسفل، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذي فيه التراب، وأكثر ما يكون فيما اطمأنّ من الأرض، لا فيما علا، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوَّة والمروءَة، وأنّ طَيَّها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد، وما أحسن ما قال أبو نُوَاس:

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّمًا فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الْهِجْرَانُ

---

(1) البيت ثالث أبيات قصيدة يمدح فيها البحتري المفضل بن إسماعيل الهاشمي (الديوان: 2 – 205).

(2) البيت سادس أبيات قصيدة يمدح البحتري فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان: 2 – 260).

(3) البيت خامس أبيات قصيدة يمدح أبو تمام فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 87).

على طريقة القوم

وقال البحتري يُخاطب نفسه أو صاحبًا معه:

قِف الْعِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلَالُهَا

وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا(1)

فمن زعم أن البحتري بهذا القول كان قاصدًا للدار وغَيْرَ مجتاز احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه، ولا سبيل له إلى ذلك.

فإن قيل: لم لا يكون للمطية حق على من بَلَّغته منازلَ الأحباب يوجب أن يكرمها ويريحها، كما قال أبو نُوَاس:

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا ... فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى ... فَلَهَا عَلَيْنَا حُـرْمَـةٌ وَذِمَـــامُ

قيل: هذا أصلٌ آخر طريقهُ غير طريق الوقوف على الديار، ولا يقاس أصل على أصل، وإنما يقاس على الأصل فروعُه التي تتفرَّع منه، وهذا الشرط في كل علم. وقال أبو نُوَاس في موضع آخر يخاطب ناقته أيضًا:

فَلَمْ أَجْعَلْك للغربان نَحْلا ... وَلَـمْ أَقُـلِ اشْرَقِي بِـدَمِ الْوَتِينِ

يريد قول الشماخ، والشماخ إنما قال:

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي ... عَـرَابَـةَ فَاشْرَقِي بـدَمِ الْوَتِينِ

لأنه رأى ناقته قد شفَّها السيرُ وهَزَلها وأنضاها حتى دَبِرَت، وذلك قوله:

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشَكَّى ... كُلُومًا بَعْدَ مَحْفِدِها السَّمِينِ(2)

فيقول: إذا بلغتني عَرابه فلا أبالي أن تَهلكي، وهذا ليس بدُعَاءٍ عليها، وإنما أراد أنك إذا بَلَّغْتنيه فقد بلغتُ الغنى وأدركت العوضَ منك؛ فهذا معنى وقولُ أبي نواس معنى آخر، وليس بضد لقول الشماخ، وإنما يضاده قول المرأة التي قالت: يارسول الله،

(1) سبق قريبا ذكر هذا البيت (انظر ص 290 من هذا الكتاب).

(2) المحفد – بزنة المجلس، أو بزنة المنبر – شيء كالمكتل تعلف فيه الإبل.

نَذَرْت إِن بَلَّغَتْنى ناقتي هذه إليكَ أن أَنْحَرَها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَبِئْسَ مَاجَزَيْتِها» لأن هذه قصدَتْ أن جعلت جزاءَ التبليغ النحر؛ فهذان المعنيان يتضادان، وقول الشماخ خارج عنهما، فإنه أصل ثالث، والوجه الذي جاء به البحتري في الوقوف على الديار وتحرز منه عنترةُ وذو الرمة وجهه غير هذه الوجوه، وطريقه غير هذه الطرق، ولم أقل إنه خطأ، وإنما قلت: إن المعنى غير جيد، فإن التمست العذر للبحتري قلنا: إنه وصف حقيقة أمر العيس عند الوصول إلى الدار، وهذا مذهب من مذاهب العرب عام في أن يصفوا الشيء على ما هو، وعلى ما شوهد، من غير اعتماد لإِغراب ولا إبداع، وإنما وقع فيه مثلُ هذا الخلل لقلة التجوز، وسترى للبحتري وغيره في هذا الكتاب مِنْ هذا النوع في مواضعه ما هو أجود من كل جيد، إن شاء الله.

وقال البحتري:

عَـرِّجْ بِـذِي سَلَم فَثَمَّ الْمَنْزِلُ فَيَقُولُ صَبٌّ مَا أَرَادَ وَيَفْعَلُ(1)

وهذا ابتداء جيد، وقدّ رواه قوم «ليقول صب ما أراد ويَفْعَلُ» والنصب أجود، والرفع له وجه، والمتأخرون لا يَسْلَمُون من اللحن، وهو في أشعارهم كثير جدا.

وقال:

كَمْ مِنْ وُقُوفٍ عَلَى الأَطْلَالِ وَالدِّمَن
لَمْ يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشَّوْقِ ذَا شَجَنِ(2)

وهذا أيضًا ابتداء جيد

وقال أيضًا:

(1) الذى في ديوان البحتري المطبوع بمصر، في مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 2 - 157) قوله:

لــولا تعـنفنى لـقـلـت الـمـنـزل مـعـنـى تـبـيـنـه ومـعـنـى مشكل
وبـوقـفـة يـشـفـي غـلـيـل صبابة ويـقــول صــب مــا أراد ويفعل

(2) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان: 2 - 306).

اسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ فِي أَطْلَالِهِمْ وَقِفَا وَإِنَّ أَجَدَّ بِلَى مَأْثُورِهَا وَعَفَا(1)

يقال: أجد في أمره من الانكماش، وجَدّ، وهذا ابتداء صالح. [وقال]:

قِفَا فِي مَغَانِي الدَّارِ نَسْأَلْ طُلُولَها عَنِ النَّفَرِ اللَّائِينَ كانُوا حُلُولَهَا(2)

وهذا الابتداء ليس بالجيد؛ من أجل قوله «اللائين» لأنها لفظة ليست بالحلوة، وليست مشهورة.

فهذا ما ابتدأا به من ذكر الوقوف، وأجعلهما فيه متكافئين؛ من أجل براعة بيتي البحتري الأولين، وأنهما أجود من سائر أبيات أبي تمام، ولأن البحتري في الباب القصير الذي ذكرته له (؟) وليس لأبي تمام مثله

****

التسليم على الديار

قال أبو تمام:

دِمَــنٌ أَلَــمَّ بِـهَـا فَـقَـالَ سَــلَامُ كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الْإِلْمَامُ(3)

هذا المصراع الأول في غاية الجودة والبراعة والحسن والحلاوة وعجز البيت أيضًا جيد بالغ.

وقال:

سَلِّم عَلَى الرَّبع مِنْ سَلْمى بِذِي سَلَم
عَلَيْهِ وَسْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْقِدَمِ(4)

(1) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع في مصر.

(2) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان: 2 - 197).

(3) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المأمون كما في الديوان (279) والدمن: جمع دمنة، وهي أثر الديار، وألم بها: نزل.

(4) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها مالك بن طوق (الديوان 267)، والربع: المنزل، وذو سلم: موضع، والوسم: العلامة.

وهذا ابتداء ليس بالجيد؛ لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظ، وإنما يحسن إذا كان بلفظتين، وقد جاء مثله في أشعار الناس، والرديء لا يُؤْتم به، وقال الأبَيْرِد بن المعذل الرياحي:

جَزعْتَ ولم تجزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْزَعَا وَكُنْتَ بذكرِ الْجَعْفَرِيَّةِ مُولَعَا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرئ القيس على هذا الوزن، وذلك باطل، وما ينبغي للمتأخر أن يَحْتذي الأخذَ إلا للجيد المختار؛ لِسَعة مجاله، وكثرة أمثلته.

وقال البحتري:

هذِي الْمَعَاهِدُ مِنْ سُعَادَ فَسَلِّمِ وَاسْأَلْ وَإِنْ وَجمَتْ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ(1)

وقال أيضًا:

أَمَحلَّتَيْ سَلْمَى بكاظِمَةَ اسْلمَا وَتَعَلَّما أَنَّ الْهَوَى ما هِجْتُمَا(2)

وهذان ابتداءان جيدان.

وقال أيضًا:

حُيِّيتُما مِنْ مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ كانَا مَحَلَّيْ زَيْنَبٍ وَصَدُوفِ(3)

وهذا ابتداء صالح

وقال أيضا:

مِيلُوا إِلى الدَّارِ مِنْ لَيلَى نُحَيِّيهَا نَعَمْ وَنَسْأَلُها عَنْ بَعْضِ أَهْلِيهَا(4)

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوي (الديوان: 2 – 231) ووقع في الأصول «هذى المعاهد من سليم» وأثبتنا رواية الديوان.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابني المدبر (الديوان: 2 – 239).

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها وصيفا الكبير (الديوان: 2 – 116) وفيه «حييت من متربع ومصيف»

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله ويصف البركة (الديوان: 2 – 318).

وهذا البيت رديء؛ لقوله «نعم» وليس بالمعنى إليها حاجةٌ، جاء بها حَشْوًا. ومن الحشو ما لا يقبح، و «نعم» ههنا قبيحة، وقد أولع بها كُثَير بن عبد الرحمن في ابتداءاته فقال:

أمِنْ آلِ عَمْرٍو بِالْحَرِيقِ دِيَارُ   نَعَمْ دَارِسَـاتٌ قَدْ عَفَوْنَ قِفَارُ

وقال:

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الركب أمْ أَنْتَ سَائِلُ
نَعَمْ وَالْمَغَانِي قَـدْ دَرَسْـنَ مَوَاثِلُ

وقال:

أَهَاجَتْكَ لَيْلَى إذْ أجَدَّ رَحِيلُها   نَعَمْ وَثَنَتْ لَمَّا احْزَأَلَّتْ حَمُولُها

احزألت: انتصبت وارتفعت.

وقال:

أَبَائِنَةٌ سُعْدَى؟ نَعَمْ سَتَبِينُ   كما انْبَتَّ مِنْ حَبْلِ القَرِينِ قَرِينُ

وهي في كل هذه الأبيات رديئة، وموضعها من هذا البيت الأخير أصلح، لأن إسقاطها من الجميع يَحْسن ولا يحتاج الاستفهام فيها إلى جواب، إلا هذا البيت فإن الاستفهام فيه يقتضي أن يكون نعم جوابا له، ومع هذا فليس لها حلاوة ولا حسن، ولكُثَير استفهامات لاجواب لها على عادات الشعراء المحسنين.

ومنها قوله:

مِنْ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُـومُ   وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمُ

وكل أبيات كُثَير أجود من بيت البحتري؛ لأن «نعم» فيها جواب، وهي في بيت البحتري حشو، وقال البحتري في بيته «نحييها» والأجود «نحيِّها» لأنه جواب الأمر، وقد يكون «نحييها» رفعًا على الحال، والجواب ههنا أجود من الحال.

فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار، وأبو تمام عندي في قوله «دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلام» أشعر من البحتري في سائر أبياته.

وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبي نواس:

وَإذا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّمًا فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الْهِجْرَانُ

***

ما ابتدأا به من ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار

قال أبو تمام:

لَقَدْ أخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ أَنَحْلُ الْمَغَانِي لِلْبِلى هِيَ أَمْ نَهْبُ[1]

أراد أَنَحْلٌ المغاني لِلْبلى، فحذف التنوين، والْحُقْبُ: الدهر، وجمعه أحقاب، والحِقَبُ: السِّنُون، واحدتها حِقْبة، وقال «لقد أخذت» فأنَّثَ الفعلَ، والْحُقْبُ مذكر، وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه، ويقال: الحقب ثمانون سنة، فعلى هذا قال «أَخَذَتْ».

وقال أيضا:

قَدْ نَابَتِ الْجَزْعَ مِنْ مَاوِيَّةَ النُّوَبُ وَاسْتَحْقَبَتْ جدة من ربعها الْحِقَبُ[2]

«واستحقبت» أي جعلتِ الحِقَبُ - وهي السنون - جِدَّةَ الربع في حقيبتها، والحقيبة: ما يحتقبه الراكب، وهو وعاء يجعله خلفه إذا ركب ويُحْرِز فيه متاعه وزاده، وهذه استعارة حسنة، وإنما يريد أن الحقب سلبت الربع جدّته وذهبت بها.

وقال البحتري:

أَرسُومُ دَارٍ أَمْ سُطُورُ كِتَابِ دَرَسَتْ بَشَاشَتُهَا عَلَى الأَحْقَابِ[3]

---

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (الديوان 30) والنحل: العطاء بلا عوض، والمغاني: جمع مغنى، وهو المنزل الذي يقيم فيه أصحابه، وقولى المؤلف في التعليق على هذا البيت «أراد أنحل المغاني» هو بالتنوين، ويجوز هذا الوجه، ويكون «نحل» مبتدأ»، و«المغاني» فاعل أغنى عن الخبر، أو يكون «نحل» خبرا مقدما و «المغاني» مبتدأ مؤخرا. وهذا الوجه الذي ذكره ليس بلازم، بل يجوز أن يكون «نحل» خبرا مقدما و «المغاني» مضاف إليه، و«هي» مبتدأ مؤخرا، وكأنه يستغرب أن تكون دور ماوية من بين سائر الدور نحلا للدهر يعصف بها، ولا يكون قد حذف التنوين إلا للإضافة.

(2) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان 46) وفيه «قد نابت الجزع من أروية» ونابت: أصابت. والجزع: منعطف الوادي، والنوب: المصائب، واحدها نائبة، وقد فسر المؤلف بقية مفردات البيت.

(3) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الخطاب الطائي (الديوان: 1 – 16).

أي: على مر السنين، وهذا البيت أبرع من بيتي أبي تمام لفظا، وأجود سبكا، وأكثر ماء ورونقا، وهو من الابتداءات النادرة العجيبة، والمشبهة لكلام الأوائل؛ فهو فيه أشعر من أبي تمام.

***

وفي إقواء الديار وتعفّيها

قال أبو تمام:

طَلَلَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا   وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدَا[1]

أراد «وكفى بأنه مضى حميدًا شاهدًا على أني رزئت» وكان وجه الكلام أن يقول: وكفى رزئي شاهدا على أنه مضى حميدا، وقد استقصيت الكلام في هذا فيما تقدم في غلط أبي تمام. وقال أيضًا.

أَجَـلْ أَيُّهَا الـرَّبْـعُ الَّـذِي بَـانَ آهِلُهْ
لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهْ[2]

وهذا أيضًا ابتداء جيد.

وقال أيضا:

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمْ بَعْدِي   وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ[3]

وهذا بيت رديء مَعِيب؛ لأن الوشيعة والوشائع هو الغزل الملفوف من اللحمة التي يُدْخلها الناسجُ بين السَّدى، والبرد الذي تمت نساجته ليس فيه شيء يسمى وشيعة ولا وشائع، وقد ذكرت هذا في أغاليطه.

وقال البحتري:

(1) قد تقدم ذكر هذا البيت، واعترض المؤلف عليه اعتراضا طويلا.

(2) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المعتصم بالله (الديوان 229) وفيه «خف آهله» وأجل: حرف جواب بمعنى نعم، والربع: المنزل، وآهله: ساكنوه، وخفوفهم: ارتحالهم، والنوى: الفراق.

(3) قد تقدم ذكر هذا البيت واعتراض المؤلف عليه.

تِلْكَ الدِّيَارُ وَدَارِسَاتُ طُلُولِهَا طَوْعُ الْخُطُوبِ دَقِيقِهَا وَجَلِيلِها[1]

وقال أيضا:

يَا مَغَانِي الْأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِي مَلُومَا[2]

وقال أيضًا:

لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ الرُّسُومِ بِمَنْعِجِ إِمَّا سَأَلْتَ مُعَرَّجُ لِمُعَرِّجِ[3]

وقال أيضا:

هَلَّا سَأَلْتَ بِجَوِّ ثَهْمَدْ طَلَلًا لِمَيَّةَ قَدْ تَأَبَّدْ[4]

هذه كلها ابتداءات جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى، وأبيات أبي تمام أيضا رائعة، ولكن فيها ما ذكرته.

****

تعفية الرياح للديار

قال أبو تمام:

عَفَتْ أَرْبَعُ الْحِلَّاتِ لِلْأَرْبَعِ الْمُلْدِ لِكُلِّ هَضِيمِ الْكَشْحِ مُغْرَبَةِ الْقَدِّ[5]

الحلات: جمع حِلَّة، وهو الموضع الذي يَحُلُّونه، يقال: حِلَّة ومَحَلَّة، والأربع الملد: يريد أَرْبَعَ نساءٍ مُلْدٍ، من قولهم: غصْنٌ أُمْلُود، وهو الناعم، و «أملود» لا يجمع على «مُلْد» وإنما هو جمع أَمْلد، و «هضيم الكشح» يريد ضامرة البطن، وقوله «مغربة القد» يريد أغربَ قدُّها: أي لها قدٌّ غريبٌ في الحسن، وإنما أراد عَفَتْ أَرْبَعُ حِلال: أي مواطن، لأربع نسوةٍ، وهذا تكلُّف شديد، وقد جاءت بلفظٍ غير حسن ولا

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن الهاشمي (الديوان: 2 – 184).

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان: 2 – 241).

(3) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويصف فرسا وبغلا (الديوان: 1 – 101).

(4) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن مخلد (الديوان: 1 – 143) وتأبد: صار منزلا للأوابد، وهي الوحوش.

(5) هذا مطلع قصيدة يمدح فيها حفص بن عمر الأزدي (الديوان 130) وفيه «مجدولة القد» وعفت: ذهبت معالمها، «وأربع الحلات» أراد المنازل الأربعة. و «للأربع الملد» أراد التي كانت سكنا لأربع فتيات ملد، والملد: جمع ملداء، وهي اللينة القوام الناعمة، وليس جمعًا للأملود كما قال المؤلف، وتقول: ملد الغصن ملدا – مثل فرح يفرح فرحا – فهو أملد والشجرة ملداء وذلك إذا اهتزت، وإنما يكون ذلك في نضارتها، والكشح: ما بين الخصر إلى الضلع، ويراد به البطن، وهضيمه: ضامرته.

جميل، وكذلك «مغربة القد» من قول الشعراء المتأخرين: غريبُ الحسنِ، وغريب القد، والكلمة إذا لم يؤتَ بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت، وقوم يروونه «أرْبع الحلَّات» جمع رَبْع، وذلك غلط، وإنما أراد الرجلُ العدَدَ: أي عفت أرْبع لأربع، ولا أعلم لأبي تمام ابتداءً ذكر فيه الرياح غير هذا البيت، وهو رديء اللفظ قبيح النسج.

وقال البحتري:

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فاللِّوَى وَالْأَجْرَعِ ... دِمَنٌ حُبسْنَ عَلَى الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ[1]

وهذا من ابتداءاته الحسنة النادرة وإحسانه فيه الإحسان المشهور، وقوله «بين الشقيقة فاللوى» كقول امرئ القيس «بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمل»[2] والأصمعي يرويه بالواو، وأهلُ العربية يقولون: الدخول مواضع متفرقة.

وقال البحتري:

أَصَبَا الْأَصَائِلِ إِنَّ بُرْقَةَ ثَهْمَدِ ... تَشْكُو اخْتِلافكِ بِالْهُبُوبِ السَّرْمَدِ[3]

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون: إنهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر في هذا المعنى أحْسَنَ من هذا البيت، ولا أبرع لفظا، ولا أكثر ماء ولا رونقًا، ولا ألطف معنًى.

وقال البحتري:

لا أَرَى بِالْبِرَاقِ رَسْمًا يُجِيبُ ... أَسْكَتَتْ آيَهُ الصّبا وَالْجَنُوبُ[4]

وهذا ابتداء صالح.

---

(1) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها يوسف بن محمد (الديوان: 2 - 100)

(2) هذه قطعة من بيت، وهو بتمامه:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهذا البيت مطلع طويلة امرئ القيس المعلقة، وكان الأصمعي يعيبه، والسر في ذلك أن كلمة «بين» إنما تضاف إلى متعدد لفظا ومعنى، نحو قولك: جلست بين محمد وعلي، أو معنى دون لفظ نحو قولك: جلست بين العلماء، وفي المثال الأول لا يجوز العطف بالفاء؛ لأن الفاء تدل على أن ما بعدها قد تعلق به العامل بعد تعلقه بما قبلها، وأنت تريد أن تدل على أن العامل قد تعلق بهما معا في وقت واحد، وقد عطف امرؤ القيس بالفاء، فهذا وجه الاعتراض، والنحويون يقولون: إن «الدخول» المراد به أماكن متعددة فيكون من نوع المثال الثاني، هذا تلخيص ما أشار المؤلف إليه.

(3) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبي (الديوان: 1 - 170).

(4) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها جعفر بن عبد الغفار (الديوان: 1 - 81) وفيه «لا أرى بالعقيق رسما يجيب»

وفي البكاء على الديار

قال أبو تمام:

عَلَى مِثْلِهَا مِـنْ أَرْبُـعٍ وَمَـلَاعِـبِ
أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ(1)

قد أنكر «مصُونات الدموع السواكب» بعضهُم، قال: كيف يكون من السواكب ما هو مصون، وإنما أراد أبو تمام مصونات الدموع التي هي الآن سواكب، ولفظه يحتمل ما أراده، والبيت جيد لفظا ومعنى ونظما.

وقال أيضا:

أما الرسُومُ فَقَدْ أذْكَرْنَ مَا سَلَفَا   فَلا تَكُفَّنَّ مِنْ شَانِيكَ أَوْ يكِفَا(2)

هذا ابتداء حسن.

وقال أيضا:

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيِّمُ   وَالدَّمْعَ فِي دِمَنٍ عَفَتْ لا يُسْجَمُ(3)

وقال أيضا:

قِرَى دارِهِـمْ مِنِّي الدُّمُوعُ السَّوَافِكُ
وَإِنْ عَادَ صُبْحِي بَعْدَهُمْ وَهْوَ حَالِكُ(4)

وهذان ابتداءان جيدان.

(1) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 40).

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 200) والرسوم: جمع رسم، وهو ما بقي لاصقًا في الأرض من آثار الديار، ولا تكفن: يريد لا تنتهين، والشاني: المبغض لك، وأصله الهمز فقلبت همزته ياء لانكسار ما قبلها، ويكف: يسكب الدمع، يقول: لا تترك شانئك حتى يبكي كما تبكي. وقد يكون «شأنيك» مثنى الشأن بالهمز، وهو مجرى الدمع.

(3) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن حسان الضبي (الديوان 283) ويتيم: يذل، والدمن: جمع دمنة، وهي أثر الديار، وعفت: ذهبت وامحت ولا يسجم: لا تقطعه العين ولا تكف عن إسالته.

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري (الديوان 223) والقرى: ما يقدم للضيف، أو هو الضيافة، والسوافك: المنسكبة، والحالك: المظلم.

وقال أيضًا:

تجرعْ أسًى قَدْ أقْفَرَ الْجَرَعُ الْفَرْدُ
وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَحْتَلبْ مَاءَهُ الْوَجْدُ[1]

الجرع والأجرع والجرعاء: أرض ذاتُ رملٍ وحجارة مختلطة خشنة، وقد قيل: رملة سهلة، والحسي: ماء المطر يغيض في الرمل قليلا ثم يصير إلى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب، وجمعه أحساء.

وقال البحتري:

مَتَى لاحَ بَرْقٌ أوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ ... جَرَى مُسْتَهِلٌّ لا بَكِيءٌ وَلا نَزْرُ[2]

وهذا بيت حَسْبُك به جودةً وبراعة وفصاحة.

ونحوهُ قوله:

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الدَّخُول فَتُوضح ... مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّم تَسْفَحِ[3]

هذا مثل قول امرئ القيس «بين الدخول فحومل» وهذا أيضًا بيتَ جيد، وليس كالأول.

وقال أيضًا:

أفِي كُلِّ دَارٍ مِنْكَ عَيْنٌ تَرَقْرَقُ ... وَقَلْبٌ عَلَى طُولِ التَّذَكُّرِ يَخْفُقُ[4]

وهذا أيضًا غاية في جودته وبراعته وكثرة مائه.

وقال أيضًا:

ألَمَّا يَكْفِ فِي طَلَلَيْ زَرُودِ ... بُكاؤُكَ دَارِسَ الدِّمَنِ الْهُمُودِ[5]

---

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 120) وتجرع: ابتلع، والأسى: الحزن، والوجد: الغرام، وقد شرح المؤلف بقية مفردات البيت.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 1 - 217) وأراد بالمستهل الدمع، والبكيء: القليل، ومثله الزر.

(3) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله (الديوان: 1 - 111).

(4) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن على القمى (الديوان: 2 - 138).

(5) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع في مصر.

وقال أيضا:

أَعَنْ سَفَهٍ يَوْمَ الْأُبَيْرِقِ أَمْ حِلْمِ ... وُقُوفٌ بِرَبْعٍ أَوْ بُكاءٌ عَلَى رَسْمِ[1]

هذه الأبيات الثلاثة كأنه منكر على نفسه البكاء، وقد أحسن فيما اعتمد من ذلك وأجاد، وهو ضد ما ذهب إليه أبو تمام في أبياته.

وقال البحتري وهو حسن جدا:

وُقُوفُكَ فِي أَطْلالِهِمْ وَسُؤَالُهَا ... يُرِيكَ غُرُوبَ الدَّمْعِ كَيْفَ انْهِمَالُهَا[2]

وقال:

عِنْدَ الْعَقِيقِ فَمَاثِلاتِ دِيَارِهِ ... شَجَنٌ يَزِيدُ الصَّبَّ فِي اسْتِعْبَارِهِ[3]

وقال:

يَأْبَى الْخَلِيُّ بُكاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي ... وَالنَّوْحَ فِي دِمَنٍ أَقْوَتْ وَأَطْلالِ[4]

وقال:

أَبُكَاءً فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ ... وَسُلُوًّا عَنْ زَيْنَبٍ بِنَوَارِ[5]

وهذا من البحتري وصفٌ في البكاء على الديار حسن، ومعان فيه مختلفة عجيبة، كلها جيد نادر، وأبو تمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها، والبحتري في هذا الباب أشعر.

❊❊❊❊

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الصقر (الديوان: 2 - 236).

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان: 2 - 174).

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا عامر الخضر بن أحمد (الديوان: 2 - 8).

(4) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(5) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر محمد بن حميدو يستوهبه غلاما (الديوان: 2 - 24) وفيه «وسلوا بزينب عن نوار».

سؤال الديار واستعجامها عن الجواب

قال أبو تمام:

الـدَّارُ نَاطِقَةٌ وَلَيْسَتْ تَنْطِقُ ... لِدُثُورِهَا؛ إنَّ الْجَدِيدَ سَيَخْلقُ[1]

وقال في مثل معناه:

وَأبِي الْمَنَازِلِ إنَّهَا لَشُجُونُ ... وَعَلَى الْعُجُومَةِ إنَّهَا لَتُبِينُ[2]

وهذا معنى شائع على ألسن العرب أن تقول لمن يعقل: وأبيك لقد أجملت، وكثرت على الألسن حتى صمدوا بها إلى ما لا يعقل، قَسَمًا وغير قسم، وكذلك قالوا: لأمك الْهَبَل، ولأبيك الْوَيْل، ثم قالوا ذلك لما لا أم له، وقال محرز بن المكعبر يرثي بسطام ابن قيس:

لِأمِّ الْأرْضِ وَيْـلٌ مَا أجَنَّتْ ... بحيث أضر بالحسن السبيل

فجعل للأرض أما.

وقد قال البحتري:

لَعَمْرُ أبِي الْأيَّامِ ما جَارَ حُكْمُهَا ... عَلَيَّ وَلا أعْطَيْتُهَا ثنى مقولي[3]

فجعل للأيام أبًا، وقوله «شجون» جمع شَجَن، وما أقلَّ ما يجمع فَعَل على فُعُول، قالوا: أسد وأسود، وليس هو بابه، والشجن: الحاجة، والشجن: الهم والحزن.

وقال أبو تمام:

مِنْ سَجَايَا الطلُولِ أنْ لا تُجِيبَا ... فَصَوابٌ مِنْ مُقْلَتِي أنْ تَصُوبَا[4]

هذا البيت صَدْرُه جيد، وقوله «فصواب» ليست بالجيدة في هذا الموضع، وإنما أراد التجنيس.

---

(1) هذا البيت لا يوجد في ديوان أبي تمام المطبوع.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الواثق بالله (الديوان 328).

(3) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(4) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان 25).

وقال البحتري:

لا دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلا طَلَلُ ... تَرُدُّ قَوْلًا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسَلُ[1]

وهذا ابتداء جيد لفظه ومعناه.

وقال:

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفْحماتِ طُلُول ... مِنْ سَائِلٍ بَاكٍ وَمِنْ مَسْئُولِ[2]

أراد أنه باكٍ والطلول باكية، وهذا ابتداء صالح.

وقال:

عَزَمْتُ عَلَى المَنَازِلِ أَنْ تَبِينَا ... وَإِنْ دِمَـنٌ بَلِينَ كَما بَلِينَا[3]

أي: عزمت عليها أن توضح لنا، ويكون «تبين» بمعنى تُفْصح هي في نفسها، يقال: بانَ الشيءُ وأبَانَ، وقوله «وإِن دِمَن بلين كما بلينا» أي: عزمت عليها أن تُبين لنا القولَ وإن كانت قد بَلِيَتْ كما بلينا نحن، وهذا بيت رديء العجز.

وقال:

أَقِـمْ عَلَّها أَنْ تَرجِعَ الْقَوْلَ أَوْ عَلِّي ... أُخَلِّفُ فِيهَا بَعْضَ مَا بِي مِن الخَبْلِ[4]

وهذا أيضًا بيت رديء الصدر لفظُه ومعناه؛ لأنه أراد أن يقول: قف لعلها أن تَرْجع القولَ أو لعلّي، فقال «أقم» مكان قِفْ، وليست هذه اللفظة نائبةً عن تلك؛ لأن الإقامة ليست من الوقوف في شيء، والدليل على أنه أراد أن يقول قف قولُه بعد هذا:

فَإِنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعَةً ... فَقِفْها عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِي

---

(1) هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 2 – 214) وفيه «يرد قولا» وقوله «يسل» أراد يسأل، فحذف الهمزة، والمشهور في العربية حذفها من فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في المضارع المجزوم.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المفضل بن إسماعيل الهاشمي (الديوان: 2 – 205) ووقع في الأصول «ضيف يخاطب» وما أثبتناه عن الديوان.

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إذ كوتكين (الديوان: 2 – 301).

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا صالح بن عمار (الديوان: 2 – 187).

وقال «علَّها وعَلِّي» وهما وإن كانتا لفظتين عربيتين فَلَعلَّ أحسن من عَلَّ وأبرع، وزاد في تهجينها أنه كرَّرها في مصراع، وقوله «أخلِّف فيها بعض مابي من الخبْل» عَجُز حسن، أي: أطْرَحه عني، أي: لعلي أبكي فأخفِّف بعض ما بي من البكاء، وإلى هذا المعنى ذهب، وإن لم يكن البكاء في البيت فقد ذكره من بعد.

وقال:

باللهِ يَا رَبْـعُ لَمَّا زِدْتَ تِبْيَانَا فَقُلْتَ لي الْحَيُّ لَمَّا بَانَ لِم بانَا[1]

وقال أيضًا:

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أنْتَ سَائِلُهْ
وَأَبْدَى الْجَوابَ الرَّبْعُ عَمَّا تُسَائِلُهْ[2]

وهذا بيت غير جيد؛ لأن عَجُز البيت مثل صدره سواء في المعنى، وكأنه بني الأمر على أن الدار غير الربع، وأن السؤال إن وقع وقع في محلين اثنين، والبيت أيضا لا يقوم بنفسه؛ لأنه جعله معلقا بالبيت الثاني، وهو قوله:

أَفِي ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوًى أَلْهَبَ الْحَشَا
تَـوَقُّـدُهُ وَاسْـتَـغْـزَرَ الـدَّمْـعَ جَائِلُهْ

وقال:

هَلِ الرَّبْعُ قَدْ أَمْسَتْ خَلَاءَ مَنَازِلُهْ مُجِيبٌ صداه أَوْ يُخَبِّرُ سَائِلُهْ[3]

وهذا ابتداء صالح.

وقال أيضا:

عَسَتْ دِمَنٌ بِالأَبْرَقَيْنِ خَوَالي تَرُدُّ سَلامِي أَوْ يُجِيبُ سُؤَالي[4]

---

(1) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع في مصر.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 2 – 162).

(3) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا طلحة منصور بن مسلم، ويقال: يمدح بها محمد بن عمر ابن علي بن مر (الديوان: 2 – 219) ووقع في الأصول «عفت دمن بالأبرقين خوالى» وما أثبتناه عن الديوان، وهو الصواب.

وهذا ابتداء حسن.

فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات في الباب، وليس لهما فيه بيت بارع، والجيد للبحتري قوله:

* لادِمَـــنَـــةٌ بِـلِـوَى خَـبْـتٍ وَلا طَـلَـلُ *

وقوله:

* عَـسَـتْ دِمَـــنٌ بِـالأَبْـرَقَـيْـنِ خَـوَالـي*

والجيد لأبي تمام بيتاه الأولان، ومعناهما غير معنى هذين البيتين، وبيتا البحتري أجود لفظا، وأصح سَبْكًا، وهما في هذا الباب متكافئان.

ما يَخْلُفُ الظاعنين في الديار من الوحش وما يقارب معناه.

قال أبو تمام:

أَطْلَالُهُمْ سُلِبَتْ دُمَاهَا الْهِيفَا وَاسْتُبْدِلَتْ وَحْشًا بِهِنَّ عُكُوفَا[1]

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه.

وقال أيضا:

أَأَطْلَالَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِنْ هِنْدِ
أَقَايَضْتِ حُورَ الْعَيْنِ بِالْعِينِ وَالرُّبْدِ[2]

(1) هذا مطلع قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف، ويعرض بوال ولي الثغر من بعده (الديوان 205) والأطلال: جمع طلل، وهو ما بقي شاخصا من أثر الديار، والدمى - بضم الدال وفتح الميم- جمع دمية، وهي في الأصل الصورة المنقوشة (التمثال) وأراد بها ههنا النساء الحسان، والهيف - بكسر الهاء - جمع هيفاء، وهي الضامرة البطن الدقيقة الخصر، وعكوفا: مقيمات.

(2) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام (الديوان 114) واعتضت: استبدلت، من العوض وهو البدل، وقايضت: بادلت، من المقايضة، وهي المبادلة على الشيء بشيء آخر، والحور: جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين من شدة بياض بياضها، وأرادبها النساء الجميلات العيون، والعين - بكسر العين - جمع عيناء، وهي الواسعة العين، وأراد بهاهنا بقر الوحش، وقيل لبقر الوحش «عين» لسعة عيونها. ووقع في الديوان «بالعور» وليس بشيء، والربد - بضم الراء وسكون الباء جمع ربداء، وهي التي لونها بين السواد والكدرة، وأراد بها النعام، يريد أستبدلت من النساء الجميلات العيون بقر الوحش والنعام؟

العِينُ: بقر الوحش والظباء، والزُّبد: النعام، وقابضت: أبدلت، وهذا بيت ليس بالجيد ولا بالرديء.

وقال أيضًا:

أَرَامَــةُ كُنْتِ مَألَفَ كُـلِّ رِيمِ ... لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بالأنَسِ القَدِيمِ(1)

وهذا بيت جيد.

وقال البحتري:

رَبْــعٌ خَــلاَ مِــنْ بَــدْرِهِ مَغْنَاهُ ... وَرَعَتْ بِهِ عِينُ الْمَهَا الأَشْبَاهُ(2)

وهذا بيت حسن حلو.

وقال البحتري أيضًا

عَهْدِي بِرَبْعِك مَأنُوسًا مَلاعِبُهُ ... أَشْبَاهُ آرامِـهِ حُسْنًا كَوَاعِبُهُ(3)

وهذا بيت في غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه.

وقال أيضًا:

عَـهْـدِي بِرَبْعِك مُثَّلًا آرَامُــهُ ... يُجْلَى بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظَلَامُهُ(4)

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى، ولفظ الأول أحلى وأبرع، وقوله «يجلى بضوء خدودهن ظلامه» حسن جدا.

وقال أيضًا:

---

(1) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها بعض بني عبد الكريم الطائيين (الديوان 287) ووقع في الديوان «بالأنس المقيم» ورامة: اسم مكان بعينه، والريم - بكسر الراء - أصله الرئم فخففه بقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها، والرئم: ولد الغزال، والأنس - بفتح الهمزة والنون جميعا - الحى.

(2) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(3) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن بدر (الديوان: 1 - 39) والآرام: جمع رئم، وهو ولد الغزال، وأصله أرآم فقلبه بتقديم الهمزة على الراء. والكواعب: جمع كاعب، وهي الفتاة التي كعب ثديها واستدار.

(4) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

أرَى بَيْنَ مُلْتَفِّ الْأرَاكِ مَنَازِلا مَوَاثِلَ لَوْ كانَتْ مَهاهَا مَوَاثِلا[1]

وهذا أيضًا بيت من أبرع ابتداءاته، فهذا ما وجدته لهما في هذا النحو، والبحتري في أبياته أشعر من أبي تمام في أبياته.

****

وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جوَى الواقفين بها

قال أبو تمام:

أقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أرَاكَ دَرِيسَا وَقِرَى ضُيُوفِكَ لَوْعَةً وَرسِيسَا[2]

وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها

وقال البحتري:

مَغَانِي سُلَيْمَى بِالْعَقِيق وَدُورُهَا أجَدَّ الشَّجَى أخْلاقُها وَدُثُورُهَا[3]

وهذا بيت في جودة بيت أبي تمام وبراعته

وقال:

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءِ أرْبدِ لَقَدْ هَيَّجتْ وَجْدًا عَلَى ذِي تَوَجُّدِ[4]

وقال أيضًا:

مَا جَوُّ خَبْتٍ وَإنْ نـأَتْ ظُعُنُهْ تارِكَنا أوْ تَشُوقَنا دِمَـنُـهْ[5]

---

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان : 2 - 212) والمواثل: جمع ماثل، وهو الشاخص، والمها: أصله بقر الوحش، واحدها مهاة، وأراد بها ههنا النساء الحسان.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 175) والقشيب: الجديد، والدريس: البالي، والقرى - بكسر القاف - الضيافة أو ما يقدم للضيفان، والرسيس: الحب الثابت، يريد وأرى قرى ضيوفك لوعة ورسيسا.

(3) هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها ابن بسطام (الديوان: 2 - 36) والعقيق: اسم مكان بعينه، والشجى: الحزن، والأخلاق: جمع خلق، وهو البالى، والدثور: التي ذهب أثرها وامحت.

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن المدبر (الديوان: 1 - 196) وفيه «يوم صحراء أرثد»

(5) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا عيسي بن صاعد ويهجو ابن البريدى (الديوان: 2 - 288) وخبت: اسم مكان بعينه، ونأت: بعدت، والظعن - بضم الظاء والعين - جمع ظعينة، وهو المرأة ما دامت في الهودج، وتشوقنا: تبعث الشوق في أنفسنا، والدمن - بكسر الدال وفتح الميم - جمع دمنة، وهي أثر الديار.

وقال أيضًا:

كُلَّمَا شَاءَتِ الرُّسُومُ الْمُحِيلَهْ ... هَيَّجَتْ مِنْ مَشُوقِ صَدْرٍ غلِيلَهْ[1]

وهذه كلها ابتداءات جِياد، وهي مع بيت أبي تمام متكافئة

* * * *

الدعاء للدار بالسقيا

قال أبو تمام:

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أجَشُّ هَزِيمُ ... وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ[2]

وقال أيضًا:

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى صَوْبُ الْعِهَادِ ... وَرُوِّيَ حَاضِرٌ مِنْهُمْ وَبادِي[3]

وهذان ابتداءان جيدان.

وقال أيضًا:

يا بَرْقُ طالِعْ مَنْزِلًا بِالأبْرَقِ ... وَاحْدُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الْأيْنقِ[4]

قوله «طالع» لفظة رديئة في هذا الموضع قبيحة، وقوله «واحْدُ السحاب له حداء الأينق» لفظه ومعناه جيدان فصيحان، وإنما خص البرق لأنه دليل الغيث.

وقال أيضًا:

---

(1) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان: 2 – 192) وفيه «مشوق قلت غليله» والمحلية – بضم الميم– التي أتى عليها حول، وأراد هنا المتغيرة، والغليل: أصله العطش، وأراد به ههنا حرارة الحب وتحرق الوجد.

(2) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 299) والأجش: الخشن الصوت، وأراد به ههنا الرعد، والهزيم: صوت الرعد، والنضرة – بفتح النون وسكون الضاد– الحسن.

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد (الديوان 78) وفيه «سبل العهاد» والعهاد – بكسر العين، بزنة الكتاب– مطر الربيع، والحاضر: الذي يسكن الحضر، والبادي: الذي يسكن البادية.

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ويصف فرسا حمله عليه (الديوان 211) وفيه «حداء الأنيق» وكلتاهما صحيحة، والحداء –بضم الحاء، بزنة الغراب – سوق الإبل بالغناء، والأنيق: جمع ناقة.

أَيُّهَا الْبَرْقُ بِتْ بِأعْلَى الْبِرَاقِ وَاغْـدُ فِيها بِـوَابِـلٍ غَـيْـدَاقِ[1]

الْبِرَاق: جمعُ بُرْقة، مثل بُرْمة وبِرَام، وهي الأرض ذات الطين والحصى تكون ذات ألوان مختلفة، وهذا بيت جيد، ووَصَله ببيت هو غاية في الحسن والحلاوة نأتي به إن شاء الله تعالى في بابه.

وقال:

يا دَارُ دَارَ عَلَيْكِ أَرهَـامُ النَّدَى وَاهْتَزَّ رَوْضُكِ فِي الثَّرَى فَتَرَأَّدَا[2]

يقال: أرهمت السماء، إذا أتت بالرَّهَمة، وهو المطر اللين، يقال: رَهَمة وأرهام، كأكَمَة وآكام، فإن قلت «أرهام الندى» كان ذلك سائغًا، فترأد: تثنَّى لكثرة مائه وغضاضته، ومنه «امرأة رُودُ الشباب» أي: غَضَّته، وهذا بيت ليس يجيد اللفظ ولا النسج.

وقال البحتري:

نَشدْتُكَ اللهَ مِنْ بَرْقٍ عَلَى أضَمِ لَمَّا سَقَيْتَ جَنُوبَ الْحَزْنِ فَالْعَلَمِ[3]

وهذا بيت بارع اللفظ، جيد المعنى، وزاد في جَوْدته قوله «نشدتك الله» وقال أيضًا:

سُقِيتِ الْغَوَادِي مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعِ وَحُيِّيتِ مِنْ دَارٍ لِأَسْمَاءَ بَلْقَعِ[4]

وهذا أيضًا بيت جيد اللفظ والمعنى، ويدخل في باب التسليم على الديار لقوله «وحييت من دار»

وقال أيضًا:

---

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن شهاب ويشكره (الديوان 220) والوابل: المطر الغزير، والغيداق: المنسكب، وبعد هذا البيت قوله:

وتـعـلـم بـأنـه مـا لأ نـوا ئك إن لـم تـروهـا مـن خـلاق

والخلاق – بفتح الخاء، بزنة السحاب – النصيب.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الكريم (الديوان 125) والأرهام: الأمطار الضعيفة الدائمة، والثرى – بفتح الثاء، بزنة العصى– التراب، وأراد الأرض.

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الديوان: 2 – 264).

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان (الديوان : 2 – 78) ووقع في بعض الأصول «من طلوع» محرفا عما أثبتناه.

أناشد الْغَيْثَ هَلْ تَهْمي غَوَادِيهِ   عَلَى الْعَقِيقِ وَإِنْ أَقْوَتْ مَغَانِيهِ[1]

وهذا بيت جيد

وقال أيضًا:

أَقَـامَ كُلُّ مُلِثٍّ الْـوَدْقِ رَجَّاسِ   عَلَى دِيَارٍ بِعُلْو الشَّامِ أَدْرَاسِ[2]

ملثّ: دائم كثير، ورجَّاس: مُصَوِّت، يريد الرعد، وهذا بيت كثير الماء والرونق.

وقال أيضًا:

لا تَرِمْ رَبْعَك السَّحَابُ تَجُودُهْ   تَبْتَدِي سَوْقَهُ الصَّبَا أَوْ تَقُودُهْ[3]

وقال أيضًا:

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا

عِهَادٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ وُطْفٌ غُيُومُها[4]

وهذان ابتداءان جيدان، وليسا مثل ما تقدم.

وقال أيضًا:

سَقَى رَبْعَها سَحُّ السَّحَابِ وَهَاطِلُهْ   وَإِنْ لَمْ يُخَبِّرْ آنفًا مَنْ يُسَائِلُهْ[5]

وهذا البيت رديء العجز؛ من أجل قوله «آنفا» لأنه حَشْوٌ لا حاجة للمعنى به؛ فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا، وهما عندي متكافئان.

***

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن ثوابة (الديوان: 2 – 321) وفيه «كي تهمي غواديه».

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يرثي فيها موسى بن عبد الملك عن ابنة له توفيت (الديوان: 2 – 65) وأدراس: بالية.

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إسماعيل بن بلبل (الديوان: 1 – 165) ولا ترم: لاتبرح، ويجوده: يسقيه، والصبا: ريح.

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المهتدي بالله (الديوان: 2 – 230).

(5) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن المدبر (الديوان: 2 – 175).

في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار

قال أبو تمام:

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إِدْمَانِي عَلَى الدِّمَنِ وَحَمْلِيَ الشَّوْقَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِنِ[1]

وقال أيضًا:

مَا عَهِدْنا كَذَا نَحِيبَ الْمَشُوقِ كَيْفَ وَالدَّمْعُ آية المعشوق[2]

هذا بيت رديء جدًّا، وقد ذكرتُ ما فيه في باب ما ذكر له في وسط الكلام في تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار، وهذا البيت ابتداء، وإنما ذكرته هناك لأن معناه يتضح بالأبيات التي بعده؛ فجعلته في ذلك الباب.

وليس لأبي تمام ابتداء صالح في لوم الأصحاب غير هذين البيتين

فأما البحتري فإنه تصرف فيه في ابتداءات جياد حسان بارعة حلوة؛ فمن ذلك قولُه:

فيم ابْتِدَارُكُمَا الْملامَ وَلُوعَا أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْـنَـةً وَرُبُـوعَـا[3]

وهذا بيت حسن، وفيه سؤال، وهو أن يقال: إنما لاموه على بكائه على الدمنة والربوع، فما وجه اعتذاره بأنه لم يبك إلا دمنة وربوعا؟ والجواب أنه أراد أبكيت إِلا ما مِثْلُه يُبْكى؟ وقد تقدَّمني الناسُ فيه ولم ينكر ذلك على أحد.

وقوله:

خُذَا مِنْ بُكائي في الْمَنَازِلِ أَوْ دَعَا وَرُوحَا عَلَى لَوْمِي بِهِنَّ أَوِ ارْبَعَا[4]

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن علي بن مرة (الديوان 333) وأكبرت الأمر: عددته كبيرا واستعظمته، والإدمان: المداومة، والدمن: آثار الديار، والبادي ههنا: الظاهر، والمكتمن: المختفي المستتر.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف (الديوان 215) وفيه «ما عهدنا كذا بكاء المشوق».

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 2 – 84) وفيه «فيم ابتداركم الملام».

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان: 2: 97) واربعا: كفا عن لومي وتوقفا عن الاستمرار عليه.

وهذا بيت جيد.

وقوله أيضًا:

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلا مُقْصِرًا فِي مَلامَتِي أَوْ مُطِيلا[1]

وهذا بيت جيد حسن بارع اللفظ والمعنى، وقد ذكرته أيضًا في باب الوقوف على الديار.

وقوله:

أَحْرَى الْخُطُوبِ بِأَنْ يَكُونَ عَظِيمَا قَوْلُ الْجَهُولِ: أَلَا تَكُونُ حَلِيما[2]

وقوله:

مَا أَنْتَ لِلْكَلِفِ الْمَشُوق بِصَاحِبِ فَاذْهَبْ عَلَى مَهَل فَلَيْسَ بِذاهِبِ[3]

وقوله:

فِي غَيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِي وَأَصِيلِي وَسِوَى سَبِيلِكَ فِي السُّلُوِّ سَبِيلِي[4]

وقوله:

بَعْضَ هذَا الْعِتابِ وَالتَّفْنِيدِ لَيْسَ ذَمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ[5]

ولهما في تأنيب العُذَّال في غير الوقوف على الديار ابتداءات ليس بضائر ذكرها ههنا.

فمن ذلك قول أبي تمام:

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن على بن عيس القمي (الديوان: 2 – 210) وفيه «مقصرا من صبابة».

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان: 2 – 242) وأحرى الخطوب: أحق الأمور وأجدرها.

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان: 1 – 65) والكلف – بفتح الكاف وكسر اللام – المحب الشديد الحب.

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يرثي فيها إسماعيل بن نيبخت (الديوان: 2 – 171)

(5) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان: 1 – 204) و «بعض» بالنصب مفعول لفعل محذوف: أي اتركا بعض هذا العتاب، والتفنيد: مصدر فندت فلانا – بتشديد نون الفعل – أي: كذبته، يريد كفا من ملامكما لي واتهامي بالكذب في المحبة.

تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبي وَلَيْسَ حبِيبِي إنْ عذلْتِ بِمُصْحِبِي[1]

وقوله أيضًا:

دَأْبُ عيْنِي الْبُكاءُ وَالْحُزْنُ دَابِي فَاتْرُكِينِي وُقِيت مَا بِي لِمَا بِي[2]

وقوله أيضًا:

كُفِّي وغـاك فَإِنَّنِي لَـكِ قَالِي لَيْسَتْ هَوَادِي غزْمَتِي بِتَوَالِي[3]

وقوله أيضًا:

لَامَتْهُ لامَ عَشِيرُهَا وَحَمِيمُهَا مِنْها خلائِقَ قَدْ أَبَرَّ ذَمِيمُهَا[4]

وقاله أيضًا:

مَتَى كانَ سَمْعِي خلْسَةً لِلَّوَائِمِ وَكَيْفَ صَغَتْ لِلْعَاذِلِينَ عَزَائِمِي[5]

وقوله أيضًا:

---

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها عياش بن لهيعة الحضرمى (الديوان 23) وتقي: فعل أمر. وأصله «اتقي» ومثله قول الشاعر:

زِيـادَتَـنـا نـعْـمَـانُ لا تَحْبسَنَّها تَـقِ اللهَ فِينَا وَالْـكِـتَـابَ الَّـذِي تَتْلُو

يريد «اتق الله فينا» وجمحاتي: عصياني لك وجموحي عن استماع نصحك ويروي « تقي جهلاتي» ووقع في المطبوعات محرقا «تقي جهاتي» ومؤنبي: لائمي وعاذلي .

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يرثي فيها أحمد بن هرون القرشي (الديوان 355) والدأب: العادة، وأصله الهمز فخففه في الثانية بقلب الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها لأجل التصريع، وقوله: «وقيت مابي» أي حفظك الله من مثل ما ألاقيه من لوعة الحزن وحرارة الألم، وقوله «لما بي» متعلق باتركينى يريد دعيني وما أنا فيه وقاك الله شر مثله.

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الحسن بن رجاء (الديوان 246) وفيه «يكفي وغاك» والوغى: أكثر ما تستعمل في الحرب، وأراد به ههنا جلبتها عليه في لومها إياه وتعنيفه على الحب، وقال: اسم الفاعل من قلاه يقلوه ويقليه، إذا كرهه، والهوادي: الأوائل، والتوالي: الأواخر.

(4) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها جماعة من كتاب عبد الله بن طاهر (الديوان 310) والحميم: الصديق، والخلائق: جمع خليقة وهي الطبيعة، وأبر: زاد، وذميمها: مذموهما.

(5) هذا البيت مطلع كلمة له يمدح فيها أبا سعيد (الديوان 290) والخلسة: السلب والنهب في سرعة، وصغت: مالت، والعاذلين: جمع العاذل، وهو الذي يلوم في تسخط، والعزائم: جمع عزيمة، وهي القصد إلى الشيء قصدا موثقا.

قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلَوَاءِ كَمْ تَعْذلُونَ وَأَنْتُمُ شُجَرَائِي[1]

وهذه كلها ابتداءات صالحة، إلا هذا البيت الأخير؛ فإن الناس عابوه، وذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه أن مما عيب من ابتداءات الطائي قوله:

كَـذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْـيَـفْـدَحِ الأمْـرُ

وقوله:

خَـشُـنْـتِ عَـلَـيْـهِ أُخْـتَ بَـنِي خُـشَـيْـنِ

فأما قوله «خشنت عليه» فهو لعمري من تجنيساته القبيحة، وعهدت مُجَّانَ البغداديين يقولون: قليل نورة يذهب بالخشونة، وأما قوله «كذا فيجل الخطب وليفدح الأمر» فليس بمعيب عندي، وقد ذكرته في ابتداءات المراثي، وأخبرت بمعناه، وأما قوله «قدك اتئب أربيت في الغلواء» فإنها ألفاظ صحيحة فصيحة من ألفاظ العرب مستعملة في نظمهم ونثرهم، وليست من متعسف ألفاظهم، ولا وحشيّ كلامهم، ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أنْ جَمعها في مصراع واحد، وجعلها ابتداء قصيدة، ولم يفرق بينها إلا بفواصل [يسيرة][2] فقال: «قدك اتئب أربيت في الغلواء» فصار قوله «قدك اتئب» كأنهما كلمة واحدة على وزن مستفعلن، وضم إليه «أربيت في الْغُلَواء» فاستُهْجنت، ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكروه؛ لأن الأعرابي إنما ينظم كلامه المنثور الذي يستعمله في مخاطباته ومحاوراته، ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى في كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه إلا حَسْبُكَ اسْتَحى زِدْتَ وَغَلَوْتَ، وهذا كلام حسن بارع، قال: فمن شأن الشاعر الْحَضَري أن يأتي في شعره بالألفاظ المستعملة في كلام الحاضرة، فإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهل الحضر فمن سبيله أن يَجْعله من المستعمل في كلام أهل البدو دون الوحشي الذي يقلّ استعمالهم إياه، وأن يجعله متفرقا في تضاعيف ألفاظه، ويضعه في مواضعه، فيكون قد اتسع مجالُه بالاستعارة، ودل على فصاحته وعلمه، وتخلّص من الْهُجنة، كما أن الشاعر

(1) هذا البيت مطلع كلمة له يمدح فيها يحيى بن ثابت (الديوان 2) وقد مضى ذكره.

(2) زيادة لا بد منها ليستقيم الكلام.

الأعرابي إذا أتى في شعره بالوحشي الذي يقل استعماله إياه في منثور كلامه وما جرى دائما في عادته هَجَّنه وَقَبَّحه، إلا أن يضطر إلى اللفظة واللفظتين، ويقلل، ولا يستكثر، فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شيء مع غير جنسه بايَنَه ونافره وأظهر قبحه.

وقد تَصَرَّف البحتري في هذا الباب أَحْسَنَ تصرف وأبلغه وأعجبه؛ فمن ذلك قوله:

أَتَـارِكِـي أَنْـتَ أَمْ مُغْرًى بِتَعْذِيبِي
وَلائِمِي فِي هَوَى إن كانَ يُزْرِي بِي[1]

وقوله أيضًا:

يُفَنِّدُونَ وَهُـمْ أَدْنَـى إِلَى الْفَنَد وَيُرْشِدُونَ وَمَا الْعُذَّالُ فِي رَشَدِ[2]

وقوله أيضًا:

إِنَّمَا الغَيُّ أَنْ يَكُونَ رَشِيدَا فَانْقُصَا مِنْ مَلامِهِ أَوْ فَزِيدَا[3]

وقوله أيضا:

أَلَمْ يكُ فِي وَجْدِي وَبَرْحِ تَلَدُّدِي نِهَايَةُ نَهْيٍ لِلْعَدُوِّ الْمُفَنِّدِ[4]

وقوله أيضا:

مَرَنَت مَسَامِعُهُ عَلَى التَّفْنِيدِ فَقَضَى الْمَلَامَ لأَعْيُنٍ وَخُدُودِ[5]

وقوله أيضا:

شُغْلَانِ مِنْ عَـذَلٍ وَمِـنْ تَفْنِيدِ وَرَسِيس حُبٍّ طارفٍ وَتَلِيدِ[6]

وقول أيضًا:

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن محمد الطائي (الديوان: 1 - 69) ووقع في الأصول «أن كان يردي بي» وتصويبه ما أثبتناه عن الديوان، فإن «أردى» يتعدى بنفسه.

(2) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا صالح (الديوان: 1 - 133) وفيه «وما التعذال من رشدي»

(3) هذا البيت مطلع قصيدة له يفتخر فيها (الديوان : 1 - 183) ووقع في الأصول «من ملامتي» وما أثبتناه عن الديوان، وهو أقرب.

(4) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(5) وهذا البيت أيضا غير موجود في ديوانه المطبوع بمصر.

(6) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 1 - 125).

أَقْصِرَا لَيْسَ شأنِيَ الْإِكْثَارُ وأَقِلَّا لَنْ يُغْنِيَ الْإِكْثَارُ[1]

وقوله أيضًا:

قُلْتُ لِلَّائِمِ فِي الْحُبِّ أفِقْ لا تُهَوِّنْ طَعْمَ شَيْءٍ لَمْ تَذُقْ[2]

وقوله أيضًا:

أَمَا كانَ فِي تِلْكَ الرُّبُوع السوائل بَيَانٌ لِنَاءٍ أَوْ جَوَابٌ لِسَائِلِ[3]

وقوله أيضًا:

أَكْثَرْتَ فِي لَوْمِ الْمُحِبِّ فأَقْلِلِ وَأَمَرْتَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَأَجْمِلِ[4]

وقوله أيضًا:

رُوَيْدَكَ إنَّ شَأْنَكَ غَيْرُ شَانِي وَقَصْرَكَ لَسْتُ طاعَةَ مَنْ نَهَانِي[5]

وقوله أيضًا:

يَكادُ عاذِلُنَا فِي الْحُبِّ يُغْرِينَا فَمَا لَجَاجُكَ فِي لَوْمِ الْمُحِبِّينَا[6]

وقوله أيضًا:

عَذِيري فِيكَ مِنْ لاحٍ إذَا مَا شَكَوْتُ الْحُبَّ قَطَّعَنِى مَلامَا[7]

وقوله أيضًا:

---

(1) هكذا وقع هذا البيت في الأصول، وروايته المستقيمة كما في الديوان هكذا:

أقصرا إن شأتى الاقصار وأقلا لن يغني الاكثار

وهو مطلع قصيدة له يمدح فيها المهتدى بالله (الديوان: 1 - 220)

(2) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها صاعدا ويهجو يعقوب بن أحمد بن صالح (الديوان: 2 - 131)

(3) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع في مصر.

(4) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها محمد بن صالح الهاشمي (الديوان: 2 - 117)

(5) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها الهيثم الغنوي (الديوان : 2 - 278) ورويدك: اسم فعل بمعنى أمهل، وقصرك: معناه أقصر.

(6) لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر.

(7) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله (الديوان: 2 - 224) وفيه «حرقني ملاما» واللاحي: اسم الفاعل من لحاه يلحاه ويلحوه إذا لامه وعذله.

طَفِقَتْ تَلُومُ وَلَاتَ حِينَ مَلامِهِ لَا عِنْدَ كرَّتِهِ وَلا إحْجَامِهِ[1]

ولا خفاء بفضل البحتري في هذا الباب على أبي تمام، وقد مضت الموازنة بين الابتداءات بذكر الديار والآثار، وأما الآن فأذكر ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام.

****

ما قالا في أوصاف الديار والبكاء عليها

قال أبو تمام[2]:

طَلَلَ الْجَمِيعِ لقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدَا[3]

دِمَنٌ كأَنَّ الْبينَ أَصْبَحَ طَالِبًا دَيْنًا لَدَى آرَامِهَا وَحُقُودَا[4]

قَرَّبْتَ نازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى وَتَرَكْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدَا[5]

خَضِلًا إذَا الْعَبَرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا وَطَنًا سَرَى قَلِقَ الْمَحَلِّ طَرِيدَا[6]

وقوله «وكفى على رزئي بذاك شهيدا» ليس بالجيد، وقد ذكرت معناه في باب الابتداءات عند ذكر البيت، وقوله «قربت نازحة القلوب من الجوى» يريد القلوب التي بَعُد عهدها بمرض الحب فأرَيْتَها من ذلك عند الوقوف عليك، يخاطب الدمن، وقوله «وتركت شأو الدمع فيك بعيدا» أي: دائما طويلا، وقوله «خضلا إذا العبرات

(1) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها أحمد بن عبد الرحمن الحراني ويصف فرسا (الديوان: 2 - 250) ومعنى «لات حين ملامة» ليس الوقت وقت لومك إياه، والكرة: الإقدام، والإحجام: التأخر عن الشيء والنكوص عنه.

(2) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني (الديوان 87).

(3) قد تقدم ذكر هذا البيت فيما أخذه على أبي تمام.

(4) في الديوان «دمنا لدى آرامها» والدمن في أول البيت جمع دمنة، وهي أثر الديار، والدمن الثانية في رواية الديوان - وهي الأشبه بأبي تمام - الحقد القديم، والآرام: الغزلان.

(5) النازحة: البعيدة، والجوى: الحزن، والشأو: الغاية.

(6) خضلا: هو حال من الدمع، ومعناه الذي ترشش نداه، يريد أن هذا الدمع فائض لا يزال يسفح على الخدين ولا يقر له قرار، في حال أن غيره من الدموع لا تبرح محاجرها.

لم تبرح لها وطنا سرى قلق المحل طريدًا» أي: مَنْ كان إنما يبكي في وطنه على الحوادث التي تحدث عليه فيه سَرَى هذا الدمعُ قلق المحل إذا عسف المسير لطوله حتى يحل بهذه الدمن، وهذا نحو من قوله:

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ ... دَمْعٍ عَلَى وَطَنٍ لِي فِي سِوَى وَطَنِي[1]

فقوله «على وطن» يعني الرسوم والطلول التي يقف عليها، وهذا من جيد ألفاظه وصحيح معانيه، وغرضُه فيما وصف من الدمع غرضٌ صحيح، وأحسن منه وأغرب قولُه:[2]

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا ... فَلا تَكُفَّنَّ عَنْ شَانِيكَ أَوْ يَكِفَا[3]

لا عُذْرَ لِلصَّبِّ أَنْ يَقْنِى السُّلُوَّ وَلا ... لِلدَّمْعِ بَعْدَ مُضِيِّ الْحَيِّ أَنْ يَقِفَا[4]

حَتَّى يَظَلَّ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ ... فِي الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدْ رَعِفَا[5]

وهذا المعنى ليس له، وإنما أَخذه من قول أبي وَجْزَة:

عُيُونٌ تَرَامَى بِالرِّعَافِ كَأَنَّهَا ... مِنَ الشَّوْقِ صِرْدَانٌ تَدِبُّ وَتَلْمَعُ

قيل في تفسيره: شبه الدمع وقد عَصْفَره الدم بالرُّعاف، وشَبَّه العيون وهي تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى بالصِّردان تَنْتَفض تارة وتظهر عرضا من الأرض تارة، وبيت أبي تمام أجود لفظا ونظما، ولا أظن البحتري ذهب إلى مثل هذا المعنى، ولا للمعنى الذي قبله، ولكنه يعتذرُ مرة بقِلَّة دمعه، ومرة يذكر كثرته ويفتخر بغزره، وفي كل ذلك يُحْسن ويجيد؛ فمن اعتذاره قوله في قصيدته التي أولها:[6]

(1) هذا البيت سادس بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا الحسن علي بن مرة (انظر ديوان أبي تمام ص 333) وفيه «أقد من دمع»

(2) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان 200).

(3) قد مضى ذكر هذا البيت (انظر ص 332 من هذا الكتاب).

(4) «يقنى السلو» معناه يكتسب السلو أو يلزمه، مأخوذ من قولك: قنى الرجل الشيء يقنيه -من باب ضرب- إذا اكتسبه، وقنى الحياء يقنيه - من باب ضرب أيضا- إذا لزمه.

(5) سفح الدمع والماء: سكبه وصبه، وتقول: رعف الدم، إذا خرج من الأنف، وبابه فرح.

(6) الأبيات من أوائل قصيدة له يمدح فيها محمد بن يوسف (الديوان: 2 - 84).

فِيمَ ابْتِدَارُكُمَا الْمَلامَ وَلُوعَا أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْـنَـةً وَرُبُـوعَـا[1]
يَا دَارُ غَيَّرها الزَّمَانُ وَفرَّقَتْ أَيْدِي الْحَوادِثِ شَمْلَهَا المَجْمُوعا[2]
لَوْ كانَ لي دَمْعٌ يحسن لَوْعَتِي خَلَّيْتُهُ في عَرْصَتَيْكِ خَلِيعا[3]
لا تخطُبي دَمْعِي إِلَيَّ فَلَمْ يَدَعْ في مُقْلَتَيَّ جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعا

قوله في ابتداء القصيدة «أبَكَيْتُ إلا دمنَةً وربوعا» قد أخبر أنه بكى ثم قال «لو كان لي دمع يحسن لوعتي» أي: لو كان لي دمع غزير يليق بلَوْعتي ويُنْبئ عنها، وكذلك قوله «فلم يدع في مقلتى جوى الفراق دموعا» أي: دموعا كافيةً أرضاها، أو دموعا تَسَعني؛ لأنه استقلَّ دَمعه واسْتَنْزره وأن يكون انقطع دمعه، ولله در كُثَيِّر إذ يقول:[4]

وَقَضَّيْنَ مَا قضَّيْنَ ثُمَّ تَرَكْنَنِي بِفَيْفا خُرَيْم وَاقِفًا أَتَلَدَّدُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَنَّتْ بمَائِهَا عَلَيَّ وَلا مِثْلِي عَلَى الدَّمْعِ يُحْسَدُ

وقال أبو تمام:[5]

أَقَشيبَ رَبْعِهِمُ أرَاكَ دَرِيسًا تَقْرِي ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا[6]
وَلئِنْ جُبسْتَ عَلَى الْبِلَى لَقَدِ اغْتَدَى دَمْعِي عَلَيْكَ إلى المَمَاتِ حَبِيسَا
وَأَرَى رُسُومَكَ مُوحِشاتٍ بَعْدَما قَدْ كُنْتَ مَألوفَ المَحَلِّ أَنِيسَا[7]
وَبَلاقِعًا حَتَّى كَأَنَّ قَطِينَهَا حَلَفُوا يَمِينًا أَحْلَفَتْكَ غَمُوسَا[8]

(1) تقدم ذكر هذا البيت مرارا (انظر ص 344 من هذا الكتاب).
(2) في الديوان «وفرقت * عنها الحوادث شملها» وما هنا أظرف.
(3) في الديوان «خلفته في عرصتيك» والعرصة - بفتح فسكون - فناء الدار.
(4) قد سبق ذكر أول هذين البيتين (انظر ص 318 من هذا الكتاب)
(5) الأبيات في أوائل قصيدة له يمدح فيها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي (الديوان 175).
(6) تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص 340 من هذا الكتاب) وفي الديوان وما مضى من الكتاب «وقرى ضيوفك».
(7) في الديوان «وأرى ربوعك» وموحشات: خاليات من الأنيس وكأن قد سكنها الوحش، وأنيسا: مأنوسا، يعني آهلا.
(8) القطين: الساكن، من قطن بالمكان إذا أقام، والغموس: اليمين الكاذبة.

وهذا كلام رَصِينٌ، وقوله «حلفوا يمينا أحلفتك» أي: كأنهم حلفوا يمينا أن لا يعودوا إليك فأحلفك ذلك.

ومن حلو معانيه وجيد ألفاظه في البكاء على الديار قولُه:

دِمَنٌ لَوَتْ عَزْمَ الْفُؤَادِ وَمُزِّقَتْ فِيها دُمُوعُ الْعَيْنِ كلَّ مُمَزَّقِ[1]

وقال أيضا:[2]

سَقَى عَهْدَ الحِمَى سَيلُ الْعِهَادِ وَرُوِّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِي[3]

نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الْعَيْنِ إِنِّي رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ[4]

وهذا البيت في غاية الجودة لفظه ومعناه إلا أنه وَصَله بكلام غليظ، فقال:

فَيَا حُسْنَ الرُّسُوم وَمَا تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ في صُورِ البعَادِ

وهذا بيت في غاية الرداءة والسخافة، ومعناه: فياحسن الرسوم ولم يمش إليها الدهر: أي لم يُصِبها الدهرُ ببعد أهلها عنها، فأخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن.

ومن إحسان أبي عُبَادة المشهور في هذا قولُه:[5]

أَمَحَلَّتَيْ سَلْمَى بِكاظِمَةَ اسْلَما وَتَعَلَّمَا أَنَّ الْهَوَى مَا هِجْتُمَا[6]

هَلْ تُرْوِيَانِ مِنَ الأحِبَّةِ هائمًا أَوْ تُسْعِدَانِ عَلَى الصَّبَابَةِ مُغْرَمَا[7]

---

(1) هذا ثاني بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان 211) والذي قبله قوله:

يا برق طالع منزلا بالأبرق واحد السحاب له حداء الأنيق

وقد تقدم ذكر هذا المطلع (429) والذي في الأصول «دمن لوت عزم الديار» وما أثبتناه عن الديوان.

(2) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد ويعتذر إليه (الديوان 78).

(3) تقدم ذكر هذا البيت (ص 341 من هذا الكتاب) وفيما تقدم ورد في عجزه «وروى حاضر».

(4) نزحت: أخذت ماءها كله، والركي: البئر. والعتاد- بزنة السحاب - العدة.

(5) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابني المدبر (الديوان: 2 - 239).

(6) كاظمة: اسم لمكان بعينه، وتعلما: معناه ههنا اعلما، وهجتما: أثرتما وقد سبق ذكر هذا البيت في (ص 408 من هذا الكتاب.

(7) تقول: روي فلان من الماء واللبن يروي - مثل فرح يفرح - إذا شرب وشبع، وأرواه غيره، وإذا جعله ريان، وأصل الهيام -بكسر الهاء- العطش، ثم استعير للحب لأن له حرارة العطش، وأراد هنا من الهائم المحب، وتسعدان: تعينان وتكونان له ساعدا.

أبْكِيكُما دَمْعًا وَلَـوْ أنِّي عَلَى قَدْرِ الْجَوَى أَبْكِي بَكَيْتُكُمَا دَمَا

ومن جيد شعر أبي تمام أيضًا في هذا الباب قوله[1]:

أَرَامَـــةُ كُنْتِ مَألَفَ كُـلِّ رِيمِ لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بالأنس الْقَدِيمِ[2]

أَدَارَ الْبُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصَابِي إِلَـيَّ فَصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ[3]

لَئِنْ أَصْبَحْتِ مَيْدَانَ السَّوَافِي لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَيْدَانَ الْهُمُومِ[4]

وَمِـمَّـا ضَـرَّمَ الْـبُـرَحَـاءَ أَنِّـي شَكَوْتُ فَمَا شَكَوْتُ إِلَى رَحِيمِ[5]

أَظُنُّ الدَّمْعَ فِي خَدِّي سَيُبْقِي رسُومًا مِنْ بكائِي فِي الرُّسُومِ[6]

وهذا من أسهل الكلام وأسلس نظمه، ومن أبعد قولٍ من التكلف والتعسف، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة، وقوله «فصرتِ جنات النعيم» معنًى حسنٌ، ولكن فيه إسراف أن يجعل دارًا خَلتْ من أهلها دارَ بؤس وهو باك فيها جنات النعيم.

وقد أتى البحتريُّ بهذا المعنى متبعًا فيها أبا تمام، ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال، واجتنب إفراطه، فقال[7]:

يا مَغانِي الأَحْبابِ صِرْتِ رُسُومَا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِي مَلُومَا[8]

أَلِفَ الْبُؤْس عَرْصَتَيْكِ وَقَدْ كُنْـ ـت بِـعَـيْـنَـيَّ جَـنَّـةً وَنَعِيمَا

(1) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها بعض بني عبد الكريم الطائيين (الديوان 287).

(2) قد تقدم ذكر هذا البيت وشرحه (انظر ص 205 من هذا الكتاب).

(3) البؤس: الشدة، والتصابي: إظهار الصبابة، وهي الغرام.

(4) السوافي: جمع سافية، وهي الريح التي تسفى التراب.

(5) ضرم: أشعل وأوقد، والبرحاء – بضم الباء وفتح الراء – الشدة.

(6) وقع في الأصول «سيفني» وهو تحريف ما أثبتناه عن الديوان، والرسوم الأولى: العلامات، وهم يقولون: خدد الدمع خده، وإلى هذا ذهب أبو تمام، والرسوم الثانية: آثار الديار.

(7) البيتان من أول قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل (الديوان: 2 – 241).

(8) المغاني: جمع مغنى، وأصله اسم المكان من غنى فلان بالمكان يغنى فيه إذا أقام فيه، ثم قيل للدار مغنى لأنها مكان الإقامة، ورسوما: آثارا، وملوما: اسم المفعول من لامه يلومه، إذا عتب عليه وعنفه.

فقال: «ألف البؤس عرصتيك» ثم قال: « وقد كنت بعيني جنة ونعيما» فجعلها جنةً ونعيما فيما مضى، ومع هذا فإني أقول: إن بيت أبي تمام أحسن، وهو في سائر أبياته أشعر.

وقال البحتري[1]:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الدَّارِسَاتِ لَقَدْ غَدَتْ ... بِرَيَّا سُعَادٍ وَهْيَ طَيِّبَةُ الْعَرْفِ[2]
بَكَيْنَا فَمِنْ دَمْـعٍ يُمَازِجُهُ دَمٌ ... هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفِ[3]

وهذا حسن جدا، وإنما أخذ قوله «بريا سعاد وهي طيبة العرف» من قول الآخر، أنشده الأخفش عن المبرد:

وَاسْتُودِعَتْ نَشْرَهَا الدِّيَارُ فَمَا ... تَـــزْدَادُ إِلَّا عَلَى الْـقِـدَمِ

وهذا أجود من بيت البحتري: لما فيه من الزيادة الحسنة، وهي قوله «فما تزداد إلا طيبا على القدم»

وقال البحتري[4]:

تَرَى اللَّيْلَ يَقْضِي عُقْبَةً مِنْ هَزِيعِهِ ... أَوِ الصُّبْحَ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيعِهِ[5]
أَوِ الْمَنْزِلَ الْعَافِي يَـرُدُّ أَنِيسَهُ ... بُكَاءً عَلَى أَطْـلَالِـهِ وَرُبُـوعِـهِ
إِذَا ارْتَفَقَ الْمُشْتَاقُ كَانَ سُهَادُهُ ... أَحَقَّ بِجَفْنَيْ عَيْنِهِ مِنْ هُجُوعِهِ

(1) البيتان من قصيدة له يمدح فيها أبا نهشل ويعاتبه (الديوان: 2 – 112)

(2) رواية الديوان «لعمر الرسوم الدراسات» والريا: الريح الطيبة، والعرف – بفتح العين وسكون الراء – الريح والنشر.

(3) صرف – بكسر الصاد وسكون الراء – غير ممزوج بشيء آخر.

(4) الأبيات من أول قصيدة له يمدح فيها محمد بن طاهر (الديوان: 2 – 90)

(5) رواية الديوان «أم الصبح» والعقبة – بضم العين وسكون القاف– الشدة، ويقولون: لقيت من فلان عقبة الضبع، يريدون لقيت منه شدة. والهزيع من الليل: الطائفة منه أو نحو ثلثه أو ربعه. وأصل الغرة بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم، ويراد منه ههنا البياض مطلقا، ويقال للصب صديع من الصدع الذي هو الشق؛ لأن الظلام ينشق عنه.

وهذا معنى فَحْلٌ ومعانٍ في غاية الصحة والاستقامة وللبحتري في وصف الديار والبكاء عليها مذهبٌ آخر، وهو قوله[1]:

أَبُكَاءً فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ ... وَسُلُوًّا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ[2]

لا هَنَاكَ الشُّغْلُ الْجَدِيدُ بِحُزْوَى ... عَنْ رُسُومٍ بِرَامَتَيْنِ قِفَارِ[3]

ماظَنَنْتُ الأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى ... مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيَارِ

نَظْرَةٌ رَدَّتِ الْهَوَى الشَّرْقَ غَرْبًا ... وَأَمَالَتْ نَهْجَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِي

وهذا غرض حلو، ومعنى لطيف، ومثله قوله[4] ولكن ليس فيه ذكر البكاء:

أبيتُ بأَعْلَى الْحَزْنِ وَالرملُ دُونَهُ ... مَغَانٍ لَهَا مَجْفُوَّةٌ وَطُلُولُ[5]

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو الرِّيحَ غَرْبًا مَهَبُّها
فَقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الرِّيحَ وَهْيَ قَبُولُ[6]

وذلك لأن القَبول هي الصبا، ومَهَبُّها من مطلع الشمس، ونحوه قوله[7]:

كَلَّفَتْنِي أَرْيَحِيَّاتُ الصِّبا ... طَلَقًا فِي الْحُبِّ مُمْتَدَّ الرَّسَنْ[8]

---

(1) الأبيات من مطلع قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان: 2 – 24) وسيذكر ثالثها قريبا.

(2) قد تقدم ذكر هذا البيت (انظر ص 334 من هذا الكتاب)

(3) «لا هناك» أصله «لا هنأك» بالهمز، فقلب الهمز ألفا لانفتاح ماقبلها، كما قال الشاعر:

* فَارْعَيْ فَزَارَةَ لا هَنَاكِ الْمَرْبَعُ *

(4) البيتان من أوائل قصيدة له يمدح فيها حمولة (الديوان: 2 – 183)

(5) رواية الديوان «والرمل عنده»

(6) رواية الديوان «وقد كنت أهوى الريح غربا مآبها»

(7) من غزل قصيدة له يمدح فيها أحمد بن محمد الطائي (الديوان: 2 – 309)

(8) وقع في أصول هذا الكتاب هذا البيت محرفا هكذا:

كفتني أريحات الصبا ... كلفا في الحب ممتد الرش

وأثبتنا صوابه عن الديوان، والطلق – بفتح الطاء واللام جميعا– أصله الشوط الواحد في جرى الخيل، وقد يستعمل في غيره استعمال الشوط، يقال: جرى طلقا، وطلقين. والرسن – بفتح الراء والسين جميعا– أصله الحبل وما كان من زمان على الأنف، ويجمع على أرسن وأرسان. وتقول: رسن فلان دابته – من بابى ضرب ونصر – وأرسنها، إذا جعل لها رسنا.

نَقَلْتَنِي فِي هَوًى بَعْدَ هَوًى وَابْتَغَتْ لِي سَكَنًا بَعْدَ سَكَنْ[1]

وقولُه:

مَا ظَنَنْتُ الأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيارِ[2]

وبيت البحتري أحلى وأبدع

وقال البحتري في وجه آخر، وهو أيضًا حَسَن لطيف[3]:

فِي كَـلِّ يَـوْمٍ دِمْنَةٌ مِـنْ حُبِّهِمْ تُقْوِي وَرَبْـعٌ بَعْدَهُمْ يَتَأَبَّدُ[4]

أَوَ مَـا كفَانا أَنْ بَكَيْنا غردا حَتَّى شَجَتْنا بِالْمَنازِلِ ثَهْمَدُ[5]

ومثله:

هُوَ الدَّمْعُ مَوْقُوفًا عَلَى كُلِّ دِمْنَةٍ تُعَرِّجُ فِيها أَوْ خَلِيطٍ تُزَايِلُهْ[6]

تَرَادَفَهُمْ خَفْضُ الزَّمَان وَلِينُهُ وَجَادَهُمُ طَلُّ الرَّبِيعِ وَوَابِلُهْ[7]

وإنما حَذا البحتريُّ هذا المعنى على حَذْوِ قول كُثَيِّر:

وكُنْتُ امرأً بالغور مني صريمة وأُخْرَى بِنَجْدٍ، ما لعينيك ما تبدي

---

(1) السكن – بفتح السين والكاف جميعا – كل شيء تسكن إليه وتطمئن نفسك له، وأراد هنا الحبيب.

(2) من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاما (الديوان: 2 – 24) وفيه «في مصدور العشاق» (الديوان 299) وعفا: انمحى وذهبت معالمه، والطلول: جمع طلل، واللوى –بكسر اللام– اسم مكان بعينه، والرسوم: جمع رسم.

(3) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا أيوب بن أخت أبي الوزير (الديوان: 1 – 175)

(4) الدمنة – بكسر الدال وسكون الميم – أثر الدار، و «تقوى» مضارع أقوت الدار ونحوها، إذا خلت من ساكنيها، والربع: المنزل؛ و «يتأبد» يصير منزلا للأوابد، وهي الوحوش.

(5) في الديوان «أن بكينا غربا» وشجتنا: أورثتنا الشجى، وهو الحزن.

(6) البيتان من غزل قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله (الديوان: 2 – 162) ووقع في الديوان «هو الدمع موقوف» وما هنا أحسن والدمنة: أثر الدار، وتعرج فيها: تميل نحوها، والخليط: الذي تخالطه وتعاشره، وتزايله: تفارقه.

(7) في الديوان «خفض النعيم» ووقع في الأصول «ترافهم خفض الزمان» وهو تحريف، وترادفهم: تتابع عليهم، وتكرر لهم، وخفض الزمان: الدعة وسعة العيش والخصب؛ وجادهم: أمطرهم، والطل – بفتح الطاء وتشديد اللام – المطر الخفيف، أو هو أخف المطر وأضعفه، أو هو الندى. والوابل: المطر الكثير، وفي التنزيل: ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾.

فَطَوْرًا أكر الطَّرْفَ نَحْوَ تِهَامَةٍ   وطَوْرًا أكر الطَّرْفَ كَرًّا إِلَى نَجْدِ
وَأَبْكِي إذا فَارَقْتُ هِنْدًا صَبابَةً   وَأَبْكي إِذَا فارَقْتُ دَعْدًا عَلَى دَعْدِ

وهذا ما لا مزيد فيه على حسنه وطلاوته، ومثلُه قولُ جرير:

أَخَالِدَ قَدْ عَلِقْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ   فَشَيَّبَنِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ
هَوًى بِتهامَةٍ وَهَوًى بِنَجْدٍ   فَقَتَّلَنِي التَّهائِمُ وَالنُّجُودُ

وقال:

أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وَبِالْغَوْرِ حَاجَةٌ   فَغَارَ الْهَوَى يا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدَا

****

وهذا باب
في وصف أطلال الديار وآثارها

قال أبو تمام[1]:

قِفُوا نُعْطِي الْمَنَازِلَ مِنْ عُيُونٍ ... لَهَا فِي الشَّوْقِ أَحْساءٌ غِزَارُ[2]
عَفَتْ آياتُهُنَّ وَأَيُّ رَبْعٍ ... يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الْخِيارُ[3]
أَثَافٍ كالْخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْنًا ... وَنُؤْيٌ مِثْلُ مَا انْفَصَمَ السِّوَارُ[4]

قوله «أحساء» جمع حِسْيٍ، وهو الماء يغيض في الرمل، فإذا وصل إلى الصلابة وقف فيُحْفَر عنه ويشرب. وقال البحتري[5]:

عِوَضٌ مِنْهُمُ خَسِيسٌ - وَقَدْ حَلُّوا اللِّوَى - مَنْزِلٌ بِوَجْرَةَ عَافِي[6]
لَمْ تَدعْ مِنْهُ مُبْلياتُ اللَّيَالِي ... غَيْرَ نُؤْيٍ تَسْفِي عَلَيْهِ السَّوَافِي[7]
وَأَثَافٍ أَتَتْ لَهَا حِجَجٌ دُو ... نَ لَظَى النَّارِ مُثَّلٌ كالأَثَافي[8]

وقوله «مُثَّل» قائمة ثابتة «كالأثافي» يريد الكواكبَ التي عند الفرقدين وهي ثلاثة، قيل لها أثاف لشبهها بالأثافي، فشبه البحتري الأثافيَّ بها لثبوتها وأنها مُثَّل على مرِّ

(1) ثلاثة الأبيات من غزل قصيدة له يمدح فيها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة (الديوان 140) وقد تقدم ذكر ثالثها في سرقات أبي تمام (انظر ص 52 من هذا الكتاب).

(2) في الديوان «قفا» وفيه «لها في الشوق أنواء غزار» وأراد بالأنواء الأمطار، والغزار: جمع غزير، وهو الكثير.

(3) عفت: انمحت، والآيات: جمع آية، وهي العلامة، والربع: المنزل.

(4) الأثافي: جمع أثفية، وهي حجارة توضع عليها القدر، والنؤي: الحفيرة تصنع حول الخيمة لتمنع تسرب المطر إليها، وانفصم: انقطع.

(5) ثلاثة الأبيات من غزل قصيدة له يمدح فيها أحمد بن على الإسكافي (الديوان: 2 – 108)

(6) في الديوان «عرض منهم خسيس» وهو محرف عما هنا، واللوى: ووجرة: موضعان.

(7) مبليات: جمع مبلية، وهو اسم الفاعل المؤنث من أبليت الشيء إذا صيرته باليا، وتسفى: تجلب إليه السفا، وهو التراب، والسوافي: أراد بها الرياح.

(8) وقع في الأصول محرفا «أقت» والحجج: جمع حجة -بكسر الحاء- وهي السنة، ولظى الغار: التهابها.

الدهر، قال أبو حنيفة الدينوري في كتابه في الأنواء: إن تثليثها طولًا، ولو شبهها البحتري بالنَّسر الواقع لأنه أشهر وأظهر وأقرب شبهًا لكان ذلك أحسن وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشيء إنما استعير له اسمها، وليس يعرفه كل أحد، ولكنه جاء من أجل القافية. وقال البحتري(1):

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الدَّخُولِ فَتُوضِحِ ... مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّم تَسْفَحِ(2)
عَفَا غَيْرَ نُؤْيٍ دَارِسٍ فِي فنائِهِ ... ثَلاثُ أَثَافٍ كالْحَمائِمِ جُنَّحِ(3)

وهذا جيِّدٌ حسن على مَنْهج الشعراء، وأظنه أخذه من قول عَدِيِّ بن زيد:

****

وثَلاث كالْحَمامَاتِ بِهَا ... بَيْنَ مَجْثاهُنَّ تَوْشِيمُ الْحُمَمْ(4)

وابن الأعرابي قال: لا يكون «مجثاهن»، إنما هو «مجراهن» أو من قول أبي نُوَاس:

كما اقترنت عند الممر حمائم ... بيرات تمسي بينهن وكون

وهذا أجود من بيت عدي ومن بيت البحتري.

---

(1) البيتان أول قصيدة له يمدح فيها المعتز بالله (الديوان: 1 - 111)

(2) الدخول وتوضح: مكانان ذكرهما امرؤ القيس في أول طويلته المعلقة في قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

وتسفح: مضارع سفحت العين دمعها - من باب فتح - سفحا وسفوحا إذا أرسلته.

(3) عفا: تغير وانمحى، والنؤي: الحفير حول الخيمة، والفناء- بكسر الفاء، بزنة الكتاب - الساحة أمام البيت، ويقال: هو ما امتد من جوانب البيت، وجنح: جمع جانحة، وهي المائلة.

(4) هذا البيت ثالث أربعة أبيات يقولها عدي بن زيد العبادي، وهي - فيما يقال - من أوائل شعره، وهاك أربعتها:

لِمَنِ الدَّارُ تعَفَّتْ بِخيَمْ ... أصْبَحَتْ غَيَّرَها طُولُ الْقِدَمْ
مَا تُبينُ الْعَيْنُ مِنْ آياتها ... غَيْر نُؤْيٍ مثْلَ خَطٍّ بالْقَلَمْ
وَثلاثٍ كالْحمامَاتِ بهَا ... بَيْنَ مَجْثاهُنَّ تَوْشِيعُ الْحُمَمْ
أَسْأَلُ الدَّارَ وَقدْ أَنْكرْتُهَا ... عَنْ حبيبى فإِذَا فِيهَا صَمَمْ

وقد شبه الأثافي بالحمائم غيرُ واحدٍ من الشعراء، والبالغ النادر في وصف الأثافي قول كُثَير[1]:

أَمِن آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ | وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَديِمُ
لَعِبَ الزَّمانُ بِرَسْمِهِ فأَجَدَّهُ | جُونٌ عَوَا كِفُ في الرَّمَاد جُثُومُ[2]
سُفْعُ الْخُدُودِ كأَنَّهنَّ وَقَدْ مَضَتْ | حِجَجٌ عَـوَائِـدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

قوله «فأجدَّه جُونٌ عَوَاكف» يعني الأثافي؛ لأن الريح لما كشفت عنها ظهرت سوداء[3]، شبَّهها بالعوائد، والْجَوْن: الأسود. والْجَوْن: الأبيض، وهو من الأسماء المتضادة، قال الأصمعي: ويقال: غابَت الجونة، وطلعت الغزالة، يعني مَغيبَ الشمس وطلوعها، وهما اسمان من أسماء الشمس، وإنما سميت الشمس جونة عند الغروب لما يعرض فيها من تغير اللون إلى السواد.

كمل كتاب الموازنة بين شعري أبي تمام وأبي عبادة البحتري الطائيين مما ألفه أبو القاسم الحسنُ بن بشر بن يحيى الآمدي رحمه الله تعالى، والحمد لله وحده.

****

(1) انظرها في ديوان كثير (ج 1 ص 252، وفي أمالي المرتضي: ج 3 ص 122)

(2) في الديوان «لعب الرياح برسمه» والجون - بالضم- جمع جون، بفتح فسكون.

(3) هذا أحد وجهين ذكرهما السيد المرتضي في شرح هذا الأبيات، قال: «وقيل في قوله فأجده جون عواكف، يعني الأثافي؛ لأن الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت كأنها هي أجدت الرسم، ويحتمل وجه آخر، وهو أن يكون معنى أجدت أنها حملت الرماد الذي أحاطت به من لعب الرياح فبقي بحالة يستدل بها المتوسم، فكأن الرياح درست الربع ومحته إلا ما أجدته هذه الأثافي ومنعت الريح عنه» اهـ.

الفهرس

أبو تمام	7
البحتريّ	8
الآمدي	10
سرقات أبي تمام	44
تم الجزء الأول من الموازنة على ما جزأه مؤلفه والحمد لله	103
باب ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات	187
ماجاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس	202
ما يستكره للطائي من المطابق	207
وهذا باب	213
فى سوء نظمه، وتعقيد ألفاظ نَسْجه، ووحشيِّ ألفاظه	213
باب ما كثر في شعره من الزِّحاف واضطراب الوزن	220
تم السفر الثاني من الموازنة على ما جزأه مؤلفه رحمه الله تعالى والحمد الله رب العالمين	223
سرقات البحتري	226
باب فى اضطراب الأوزان	303

باب فى فضل أبي تمام	301
باب في فضل البحتري	313
التسليم على الديار	325
وفي إقواء الديار وتعفّيها	329
تعفية الرياح للديار	330
وفي البكاء على الديار	332
سؤال الديار واستعجامها عن الجواب	335
وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جَوَى الواقفين بها	340
الدعاء للدار بالسقيا	341
في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار	344
ما قالا في أوصاف الديار والبكاء عليها	350
وهذا باب في وصف أطلال الديار وآثارها	359

أعمال الشيخ العلامة

محمد محيي الدين عبد الحميد

(ضمن منشورات دار الطلائع . القاهرة)

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (تحقيق)
- شرح قطر الندى وبل الصدى (تحقيق)
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (تحقيق)
- التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية (تحقيق)
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (تحقيق)
- الإنصاف فى مسائل الخلاف (تحقيق)
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب (تحقيق)
- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (لابن هشام) (تحقيق)
- الفرق بين الفرق (تحقيق)
- أدب الكاتب (تحقيق)
- دروس التصريف في المقدمات وتصريف الأفعال (تحقيق)
- شرح المعلقات السبع (للزوزني) (تحقيق)
- شرح القصائد العشر (للتبريزي) (تحقيق)
- شرح الرحبية (تحقيق)
- رسالة الآداب فى علم آداب البحث والمناظرة (تأليف)
- تنقيح الأزهرية (تأليف)
- العمدة في محاسن الشعر ، آدابه ونقده (تحقيق)
- أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية (تأليف)
- أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه (تحقيق)

- مبادئ دروس العربية (تأليف)
- مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمزاني (تحقيق)
- جواهر الألفاظ (تحقيق)
- الموافقات في أصول الأحكام (تحقيق)
- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ (تحقيق)
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (تحقيق)
- المعاملات الشرعية .. دراسة فقهية مقارنة (تأليف)
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (تحقيق)
- المسامرة بشرح المسايرة (تحقيق)
- شرح جوهرة التوحيد (تحقيق)
- الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية (تأليف)
- المختار من صحاح اللغة (تأليف)
- شرح السلم (تحقيق)
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (تحقيق)
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري (تحقيق)
- شرح السراجية (تحقيق)